

جامعة ام درمان الاسلامية
كلية الدراسات العليا
قسم الدراسات الادبية والنقدية

صورة المجتمع في العصرالعباسي الأول من خلال شعر ابي نواس
بحث مقدم لنيل درجة الدكتوراة في الادب العربي

اعداد الباحث/

عمر بن الخطاب ادم

اشراف /

برفيسور بابكر البدوي دشين

التاريخ يوليو ٢٠٠٦م

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

قال تعالى

(إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا
عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا)

[سورة: الأحزاب - الآية: ٥٦]

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

قال تعالى

(وَالَّذِينَ إِذَا فَعَلُوا فَاحِشَةً أَوْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ ذَكَرُوا اللَّهَ
فَاسْتَغْفَرُوا لِذُنُوبِهِمْ وَمَنْ يَغْفِرِ اللَّهُ إِلَّا اللَّهُ وَلَمْ يُصِرُّوا
عَلَىٰ مَا فَعَلُوا وَهُمْ يَعْلَمُونَ)

[سورة: آل عمران - الآية: ١٣٥]

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

قال تعالى

وَإِنَّهُ لَتَنْزِيلُ رَبِّ الْعَالَمِينَ (١٩٢) نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الْأَمِينُ (١٩٤)
 عَلَى قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ الْمُنذِرِينَ (١٩٥)
 بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُبِينٍ (١٩٥)

إهداء

إلى روح أمي الذكية حبا وحنانا ووفاء

إلى روح أبي الطاهرة عرفانا وبراً وثناء

إلى خالي مكي القمة السامقة والذروة الشماء

إلى أختي الأستاذة إيمان عطاء مستمراً ورمزاً لاقتداء

إلى أخي الدكتور محمد العالم بذلاً ودعماً و سخاء

إلى زوجي الفضلي بن تضحية وإيثارا وفداء

إلى ابني سلاف الدين وبناتي العزيزات أخص منهن

مناسك والرميصاء

إلى إخوتي جميعاً وأحبائي قاطبة دونما استثناء

أهدي هذا الجهد

كلمة الشكر

الحمد لله رب العالمين ثم الصلاة والسلام على اشرف المرسلين وصحبه وآله اجمعين .

ثم اما بعد

امثالا لقول رسول الله صلى الله عليه وسلم (لا يشكر الله من لم يشكر الناس)(^١)
فاني معقب علي شكري اولا الله سبحانه وتعالى الذي اعان بشكري لمن اجرى
الله النعمة اليّ علي ايديهم والله در القائل (^٢)

إِذَا أَفَادَكَ إِنْسَانٌ بِفَائِدَةٍ مِنْ الْعُلُومِ فَأَكْثِرْ شُكْرَهُ أَبَدًا
وَقُلْ فُلَانٌ جَزَاهُ اللَّهُ صَالِحَةً أَفَادَنِهَا وَ الْغِ الْكِبَرَ وَالْحَسَدَا
فالحر يظهر شكرا للمعين له خيرا ويشكره ان قام او قعدا

والحق ان قليل العلم كثير، وليس في العلم قليل، وخير العلم ما ينفع، وانفعه ما
يحاضر به واجل ما يعين علي حفظه حسن تصنيفه وبراعة تدوينه
وشكري من بعد الله سبحانه وتعالى لاساتذتي الاجلاء النبلاء الاتقياء الانقياء
الذين تولوني بالرعاية والتوجيه منذ دخولي لكلية اللغة العربية و اخص منهم
البروفسور بابكر بدوي دشين الذي تفضل بالاشراف علي هذا البحث فقد اعطى من
وقته ومن جهده ومن صبره الكثير . كما أدين بالشكر لمن تفضلا بقبول فحص هذا
البحث ومناقشته وتقويمه وبالامتنان والتقدير اخص الاخوين الدكتور عبد الشكور
حسن احمد والدكتور اسامة سعيد والاخ الفاضل عبد المنعم آدم ابو زيد و ذلك لما
كان لهم عليّ من الأيادي البيضاء، حتى يرى هذا البحث النور .ولا يفوتني ان
اتوجه بخالص الشكر لإستاذي العميد عمر عبد المطلب طالب الامن والسلامة
للجميع. والشكر لكل من أسدى إليّ نصيحة او اسبغ عليّ بالعطاء

والله المستعان في البدء والختم

(١) الحديث أخرجه الترمذي أبواب الأدب ج ٤ / ٣٣٩

(٢) هذه الأبيات قالها علي بن محمد بن عبد الله بن عبد الله بن عراق سعد الدين ابو الحسن المتوفى
بالمدينة المنورة سنة ٩٦٣ هـ . مترجم في شذرات الذهب (٨:٣٣٧)

مقدمة

المقدمة

الحمد لله الذي رقى لغة العرب ، وجعلها محببة الي النفوس ، واعتبرها وسيلة طيبة الي ما كان عليه المجتمع وما يكون طارفا و تليدا ، حيث جُعلت صدور العرب حافظة للادب من خلال استعذابهم للقيمة الادبية ، والقضايا التاريخية ، والمشاكل الاجتماعية التي تم حلها من خلال الامتداح ، الهجاء ، النسيب ، او المراثي .

ان الادب لا تقتصر قيمته علي المزايا الاخلاقية فحسب بل هو يتعدى ذلك الي شمول الاخبار ، و السبك في الالفاظ ، والبلاغة في البيان والتعبير عن كل ما كان عليه الانسان في مختلف المراحل العمرية ، والادب اما أن يعني بالالفاظ او أن يعنى بالاخلاق ، فاذا تمكن الاديب من نقل مضامين الاخلاق كسته تلك المضامين حلة تجعل الادب اكثر قبولا ، واجدر بان يتحلى منه.

ومن خلال ذلك فان الاديب يتناول المتضادين ليبرهن على مستوى الادب الحاصل من هذا ومن ذاك سواء اكان ذلك يخص ادب الاخلاق او الادب الذي يعنى بالالفاظ في نهايته مقصود منه تهذيب عادات الامة والطاق احساساتها وتنبهها إلي خيرها لتجتنبه والي شرها لتجتنبه وان الشر لا يخلو من بعض الخير حتى ولو من جهة ما يحمل من جمال اللغة وروعة البيان .

هذا ما يحمل الباحث علي التكلم في مثل ابي نواس الذي قد غلب عليه امر المجون ، ولكنه قد نقل ذلك إلينا في لغة رائعة ، ثم لابد من انصافه بابرار توبته من خلال دراسة شعر الزهد مدعاة الي الدعوة إلي الأخلاق حيث يجتمع عند هذه الدراسة المضمون العام للأدب.

ان شعر ابي نواس له قيمته الأدبية إذ لم يهمل ذكره مع مجونه كبار الأدباء وعظماء الشعراء فبسط عليه الكلام وذلك ما يعكس لنا جميعا صورة ذلك المجتمع الذي كان يعج بالأخلاق المتباينة والقيم المتنوعة مما يعطي الباحث قدرة على

استيعاب حقيقة ذلك المجتمع ليتعرف مكوناته من الافكار الوافدة والثقافات الاجنبية والاراء الناتجة.

فهذه الدراسة التي تعنى بابي نواس وتصويره للمجتمع العباسي تستوقف الباحث للوقوف علي المفاهيم السياسية التي كانت تعبر احيانا عن سعة الصدور للحكام في ذلك الزمان ، وعدم التعجل بالحكم علي من انشد شعرا حيث لا يوافق الحق اذ الشعراء يقولون ما لا يفعلون وينطقون بما لا يضمرون .

فرسالتني تاتي مع ما استفدته من سعة الصدور في قبول الوارد وعكسه ادبيا بغض النظر عما يحمله من غث او نفيس

وفي النهاية يصب ذلك في الالمام بالكلمات العربية المحفوظة والنظام المنقود والجوهر الذي يلمع ضياؤه من خلال سبك الكلمات وجميل العبارات

أهمية البحث وأهدافه :

وتكمن اهمية الموضوع فى الاتي

١. ابراز صورة المجتمع العباسي الاول من خلال الشعر باعتباره وسيلة اعلامية صادقة

٢. دراسة احوال الادب في العصر العباسي الاول ومدى تاثر الآداب بالثقافات الوافدة واثر الحياة السياسية في ذلك .

٣. دراسة المعاني والافكار والاساليب التي جاءت كنتاج للثقافات المختلفة والتيارات المذهبية المتعددة

٤. الدراسة الفنية لشعر ابي نواس كنموذج لشعراء ذلك العصر

سبب اختيار الموضوع :

يرجع السبب فى اختيار الموضوع الى اهمية

١. دراسة الادب في العصر العباسي الاول حيث كان يمثل ازهى العصور

الادبية التي مرت علي العالم الاسلامي، فقد ضم هذا العصر طائفة من

الشعراء النوابغ الذين أغنوا الحياة الادبية .

٢. دراسة شعر ابي نواس لما اشتمل عليه من لغة رائعة واسلوب رصين وجودة في العبارة وتعمق في الافكار والمعاني

مشكلة البحث:

تكمن مشكلة البحث في كيفية ابراز صورة المجتمع العباسي من خلال شعر ابي نواس الذي يعد نموجا لهذا العصر من حيث تناوله لشتى اغراض الشعر وفنونه وتأثره بالحياة التي كانت سائدة في ذلك العصر

أسئلة الدراسة :

- ما هو الغزل ومدى أثره على الاجيال ؟
- ما هو الغزل الفاضح وما يترتب عليه من سمات سالبة ؟
- ما هو المجون وما يقود اليه من خروج عن القيم والاخلاق والدين ؟
- وهل كل ما يكتب يطلق عليه ادب ؟
- هل هنالك اثر للتيارات المذهبية في تطور الافكار والمعاني ؟
- ما مدى اثر تيار الزهد في المجتمع العباسي ؟

حدود الدراسة :

الحدود الزمانية للدراسة العصر العباسي الاول (١٣٢.٢٣٢هـ)
بداية فترة قيام الدولة العباسية حتي نهاية عهد المتوكل

منهج البحث

اتبع الباحث في هذا البحث المنهج العلمي التكاملي.

الصعوبات التي واجهت الباحث :

كيفية استخلاص صورة عن المجتمع العباسي من خلال شعر ابي نواس حيث تناولت المصادر المختلفة حياة ابي نواس الشخصية ودراسة الجوانب التي

اثررت علي شاعريته اذ اهملت هذه المصادر والدراسات المختلفة دراسة المجتمع العباسي من خلال شعر ابي نواس بالرغم من تناول ابي نواس في شعره لشتى مناحي الحياة في عصره ولكن وبحمد الله تذلت تلك الصعاب بالرجوع الي مختلف المصادر والمراجع والي اشعار ابي نواس لاستخلاص تلك الصورة موضوع البحث .

خطة البحث

الإهداء

كلمة الشكر

المقدمة

تمهيد

الفصل الأول : الحياة السياسية والاجتماعية والعقلية في العصرالعباسي الاول

المبحث الأول : الحياة السياسية

المبحث الثاني : الحياة الاجتماعية

المبحث الثالث الحركة العقلية

الفصل الثاني حياة ابي نواس

المبحث الأول : المولد والنشأة

المبحث الثاني : مراحل التعليم

المبحث الثالث : الجانب النفسي واثره في انحراف الشاعر

المبحث الرابع : التحليل النفسي لحياة ابي نواس

المبحث الخامس: انتاجه الادبي

المبحث السادس : مكانة ابي نواس الادبية

المبحث السابع : حياة ابي نواس السياسية

الفصل الثالث : الصورة المستمدة من الاغراض الشعرية

المبحث الأول: الصورة المستمدة من خمريات ابي نواس

المبحث الثاني: الصورة المستمدة من الغزل والنسيب

المبحث الثالث: الصورة المستمدة من شعر المجون

المبحث الرابع: الصورة المستمدة من شعر الزندقة

المبحث الخامس : الصورة المستمدة من الشعر المذهبي

المبحث السادس : الصورة المستمدة من الزهد

الفصل الرابع : الدراسة الفنية لشعر ابي نواس

المبحث الأول : بناء القصيدة والمقطوعة

المبحث الثاني: الألفاظ والاساليب والمعاني

المبحث الثالث: الصورة الفنية في شعر ابي نواس

المبحث الرابع: الموسيقى في شعر ابي نواس

خاتمة أهم النتائج و التوصيات

الفهارس العامة.

Abstract

The Arabic literature, be divided to.: Educated Literature: in the pronunciations or physiological: it concerns with the ethic.

This study comes with what I got used of the busts capacity in the newcomer acceptance and opposite, literary, irrespectively of the poet carries from literature from (Ghuth) or precious ..

The study boundaries began from (232h - 132h) what agrees to (750 - 847ac), the period era in which Banni AI-Abbass first territory had established.

The method followed in this research is the " *The Integrated Scientific Method* ". This research has a problem, suppositions and selection motivators clarified in introduction and bust on its beginning. As for the research, it is of special a structure where it is divided in to four chapters or separations. The first chapter was about the social, political and cerebrate life of the poet. The second separation had been in a swinging disdainful life, where a section came to seven themes coming as the following:

- The noun generator and the beginning and the nickname ..
- Education phases and learning ..
- The psychological side and trace in deviation ..
- The psychological analysis for life ..
- Literary output from expulsion and an impudence and a flirtation and an

atheism and a denominational poetry and an asceticism ..

- To political life and entering derelict the caliph (Haroun EI-Rasheed) , and his relation with the caliph AI-Amine AI-Khasib ,an insistent prefect in Egypt.

As for the third separation came to indicat the derived photos of the poetry obiects for AI-Abbasi society through a swinging disdainful poetry. The separation contained on six themes:

- The first theme: the derived poetry picture from (khmreeat) .
- The second theme: the derived poetry pictul'e of the impudence poetry.
- The third theme: the derived poetry picture of the atheism poetry.
- The fourth thelne: the derived picture of the denominational poetry.
- The fifth theme: the derived poetry picture from the flirtation poetry and the

kin ..

- The sixth theme: the derived grating from the asceticism poetry and the asceticism ..

As for the fourth separation drew an address for a swinging disdainful poetry, under the technical study noun, and gathered four themes came on the coming arrangement:

- The first theme: the poem building and the piece .. The second theme: the pronunciations and the methods ..

- The third theme: the artistic picture in a swinging disdainful poetry.

- The fourth theme: the music in a swinging disdainful poetry.

As an end, the research enumerated the results and interests the recommendations, then the indices presented the accessibility and the flags indices in second part and they grating a grade and arrangement came stood on distort for an arrangement the satire (alphabetized houz). And the sources indices, the references and the topics were arranged alphabetically.

Finally, and however this effort came, I wish this work to be with an interest and use for flag students and specialized and educated for what its contents of topics in order to get use of them. Folded in the old books bellies finding become impossible for the student and the research to search and investigate in them nowadays, consider a ring from the established rings which must listened, studied, distinguished and here I would like to conclude with this saying: Mazeni said that:

God have mercy on him : (I have read the letter book eighty times in front of AlShafeay and what of a time he stopped me as I made a mistake he said" (HEEH) God refused, that any book else than His's will be changed and wrong).

تَمَهِلَا

تمهيد:

يبدأ العصر العباسي الاول فى سنة ١٣٢ للهجرة ، وهو تاريخ نجاح الانقلاب الذى أعده الدعاة العباسيون فى سرية محكمة منذ أواخر القرن الاول الهجرى ، وفى أواخر هذا القرن بدأ التفكير فى قلب نظام الحكم الاموى وإقامة حكم جديد يتولى أمره أبناء العباس بن عبد المطلب عم النبى (ص) وحانت الفرصة للعباسيين لبدء مؤامرتهم سنة ٩٨هـ ، وهى السنة التى توفى فيها أبو هاشم عبد الله بن محمد بن الحنفية (١)، الذى كان يتولى امر الشيعة الكيسانية بعد وفاة أبيه ، فقبل ان يلفظ أبو هاشم أنفاسه الاخيرة عهد بأمر الدعوة الى محمد بن على بن عبد الله بن العباس ، ووصل بينه وبين دعائها .

وفى سنة ١٢٧هـ مات بكير بن ماهان (٢) ، وعهد بأمر الدعوة من بعده الى احد أنصاره المخلصين ، وهو أبو سلمة الخلال (٣) الذى أطلقوا عليه فيما بعد (وزير آل محمد) وهو فارسى ايضا .

^١ عبد الله بن محمد بن الحنفية الإمام أبو هاشم الهاشمي العلوي المدني كان صاحب الشيعة فأوصى إلى محمد بن علي بن عبد الله بن عباس ودفع إليه كتبه ومات عنده وانقرض عقبه وأمه أم ولد و كان ثقة قليل الحديث وكانت الشيعة تتحلله ولما احتضر أوصى إلى محمد بن علي وقال أنت صاحب هذا الأمر وهو في ولدك وصرف الشيعة إليه وأعطاه كتبه مات في خلافة سليمان ويقال أن سليمان بن عبد الملك دس من سقى أبا هاشم سما وذلك في سنة ٩٨هـ مات كهلا وقيل ان عبد الله اول من الف شيئا في الإرجاء . سير اعلام النبلاء ٢٢٥/٨

^٢ اشتراه أبو مسلم صاحب دعوة بني العباس من عيسى بن معقل العجلي و كان بكير بن ماهان كاتباً لبعض عمال السند فقدمها فاجتمعوا بالكوفة في دار فغمز بهم فأخذوا فحبس بكير وخلي عن الباقيين وفي الحبس يونس أبو عاصم وعيسى بن معقل العجلي ومعه أبو مسلم يخدمه فدعاهم بكير إلى رأيهِ فقال لعيسى بن معقل ما هذا الغلام قال مملوك قال تبيعه قال هو لك قال أحب أن تأخذ ثمنه قال هو لك بما شئت فأعطاه أربعمئة درهم ثم أخرجوا من السجن فبعث به إلى إبراهيم فدفعه إبراهيم إلى أبي موسى السراج فسمع منه وحفظ ثم صار إلى أن اختلف إلى خراسان تاريخ الطبري ٤ / ٢١٥

واندفعت جيوش العباسيين بعد ذلك الى الشام بقيادة عبد الله بن علي^(٤) عم
ابى العباس السفاح ، والتقت بجيوش الامويين بقيادة مروان بن محمد آخر خلفاء
بنى امية فى منطقة الزاب الاعلى فى شمال الجزيرة ، ودارت المعركة وانتصر
العباسيون ، ومضوا خلف فلول الامويين التى فرت الى مصر .

وظل العباسيون فى الكوفة فترة قصيرة ، ثم خرجوا منها ليبتعدوا عن حركات
الشيعية فيها الى بلدة قريبة منها تقع بينها وبين الحيرة أطلقوا عليها اسم "الهاشمية" .
وتوفى أبو العباس السفاح ، وتولى الخلافة من بعده أبو جعفر المنصور الذى فكر
فى ان يبنى حاضرة جديدة لدولته ، فوضع اساس مدينة بغداد سنة ١٤٥هـ وفى سنة
١٤٩هـ تم بناؤها على طراز المدن الفارسية ، وأصبحت منذ هذا التاريخ حاضرة
الخلافة .

^٣ الوزير القائم باعباء الدولة السفاحية ابو سلمة حفص بن سليمان الهمداني مولاهم الكوفي رجل شجاع ،
انفق اموالا كثيرة فى اقامة الدولة وذهب الي خراسان وكان ابومسلم تابعا له فى الدعوة ثم توهم منه ميل
الى ال علي عندما قتل مروان ابراهيم الامام فلما قام السفاح وزر له وفي النفس شئ ثم كتب ابو مسلم الي
السفاح يحسن له قتله فابي ففس عليه ابو مسلم من سافر اليه وقتله غيلة بالانبار وذلك بعد قيام السفاح باربعة
اشهر فى رجب سنة (١٣٢هـ) وفيات الاعيان ١٩٥/٢ البداية والنهاية ٥٥/١٠

^٤ عبد الله بن علي بن عباس عم السفاح والمنصور من رجال العلم ودهاة قريش كان بطلا شجاعا مهيبا
سفاكا للدماء به قامت الدول العباسية حاصر دمشق وقتل فيها اكثر من خمسين الف جند من المسلمين ولم
يرقب فيهم الا ولا ذمة ارسل اخاه داوود بن علي في طلب مروان فقتل مروان بقرية بو صير من بلاد مصر
وهرب ابناء مروان الي الحبشة ولما مات السفاح زعم عبد الله انه ولي عهده فبايعه امراء الشام وبويع المنصور
بالعراق ارسل اليه المنصور ابا مسلم الخراساني فانهزم عبد الله فاخفاه اخوه سليمان ثم ما زال المنصور يلح عليه
حتى اسلمه فسجن فحفر له اساس الحبس وارسل من تحته الماء فقوع عليه فمات سنة (١٤٧هـ) تاريخ بغداد

هذه صورة سريعة للانقلاب العباسي يلفت نظرنا منها عدة ظواهر تعد كبيرة
الاهمية فى تاريخ العصر .

وأول هذه الظواهر ان الدولة العباسية قامت على أكتاف الفرس منذ ان بدأ
الاعداد السرى لها الى ان تم الانقلاب بنجاح ، فالدعاة من الفرس ، وقواد الجيش
من الفرس ، وأكثر الجند الذين اشتركوا فى القتال كانوا من الفرس ، وابو مسلم^(٥)
الذى قاد الانقلاب الحربى ببراعة حتى تم له النصر كان فارسيا من خراسان ،
والظاهرة الثانية ان حاضرة الدولة انتقلت من دمشق العربية فى بلاد الشام الى الكوفة
ثم الهاشمية ثم استقرت فى بغداد فى قلب العراق المتاخم لحدود بلاد الفرس ، اى
مركز الخلافة .

ومن هنا لم يكن الانقلاب العباسي ، فى حقيقة أمره ، ثورة سياسية فحسب
أزال بنو العباس بنى امية ، وانما كان ايضا ثورة اجتماعية غيرت من صورة
المجتمع العربى . وقد لاحظ الجاحظ هذه الظاهرة فقال عبارته المشهورة التى تصف
فيها الدولة الأموية بانها (عربية أعرابية) والدولة العباسية بانها (فارسية أعجمية
(٦)).

^٥ عبد الرحمن بن مسلم ويقال عبد الرحمن بن عثمان بن يسار الخراساني الامير صاحب الدعوة وهزم
جيوش الدولة الاموية والقائم باشاء الدولة العباسية قيل مولده سنة مئة واول ظهوره كان بمرور سنة تسع
وعشرين ومئة قتله ابو جعفر في المدائن في شعبان سنة (١٣٧هـ) وعمره سبع وثلاثون سنة (تاريخ خليفة بن
الخياط ص ٤١٦ تاريخ بغداد ٢٠٧/١٠ الكامل لابن الاثير ٤٦٨/٥ و٣٦٦/٥ و٤٦٨/٥)

^٦ البيان والتبيين للجاحظ ٥٥٣/١

اختلطت الثقافة العربية بالثقافة الفارسية وتأثر المجتمع العباسي بهذه الثقافة الوافدة التي أثرت في حياتهم بصورة مباشرة حيث ظهرت الترجمة من الفارسية الي العربية وتداخلت الاجناس فأنتجت عقولا ابدعت في كل المجال وكان ابو نواس نموذجا رائعا لهذا التمازج الذي ساد في هذا العصر .

ان الدارس لحياة الشاعر منذ ميلاده ثم نسبه ونشأته حتى وفاته وما أنتجه من اشعار يجد انه عاش حياة فكرية أدبية مطربة ارتبطت بالأجواء العباسية المتصدعة والتي اتسمت بالترف والبذخ والمجون فى ذلك العصر .

وكان لفقده والده وهو صغير اثر كبير في حياته ثم تعرفه على شعراء فيما بعد فى ذلك العصر وما تركوه فى نفسه من آثار على الصعيد الفكرى أو الاجتماعى . مما جعل التربية النفسية للشاعر مضطربة متقلبة غير ثابتة . فالمؤثرات التي أثرت علي الشاعر ابي نواس تأخذ ابعادا اسرية واقتصادية ، واجتماعية وثقافية محيطة بالشاعر من باكورته اى طفولته .

فالشاعر ابو نواس نشأ بين اب فقير واسرة فقيرة ليس لها أي وجود قبلى يظهر من قوتها وسط اسر القبيلة وافرادها ، من جهة ، أو يظهرها وبمظهر القوة والغنى بين القبائل الاخرى ، كما لا يوجد بالاسرة من هو عالم أو فقيه أو مثقف يحمل اسم اسرته ويظهرها للمجتمع الذى تعيش حواليه هذه الاسرة أو اى نوع من الشخصيات الاجتماعية ذات المركز الاجتماعي .. الخ .

والقارئ لشعره يجد ذلك واضحا جليا وعندما تقف على شعره الماجن تجد ان اشعاره قد اتسمت بالمجون والفجور مما جعل الناس على فريقين في الحكم عليه ، وهو ما نجده يعرضنا على شعر الغزل الفاضح بالنساء والغزل الشاذ بالغلمان ولا سيما الخمریات .

والذي يدرس شعر ابي نواس جيدا يجد ان هذا الشاعر قد استطاع ان يصور المجتمع العباسي بكل تناقضاته حيث كان هذا الشاب في مقتبل عمره يمثل حياة الكادحين الذين تجبره الحياة في ان التعايش معها حسب ظروف بيئتهم المفروضة عليهم فقد اجبرت حياة الضيق والظنك التي عاشها الشاعر والدته في ان تدبر منزلا لممارسة الدعارة وشرب الخمر ، ثم بعد ذلك هجرته وبعد ان تزوجت من آخر ذهبت معه وتركته لعطار .

هذه الظروف مجتمعة حاصرت طفولته واستوعبها وهو طفل ، وخاصة انه كان يتمتع بذكاء مكنه من هذا الادراك والاستيعاب ، ساهم في انفصامه في المجتمع وان يعيش لنفسه ضاربا كل القيم والموروثات التي يعيش فيها مجتمعه ، والتي نفسها كانت سبب شهرته .

اذ يمكن تلخيص انحراف الشاعر النفسي الى عوامل اجتماعية مختلفة وعوامل إنفعالية ، وهذه العوامل مجتمعة شكلت السلوك النفسي والرفض الانفعالي للمجتمع بشكل سالب تكون الخمرة والغلمان هما ادوات التعبير عن ذلك الرفض .

فالشاعر نشأ في بيت فيه الدعارة وشرب الخمر والقمار ، والذين يقومون بتلك
الانشطة من مختلف الشرائح الاجتماعية والقبلية " العربية وغير العربية " وفي هذا
الجو والمناخ نشأ الشاعر ، وهذا هو مشكل التربية لدى الشاعر .

ثم انتقل ابونواس بعد ذلك الي مرحلة اخرى من حياته حيث التقى فيها ابا
اسامة والبة بن الحباب الذي كان له اثر كبير في حياة ابي نواس وكانت البداية
الفعلية التي ساهمت في تكوين شاعريته فانقل معه الى الكوفة ، والمعروف في
ذلك الزمان ان الكوفة والبصرة هما عمقا الثقافة والعلم والفلسفة والمنطق والفقه ،
وبالتالى أصبحتا مطلب كل طالب علم ، وساهمت الفترة التي عاشها الشاعر في
الكوفة في اكتسابه لكثير من العلوم التي تتعلق بالشعر وفن القصة والرواية ونظم
الحكم وصرعات القصود والآثار التي احدثها الاعاجم والموالي في سير العمل
الثقافي والاجتماعي والسياسي والاقتصادي .

فبعدها اشتهر ابو نواس كشاعر متمرد علي القيم والاخلاق الا أنه لم يكن
قليل الخطر ، ولا رجلاً لا يوبه له ، وانما كان ذا مكانة عالية ، وعالية جداً ، وانه
على هذه المكانة كان ماجناً ، مجاهراً بالمجون ، مستمتعاً باللذة لا يخشى في ذلك
سخط الامراء ، ولا انكار الفقهاء والمحدثين وانه قد اخذ من الحياة لذتها جميعاً
واررتاد اماكن الرزيلة والمجون و خالط الخلفاء ونادم الخليفة الامين الذي كان
ماجنًا وفاسقًا لا يقل في مجونه عن ابي نواس حتى عير الخليفة الامين به

ثم يخوض ابي نواس بعد الغزل والنسيب والخمريات في الشعر المذهبي والزندقة لتأثره بالمذاهب التي كانت سائدة في ذلك العصر كمذهب المعتزلة والمتكلمين والشيعة والمرجئة والزندقة والخوارج وغيرهم من الفرق واستطاع ان يدلي بدلوه في هذا المجال، حيث صور تلك الافكار المذهبية والصراع الفكري الدائر بين هذه الفرق والتي كانت تمثل جانبا مهما في المجتمع العباسي باروع الالفاظ ونقلها في صورة رائعة للأجيال اللاحقة. وتراه ينافس المتكلمين في مذهبهم في المعاني والافكار التي يعرضها في شعره وكان هذا التفوق نتيجة لتلك الثقافة الجمة التي نالها ابو نواس من مختلف مشارب الثقافة والاداب

ثم في خاتمة حياته يتجه هذا الشعر الي الزهد عن الدنيا حيث كان الزهد في هذا العصر مذهب له خصائصه المعينة وله اصول وعناصر يركز عليها وكان فكرة عميقة تغلغل في كيان الشاعر و التي لم ينحرف عنها الي غرض اخر وكان الدافع الديني هو الاساس لحركة الزهد الذي ظهرت في الشعر العربي .

هذه الوقفة السريعة لحياة ابي نواس تعكس بوضوح ان هذا الشاعر استطاع ان يصور المجتمع العباسي من خلال تناوله لضروب واغراض الشعر التي كانت سائدة في ذلك العصر والذي كان يتعبر بحق وحقيقة العصر الذهبي للحركة العقلية .

هذا العصر نبغ فيه العلماء والمتكلمون والخلعاء والزنادقة والزهاد فادلى ابو نواس

بدلوه مع كل طائفة من هذه الطوائف

الفصل الاول
الحياة السياسية والاجتماعية والفكرية
في العصر العباسي الاول

المبحث الاول الحياة السياسية

أولاً: اثر الاحزاب السياسية في انهيار الدولة الاموية
أولاً : اثر الشيعة :

كان الشيعة يرون أن الخلافة يجب أن تكون في بيت النبي (ص) وقد أقرروا بانها حق لعلي بن ابي طالب ثم لأولاده بالوراثة من بعده بل قال بعضهم ان الأئمة معصومين ، وان صفات الله سبحانه قد حلت فيهم وتقمصت أجسامهم ، وان من قال بغير ذلك من الفرق الاسلامية حتى بعض فرق الشيعة ، خارجون عن الدين ودلّوا على صحة هذا الرأي بان عليا كان اول من اعتنق الإسلام من الرجال ، وان ما قام به في سبيل رفع منار هذا الدين لا يستطيع ان يبرزه فيه احد من المسلمين بعد النبي صلى الله عليه وسلم .

ونسب الغلاة ايضا الى النبي صلى الله عليه وسلم أحاديث تشهد بما لآل علي من حرمة ، وبما لعلي من حق في الإمامة بعد الرسول عليه السلام وما نشره ابن سبأ^(١) في مذهب الوصاية الذي أخذه من اليهودية دينه القديم ، بمعنى ان عليا وصي محمد (ص) وانه خاتم الانبياء بعد محمد خاتم النبيين .

ثانياً: اثر الخوارج :

هم أشيع الاحزاب على بن ابي طالب ثم خرجوا عليه بعد التحكيم وكانوا يقولون بصحة خلافة ابي بكر وعمر وعثمان في سنيه الاولى .. وعلى الى ان حكم الحكمين .. ويمثل هؤلاء الخوارج المبادئ الديمقراطية المتطرفة ، ويعتقدون ان الخلافة حق لكل عربي حر .. على ان منهم من ادخل بعض التعديل في نظريتهم هذه فأشترطوا الاسلام والعدل بدل العروبة والحرية .. وبهذه الصورة توافد اليهم

^١ عبد الله بن سبأ كان بالكوفة وكان يفضل عليا على أبي بكر وعمر فبلغ ذلك عليا فأرسل إليه وقال اقتلوه فقال أنقذ رجلًا يدعو إلى حبك وحب أهل البيت فقال نادوا عليه من قدر عليه بعد ثلاثة أيام الكوفة فليقتله

فسيره إلى المدائن الرياض النضرة ٣٨٢/١

الناس لأنهم جعلوا حق الخلافة شائعا بين جميع المسلمين الاحرار والأرقاء على حد سواء وخالفوا بهذا الشرط نظرية الشيعة التى تقول بحصر الخلافة فى آل بيت النبى (ص) .

وفى عهد مروان بن محمد آخر خلفاء بنى امية (١٢٧-١٣٢هـ) تقاوم خطر الخوارج الذين انتهزوا فرصة انقسام حزب بنى امية على نفسه .. وثاروا بزعامة الضحاك بن قيس الشيباني^(٢) وهددوا العراق . قتل الضحاك وهذا القتل لم يضع حدا لثورات الخوارج فى بلاد العراق ، وكانت اخر ثورات الخوارج هي ثورة اب حمزة الخارجي^(٣) .

ثالثا: اثر المرجئة :

ظهر هذا الحزب فى دمشق بتأثير بعض العوامل المسيحية خلال النصف الثانى من القرن الاول الهجري .

تخالف المرجئة الخوارج فى تكفيرهم الخلفاء الثلاثة ، عثمان وعلياً ومعاوية وأنصارهم ، ذاهبين الى القول بان كل من آمن بوحداية الله لا يمكن الحكم عليه بالكفر وان ذلك موكول الى الله وحده يوم القيامة مهما كانت الذنوب التى اقترفها والمبادئ السياسية التى يدين بها .

فهم يرجئون الحكم على إخوانهم فى الدين الى الله وحده الذى (يعلم خافية الأعين وما تخفى الصدور)^(٤) . وقوله تعالى (.. وآخرون مرجون لأمر الله اما يعذبهم واما يتوب عليهم والله عليم حكيم)^(٥) .

^٢ ظهر الضحاك بن قيس الخارجي فى سنة ١٢٨هـ وقتل متولى البصرة والموصل واستولى عليها وكثرت جموحه وأغار على البلاد وخاف مروان فسار إليه بنفسه فالتقى الجيشان بنصيبين وكان أشار على الضحاك أمراؤه أن يتقهقر فقال مالى فى دنياكم من حاجة وقد جعلت لله على أن أيبذ هذا الطاغية وأن أحكم عليه حتى يحكم الله بيننا وعلى دين سبعة دراهم معنى منها ثلاثة آلاف فأحاطوا بذلك الخارجي فقتلوه فى نحو ستة آلاف من الفريقين وقام بأمر الخوارج شيان الخارجي شذرات الذهب ١٧٤/١

^٣ هو ابو حمزة الخارجي الذى ثار فى الحجاز وحضرموت ولكن مروان بن محمد هزمه وقتله وكانت ثورة ابى حمزة آخر ثورات الخوارج فى عهد بنى امية. انظر المرجع السابق

^٤ سورة غافر ، رقم ٤٠ ، اية رقم ١٩

^٥ سورة التوبة الاية ١٠٦

كان للمرجئة ادب من الاصح أن يسمى أدب المرجئة و السبب في ذلك أن طبيعة الأرجاء نفسها لا تبعث أدبا لانما يبعث الأدب عنصران :

أولاً : عنصر عقلي قوي صناع ولسان طلق وهذا هو الذي نراه في أدب المعتزلة وشملت مناحي الحياة الطبيعية والصناعية وكانت أدواتهم اللسانية والعقلية أداة صالحة ثقفت بالثقافة العربية فأنتجت هذا الإنتاج الوافر الذي أشرنا إليه من قبل .

ثانياً :عنصر العاطفة القوية والحزن العميق والصبر علي الشدائد كما هو في شعر الشيعة أو عاطفة الشجاعة والقوة وبعبارة مجملية عاطفة الحرب كما هو الشأن في الخوارج.

أما المرجئة فهي العقيدة نفسها تبعث علي المسالمة وتبعث علي الوقوف علي الحياد وهذه أمور تهدي العاطفة وتجعلها فاترة والعاطفة إذا فترت لا تنتج أبداً يضاف إلي هذا ليس لهم ناحية عقلية واسعة عميقة وهذا وذاك يجعل إنتاجهم الأدبي ضعيفاً حتى لقد قال الشهرستاني^(٦) قد عد من المرجئة شاعرين معروفين كبيرين هم الفضل الرقاشي^(٧) والعتابي لقد وجد فيه اثر الأرجاء ضعيفاً وهي قطعة توضح مذهب الأرجاء كقصيدة ثابت قطنه^(٨)

^٦ هو محمد بن الكريم بن احمد وكنيته ابو الفتح وشهرته الشهرستاني نشبة الي بلدة شهرستان مشقط راسه ومثوى رفاتة ولد عام ٤٦٧ هـ او عام ٤٦٩ هـ وكان شافعي المذهب اشعري العقيدة مولعا بالعلم لقب بالافضل لغزارة علمه له مؤلفات عديدة منها الملل والنحل والارشاد الي عقائد العباد توفي سنة ٥٤٨ هـ . انظر مقدمة الملل والنحل للشهرستاني تحقيق عبد العزيز محمد الوكيل طباعة دار الفكر بيروت

^٧ هو الفضل بن عبد الصمد مولى رقاش وهو من ربيعة وكان مطبوعا سهل الشعر نقي الكلام وقد مدح الرقاشي الرشيد وأجازه إلا أن انقطاعه كان إلى آل برمك فأغنوه عن سواهم فلما نكبوا صار إليهم في حبسهم فأقام معهم مدة أيامهم الاغاني

^٨ هو ثابت بن كعب وقيل ابن عبد الرحمن بن كعب ويكنى ابا ولقب قطنه لأن سهما أصابه في إحدى عينييه فذهب بها في بعض حروب الترك فكان يجعل عليها قطنه وهو شاعر فارس شجاع من شعراء الدولة الأموية وكان في صحابة يزيد بن المهلب وكان يوليه أعمالا من أعمال الثغور فيحمد فيها مكانه لكفايته وشجاعته وكان ثابت قطنه قد ولي عملا من أعمال خراسان فلما صعد المنبر يوم الجمعة رام الكلام فتعذر عليه وحصر فقال سيجعل الله بعد عسر يسرا وبعد عي بياننا وأنتم إلى أمير فعال أحوج منكم إلى أمير قوال إلا أكن فيكم خطيبا فإنني بسيفي إذا جد الوغى لخطيب فبلغت كلماته خالد بن صفوان ويقال الأحنف بن قيس فقال والله ما علا

يا هند فاستمعي لي ان سيرتنا ان نعبد الله لا نشرك به احدا
 نرجي الامور اذا كانت مشبهة ونصدق القول فيمن جار او عددا
 المسلمون علي الاسلام كلهم والمشركون استووا في دينهم قدا^(٩)

وردت في الأغاني من أن عون ابن عبيد الله بن عبد الله بن مسعود كان مرجئاً ثم
 عدل عن الأرجاء^(١٠) . فقال :

فأول ما أفارق غير شك أفارق ما يقول المرجئونا
 وقالوا مؤمن من آل جور وليس المؤمنون بجائرينا
 وقالوا مؤمن دمه حلال وقد حرمت دماء المؤمنيننا

ومع هذا يظهر أن هنالك باباً واسعاً من أبواب الأدب تأثر تأثيراً كبيراً بالإرجاء وقد
 كان المعتزلة يرون أن الكبيرة تستحق العقوبة حتى ما لم يكن وان مات عاصياً
 مرتكباً للكبيرة لا بد في النار ، وقد كتب الله علي نفسه ذلك فلا يعفو ، والمرجئية تجيز
 ضمان عفو الله حتى مع عدم التوبة ، ومع الإكثار من المعاصي فلما افترط كثير
 من شعرا الدول العباسية أسرفوا في الميسر والخمرة والنساء والغلمان وركنوا إلي عفو
 الله علي نذهب الأرجاء فياملونه ويركنون إليه وفتحوا في ذلك باباً واسعاً من أبواب
 الأدب مثال ذلك شعر أبي نواس وربما كان خير مثال لذلك قوله يستهزئ بالنظام
^(١١) ومنصبه في الاعتزال ويحبذ الأرجاء ، ورأيه في العفو يقول :

ذلك المنبر أخطب منه في كلماته هذه ولو أن كلاماً استخفني فأخرجني من بلادي إلى قائله استحساناً له

لأخرجتني هذه الكلمات إلى قائلها الاغاني ٢٥٩/١٤

^٩ راجع ص ٢٥٦ من هذا البحث

^{١٠} الأغاني الجز ٨ ص ٩٢ .

^{١١} النظام هو إبراهيم بن سيار ، من علماء البصرة ، وكان كذلك له ناحيتان : ناحية كلامية يتجلى فيها إيمانه
 التام بسلطان العقل و بناؤه أحكامه علي الشك و التجربة ، وقف يدافع عن الإسلام ويرد على الملحدين ويسفه
 آراء الدريين وهم فرقة كانت منتشرة في زمن النظام لا تؤمن بدين ولا تقر بآله ، ولا تؤمن إلا بالمحسوس . وله
 مع ذلك شعر رقيق دقيق وهو أستاذ الجاحظ في علمه وأدبه ، مات سنة ٢٢١ هـ .

قل لمن يدعي في العلم فلسفة حفظت شيئاً وغابت عنك أشياء
لا تحظر العفو إذا كنت أمر حرجاً فان حذرَكَ في الدين أرزا^(١٢)

أو يقول :

أيهما الغافل المقيم علي اللهو	ولا عذر في المقام لساهاـ
لا بأعمالنا نطيق خلاصنا	يوماً تبدو السما فوق الجباه
غير أنى علي الأساة والتفريط	راج لحسن عفو الإله

ويقول :

يا رب ان عظمت ذنوبي كثرة	فلقد علمت بان عفوك اعظم
أن كان لا يرجوك إلا محسن	فبمن يلوذ ويستجير المجرم
أدعوك ربّ كما أمرت تضرعاً	فإذا رددت يديا فمَنْذ يرحم
ما لي إليك وسيلة إلا الرجاء	وجمبل عفوك ثم أنى مسلم

فأي امرئ يقرأ هذه الأبيات ور يري فيها عنصر الأرجاء وصار علي هذا كثير من الشعرا ويقول بما القول لو ذكرنا أقواله .

إن التفرق والانقسام كانتا نتيجة طبيعية لاتساع رقعة البلاد الإسلامية وتكونها من عناصر مختلفة في العقليات وفي الديانات الموروثة فكان محالاً بعد دخول هذه الطوائف المختلفة في الإسلام وان تعتقد الإسلام في صراحته الأولى وسهولته وبساطته كان لا بد أن تمزجه بعقلياتها ودياناتها وأغراضها ، وكان ضرورياً للدين أن يتفلسف ، لان هذا طور طبيعي من أطوار الدين .

^{١٢} وي الراون انه يخاطب بهما النظام المعتزل ويقصد بفلسفته التي يدعيها حظره العفو كما يدل عليه البيت بعده وهو مذهب المعتزلة

لقد كان من مزايا هذا الاختلاف ما يدل عليه من حرية في الفكر وحرية في سياسة الدولة، فاحتملت كل هذه الآراء والمذاهب حتى المتطرف منها؛ ولم يصل إلينا من الاضطهادات إلا القدر القليل بالنسبة لتشعب هذه الآراء والأفكار، وكانت هذه الاضطهادات التي حدثت سياسية أكثر منها دينية .

وكان من مزاياه لذة العقول وغذاؤها ومرانها علي التفكير كالمران الذي يستعمله العقل في الحساب والجبر والهندسة .

وكان من مزاياه رقي فن الجدل والمناظرة رقياً باهراً، حتى أصبح يعد علماً توضع له القوانين والقواعد.

ولكنه - من غير شك - اضعف شأن الأمة ، فلم تعد الحماسة الدينية كما كانت في عصورها الأولى، فان قوي العقل فقد ضعف القلب، وان كثر عدد المسلمين فقد قلت قوتهم، من اجل ذلك وقفت الفتوح تقريباً، وانصرف جهد المسلمين إلي اطفاء الفتن السياسية والفتن الدينية، واسلم ذلك إلي ما سنري من انقسام المسلمين سياسياً إلي ممالك ودول، كما انقسموا إلي مذاهب ونحل .

هذا وقد أثرت هذه المذاهب الدينية والكلامية في الأدب أثراً كبيراً المعنا إليه قبل، فعمقت موضوعاته، ودقت معانيه؛ وظهر ذلك في الكتب التي الفت في هذا العثر - وخاصة المعتزلة - ورأينا الشعراء يتلقفون معاني المتكلمين فيدسونها في أشعارهم، ويعتنيق الشعراء بعض المذاهب الدينية والكلامية فينتصرون لها ويعيبون ما عداها، ويمدح بعضهم المتكلمين وبعضهم يذمهم، إلي كثير من مثل ذلك . ونحن نسوق طرفاً قليلاً للتمثيل علي ما نقول .

يقول محمد بن يسير^(١٣) يعيب المتكلمين :

^{١٣} محمد بن يسير من شعراء أهل البصرة وأدبائهم وهو من خثعم وكان شاعراً ظريفاً وكان من بخلاء الناس كان محمد بن يسير جالسا في حلقة في مسجد البصرة وإلى جانبه حلقة قوم من أهل الجدل يتصايحون في المقالات والحجج فيها فقال ابن يسير اسمعوا ما قلت في هؤلاء فأنشدنا قوله

يا سائلي عن مقالة الشيع وكان يصف نفسه بالذكاء والحفظ والاستغناء عن تدوين شيء يسمعه الأغاني ١٤ / ٢٤ . ٤٤

وعن صنوف الأهواء البدع
فما يقود الكلام ذو ورع
ثم يصيرون بعد للشنع
لم يك في قوله بمنقطع

يا سائلي عن مقالة الشيع
دع من يقود الكلام ناحية
كل أناس بديهم حسن
أكثر ما فيه أن يقال له
ويقول غيره :

في الدين بالرأي لم تبعث بها الرسل
وفي الذي حملوا من حقه شغل

قد نقر الناس حتى أحدثوا بدعاً
حتى استخف بحق الله أكثرهم

وتعصب الناشئ الشاعر^(١٤) للمتكلمين فقال يفتخر بالكلام :

بألسنا زينت صدور المحافل
إذا أظلمت يوماً وجوه المسائل
وقلنا فلم نترك مقللاً لقائل

ونحن أناس يعرف الناس فضلنا
تتير وجوه الحق عند جوابنا
صمتنا فلم نترك لصامت

وقال يصف أصحابه من المتكلمين :

تحس ما اخطاوا فيها وما عمدوا
أنهم وجدوا منها الذي وجدوا
وعلم ما غاب عنها بالذي شهدوا
إلا ومنهم لديها كوكب يقدر

كأنهم في صدور الناس أفئدة
دون للناس ما تخفي ضمائرهم
دلوا علي باطن الدنيا بظاهرها
مطالع الحق ما من شبهة غسقت

ثم اخذوا معاني المتكلمين وتلطفوا في عرضها، فقال سعيد بن حميد^(١٥):

^{١٤} هو عبد الله بن محمد الناشئ الانباري ابو العباس شاعر مجيد يعد من طبقة بن الرومي والبحثري ولكنه
اغرب في شعره اغراباً شديداً فسقط في بغداد فجاء الي مصر فسكنها ومات سنة ثلاث وتسعين ومئتين.
تاريخ بغداد ٩٢/١٠ وفيات العيان ٢٧٧/٢

^{١٥} كاتب احمد بن الخصيب وقلده المستعين ديوان الرسائل وكان كاتباً شاعراً مسترسلاً عذب الالفاظ مقدماً
في صناعته وهو من ابناء المجو وكان يدعي انه من ابناء الملوك الفرس . ترجمته في الفهرست لابن النديم

قالت: اكتم هواي واكن عن اسمي
قلت: لا أستطيع ذلك، قالت :
وتخليت عن مقالة بشر بن
بالعزیز المهیمن الجبار
صرت بعدي تقول بالإجبار
غياث لمذهب النجار^{١٦}

ويقول أبو نواس في ترك الشراب والتمذهب بمذهب الخوارج :

نالني بالملام فيها أمام
فاصرفاها إلي سواي فاني
جل حظي منها إذا هي دارت
فكأنني وما أزين منها
لا أرى لي خلافة مستقيما
لست إلا علي الحديث نديما
أن أراها وان أشم النسيما
قعدني يزين التحكيما^{١٧}

ويقول أبو نواس أيضاً في وصف ممدوحة :

تكل عن أدراك تحصيله
تنتسب الألسن من وصفه
عيون أوهم الضماير
إلي مدي عجز وتقصير

ويقول فيه :

ولي عهد ماله قرين
استتفر الله بلي هارون
ولا له شبه ولا خدين
يا خير من كان وما يكون^(١٨)

إلا النبي الطاهر الميمون

كمن الشنان فيه لنا ككمن النار في حجره

^{١٦} بشر بن غياث : هو بشر المريسي من زعما المرجئة وكان يقول أن الإنسان يخلق أفعال نفسه؛ والنجار : هو الحسين بن محمد النجار، إليه تنسب رفقة التجارية، وقد كان يقول بالجبر .

^{١٧} القعدي: واحد من القعدة، وهم من الخوارج من رأي رأيهم ولكن قعد عن الخروج علي الناس .الديوان ص ٧٧٠
^{١٨} الديوان ص ٨٥٨

فيتأثر في ذلك بقول بعض المعتزلة في الكمون .

ويقول العباس بن الأحنف^(١٩) :

إذا أردت سلوا كان ناصركم قلبي، وما أنا من قلبي بمنتصر
فاكثروا واقلوا من اساءتكم فكل ذلك محمول علي القدر

وقد غضب أبو الهذيل العلاف المعتزلي^(٢٠) من هذا الشعر لانه يعترف بالجبر،
فهجاه العباس - فيما يظن - بقوله :

يا من يكذب أخبار الرسول لقد أخطأت في كل ما تأتي وما تذر
كذبت بالقدر الجاري عليك، فقد أتاك مني - بما لا تشتهي - القدر

ويقول أبو تمام^(٢١) في وصف الخمر :

جهنمية الأوصاف إلا انهم قد لقبوها جوهر الأشياء

ويقول محمد بن عبد الملك الزيات^(٢٢) يحرض المأمون علي ابراهيم بن المهدي^(٢٣):

^{١٩} العباس بن الاحنف ابن اسود بن طلحة الحنفي اليماميمن فحول الشعراء وله غزل فائق وهو خال ابراهيم بن العباس الصولي توفي بغداد سنة اثنتين وتسعين ومئة وكان من ابناء سنتين سنة ومات ابوه الاحنف سنة خمسين ومئة بالبصرة (تاريخ بغداد ١٢٧/١٢ وفيات الاعيان ٢٠/٣ البداية والنهاية ٢٠٩/١٠)

^{٢٠} ابو الهذيل محمد بن الهذيل العلاف العبدي نسبة الى عبد القيس كان مولا لهم و كان يلقب بالعلاف لان داره في البصرة كانت في العلافين ولد سنة ١٣٥ هـ اخذ عن عثمان الطويل و كان معتزليا نظر في كتب الفلاسفة و نصر مذهب المعتزلة بقواعدهم من مصنفاته الحجج القوالب توفي سنة ٢٢٦ هـ الفهرست لابن النديم ص ١٩

^{٢١} شاعر العصر ابو تمام حبيب بن اوس بن الحارث بن قيس الطائي من حوران من قرية جاسم اسلم وكان نصرانيا وكان اسمر طويلا ولد في ايام الرشيد وقدمه المعتصم علي الشعراء وكان البحتري يقدمه علي نفسه مات في جمادي الاولى سنة (٢٣٢هـ) بسامراء وله كتاب فحول الشعراء والف في الحماسة وقيل كان يحفظ اربعة عشر الف ارجوزة للعرب طبقات الشعراء ٢٨٣ تاريخ الطبري ١٢٤/٩ الاغاني ٣٨٣/١٦ خزانة الادب ١٧٢/١ شذرات الذهب ٧٢/٢

ألم تر أن الشيء للشيء علة يكون له كالنار تقدح بالزند
كذلك جربنا الأمور وانما يدلك ما قد كان قبل علي البعد
وظني بإبراهيم أن فكاكه سيبعث يوماً مثل أيامه النكد

والأمثلة علي ذلك كثيرة، نجتزئ منها بهذا القدر، للدلالة علي أن المتكلمين اثروا في الأدب أثراً بليغاً في الموضوعات، وفي الأشعار، وفيغيرها من ضروب الادب

رابعاً: المعتزلة :

نشأت هذه الطائفة في بلاد العراق التي كانت مهدا للحضارتين الفارسية والسومرية ، والتي أصبحت كعبة العلم ومقر الحكومة في عهد العباسيين ، وقد سموا بالقدرية لأنهم يقولون بحرية إرادة الانسان ، وتتكون عقيدتهم من خمسة أصول التوحيد ، العدل ، الوعيد ، القول بالمنزلة بين المنزليين ، الامر بالمعروف والنهي عن المنكر .

المعتزلة هي طائفة دينية لا دخل لها بالسياسة على عكس ما كان عليه الخوارج - الشيعة - والمرجئة . ولكنها خاضت غمار السياسة فيما بعد . فتكلمت في الإمامة وشروط الامام وقد تأثروا بالشيعة في قولهم بحرية الإرادة تلك العقيدة التي اسسها الأئمة من بيت علي . وأطلق المعتزلة على فقهاءهم لقب الأئمة الذي كانت تطلقه الشيعة على فقهاءهم .

^{٢٢} هو محمد بن عبد الملك الزيات بن أبان بن أبي حمزة الزيات وأصله من جبل ويكنى أبا جعفر وكان أبوه تاجراً من تجار الكرخ المياسير فكان يحثه على التجارة وملازمتها فيأبى إلا الكتابة وطلبها وقصد المعالي حتى بلغ منها أن وزر ثلاث دفعات وهو أول من تولى ذلك وتم له قبض عليه المتوكل استعمل له تنور حديد وجعل فيه مسامير لا يقدر معها أن يتحرك إلا دخلت في جسده ثم أحماه له وجعله فيه فكان يصيح ارحموني فيقال له اسكت أنت كنت تقول ما رحمت أحدا قط والرحمة ضعف في الطبيعة وخور في المنة فاصبر على حكمك وخرج عليه عبادة فقال أردت أن تشويني فشوك الأغاني ٢٣ / ٥١

^{٢٣} هو ابو القاسم ابراهيم بن المهدي اخو هارون الرشيد كانت له اليد الطولي في الغناء والظرف والملاهي وحسن الندامة بوبع له بالخلافة والمامون يمثذ بخراسان واقام خليفة مدة سنتين ولد سنة اثنتين وستين ومائة وتوفي اربع وعشرين ومائتين . وفيات الاعيان ٧٩/١

اثر انتقال الإمامة من العلويين الى العباسيين :

اثر قتل الحسين حماسة المسلمين ، فتوحدت صفوف الشيعة وزادت الدعوة لآل على بن ابي طالب قوة وقد اشتد العداء بين الأمويين والعلويين الذين أثاروا الفتن والثورات فى الولايات الاسلامية ، ثم حدثت هذه الحادثة الهامة فى تاريخ الشيعة ، وهى انتقال حق الامامة من بيت على الى بيت العباس على يد ابي هاشم بن محمد بن الحنفية^(٢٤) زعيم الشيعة الكيسانية وهو ما يمكن ان يطلق عليه (ميراث الكيسانية)^(٢٥).

تحول حق الامامة من العلويين الى العباسيين ، قلميذا اذن عدل ابو هاشم عن اهل بيته من العلويين وحول حقه الى بنى عمه من العباسيين ؟ فالاجابة انه ومنذ وفاة الرسول صلى الله عليه وسلم لم يرشح المسلمون للخلافة أحدا من بنى هاشم الا على بن ابي طالب وأولاده ، ولم تتجه الأنظار الى العباس عم النبي صلى الله عليه وسلم بعد وفاته لانه لم يكن من السابقين الى الاسلام ، ومن ثم لم يرشح للخلافة هو ولا أولاده من بعده ، وقد قيل ان ابا سفيان جاء العباس بعد بيعة ابي بكر فقال له ابسط يدك أبايحك ، فأبى العباس ..

وكانت العلاقة بين بنى هاشم ، علويين وعباسيين تقوم على الود والصفاء ، وكان البيتان متحدتين على العدو المشترك وهو بنو امية ، الى ان انتقل حق الامامة من العلويين الى العباسيين بنزول ابي هاشم بن محمد بن الحنفية .

الاحوال السياسية فى العصر العباسي

العصر الذى نشأ أو أحاط به ابو نواس يبتدئ فى أوائل القرن الثانى للهجرة الى نهايته ، وفى هذا العصر نجد ان دولة بنى امية قد سقطت وقامت دولة بنى العباس .

^{٢٤} راجع ترجمته ص ٤

^{٢٥} الكيسانية فرقة من فرق الشيعة ينسبون الى كيسان مولى امير المؤمنين علي بن ابي طالب وقيل تتلمذ للسيد محمد بن الحنفية رضي الله عنه يعتقدون فيه اعتقاد فوق حده ودرجته من احاطته بالعلوم كلها واقتباسه من السديدن الاسرار بجملتها من علم التاويل والباطن وعلم الافاق والانفس . الملل والنحل ص ١٤٧

هذا ومن اهم سمات العصر فى تواريخ الامم يتسم بسمات الانقلاب ، ويشيع فيها اليأس من جانب والمجازفة من جانب آخر . ويتبدل فيها الولاء غير مرة بين النجم الآفل والنجم الساطع ، ولا تطول فيها الثقة حتى تثوب الامور الى قرار . اما حال الامويين فنجدته يتردد فى صيحة ابن سيار^(٢٦) :

أرى تحت الرماد وميض جمر يوشك ان يكون له ضرام

وقلت من التعجب ليت شعري إيقاظ أمية أم نيام

ففرى عن رحالك ثم قولى على الاسلام والعرب السلام

أدرك نصر بن سيار والى خراسان مدى خطر دعاة العباسيين فى هذه البلاد ، فأرسل الى مروان بن محمد آخر خلفاء بنى أمية كتابا يكشف له فيها قوة ابي مسلم وضعف الجند الاموى فى خراسان ، وختم كتابه بهذه الابيات :

أرى بين الرماد وميض جمر فيوشك ان يكون له ضرام

فان النار بالعودين تذكى وان الحرب أولها الكلام

فان لم يطفها عقلاء قوم يكون وقودها جثث وهام

فقلت من التعجب ليت شعري إيقاظ أمية أم نيام

وبعدئذ عمت الثورة التى انتهت بزوال الأموية وحرى بنا ان نقول : ان الامويين انقسموا فى بيت الملك منذ ابتدخوا عادة التوصية لولاية العهد باثنين فى وقت واحد ، ويزاحمهما من بينهما من لم تشمله الوصاية ، فم ينقض عهد خليفة من خلفائهم دون مؤامرة من هنا ودسياسة من هنا . ونفاق يتراءى هنا وهناك .

واختلف الناس الى شعب متفرقة بين فرس وعرب وقحطانيين وعدنانيين من العرب انفسهم ، بل شعب متفرقة بين كل عسكر من هذه المعسكرات ، فلا

^{٢٦} صاحب خراسان الامير ابو الليث المروزي نائب مروان بن محمد حدث عن عكرمة وابي الزبير وعنه ابن المبارك ومحمد بن الفضل بن عطية خرج عليه ابو مسلم صاحب الدعوة وحاربه فعجز عنه نصر واستصرخ بمروان غير مرة فبعد عن نجدته واشتغل باختلال امر اذربيجان والجزيرة فتقهقر نصر وجاءه الموت علي حاجة فتوفي بساوة في سنة احدى وثلاثين ومئة وقد ولي امر خراسان عشر سنين وكان من رجال الدهر سؤددا وكفاءة . تاريخ خليفة ٣٨٣ و ٣٨٨ ابن الاثير ١٤٨/٥ خزنة الادب ٣٢٦/١

القحطانيون ولا العدنانيون مجتمعون على هوى واحد ولا الخلاف حيث كان يرجع الى سبب واحد .

فربما تمرد أناس من الفرس لثقل الضريبة ولا سبيل الى تخفيفها كلما افتقرت الدولة المتداعية الى المال للتدعيم والتقويم . أو افتقرت اليه لاستثراء عادات الترف وانتشار الفوضى والاختلاس بين العمال ، وربما تمرد أناس منهم لأنهم على حد قول القائل :

إذا لم يكن للمرء في دولة امرئ نصيب ولا حق تمنى زوالها

الخلفاء العباسيون في العصر الأول :

١/ السفاح:

هو: أبو العباس عبد الله بن محمد بن علي بن عبد الله بن عباس ، وأمه ريطة بنت عبيد الله بن عبد الله بن عبد المدان الحارثي .

ولد سنة ١٠٤هـ بالحميمة : وهي القرية التي كان أبوه وجده نازلين بها. وكان أبوه قد عهد بأمر الدعوة لابنه إبراهيم، ولما أحس إبراهيم باقتراب منتهى عهد لأخيه أبي العباس ، وأمره أن يسير بأعمامه وأهل بيته إلى الكوفة . فسار إليها ، وببيع بالخلافة يوم الخميس لثلاث عشرة خلت من ربيع الأول سنة ١٣٢هـ ، وكان مروان لا يزال حياً ، ثم قتل مروان لثلاث بقين من ذي الحجة سنة ١٣٢هـ ومن هذا اليوم يبتدئ تاريخ خلافة بني العباس

ولم يزل خليفة إلى أن توفي بمدينة الأنبار يوم الأحد لثلاث عشر خلت من ذي الحجة سنة ١٣٦ فتكون خلافته أربع سنوات ، وتسعة أشهر من لدن بيع إلى أن مات ، وأربع سنوات وأربع عشر يوماً من لدن قتل مروان^(٢٧) .

٢/ المنصور:

هو أبو جعفر عبد الله بن محمد بن علي ، وأمه أم ولد اسمها سلاف. ولد بالحميرية سنة ١٠١ هـ ولما انتقل أبو العباس من الحميرية إلى الكوفة كان فيمن معه .ولما افضت الخلافة إلى أبي العباس كان عضده الأقوى ، وساعده الأشد في تدبير الخلافة.

وفي السنة التي توفي فيها أبو العباس عقد العهد لأخيه أبي جعفر، فكان آنذاك أكبرأخوته، ثم أمره على الحج. ثم توفي السفاح وأبو جعفر بالحجاز، فأخذ البيعة له في الأنبار ابن أخيه عيسى بن موسى^(٢٨) ، وكتب إليه يعلمه بوفاء السفاح والبيعة له ، فلقبه الرسول بأحد المنازل عائداً بعد انتهاء الحج. وتمت البيعة له في اليوم الذي توفي فيه أخوه ، واستمر خليفة إلى أن توفي يوم الأحد سابع ذي الحجة سنة ١٥٨ هـ ، فكانت خلافته ٢٢ سنة هلالية، إلا ستة أيام .^(٢٩)

٣/المهدي :

هو محمد المهدي بن المنصور ، وأمه أروى بنت المنصور الحميرية، وكانت تكنى بإم موسى. ولد سنة ١٢٦ هـ بالحميرية . وكان سنه إذ جاءتهم الخلافة ستة سنوات ، ولما امستخلفه أبوه كان فتى سنه عشر سنوات ، ولما بلغ مبلغ الرجال كان أبوه يرشحه لولاية العهد فولاه سنة ١٤١ هـ وسنه ١٥ عاما قيادة الجنود المتوجهة إلى خراسان ، وأمره ان ينزل الري حينما وقعت فتن عبد الجبار بن عبد الرحمن عامل المنصور علي خراسان ، وبعد انتهاء تلك الفتنة أمره بغزو طبرستان

وفي سنة ١٤٧ هـ ولاه أبوه العهد. ثم عاد إلى الري ، فأقام إلي سنة ٥١ هـ وفيها قدم على أبيه وبنى له ولجنوده (الرصافة) بالجانب الشرقي من بغداد ،وولاه الحج

^{٢٨} عيسى بن موسى بن محمد بن علي بن عبد الله بن عباس وهو بن اخي المنصور والسفاح وكان

السفاح قد جعل له الخلافة من بعد ابي جعفر . ترجمته في جمهرة رسائل العرب ٢٢/٤

٢تاريخ الخلفاء جلال الدين السيوطي ص ٢٤١

سنة ١٥٣ وفي سنة ١٥٥ هـ أسس مدينة الرافقة على طراز مدينة بغداد ، ولم يزل يستعين به في الأعمال حتى توفي في ستة ذي الحجة سنة ١٥٨ هـ^(٣٠) كانت خلافة المهدي مرفهة عن الناس بعض ما عانوه في أيام من سبقه الخلفاء ، فقد كان الذين سبقوه يؤسسون دولة ، لذلك كانوا يأخذون بمجرد الريبة و الظن ، فكثيراً ما يؤخذ البريء بدون ذنب ، و الطائع بدون معصية .

فلما جاء المهدي كانت الدولة قد أسست دعائمها، و شيدت أركانها، لذلك لم يحتج للشدة التي كان عليها الخلفاء قبله ، فقد أمر باطلاق السجناء السياسيين، و وسع على الناس ، و كان عهده يمتاز بالاستقرار، و الأمن، و النماء^(٣١).

٤/الهادي

هو موسى الهادي بن محمد المهدي بن جعفر المنصور ، وأمه أم ولد اسمها الخيزران كانت ملكاً للمهدي ، وفي سنة ١٥٩ هـ اعتقها وتزوجها : أي بعد أن ولدت له الهادي والرشيد .

ولد الهادي سنة ١٤٤ هـ ، وولاه أبوه العهد وسنه ١٦ عاماً ، وكان يوليه قيادة الجند في المشرق ، فقادها في نواحي جرجان لمحاربة المخالفين . وفي اليوم الذي توفي فيه أبوه كان مقيماً بجرجان ، وكان مع المهدي ابنه هارون فأخذ البيعة له على الجند ، وأرسل إليه بخاتم الخلافة ، وبالقضيب والبردة ، والتعزية والتهنئة ، وكان ذلك في ٢٢ محرم سنة ١٦٨ هـ ، ولم يزل خليفة إلى أن توفي في ربيع سنة ١٧٠ هـ فكانت مدة خلافته سنة وشهر و ٢٢ يوماً وسنه حين مات ٢٦ عاماً^(٣٢).

^{٣٠} تاريخ الاسلام السياسي والديني - د/حسن ابراهيم حسن ٤٥/٢

^{٣١} تاريخ الامم الاسلامية محمد الخضري بك ص ٨٧

^{٣٢} موسوعة التاريخ الاسلامي احمد شلبي ص ١٣٠

اثر الفتن والثورات الداخلية :

بعد شقاق طويل فى معسكر الدولة الذاهبة تقبل الدول الجديدة وهى مشعبة بين فرعين .. فرع بنى على ، وفرع بنى العباس ، وقد والاها من والاها فى ابان الدعوة اليها باسم العلويين ثم اتفق وجود زعيم بنى العباس بالكوفة عند انهزام بنى امية فبادر أعوانه الى مبايعته الى حين انتظار امام العلويين ، ولم تمضى غير سنوات حتى وضح ان العباسيين لا ينزلون عنها ، وتولى الامر خليفتهم الثانى بعد ان كان غالب على الظن ان الخليفة الاول يوصى بها لصاحبها العلوي من ايام الدعوة وهو محمد (صاحب النفس الذكية) . فنشط محمد لها وأزره العديد الجم من الاهواز والعراق ، واقتحم أخوه ابراهيم البصرة فدان له اهلها ، وتمت البيعة له أو كادت لولا غلبه ابو جعفر على بغداد ، فلم يلبث أولياء العلويين فى البصرة ان تحولوا فجأة أو على مهل الى ولاء العباسيين .

كل هذا وابو نواس فى سن الفهم والإدراك يناهز العاشرة من عمره ، وكان لا يفوته ان يعي ما يرى من تبدل الأحوال وتبدل الولاء وتقلب الناس مع السلطان والمال .

والأحوال تسير بصورة غير واضحة المعالم حتى سطع نجم الرشيد ، ثم يذهب الرشيد والناس لم يتركوا بعد حديث المستخلفين الموعودين من أئمة العلويين . هنا نجد ان الرشيد قام بتقسيم الدولة بين ولديه ، وجعل للاميين ولاية العهد بعده ، وجعل للمأمون ولاية المشرق برعاية أخيه .

لازم ابا نواس فى هذا العصر كثيرون ، منهم الشعراء والأدباء ، ومنهم الظرفاء والندماء ، ومنهم العلماء والحكماء ولكن أحدا منهم لم يبتل بمحنة العصر كما ابتلى بها ، وليس ذلك انه كان مستعدا للإباحة بتكوينه وتربيته فحسب . بل لانه عاش فى قلب التقلبات ، ولم يكن أثرها فيه مقصورا على المعية فى الزمن .

فأبوه كان من جند بنى امية ، وضاع رزقه فى الجيش الاموى بقيام الدولة الجديدة وأمه كانت من الاهواز حومة القتال بين كل خصم وكل خصم ينازعه ، ومن جراء هذه المنازعات وحرمان زوجها الرزق الرتيب ، هاجرت من موطن قومها الى البصرة .. وايضا كان الجو سياسيا متقلبا .

فلما آن لوليد هذين الأبوين ان يفهم ويعقل فهم ان الدنيا كلها نفاق وشقاق ومكابرة ، ولم يعقل من أحداثها وخلاتها الا انها إباحة ورياء .
 خرج الوليد بن طريف الشاري الشيباني^(٣٣) على هارون الرشيد ١٧٨ هـ وانتصر على جيوشه اكثر من مرة . بعدها مضى الى أرمينية وأذربيجان ليعيث فيها فسادا ثم عاد الى الجزيرة سنة ١٧٩ هـ . ولم يهدأ له بال حتى عبر نهر دجلة ليصل الى حلوان . اشتدت شوكته وكثر اتباعه ورمى الوليد هارون الرشيد بالظلم والجور وعزم على ان يتخلص من هذا الجور والظلم وبرز لقتال يزيد بن يزيد بطل موقعة الرواندية^(٣٤) ، فارتجز قائل :

انا الوليد بن طريف الشاري قسورة لا يصطلى بنارى

جوركهم أخرجني من دارى

وسرعان ما عاجلته المنية ليموت الوليد بعد ان حلت الهزيمة بجنده .
 وكذلك فى افريقية بدأت بوادر الخلاف واستمرت قبائل البربر تتنازع العباسيين بين سنتى ١٧٨-١٨١ هـ . حتى ارسل اليهم هارون الرشيد هرثمة بن أعين الذى استطاع ان يقضى عليهم ويطفئ جذوة ثورتهم .
 كذلك تحولت المنازعات القديمة بين اليمانيين والعدنانيين فى سورية الى حرب مستعرة فرأى الرشيد ضرورة التدخل بينهم وقضى عليهم .
 كانت كذلك بلاد خراسان التى ولى عليها على بن عيسى بن ماهان مصدر الفتن والقتال فى عهد هارون الرشيد .

^{٣٣} الوليد بن طريف الشيباني قتله يزيد بن يزيد عمرو بن حنيف كان من الفرسان المعدودة نقل عنه أنه كان يتصيد فنتبع حمار وحش وما زال يركض إلى أن حاذاه فجمع رجليه ووثب من على فرسه وصار على ظهر حمار الوحش وصار يحز عنقه بسيف أو سكين في يده حتى قتله وقالت فيه اخته

أيا شجر الخابور مالك مورقا كأنك لم تحزن على ابن طريف

فتى لا يحب الزاد إلا من التقى ولا المال إلا من قنا و سيوف

المستطرف في كل فن مستظرف ١ / ٤٨١ ، الأغاني ١٢ / ١١٣

^{٣٤} الرواندية قوم من فارس كانوا علي ابي مسلم صاحب دعوة بني هاشم يقولون بتناسخ الارواح ويزعمون ان روح ادم في عثمان بن نهيك وان ربهم الذي يطعمهم ويسقيهم هو ابو جعفر المنصور وان الهيثم بن معاوية جبريل وكان خروجهم سنة (١٤١ هـ) تاريخ الطبري ٥٠٥/٧

واخيرا ارسل اليه الخليفة جيشا بعد كثير من الدبلوماسية لتستقر الاوضاع هادئة ولكنه رفض واخيرا ارسل اليه الخلفية جيشا قتله فى بلخ .
 وقد قيل ان على بن عيسى جمع فى قصره أموالا ضخمة وان الناس قد هجموا على هذا القصر ، واستولوا على ما فيه فلما بلغ الرشيد ذلك تحقق من استبداد على بن عيسى ، فقرر عزله وأرسل اليه هرثمة ومعه كتاب بخطه ، فقبض هرثمة على على وأتباعه ، وصادر أموالهم ، وبعث بهم الى الرشيد واخذ الفرح من الناس كل مأخذ بلقائهم هرثمة وتزيلهم من عسف هذا الوالي وظلمه .
 غير ان رافعا لم يكن ذد هداً أمره فخرج الرشيد بنفسه لحربه .. الا ان المنية أدركته وهو فى طريقه . وظل رافع على حاله حتى ايام المأمون (٣٥)

البرامكة :

كان برمك جد البرامكة وأسرتة يدينون بالمجوسية دين الفرس القديم ولما ظهر الاسلام ، اسلم بعضهم ليكون اول من ظهر منهم فى أوائل ايام الدولة العباسية خالد بن برمك . والذي تقلد الوزارة فى عهد السفاح والمنصور واتخذ هارون الرشيد كاتباً خاصاً له يرجع الى رايه وتدبيره ولما ولى الرشيد الخلافة استوزر يحيى بن خالد (٣٦) فعلا شأنه وبعد صيته ، واصبح هو وأولاده كعبة الآمال ، وغدت تشد اليهم الرحال . يقول ابن طباطبا " اعلم ان هذه الدولة كانت غرة فى جبه الدهر ، وتاجا على مفرق العصر ، وضربت بمكارمها الأمثال ، وشدت اليها الرحال ، ونيطت بها الآمال ، وبذلت لها الدنيا أفلاذ أكبادها ومنحتها وافر اسعاده .. وكان يحيى وبنوه كالنجوم زاهرة .. والبحور زاخرة . والسيول دافعة ، والغيوث ماطرة ، أسواق الادب عندهم

^{٣٥} كتابات الطبرى عن على بن عيسى -ج ١٠ - ص ١٠٠ - ض ١٠٨ .

^{٣٦} يحيى بن خالد بن برمك وزير الرشيد وكان جده برمك من مجوس بلخ ولما فتح المسلمون بلخ اسلم ابنه خالد فيمن اسلم من اهلها واستوزره السفاح بعد وزيره ابي سلمة الخلال ولما تولى المنصور الخلافة اقره علي وزارته وولد له اسمه يحيى فكان من النبل والعقل وجميع الخلال علي اكمل حال ، ثم صار يحيى كاتب الرشيد ونائبه ووزيره قبل ان يتولى الخلافة مات سنة ١٩٠ هـ انظر وفيات الاعيان ٢٤٣/٣

ناقفة ، ومراتب ذوى الحرمات عندهم عالية ، والدنيا فى أيامهم عامرة ، وأبهة المملكة عندهم طاهرة ، وهم ملجأ اللهب ، ومعتصم الطريد^(٣٧) .
وتأكيدا لهذه الأبعاد التى صدح بها ابن طبطبا نجد ان شاعر العصر يؤكد تلك الصفات فيقول :

سلام على الدنيا اذا ما فقدتم بنى برمك من راحين وغاد

وفى عهده بلغت بغداد درجة عالية من الحضارة والعمران ، بنيت فيها القصور الشاهقة ، وزادت موارد الثروة وكانت تصل اليها التجارة من أقصى البلدان ، وهذا وقد ذكر المؤرخون ان الرشيد أراد ان يوصل البحر الأبيض المتوسط وبالبحر الأحمر مما يلى الفرجة ، فقال يحيى بن خالد البرمكى كان يختطف الروم الناس من المسجد الحرام وتدخل مراكبهم الى الحجاز . فعدل عن هذا رأى .
وكانت خزائنه تفيض بالأموال التى كانت تجبى من الضرائب ، حتى بلغت فى عهده ما يقرب من اثنين وسبعين الف الف دينار . .

عدا الضريبة التى كانت تؤخذ ما تنتجه الارض من الحبوب حتى ان الرشيد كان يستلقى على ظهره وينظر الى السحابة المارة ويقول : (اذهبى حيث شئت فان خراجك سيأتينا)^(٣٨) .

والأيام سرعى تنقضى ولكل بداية نهاية وكما يقول الشافعى رضى الله عنه:

ثمانية تجرى على المرء دائما ولا بد ان يلاقى المرء الثمانيا

سرور وحزن ، اجتماع وفرقة عسر ويسر ثم سقم وعافيه

مرض الرشيد واشتدت علته ، فدعا من كان بعسكره من بنى هاشم ، وأوصاهم بثلاث ، الحفظ لإمامتكم ، والنصيحة لائمتكم ، واجتماع كلمتكم ، وانظروا محمدا (الامين) وعبد الله (المأمون) فمن بغى منهما على صاحبه فردوه عن بغيه وقبحوا له بغيه ونكته .^(٣٩)

^{٣٧} الفخري ص ١٧٣ .

^{٣٨} صبح الاعشى في صناعة الانشا للقلقشندي ٢٨٥/٣

^{٣٩} تاريخ الاسلام ، حسن ابراهيم حسن ١١٣/٢

ولما اشتدت علة الرشيد هون عليه الاطباء علته فأرسل الى طبيب فارسي كان هناك ، فحضر ، فأراه ماءه مع قوارير شتى ، فلما انتهى الى قارورته قال ، عرفوا صاحب هذا الماء انه هالك فيوصى ، فانه لا براء له من هذه العلة ، فبكى الرشيد وجعل يردد هذين البيتين :

ان الطبيب بطبه ودوائه لا يستطيع دفاع محذور أتى

ما للطبيب يموت بالداء الذى قد كان يبرئ نفسه فيما مضى

وقبل ان تدركه الوفاة عهد بالخلافة لابناءه الامين ثم المأمون ثم المؤتمن . وكتب بذلك صحيفة اشهد فيها القضاء والفقهاء وأكابر بنى هاشم ، وعلقت فى الكعبة الشريفة .

واخيرا مات الخليفة العادل صاحب الصيت الذائع والمكانة المرموقة يوم السبت لأربع ليال خلون من شعر جمادى الاخر سنة ١٩٣ هـ فكانت ولايته ثلاثا وعشرين سنة وستة اشهر ، مات وهو ابن رابع والأربعين سنة وأربعة اشهر (٤٠).

الامين (١٩٣-١٩٨ هـ)

ولد ابو عبد الله محمد الامين سنة ١٧٠ هـ وهى السنة التى ولى فيها أبوه الرشيد الخلافة ، وذلك بعد مولد أخيه عبد الله المأمون بستة اشهر ، وأمه أم جعفر زبيدة ابنة جعفر بن المنصور ، وليس فى خلفاء بنى العباس من أبوه وأمه هاشميان سواه ، ولما مات الرشيد بطوس ، أحضرت اليه رجاء الخادم وهو ببغداد البردة والقضيب والخاتم ، وهى وقتئذ شاربات الخلافة .

وصف الطبرى (٤١) : محمد الامين فى هذه العبارة فقال : (كان سيطا ابزع ، ابيض ، صغير العينين ، اقني ، جميلا عظيم الكراديس بعيد ما بين المنكبين ، كذلك وصفه السيوطي : (٤٢) (كان من أحسن الشباب صورة ، ابيض طويلا ، ذا قوة مفرطة وبطش وشجاعة معروفة ، يقال انه قتل مرة أسدا بيده ، وله فصاحة

٤٠ الطبرى ج ١٠ ، ص ١١٢

٤١ الطبرى ج ١ ص ١١٢

٤٢ تاريخ الخلفاء ص ١٩٧

وبلاغة وأدب وفضيلة ، ولكن كان سيئ التدبير كثير التبذير ضعيف الرأي ، ارعن لا يصلح للإمارة) .

كان عهد الامين مليئاً بالفتن والثورات والاضطرابات وفى الوقت الذى قامت فيه الفتنة بينه وبين أخيه المأمون ، اشتعل نار الثورة فى بلاد الشام على بن عبد الله بن خالد بن يزيد بن معاوية " المعروف بالسفياى " الذى دعا الى نفسه ، واحتل دمشق وما يليها بعد طرد عامل الامين ، وكاد ان يستولى على تلك البلاد لولا ان قام بين اليمنيين والمضريين نزاع خطير حان دون تحقيق أمانيه .. وقد ارسل الامين الجيوش لقمع هذه الفتن بقيادة الحسن بن على بن عيسى بن ماهان . ثم عبد الله بن صالح بن على العباسى ، ولسوء الأحوال ببغداد فانه لم يوفق فى عمل شئ ضد هذا السفياى، وهكذا أصبحت بلاد الشام مركزاً للفوضى سنتين أو اكثر، هذا الى ان الحسين بن على بن عيسى قد أثار عداء جنوده الشاميين بتمييزه لجنده الخراسانيين، ومن ثم عاد هذا القائد فجأة الى بغداد^(٤٣)

روى السيوطي^(٤٤) عن إسحاق الموصلي^(٤٥) قال : (اجتمعت فى الامين خصائل لم تكن فى غيره ، كان أحسن الناس وجهاً واسخاهم ، واشرف الخلفاء اما وابا حسن الادب عالماً بالشعر ، لكن غلب عليه الهوى واللعب ، وكان مع سخائه بالمال بخيلاً بالطعام جدا) . وقال ابو الحسن الأحمر : (كنت ربما أنسيت البيت الذى يستشهد به فى النحو فينشده الامين فما رأيت فى اولاد الملوك اذكي منه والمأمون^(٤٦))

^{٤٣} الطبرى ج ١٠ ، ص ١٥٥

^{٤٤} تاريخ الخلفاء ص ٢٠٢

^{٤٥} الامام العلامة الحافظ ذو الفنون ابو محمد اسحق بن ابراهيم بن ميمون التميمي الموصلي الاخبارى صاحب الموسيقى والشعر الرائق والتصانيف الادبية مع الفقه واللغة وايام الناس والبصر بالحديث وعلو المرتبة ولد سنة بضع وخمسين ومئة سمع من مالك بن انس اخرون وسمع منه ولده حماد الراوية وشيخه الاصمعي ولم يكثر عنه الحفاظ لاشتغاله بالدولة وكان يكره ان ينسب الي الغناء مات سنة (٢٣٥هـ) نزهة الالباء ٢٢٧ معجم الادباء ٥/٦ انباه الرواة ٢١٥/١ وفيات الاعيان ٢٠٢/١ النجوم الزاهرة ٢/٢٦٠

^{٤٦} السيوطي ، تاريخ الخلفاء ص ٢٠٢

كان الامين يجيد الشعر: ويميل الى اللهو واللعب والتبذير وبني مجالس للتنزه وفي ذلك يقول الطبري^(٤٧) .

ولما ملك محمد الامين وجه الى جميع البلدان فى طلب الملهمين وضمهم اليه ، وأجرى لهم الأرزاق ونافس فى اقتناء فاره الدواب ، واخذ الوحوش والسباع والطيور وغير ذلك ، واحتجب عن إخوته وأهل بيته ، وقواده ، واستخف بهم ، وقسم ما فى بيوت الاموال وما بحوزته من الجواهر على خصيانه وجلسائه ومحدثيه ، وحمل اليهم ما كان فى السرقة من الجواهر والخزائن والسلاح " وأمر ببناء مجالس لمتنزهاته ، ومواضع خلوته ولهوه ولعبه ، بقصر الخلد والخيزرانية ، وبستان موسى ، وقصر عبدويه ، وقصر المعلى ، ورقة كلواذي ، وباب الانبار ، ونبارى والهوب ، وأمر بعمل حراقات فى دجلة على خلقه الاسد والفيل والحية والفرس ، وانفق فى عملها مالا عظيما .^(٤٨)

ولم يعمر الامين طويلا ، فقد قتل بعد ان جلس على عرش الخلافة أربع سنوات وثمانية اشهر وخمسة ايام . وذلك فى شهر ربيع الاول سنة ١٩٨ هـ وكان فى الثامنة والعشرين من عمره ، وقد ذهب الأمير ضحية لهذه الفتنة التى قامت بينه وبين أخيه المأمون ، بسبب أخيه وتوليته ابنه موسى العهد من بعده ، ونكث العهد والميثاق الذى أخذه عليه ابو الرشيد وعلقه على الكعبة ، وقد سادت الفتنة الهوجاء التى فرقت المسلمين واضعفت قوتهم وقوضت كثيرا من معالم المدينة ببغداد حاضرة العباسيين وكعبة العلوم والآداب ، ومركز التجارة ، وحاضرة الاسلام .

ولما قتل الامين ارسل عبد الله بن طاهر رأسه الى المأمون ، الذى صفا له الجو واستقرت له الامور وكتب الى الامصار الاسلامية كتابا جاء فيه : (اما بعد فان المخلوع كان قسم امير المؤمنين فى النسب واللحمة ، وقد فرق الله بينه وبينه فى الولاية والحرمة ، بمفارقتة عصم الدين وخروجه من الامر الجامع للمسلمين ، يقول الله عز وجل حين اقتص علينا نبأ نوح : (انه ليس من اهلك انه عمل غير صالح)^(٤٩) فلا طاعة لأحد فى معصية الله ولا قطيعة اذا كان القطيعة فى جنب الله

^{٤٧} ص ٢١٥-٢١٦

^{٤٨} تاريخ الاسلام السياسي د/ حسن ابراهيم حسن ١١٣/٢

^{٤٩} سورة هود الآية ٤٦

وكتابي الى امير المؤمنين وقد قتل الله المخلوع ، ورداه رداء نكثه واحصد للأمير المؤمنين أمره وأنجز له وعده ، وما ينتظر من صادق وعده حين رد به الألفة بعد فرقتها ، وجمع الامة بعد شتاتها ، واحيا به اعلام الاسلام بعد دروسها (٥٠) .

٥٠ الطبري ج ١ ، ص ٢١٤-٢١٥

المبحث الثاني الحياة الاجتماعية

يقصد بالحالة الاجتماعية على وجه العموم ذكر طبقات المجتمع في البلد من حيث الجنس والدين ، ومدى علاقة كل من هذه الطبقات بعضها ببعض ... ثم بعد ذلك ان نبحث في نظام الاسرة وحياة أفرادها وما يتمتع به كل منهم من الحرية ... ثم لا بد من وصف البلاط ومجالس الخلفاء ، والاعيان والمواسم والولائم والحفلات ، وأماكن النزهة ، ووصف المنازل وما فيها من أثاث وطعام وشراب ولباس ... وما الى ذلك من مظاهر المجتمع المختلفة . وقبل ظهور الدولة العباسية بذلك الشكل وبتلك الهيبة والعظمة كان الخلفاء الأمويون يعتمدون على العنصر العربى الذى هو غالبية أهالى بلاد الشام ... ويظهر الدولة العباسية بمساعدة العنصر الفارسى وتحول مركز هذه الدولة الى بلاد العراق ساد العنصر الفارسى ، وصار الاعتماد على الفرس هو الأرجح .. ونتيجة لذلك أسندوا اليهم المناصب المدنية والعسكرية .. وبهذه الصورة أشدت الصراع بين العرب والفرس حتى جاء المعتصم . الذى كان من أم تركية ليعتمد مباشرة على هذا العنصر التركى وأسند اليهم مهمة الحراسة ، ومناصب الدولة ، وقلدهم ولاية الأقاليم البعيدة عن مركز الخلافة ، واخرج العرب من ديوان العطاء وأحل محلهم الترك ... وكانت النتيجة ان حقد عليه الفرس والعرب

هذا ولم يقتصر الصراع على ما كان بين العرب والفرس والترك ، بل تعداه الى قيام المنافسة بين العنصر العربى نفسه ... فاشتعلت نيران العصبية بين عرب الشمال ، وعرب الجنوب اليمنيين ، حتى ان نقل المنصور جنده الى الكرخ جنوبى بغداد كان نتيجة قيام روح العصبية بين بعض العرب والبعض الآخر ..

ذكر الطبرى (١) ان قُثم بن عباس دخل على المنصور ، وكان شيخاً ذا رأى وحزم . فقال له المنصور.. اما ترى يا قُثم ما نحن فيه من التباين الجند علينا ؟ قد خفت ان تجتمع كلمتهم فيخرج هذا الامر من بين ايدينا فما ترى ؟ .. قال قُثم بن

^١ ج ٩ ص ٢٨١-٢٨٢

عباس يا أمير المؤمنين عندى رأى لو أظهرته لك فسد ، وان تركتني أمضيته ، صلحت لك خلافتك .. وهياكل جندك فقال المنصور له .. افتمضى فى خلافتي أمراً لا تعلمنى ما هو فقال له قُثم : ان كنت عندك متهماً على دولتك فلا تشاورنى وان كنت مأموناً عليها فدعنى أمضى رأى .. فقال له الخليفة ، فأمضه . فأنصرف قُثم الى منزله ، فدعا غلاماً له فقال : اذا كان غداً فتقدمنى ، فأجلس فى دار امير المؤمنين ، فأذا رأيته قد دخلت وتوسطت أصحاب المراتب فخذ بضان بغلتى فأستوقفنى ، وأستحلفنى بحق رسول الله ، وبحق العباس ، وبحق امير المؤمنين ، لما وقفت لك وسمعت مسألتك وأجبتك عنها ، فأنى سانتهرك ، واغلظ عليك القول ، فلا يهولنك ذلك منى ، وعاونى بالمسألة ، فانى ساشتكم ، فلا يردعك ذلك وعاونى بالقول والمسألة ، فأنى سأضربك بسوطى ، فلايشق ذلك عليك .. فقل لى : أى الحيين أشرف . اليمين ام مضر .؟ فاذا اجبتك فخل عنان بغلتى وانت حر ، فقد الغلام فجلس حيث امره به مولاه ، وفعل المولى ما كان قد قال له ثم قال له - قل . فقال : اى الحيين أشرف اليمين أم مضر . فقال قُثم - مضر كان منها رسول الله (ص) وفيها كتاب الله عز وجل .. وفيها بيت الله .. ومنها خليفة الله .

فأمتعضت اليمين اذ لم يذكر لها شئ من شرفها ، فقال له قائد من قواد اليمين . ليس الامر كذلك مطلقاً بغير شرف ولا فضيلة لليمين .. ثم قال لغلامه .. قم فخذ بضان بقلة الشيخ فاكبحها كبحاً عنيفاً تطأمن به منه ، ففعل الغلام ما امره به مولاه حتى كاد ان يقيهما على عراقبيها .. فأمتعضت من ذلك مضر . فقالت . ايفعل ذلك بشيخنا ، فأمر رجل منهم غلامه فقال . اقطع يده ، فنفر الحيان ، وصرف قُثم بغلته ، فدخل على ابي جعفر ، وافترق الجند ، فصارت مضر فرقه واليمين ، والخراسانية فرقه ، وربيعه فرقة ...^(٥٢)

كان الشعب يتكون فى العصر العباسى الاول من العرب وعلى الاخص المضريين واليمنيين ، ثم ياتى الفرس خاصة الخرسانيين الذين ساعدوا على قيام الدولة العباسية ، ثم ياتى بعدهم مباشرة الترك وعلى الاخص منذ ايام المعتصم - كذلك المغاربة - وغيرهم كثير ...

^{٥٢} المصدر السابق

اما عن حياة الاسلام فى هذا العصر فان المسلمين كانوا ينقسمون الى سنيين وشيعيين ، وكان الصراع بينهم طوال العصر العباسى الاول محتدماً .. ونراها واضحة فى الثورات التى أذكى نيرانها محمد النفس الزكية ، واخوه ابراهيم فى عهد ابي جعفر المنصور .. والحسين بن على فى عهد الهادى ويحى وادريس ابنا عبد الله بن الحسن فى عهد هارون الرشيد ..

كذلك نلاحظ وبصورة واضحة ان من طبقات هذا العصر . اهل الذمة ، وهم النصارى واليهود . وكانوا يتمتعون بكثير من ضروب التسامح الدينى ، وذلك يتمثل فى ان بعض احياء بغداد تسمى باديار تخص بالذكر منها دير العذارى ، ودير درمايس .. وكان به البساتين الكثيفة والاشجار .. ويقصده الناس للنزهة وانتشار الهواء .. ودير الروم شرقاً بغداد ...

هذه الاديار تدل وبصورة واضحة ان الخلفاء العباسيين كانوا على جانب عظيم من التسامح الدينى مع اهل الذمة .. كذلك فان الحكومة فى هذا العصر لم تتدخل فى شعائر اهل الذمة ، بل كان يبلغ من التسامح بعض الخلفاء ان يحضروا مواكبهم واعيادهم ويامروا بصيانتهم ...

الطوائف الدينية كانت منفصلة بعضها عن بعض تمام الانفصال . وكان لا يجوز للمسيحي ان يتهود ، ولا لليهودى ان يتنصر كما لا يجوز للنصرانى ان يرث اليهودى أو النصرانى ان يرث النصرانى .. كما لم يكن لليهودى أو النصرانى ان يرث المسلم ولا المسلم يرث غير المسلم ...

وكان المجتمع العباسى فى هذا العصر يتكون من اربعة عناصر رئيسية هى : العرب ، الفرس ، الاتراك ، المغاربة ، قامت الدولة فى هذا العصر بمساعدة الفرس لذلك فان الخلفاء اعتمدوا عليهم واهملوا العرب الذين نغموا على الفرس واشعلوا نيران الثوران حتى قامت بين ابناء هارون الرشيد الامين والمأمون هذه الفتنة التى كانت فى حقيقة الامر انصاراً للفرس على العرب

هذا وقد تآثر العرب بالامم الاخرى وثقافتها المتنوعة ونجم عن هذا التآثر صراع حضاري كبير فقد عمد العجم على التفوق على العنصر العربى الذى كان ينظر اليه نظرة السيد الي المسيود خلال الحقبة الموية البائدة فشرعوا فى دراسة البيان

العربي والعلوم المختلفة ليتحقق لهم التفوق الفعلي علي العرب ، وهذا الاهتمام من قبل الاعاجم بالعلم والادب حقق لهم وللابد نجاحا كبيرا في ميادين الخطابة الاجتماعية اذ انهم كانوا قوة اجتماعية لا يستهان بها (٥٣)

اندلعت كذلك بعض الثورات التي اشعل نارها بابك الخزمي ، والمازيار و الافشين في اواخر العصر العباسي الاول..

هذه الثورات تبين لنا مبلغ سخط الفرس على العرب والاتراك والمغاربة .. يظهر ذلك من قول الافشين للمازيار يستحثه على مساعدته في ثورته التي كانت ترمى الى اعادة السلطان الى الفرس : (فان خالفت لم يكن للقوم من يرمونك به غيرى ومعى الفرسان واهل النجدة والبأس ، فان وجهت اليك لم يبك احد يحاربنا الا ثلاثة العرب ، والمغاربة ، و الاتراك ، و العربى بمنزلة الكلب ، اطرح له كسره وأضرب رأسه بالدبوس ، وهؤلاء الذئاب ، يعنى المغاربة انما هم أكلة رأس .. واولاد الشياطين ، يعنى الاتراك فانما هى ساعة حتى تنفذ سهامهم ، ثم تجول الجبل عليهم جولة فتأتى على آخرهم ويعود الدين الى ما كان عليه ايام العجم .. اما الرقيق فكانوا طبقة كبيرة من طبقات المجتمع الاسلامى فى هذا العصر .. وانتشروا انتشاراً كبيراً حتى اصبحت سمرقند اكبر اسواق الرقيق لتربية الرقيق المجلوب من بلاد ما وراء النصر .. وكان اهالى سمرقند يتخذون ذلك صناعة لهم يتعيشون منها (٥٤) .

هذا ولم ينظر الخلفاء العباسيون الى الرقيق نظرة امتهان وازدراء . بدليل ان كثيرين منهم امهاتهم من الرقيق ، وقد اولع الخلفاء وكبار رجال الدولة باتخاذ الاماء من غير العرب .. حتى انهم كانوا يفضلونهن على العربيات الحرائر ... وقد اشاد الخطيب البغدادي بوصف اهل العراق مركز الخلافة العباسية وقلبها النابض فى هذا العصر بهذه العبارة الشائعة واطنب فى ذكائهم ومحاسنهم وادبهم وخلقهم فقال (إن الذى بنيت فيه بغداد ، وهى صفوة الأرض ووسطها ، يحيط به

^{٥٣} الثقافات الاجنبية في العصر العباسي الثاني ، د/ صالح ادم بيلو طالاولى مكة المكرمة ص ١٧٥

^{٥٤} الحضارة الاسلامية . متر - ج ١ ص ٢٦٨ .

سنة أقاليم هي بلاد الترك ، الهند ، الصين ، الشام ، الحجاز ومصر لذلك إعتدلت
الوان أهله ، وأمتدت اجسامهم ، وسلموا من شفرة الروم والصقالبة ، ومن سواد
الجيش وسائر أجناس السودان ومن غلظة الترك ، ومن جفاء أهل الجبال وفرسانه ،
ومن حماقه أهل الصين ومن جانسهم وشاكل خلقهم .. وفسلموا من ذلك كله ،
وأجتمع في أهل هذا القسم من الأرض محاسن جميع أهل الأقطار بلطف من العزيز
القهار ، وكما أعتدلوا فيها الخلقة ؟ كذلك يطفوا في الفطنة والتمسك بالعلم والادب
ومحاسن الامور . وعندما فتح العرب مصر أصبح فيها ثلاث عناصر من السكان :
القبط وهم أهل البلاد الأصليون ، وكانوا هم السواد الأعظم من السكان والروم وهم
بقايا الحكم الروماني الذي قضى عليه العرب ، ومن الملاحظ أن الروم واليهود ليس
لهم وجود فعال في ذلك الزمن . أما العنصر الثالث : وهو العنصر العربي : كان
يتألف من الجند العربي ومن القبائل العربية التي سحرتها تلك البلاد .^(٥٥)

بدأت أعداد العرب في عهد معاوية بن أبي سفيان يتزايد حتى بلغ عددهم أربعين ألفاً
، وذلك بسبب وفود نساء الجند واولادهم ، وعندها أخذوا سعر الوطن الثاني لهم ،
زيادة الى ذلك اندماج هؤلاء الأعراب مع الأهالي الأصليين بالمصاهرة .

جو سياسي قلق ، تتصارع فيه قوى العروبة ، وقوى الشعوبية ، ويكاد الجمر يذر
بقربه ، من خلال الرماد فينذر بالثورة هنا وهناك ، وكذلك بالتمرد الوشيك وما قصة
الصراع الذي دار بين ابني الرشيد الامين والمأمون الا ليؤكد ذلك ، وانتصار العرب
لذلك ، وتعصب الموالي لهذا الا التجسيد الحي للوضع السياسي الذي كانت عليه
الخلافة الاسلامية ايام ابى نواس وبعده بقليل .

هذا وقد تداول الكتاب دون تمحيص وتدقيق عن شعوبية ابى نواس وتعريضه
بالعرب ، وما يثير الدهشة والتساؤل حقا هذه الصداقة المتينة التي قامت بين الشاعر
والخليفة الامين .. وهذه المدائح من شاعر تزور عليه الشعوبية تزويرا لأمير عربى
الأبوين ينتصر له العرب ويخاصمه الموالي .

عرض ابو نواس بالشعراء العرب الذين أطالوا البكاء والاستبكاء ، والوقوف
على الاطلال .

^{٥٥} ضحي الاسلام احمد امين ص ٢١٧

لم يكن هذا الشاعر شعوبيا بالمعنى السياسي للكلمة ، بل كان مجددا وداعيا للتجديد فى اساليب الشعر العربى ومضامينه ، واما ما ذكرها من اسماء القبائل العربية ، والتي ترد فى ثنايا قصائده ، فتحسب الى الدعابة اقرب والمجون العابث أشبه .ونجد فى ديوانه شعرا من مثل قوله :

عاج الشقي على رسم يسائله وعجت أسأل عن خمارة البلد
يبكى على ظل الماضين من أسد لا در درك قل لى من بنو أسد
الى ان يقول :

لا جف دمع الذى يبكى على حجر ولا صفا قلب من يصبوا الى وتد
كم بين ناعت خمراً فى دساكرها وبين باك على نوى و منتضد
دع ذا عذمتك واشربها معتقة صفراء تفرق بين الروح والجسد

وشعر كهذا ، يوحى منذ البداية بمجون وعبث من جانب الشاعر الذى نشأ فى هذا الجو السياسي القلق ، ثم لا يلبث ان يكشف عن سر التهجيم على الاعاريب الذين (ليس عند الله من احد) فى نفس تلك القصيدة يقول :

ومن تميم ومن قيس ولفهما ليس الاعاريب عند الله من احد^{٥٦}

لان شعراؤهم بين باك على حجر وصاب الى وتد
ومثل هذا لا يحصى فى عداد الادب السياسي ، وانما يلبث من الفن الخمرى فى هذا الصميم .

وقد لبث ابو نواس على هذه الأحوال ، ينقسم يأتته الشعر والخمر والمجون ، وطلب اللذة ، ويتصل بالخلفاء حيناً فينال عطايا الرشيد ينفقها جميعا ، ويقر به الامين وتتوثق عرى الصداقة بينهما ، واخيرا يتظاهر بإقصائه عن مجالسه لئلا يعير به ، ويتصل بالخصيب امين الخزانة والخراج وأمير مصر ، ويضرب فى آفاق الحواضر العربية الاخرى حتى وافته المنية زاهدا ، تائبا ، منيبا الى ربه .

^{٥٦} الديوان ص ٢٧٩

ويروى عبدوس^(٥٧) فى قصة طويلة التزامه الزهد وطلبه المغفرة من ربه ،
زيارته الأخيرة للشاعر قائلاً :

(لما كان اليوم الثامن جئت لأدخل ، فلقينى الغلام فى الطريق ومعه رقعة
مختومة ، فسألته عنه ، فقال : (أعظم الله أجرك فى ابى نواس " فقد توفى " وكان
كتب اليك هذه الرقعة قبل موته .. فقرأتها فاذا فيها :

شعر حى أتاك من لفظ ميت صار بين الحياة والموت واقفا

لو تأملتني وأبصرت وجهي لم تجد من مثال رسمي حرفا

نفس خافت وجسم نحيل أرهقته الأسقام حتى تعفى

قال : فجئت (مصر) الى منزل ابى نواس ، فاذا به قد مات ونظرت فيما
خلف ، فاذا مقدار ثلاثمائة درهم ، واذا بين مخدتيه رقعة فيها هذا الشعر :

يا رب ان عظمت ذنوبي كثرة فلقد علمت بان عفوك أعظم

ادعوك رب كما أمرت تضرعا فاذا رددت يدي فمن ذا يرحم

مالي اليك وسيلة الا الرجا وجميل عفوك ثم انى مسلم

كان هذا فى بغداد عام ٨١٣م وبذلك انتهت حياة طريفة شيقة ، جمع
صاحبها الى مجون العايب ، وزهد العابد فدخل بأدبه باب التاريخ الادبى كما دخل
بسيرته تلك باب الأساطير .

كان للشعر فى ايام الدولة العباسية عند الخلفاء والوزراء والقواد سوق نافعة
حتى عند رؤساء الأعاجم من الديلم والترك ، ودام كذلك الى انتهاء الدولة العباسية ،
وبهذه العناية العظيمة بل وكثرة قائله ومنتحليه تفنن الناس ودخلوا عليه فنونا لم
تعهد فيه واستعملوه فى كل غرض حتى التعبد به وتشكل أسلوبه وتنوعت معانيه بما
يطابق أغراض استعماله .

^{٥٧} محمد الجهشيارى (.. ٣٣١هـ) محمد بن عبدوس بن عبد الله الكوفي ابو عبد الله مؤرخ مترسل مشارك فى
عدة علوم نشأ فى بغداد كان حاجبا بعد ابيه للوزير علي بن عيسى توفى فى بغداد مستترا من اثاره كتاب
الوزراء ميزان الشعر والاشتمال على انواع العروض واماء العرب الروم انظر الفهرست لابن النديم

ولم يقتصر الشعر على الموالى فى صدر هذه الدولة كالكتابة ، بل اشتركوا فيه هم وغيرهم من إعراب البادية أحيانا ، ومن سلائل العرب بالأمصار الاخرى . غير ان بضعة من فحول صدر الدولة كانوا موالى مثل بشار وأبى نواس ومسلم بن الوليد^(٥٨) ، وأبى العتاهية وابن الرومي .

ومن اشهر شعراء الامصار العرب ابو تمام والبحتري وابن المعتز^(٥٩) وابو العلاء المعرى والشريف الرضى.

صور مجالس الغناء والطرب

اهم سمات هذا العصر هو أنشغال الخلفاء أو الأمراء بحياة الترف والبذخ فأهتموا بزيادة العمران وتدفق الثروة ، وكانت قصورهم مضرباً للمثل في حسن رونقها وبهائها ، كذلك امتازت القصور بفخامة بنائها واتساعها وزينت بحدائق غناء وأشجار متكاثفة زخرفت كذلك بالمناضد الثمينة والزهريات الخزفية والتزيينات المرصعة والمذهبة .

عاش العباسيون عيشة قوامها البذخ والإسراف وحب الظهور حفلت قصورهم بالمغنيين والموسيقيين ، كما كانت مجالس الخلفاء من آيات الروعة والجمال .

^{٥٨} مسلم بن الوليد أبوه الوليد مولى أسعد بن زرارة الخزرجي يلقب صريع الغواني شاعر متقدم من شعراء الدولة العباسية منشؤه ومولده الكوفة وهو فيما زعموا أول من قال الشعر المعروف بالبديع هو لقب هذا الجنس البديع واللطيف وتبعه فيه جماعة وأشهرهم فيه أبو تمام الطائي فإنه جعل شعره كله مذهباً واحداً فيه ومسلم كان متقناً متصرفاً في شعره كان مسلم شاعراً حسن النمط جيد القول في الشراب وكثير من الرواة يقرنه بأبى نواس في هذا المعنى وهو أول من عقد هذه المعاني الطريفة قال محمد بن القاسم بن مهرويه قال سمعت أبي يقول أول من أفسد الشعر مسلم بن الوليد جاء بهذا الذي سماه الناس البديع ثم جاء الطائي بعده فتقن فيه مسلم ويزيد بن مزيد الاغاني ٣٦/١٩

^{٥٩} ابو العباس عبد الله بن الخليفة المعتز بن المتوكل ولد في سامراء عام ٢٤٩هـ وانصرف منذ حدثته الي الدراسات الادبية فخرج علي جماعة منهم بن المبرد وثعلب نشا في لهو وترف يشرب وينظم الشعر وقد عالج اكثر فنون الشعر العربي له كتاب البديع وكتاب طبقات الشعراء وريال وديوان شعر نوذي خليفة لما توفي المكتفي ولكن خلافته لم تدم الا يوما وليلة قتل بعدهما في عام ٢٩٦هـ . تاريخ الادب العربي حنا الفاخوري ص ٥٤٨

أخذوا هذا الإبداع وهذه الروعة عن الفرس ولما قامت دولتهم كان أبو العباس السفاح يظهر للندماء في مجلسه ، ثم احتجب عنهم ، وكان يظهر سروره وابتهاجه لندمائيه ومغنييه ويمنحهم العطايا والصلوات يقوى ، العجب ممن يفرح إنساناً فيتعجل السرور ، ويجعل ثواب من سرّه تسويفاً وعدّه ، فكان في كل يوم وليلة يقعد فيه لشغله ولا ينصرف أحد ممن حضره الا مسروراً .
أما أبو جعفر المنصور فإنه لم يظهر لنديم قط ، ولم يره أحد يشرب غير الماء ، كما كان لا يثيب أحداً من ندمائه .

وكان المهدي يسمع الغنا ، وكان اصحابه يشربون عنده النبيذ على الرغم من انه لم يكن يشربه (٦٠).

وفى إشارة سريعة هنا لابدّ من القول بأن المهدي في اول خلافته احتجب عن الندماء عاماً كاملاً تشبيهاً بابيه المنصور ثم بعد ذلك ظهر لندمائيه واجزل لهم العطايا والمنح وكان الخليفة الهادي يحب الغنا ويطرب له ...وقد قرّب اليه من المغنين بن جامع(٦١) الذي أجاد وحذق فن ألغناء ..وابراهيم الموصلي(٦٢) الذي ضرب في الغناء بسهم وافر ..

^{٦٠} الجاحظ : التاج في اخلاق الملوك ص ٣٣

^{٦١} هو اسماعيل بن جامع بن اسماعيل بن عبد الله بن المطلب بن ابي وداعة (الذي اسر كافرا يوم بدر ففداه ابنه المطلب) من بني كعب بن لؤي ويكنى ابا القاسم كان من احفظ خلق الله لكتاب الله ويروي عنه لولا القمار وحب الكلاب لتركت المغنين لا ياكلون خبزاً الاغاني لابي فرج الاصفهاني ص ٢٧٣

^{٦٢} الامام العلامة الحافظ ذو الفنون ابو محمد اسحق بن ابراهيم بن ميمون التميمي الموصلي الاخباري صاحب الموسيقى والشعر الرائق والتصانيف الادبية مع الفقه واللغة وايام الناس والبصر بالحديث وعلو المرتبة ولد سنة بضع وخمسين ومئة سمع من مالك بن انس اخرون وسمع منه ولده حماد الراوية وشيخه الاصمعي ولم يكثر عنه الحفاظ لاشتغاله بالدولة وكان يكره ان ينسب الي الغناء مات سنة (٢٣٥هـ) نزهة الالباء ٢٢٧ معجم الادباء ٥/٦ انباه الرواة ٢١٥/١ وفيات الاعيان ٢٠٢/١ النجوم الزاهرة ٢٦٠/٢

ذكر الطبري (٦٣) أن الهادي كان (يشتهي من الغناء الوسط يقل ترجيعه ،ولا يبلغ ان يستخف منه احد).وكان اذا اعجبه الغناء وطرب قال لمغنيه (احسنت احسنت) . ويكثر له العطاء حتي يبلغ احيانا الف الف درهم ...
أما الخليفة هارون الرشيد فقد فاق الخلفاء العباسيين في ولوعه بالغناء والموسيقى واجزاله العطاء للمغنيين والموسيقيين وقد جعل لهم مراتب وطبقات حسبما اورده أردشير بن بابل وانوشروان ..

وفي عهده نبغ من المغنين والموسيقيين (وكان منصور زلزل من احسن واحذق من برأ الله بالجس ،فكان اذا جس العود فلو سمعه الأحنف ومن تحالم في دهره كان لم يملك نفسه حتي يطرب (٦٤) ،وكان يضرب المثل بزلزل في حسن الضرب بالعود ..واشتهر في ايام المهدي والهادي والرشيد ،وقد أنشا في بغداد بركة وقفها علي المسلمين ،فاشتهرت باسمه وأكثر الشعراء من ذكرها ...) .
كان الخليفة هارون الرشيد يأمر بترقية احد المغنين اذا أجاد وكذلك الموسيقيين .ذكر الجاحظ (٦٥): (ان برصوما الزامر اعجب الرشيد مره ،وكان من الطبقة الثانية ...فطرب الرشيد يوما لزمه... فقال له صاحب الستارة • يا اسحاق ان ازمر على غناء ابن جامع قال ... لا افعل قال : يقول لك امير المومنين ولا تفعل ... قال ... ان كنت ازمر على الطبقة العالية رفعت اليها ... فاما ان اكون فى الطبقة الثانية و ازمر على الاولى ...فلا افضل ... فقال الرشيد لصاحب الستارة ... ارفعه الى الطبقة الاولى ... فاذا قمت فارفع البساط الذى فى محلهم اليه ... فرفع اسحق الى الطبقة الاولى واخذ البساط ... وكان يساوى الفى دينار ، فلما حمله الى منزله استبشرت به امة واخوته (وكانت امة نبطية لكناء) ... فخرج برصوما عن منزله لبعض حوائجه ، وجاء نساء جيرانه يهنئن أمه بما خُصَّ به دون أصحابه ويدعون لها .. فأخذت سكيناً وجعلت تقطع لكل

٦٣ الجزء العاشر الطبرى ص٤٦

٦٤ الجاحظ : التاج فى اخلاق الملوك ص٣٧-٣٨-٩٣

٦٥ المصدر نفسه

من دخل عليها قطعة من البساط .. حتى انتت على أكثره . فجاء برصوما فأذا
 البساط قسم بالسكاكين . فقال ، ويلك ما صنعت ، قالت لم أدر ظننت انه كذا
 يقسم . فحدث الرشيد بذلك ، فضحك ووهب له آخر ...^(٦٦)

^{٦٦} أبو نواس الحسن بن هانئ - عباس محمود العقاد ص ٦٤

المبحث الثالث الحركة العقلية

كان السواد الاعظم من الذين اشتغلوا بالعلم من الموالى ... خاصة الفرس ولذلك فاننا نجد ان اللغة العربية هى الوسيلة الوحيدة للتقاهم بين المسلمين الى ان ازال المغول الخلافة العباسية من بغداد فى القرن السابع الهجرى .
وفى ذلك يقول ابن خلدون^(٦٧) (ان حملة العلم فى الاسلام اكثرهم من العجم)^(٦٨)

ومن الغريب الواقع ان حملة العلم فى الملة الاسلامية اكثرهم من العجم لامن العلوم الشرعية ولا من العلوم العقلية الا فى القليل النادر وان كان منهم العربى فى نسبته فهو اعجمى فى لغته ومرباه ومشيخته مع ان الملة عربية وصاحب شرعيتها عربى ، والسبب فى ذلك ان الملة فى اولها لم علم فيها ولا صناعة لمقتضى احوال السذاجة والبداءة ، وانما احكام الشريعة التى هى اوامر الله ونواهيه . كان الرجال ينقلونها فى صدورهم ، وقد عرفوا ماخذها من الكتاب والسنة بما تلقوه من صاحب الشرع واصحابه ، والقوم يومئذ عرب لم يعرفوا امر التعليم والتدوين والتأليف . ولا دفعوا اليه ولا دعته اليه حاجة .

وجرى الامر على ذلك زمن الصحابة والتابعين ، وكانوا يسمون المختصين بحمل ذلك ونقله القراء .. اى الذين يقرأون الكتاب وليسوا أميين لأن الامية يومئذ صفة عامة فى الصحابة .. فقل لحملة القرآن يومئذ قراء . اشارة الى هذا ، وذلك لانهم تعلموا الاحكام الشرعية منه ومن الحديث الشريف الذى هو فى غالب موارد تفسير له وشرح . قال رسول الله صلى الله عليه وسلم (تركت فيكم ما ان

^{٦٧} هو عبد الرحمن بن محمد بن محمد بن خلدون أبو زيد من ولد وائل بن حجر فيلسوف علم الاجتماع عند العرب ولد بتونس سنة ٧٣٢هـ ١٣٣٢م، انتقل القاهرة ، حيث تولى قضاء المالكية فيها وهناك توفي سنة ٨٠٨هـ - ، اشتهر كتبه (العبر وديوان المبتدأ و الخبر في تاريخ العرب و العجم و البربر) وتعتبر مقدمته أهم أعماله فى مجال علم الاجتماع. ترجمته فى : نفح الطيب ٤/٤١٤ ، الضوء اللامع ٤/١٤٥ .

^{٦٨} تاريخ الاسلام الجزء الثانى العصر العباسى الاول دار الجيل بيروت تأليف الدكتور حسن ابراهيم حسن مدير جامعة اسبوط

تمسكتكم به لن تضلوا ابدا كتاب الله وسنتي) (٦٩) .

ولما بعد النقل فيما بعد احتيج الى وضع التفاسير القرآنية وتقييد الحديث مخافة ضياعه ، ثم احتيج الى معرفة الاسانيد وتعديل الرواة للتمييز بين الصحيح من الاسناد وما دونه . ثم كثر استخراج احكام الوقائع من الكتاب والسنة كذلك فسد مع ذلك اللسان فاحتيج الى وضع القوانين النحوية وصارت العلوم حضرية .. وبعد الحرب وعن سوقها . والحضر لذلك العهد كانوا هم العجم .. أو من فى معناهم من الموالى واهل الحواضر الذين هم يومئذ تبع للعجم فى الحضارة واحوالها من الصنائع والحرف ..

فكان صاحب صناعة النحو سيبويه (٧٠) و الفارسي (٧١) ٣٧٧هـ من بعده .. والزجاج (٧٢) من بعدهما . وكلهم عجم فى انسابهم ، وانما ربوا فى اللسان العربية فاكتمسبوا بالمربى (النشأة والتربية) ومخالطة العرب .. وصيروه قوانين وفناً لمن بعدهم ..

^{٦٩} أخرج الترمذي وحسنه وابن الأنباري في المصاحف عن زيد بن أرقم رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم إني تارك فيكم ما إن تمسكتم به لن تضلوا بعدي أحدهما أعظم من الآخر كتاب الله حبل ممدود من السماء إلى الأرض وعترتي أهل بيتي ولن يتفرقا حتى يردا علي الحوض فانظروا كيف تخلفوني فيهما الدر المنثور ٣٤٩/٧

^{٧٠} (١٤٨-١٨٠هـ): عمرو بن عثمان بن قنبر الحراشي بالولاء، ابو بشر الملقب سيبويه: إمام النحاه، وأول من بسط علم النحو. ولد في إحدى قرى شيراز، وقدم البصرة، فلزم الخليل بن أحمد فقاقة وصنف كتابه المسمى "كتاب سيبويه في النحو، لم يصنع قبله ولا بعده مثله. ورحل إلى بغداد فناظر الكسائي. وأجازه الرشيد بعشرة آلاف درهم. وعاد إلى الأهواز فتوفي بها. و"سيبويه" بالفارسية رائحة التفاح. وكان انيقاً جميلاً، توفي شاباً. وفي مكان وفاته والسنة التي مات فيها، خلاف. "وفيات الأعيان"، لابن خلكان، ٣/٦٣

^{٧١} هو الحسن بن احمد الامام ابو علي الفارسي النحوي المشهور كان واحد زمانه في علم العربية اخذ عنه الزجاج و ابن السراج وبرع في طلبته جماعة كابن جني وعلي بن عيسى وغيرهما وكان متصلاً بعضد الدولة حتي كان يقول انا غلام ابي علي في النحو توضيح المقاصد والمسالك ٨٠/١ - اشارة التعيين ص ٨٣ الاعلام ١٧٩/٢ بغية الوعاة ٤٩٦/١ تذكر النحاة ص ٦

^{٧٢} (٢٤١-٣١١هـ): إبراهيم بن السري بن سهل، ابو اسحق الزجاج: عالم بالنحو واللغة. ولد ومات في بغداد. كان في فتوته يخرط الزجاج ومال الى النحو فعلمه المبرد. وطلب عبيد الله بن سليمان "وزير المعتضد العباسي" مؤيداً لابنه القاسم، فذله المبرد على الزجاج، فطلبه الوزير، فادب له ابنه الى ان ولى الوزارة مكان ابيه، فجعله القاسم من كتابه، فأصاب في أيامه ثروة كبيرة. وكان للزجاج مناقشات مع ثعلب وغيره. من كتبه: "معاني القرآن و الاشتقاق و خلق الانسان .. الخ. انظر: الاعلام ١/ ٤٠.

كذلك حملة الحديث الذين حفظوا على اهل الاسلام اكثرهم عجم أو مستعجمون باللغة والمربى .. لاتساع الفن بالعراق وما بعده . وكان علماء اصول الفقه كلهم عجم كما نعرف ..

وكذا جملة علماء الكلام وكذا اكثر المفسرين .. ولم يقيم بحفظ العلم وتدوينه الا الاعاجم . وذلك مصداقاً لقوله (ص) (والذي نفسي بيده لو كان الإيمان منوطاً بالثريا لتناوله رجال من فارس وقال الحسن هم العجم)(٧٣)

اما العرب الذين ادركوا هذه الحضارة وسوقها وخرجوا اليها عن البداوة ، فشغفتهم الرياسة فى الدولة العباسية لانهم كانوا اهل الدولة وحاميتها واولى سياستها ، مع ما يلحقهم من الالفة فى انتحال العلم حينئذ بما صار من جملة الصنائع ، والرؤساء ابدأ يستتكفون عن الصنائع والمهن وما يجر اليهما ودفعوا ذلك الى من قام به من العجم والموالين ..

لذلك صارت العلوم الشرعية غريبة النسب عند اهل الملك بما هم عليه من البعد عن نسبتها ، وامتنعت حملتها بما يرون انهم بعداء عنهم مشغولون بما لا يجدى عليهم فى الملك والسياسة ..

العلوم الشرعية والعقلية فى العصر العباسي الاول:-

ميز كتاب المسلمين بين العلوم التى تتصل بالقرآن الكريم وبين العلوم التى أخذها العرب عن غيرهم من الامم .

ويطلق على الاولى العلوم النقلية أو الشرعية ، وعلى الثانية العلوم العقلية أو الحكمية . ويطلق عليها قديماً احياناً علوم العجم أو العلوم القديمة وتشمل العلوم النقلية . علم التفسير ، وعلم القراءات ، وعلم الحديث والفقه ، وعلم الكلام والنحو واللغة والبيان والادب ..

وتشمل العلوم العقلية : الفلسفة ، والهندسة ، وعلم النجوم ، والموسيقى ، والطب ، والسحر ، والكيمياء ، والتاريخ ، والجغرافيا ...

^{٧٣} تفسير القرطبي ٢٥٨/١٦

وفى العصر العباسى الاول اشتغل الناس بالعلوم الدينية فظهر المتكلمون وتكلم الناس فى مسألة خلق القران ، وتدخل المامون فى ذلك الوقت فاجد مجالس للمناظرة بين العلماء فى حضرته ، ولهذا عاب عليه الناس تدخله فى الامور الدينية كماء عابوا عليه تفضيل سيدنا على كرم الله وجهه على سائر الخلفاء الراشدين والامويين .. وذهب بعض الى ان المأمون اراد بعقد هذه المجالس ازالة الخلف بين المتناظرين فى المسائل الدينية وتثبيت عقائد من زاغوا عن الدين ، وبذلك تتفق كلمة الامة فى المسائل الدينية التى كانت مصدر ضعفهم ، وكان المامون يميل الى الاخذ بمذاهب المعتزلة لانه اكثر حرية واعتماداً على العقل فقرب اتباع هذا المذهب اليه ومن ثم اصبحوا ذوى نفو كبير فى قصر الخلافة..

وهكذا كانت تسير امور الدولة ليظهر نتيجة لذلك نوعان من العلماء . الاول هو الذين يغلب على ثقافتهم النقل والاستيعاب ويسمون (اهل علم) . والثانى . هم الذين يغلب على ثقافتهم الابتداع والاستنباط ويسمون (اهل عقل) ..

وفى ذلك يقول ابن خلكان (ان الخليل بن احمد^(٧٤) اجتمع بابن المقفع^(٧٥) وتحدثا فى شتى المسائل . فلما افترقا قيل للخليل كيف رأيت ابن المقفع . فقال (رأيت رجلاً علمه اكثر من عقله وقيل لابن المقفع كيف رأيت الخليل . قال رأيت رجلاً عقله اكثر من علمه ..)^(٧٦)

^{٧٤} هو الخليل بن احمد بن عمرو بن تميم الفراهيدي الازدي اليمامي ، ابو عبد الرحمن : من ائمة الادب و اللغة ، واضع علم العروض ، اخذ من الموسيقى . وهو استاذ سيبويه ولد فى البصرة سنة ١٠٠هـ - ٧١٨م وفيها كانت وفاته سنة ١٧٠هـ - ٧٨٦م له كتاب اول معجم عربي علي مخارج الحروف . انباه الرواة ١/٣٤١ وفيات الاعيان ١/١٧٢

^{٧٥} ابن المقفع فارسي الاصل اسمه روزبه ونشا ابن المقفع فى البصرة فى ولاء الاهتم ونشا ابن المقفع زرادشتيا وتقلد الكتابة فكتب ليزيد بن عمر بن هبيرة ثم اتصل بعيسى بن علي فاسلم علي يديه كان متصلا بعبد الله بن علي ايام خروجه علي المنصور فلما قلت شبابه واستامن الي المنصور كتب بن المقفع عقد الامان وشدد فيه وغلظ الايمان علي امير ان نكت هذه لعنه عبد الله فاحفظ ذلك المنصور واسرها الي سفيان بن معاوية المهلبى عامله علي البصرة حينئذ ان يقتله فانتهاز فرصة قدومه اليه وامر بتتور فملى وقودا حتي اذا حميت ناره اخذ يقطعه جزء جزء ويرمي بكل جزء فى التتور حتي اتي عليه وفيات الاعيان لابن خلكان ١٥٥/٢ ج ٣/٦ ادباء العرب ، بطرس البستاني، ص ١٤٢

^{٧٦} كتاب وفيات الاعيان ج ١ ص ١٧٣

وليس من شك على ان ابن المقفع قد غلب على ثقافته النقل والترجمة والتأثر بآراء غيره من العلماء على حين قد غلب على ثقافة الخليل الابتكار الذى يتجلى من هه الحقيقة وهى انه اول من فرع قواعد النحو ، واول من صنف المعاجم واول من تكلم فى علم العروض فالاول اذن ذو علم والثانى ذو عقل .. ولا يفوتنا ان ندلل على ذلك بقول الامام محمد بن ادريس الشافعى^(٧٧) رضى الله عنه اذ قال :

علم العليم وعقل العاقل اختلفا من الذى فيهما قد احرز الشرفا
فالعلم قال انا احرزت غايته والعقل قال ان الرحمن بى عرفا
فافصح العلم افصاحاً وقال له بأينا الله فى قرآنه اتصفا
فبان للعقل ان العلم سيده فقبل العقل راس العلم وانصرفا

العلوم الشرعية:-

١/ علم القراءات : هى العلوم التى اشتغل بها العباسيون وهى المرحلة الاولى لتفسير القرآن ، والسبب فى ظهورها هى خاصية الخط العربى اذ ان الرسم الواحد للكلمة يقرأ بأشكال مختلفة تبعا للنطق فوق الحروف أو تحتها . وقد وجدت مدرسة معترف بها يرجع قراءتها الى الامام ترتبط باسمه ، وتستند الى احاديث موثوق بها ، وعليها يقتصر فى قراءة المصحف .

ويعتبر هارون بن موسى البصرى اليهودى الاصل المتوفى بين سنتى ١٧٠-١٨٠هـ اول من حاول نقد القراءات المختلفة وبحث فى وجوه النظر التى تقوم عليها ونقد الاسانيد التى تستند اليها نقداً قوياً ، على الرغم من انه كان قديراً معتزلياً . ويرجع اغلب الاختلافات فى القراءات الى رجال موثوق بهم ممن عاشوا فى القرن الاول كعبد الله عباس وعائشة رضى الله عنها وسيدنا عثمان بن عفان صاحب

ابن خلكان هو قاضى القضاة شمس الدين احمد بن ابراهيم بن ابى بكر خلكان ولد سنة ٦٠٨هـ ، بمدينة اربيل ، وكان بليغاً وشاعراً مجيداً له كتاب وفيات الاعيان

^{٧٧} هو ابو عبد الله محمد بن ادريس القلاشى الشافعى المكي ولد سنة ١٥٠هـ بغزة اقبل علي الفقه والحديث وجود القرآن ، برع فى الشعر واللغة وايام العرب توفي سنة ٢٠٤هـ . تذكره الحفاظ ٢٧٤/١

القراءة وابنه أبان والى قراءٍ معترف بهم كعبد الله بن مسعود وابى بن كعب^(٧٨) وهؤلاء جميعاً رضى الله عنهم قد اثنى عليهم التابعون^(٧٩) . ومن اشهر اصحاب القراءات فى العصر العباسى الاول يحيى بن الحارث الذمارى^(٨٠) المتوفى سنة ١٤٥ هـ - حمزة بن حبيب الزيات^(٨١) المتوفى سنة ١٥٦ هـ فى خلافة ابى جعفر المنصور وابو عبد الرحمن المقرئ المتوفى سنة ٢١٣ هـ وخلف ابن هشام البزار^(٨٢) المتوفى سنة ٢٢٩ هـ .

٢ / علم التفسير :-

اتجه المفسرون فى تفسير القرآن اتجاهين الاتجاه الاول .
التفسير بالمأثور : وهو ما أثر عن رسول الله (ص) وكبار الصحابة .
والاتجاه الثانى : التفسير بالرأى : وهو ما يعتمد على العقل اكثر من اعتماده على النقل . ومن اشهر مفسرى هذا النوع هم المعتزلة والباطنية ..
على ان النوع الاول من التفسير . وهو التفسير بالمأثور قد اتسع على مر الزمن بما ادخل عليه من آراء اهل الكتاب الذين دخلوا الاسلام . والذين كانت لهم آراء اخذوها عن التوراة والانجيل ، مثل كعب الاحبار اليهودى^(٨٣) ، وعبد الله بن سلام ، وابن

^{٧٨} هو ابي بن كعب ابن قيس ابن زيد ابن معاوية بن عمرو بن مالك بن النجار ابو المنذر الانصاري المدني سيد القراء باستحقاق واقرا هذه الامة علي الاطلاق قرا علي النبي صلي الله عليه وسلم القرآن الكريم وقرا عليه النبي صلي الله عليه وسلم بعض القرآن للارشاد والتعليم الاعلام ٨٢/١

^{٧٩} المذاهب الاسلامية فى تفسير القرآن ترجمه د. على حسن عبدالقادر ص ٣٦-٣٧

^{٨٠} نسبة الى ذمار من مخاليف اليمن

^{٨١} هو حمزة بن حبيب بن عمارة بن اسماعيل الامام الحبر الكوفي الزيات وولد سنة ٨٠ هـ اخذ القراءة من الاعمش وقرا عليه سليم بن عيسى والكسائي توفي سنة ست وخمسين ومائة غاية النهاية ٢٦١/١ - ومعرفة القراء ١١١/١ .

^{٨٢} ابن قتيبة . كتاب المعارف ص ٢٣٠-٢٣١

^{٨٣} كعب الاحبار هو كعب بن ماته الحميري من أوعية العلم ومن كبار علماء أهل الكتاب، أسلم في زمن أبي بكر وقدم من اليمن في دولة أمير المؤمنين عمر، فأخذ عنه الصحابة وغيرهم، وأخذ هو من الكتاب والسنة عن الصحابة وتوفي في خلافة عثمان وروى عنه جماعة من التابعين وله في صحيح البخاري وغيره تذكرة

جريح ، ولقد سما هؤلاء فوق التهمة والكذب ورفعوا الى درجة اهل العلم الموثوق بهم ^(٨٤) .

كما كانوا يتخذون الشعر مرجعاً للتفسير فى استعمالاته اللغوية ، وقد اثر عن ابن عباس انه قال شعرا عربيا ، حتى لقد كان يفسر كثير من الايات بالفاظ وردت فى الشعر الجاهلى ^(٨٥) .

اما الطريقة المنظمة فى تفسير القرآن فانها لم تحدث الا فى العصر العباسى الاول . ومن اشهر المفسرين بعد عبد الله بن عباس ، ابن جريج الذى كان يجمع كل ما وصل اليه دون تحرى الدقة فى التفسير ، والسدى ^(٨٦) المتوفى سنة ١٢٧ هـ وقد اعترف فى تفسيره على ابن عباس وابن مسعود وغيرهما من الصحابة . ومقاتل ابن سليمان الازدى ^(٨٧) المتوفى سنة ١٥٠ هـ وقد تأثر بتفسير التوراة الذى اخذه عن اليهود ، حتى ان الامام ابا حنيفة قد اتهمه بالكذب ، وقال الشافعى (الناس كلهم عيال على ثلاثة . على مقاتل فى التفسير ، وعلى زهير بن ابى سلمى ^(٨٨) فى الشعر ، وعلى ابى حنيفة فى الكلام) ويروى عنه ايضا انه قال : من احب التفسير فعليه بمقاتل . ومن اشهر كتب التفسير ، تفسير محمد بن اسحاق الذى اخذ كثيراً من آراءه عن اليهودية والنصرانية عن وهب بن منبه ^(٨٩) وكعب الاحبار .

^{٨٤} المذاهب الاسلامية فى تفسير القرآن ص ٦٦ نقلا عن مرجع تاريخ الاسلام الجزء الثانى ص ٢٦٦

^{٨٥} نفس المصدر السابق ص ٢٦٦

^{٨٦} هو اسماعيل بن عبد الرحمن بن ابي كريمة السدي من موالى قريش روى عن انس بن مالك و ابن عباس و ابي عبد الرحمن السلمي وروى عنه شعبة و سفيان الثوري و ابو بكر بن عياش هو من كبار المفسرين و ضعف حديثه مات سنة ١٢٧ هـ سير اعلام النبلاء ج ٤ ص ٨٨١

^{٨٧} هو مقاتل بن سليمان الأذدي أبو الحسن، من أعلام المفسرين، أهله من بلخ أنتقل إلي البصرة ودخل بغداد وحدث فيها ومن كتبه (التفسير الكبير) و (متشابه القرآن) و (الناسخ والمنسوخ) و (الوجه والنظائر) ، توفي بالبصرة سنة ١٥٠ هـ ، الأعلام، ج ٨ ، ص ٢٠٦ .

^{٨٨} هو زهير بن ابي سلمى ربيعة بن رياح بن قرّة بن الحارث المزني المضري شاعر جاهلي ولد في بلاد مزينة بنواحي المدينة وكان يقيم في الحاجز من ديار نجد من اثاره ديوان شعر توفي نحو ١٣ ق . هـ انظر الاغانى ٢٨٨/١٠ الاعلام الزركلي ٨٦/٣ مقدمة ديوان زهير بن ابي سلمى المرصفي

^{٨٩} هو وهب بن منبه بن كامل بن سبيح بن ذي كِنَازَ اليماني الصنعاني الدماري، أبو عبد الله روى عن: أبي هريرة، وأبي سعيد، وابن عباس، وابن عمر وعنه روى: ابنه عبد الله وعبد الرحمن، وابنا أخيه عبد الصمد، وعقيل ابنا معقل بن منبه، وسبطه إدريس بن سنان، وعمرو بن دينار، وقال العجلي: تابعي ثقة، وقال أبو

على انه هذه التفسير قد ضاعت ، ولم يصل اليها شئ منها الا عن ابن جرير الطبري^(٩٠) سنة ٣١٠ هـ في تفسيره المشهور الذي يقع في ثلاثين مجلداً ، وقد وصفه ابو حامد الاسفراييني بقوله : لو سافر رجل الى الصين حتى يحصل كتاب تفسير محمد بن جرير الطبري^(٩١) لم يكن ذلك كثيراً

لانه يمتاز في تفسيره بتحرى الدقة في النقل عن الرسول (ص) والصحابه والتابعين . هذا وقد امتاز العصر العباسي بوجود جماعة المعتزلة الذين لم يتقيدوا بالتفسير المأثور و إعتمدون في آرائهم على العقل ، وقد بذلوا جهداً كثيراً ومتواصلاً لارساء مثل هذه القيم العقلية ... ولدحض آراء معارضيهم لتفسير بعض الايات القرانية تفسيراً يتفق مع مبادئهم العقلية ، وفي سبيل مكافحة خصوم هذه الفرقة كان من الضروري ان توسس تعاليمها على اسس دينية من القرآن ، وان ترد من جهة اخرى حجج هؤلاء الخصوم وتضعف من قوتها من القرآن ايضاً بطريق التفسير الماهر واستخدامه في سبيل ذلك ...

ومن اشهر تفاسير المعتزلة تفسير ابي بكر الاصم سنة ٢٤٠ هـ وتفسير ابن جرو الاسدي سنة ٣٨٧ هـ وقد قيل انه قد كتب تفسير البسمله نحو ١٢٠ وجهاً^(٩٢) وغير مناف ان القرآن الكريم من اهم المصادر التاريخية بلا نزاع ، لانه اقدمها واصدقها واوسعها مجالاً ، ولاسيما في الكلام على النبي (ص) فمن القرآن نستطيع ان ننظر الى النبي (ص) من حيث هو نبي أو سياسي أو مشرع ، أو من حيث هو مصلح اجتماعي ، أو من حيث كونه رجلاً عادياً .

زرعة، والنسائي: ثقة. وذكره ابن حبان في «الثقات» ، وكان على قضاء صنعاء . مات سنة ١١٠ هـ تهذيب التهذيب ج ٦ / ٢٠٢

^{٩٠} هو محمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب الطبري ولد سنة ٢٢٤ هـ وهو من اهل امل طبرستان كان شافعيًا ثم اتخذ مذهباً خاصاً به وهو فقيه ومفسر وحافظ توفي سنة ٣١٠ هـ وفيات الاعيان ج ٢ / ٢٣٢

^{٩١} محمد بن جرير الطبري الامام العلم المجتهد عالم عصره ابو جعفر صاحب التصانيف البديعة من طبرستان مولد سنة (٢٢٤ هـ) وطلب العلم بعد الاربعين ومئتين واكثر الترحال ولقي نبلاء الرجال وكان من افراد الدهر علماً وذكاء وكثرة التصانيف سمع من محمد بن عبد الملك ابي الشوارب واستقر في بغداد في اواخر امره كان من كبار ائمة الاجتهاد توفي عشية الاحد ليومين بقيا من شوال سنة (٣١٠ هـ) الفهرست لابن النديم ٣٢٦ تاريخ بغداد ١٦٢/٢ طبقات القراء للذهبي ٢١٢/١ تهذيب الاسماء واللغات ٧٨ شذرات الذهب ٢٦٠/٢

^{٩٢} تاريخ الاسلام في العصر العباسي الاول ج ٢ ص ٢٦٩ تأليف د. حسن عبد الرحمن حسن

وبهذا كله نجد صورة واضحة للنبي (ص) من جميع هذه الوجوه كما نجد فى القرآن مصدراً لتاريخ الامم الاخرى كدولة سبأ فى اليمن (سورة النمل) و (سورة سبأ) .
وتاريخ هود (سورة البقرة) وصراعهم مع الرسول (ص) (سورة الاحزاب) وعلاقتهم بسيدنا موسى (سورة البقرة والنمل والقصص وغيرها) .

٣ / علوم الحديث :-

هو من اهم مصادر التشريع الاسلامى ، وهو ما أثر عن النبي (ص) من قول أو فعل أو تقرير لشيء رآه ، ويأتى فى الاهمية بعد القرآن .

فقد جمع البخارى على ما نعلم نحو ٧٢٥٧ حديثاً بما فيها الاحاديث المكررة فاذا حذفنا المكرر منها اصبح عددها نحو الاربعة آلاف

هذا وقد ظهر من ائمة الحديث فى العصر العباسى اشهرهم على الاطلاق الامام مالك ، والامامان محمد بن اسماعيل البخارى سنة ٢٥٦هـ ومسلم بن الحجاج القشيرى سنة ٢٦١هـ ، صاحبى الصحيحين المشهورين الزائعين فى بلاد الاسلام ، ثم ظهر بعدهما ابو داؤود السجستانى سنة ٢٧٥هـ صاحب السنن ، وابو عيسى محمد الترمذى سنة ٢٧٨هـ صاحب الجامع ، والنسائى سنة ٣٠٣هـ وابن ماجه سنة ٢٧٥هـ صاحبى السنن ، وكلهم ممن الف فى السنن كتاباً نسب اليه ولا تزال كتبهم باقية ، وهى اشهر الكتب الستة ، ولكن اشهرها جميعا صحيحا البخارى ومسلم ، (وهذه الكتب الستة) كما تسمى تحتل المكانة السامية بين مصادر التشريع الاسلامى (٩٣).

٤ / علم الفقه :-

^{٩٣} تاريخ الاسلام السياسى والدينى والثقافى والاجتماعى ٢/ ٢٦٥ وما بعدها

نشأ عن دراسة القرآن الكريم وتعرف معانيها الخاصة الحاجة الى تعلم النحو واللغة ، وتطلب ذلك فهم الشعر الجاهلى الذى أمد الباحثين باحسن ما تمثله اللغة العربية من الادب القديم الخالص .

كما تطلب فهم اللغة العربية دراسة الانساب والتاريخ التى ما لبثت ان اصبحت على مر الزمن علوماً مستقلة ، كذلك عكف المسلمون على تفسير القرآن . وحذا خذوهم فى ذلك بعض التابعين ولم يكن تدوين الحديث شائعاً فى القرن الاول الهجرى . غير ان الناس اقبلوا منذ مستهل القرن الثانى على جمعه وتدوينه . حتى اصبح المحور الذى تدور عليه المحركات العلمية فى الامصار الاسلامية .

على ان اختلاف ائمة الفقه فى فهم بعض النصوص الفقهية واستنباط الاحكام منها قد ادى الى تعدد المذاهب واشتهر من هذه المذاهب اربعة هى : مذهب مالك امام اهل الحجاز وزعيم الفقهاء الذين يأخذون بطريقة اهل الحديث . ومذهب ابى حنيفة امام اهل العراق ، وزعيم الفقهاء الذين يأخذون بطريقة الرأى والقياس ، ومذهب الشافعى وكان يسير اولاً على طريقة اهل الحجاز ثم جعل مذعبه وسطاً بين الطريقتين ، ومذهب احمد بن حنبل وكان من كبارالمحدثين ، واختص هو واصحابه بالمذهب الحنبلى الذى بنى عن الاجتهاد مما ادى الى قلة عدد المتمسكين بمذهبه . ومن ثم ظهرت فى ميدان الفقه مدرستان . مدرسة اهل الحديث فى المدينة وعلى راسها الامام مالك ، الذى كان يأخذ بمبدأ التوسع فى النقل عن السنة ، ومدرسة اهل الرأى فى العراق ، وعلى رأسها الامام ابوحنيفة الذى كان يدين بالرأى .

تعلم ابو حنيفة الفقه فى مدرسة الكوفة واخذ عن عطاء بن ابى رباح ، وهشام بن عروة ونافع بن ابى سليمان الاشعرى . وكان ابو حنيفة يتشدد فى قبول الحديث ويتحرى عنه وعن رجاله فلا يقبل الخبر عن رسول الله (ص) الا اذا رواه جماعة عن جماعة أو اذا اتفق فقهاء الامصار على العمل به .

كذلك من الفقهاء الامام مالك بن انس ولد سنة ٩٣هـ وتوفى سنة ١٧٩هـ . وقضى حياته بالمدينة المنورة وروى انه اخذ قراءة القرآن عن نافع بن ابى نعيم ، واخذ العلم من ربيعة الرأى ، وسمع الحديث من كثير من شيوخ المدينة المنورة كأبن شهاب الزهرى ونافع مولى عبد الله بن عمر وروى عنه الاوزاعى

هذا وقد كان الامام مالك اول من كتب العلوم الدينية فى العصر العباسى الاول . والدليل على ذلك كتابه (الموطأ) اول كتاب ظهر فى الفقه الاسلامى ... ومن كتبه (المدونة) وهى مجموعة رسائل من فقه مالك . جمعها تلميذه اسد بن الفرات النيسابورى وتشتمل نحو ست وثلاثين الف مسألة ، وكان الامام مالك يعتمد على الحديث كثيراً لان بيئته الحجازية كانت تزخر بالعلماء والمحدثين الذين تلغوا الحديث عن الصحابة رضوان الله عليهم وورثوا من السنة ما لم يتح لغيرهم من اهل الامصار الاسلامية الاخرى .

كذلك ومن الائمة الذين ظهوروا فى العصر العباسى الاول ابو عبد الله محمد بن ادريس الشافعى الذى جمع بين مدرستى النقل والعقل بما اوتيته من سعة العقول والقدرة على الابتكار كذلك يعد الامام الشافعى اول من تكلم فى علم اصول الفقه واول من اخذ فى وضع مبادئه .

كان امامنا الشافعى كثير المناقب جم المفاخر منقطع القرين اجتمعت فيه من العلوم بكتاب الله وسنة الرسول (ص) وكلام الصحابة رضى الله عنهم وآثارهم واختلاف الاقاول من العلماء وغير ذلك من معرفة كلام العرب والفقه واللغة العربية والشعر . حتى ان الاصمعى^{٩٤} مع جلالة قدره فى هذا الشأن قرأ عليه اشعار الهذليين ما لم يجتمع فى غيره . حتى قال الامام احمد بن حنبل رضى الله عنه : ما عرفت ناسخ الحديث من منسوخه حتى جالسه الشافعى .

قال عبد الله بن احمد بن حنبل . قلت لابى . جاء رجل كان كالشافعى . فانى سمعتك تكثر من الدعاء له .. فقال يا بنى كان الشافعى كالشمس للدنيا وكالعافية للبدن . هل لحضرين من خلق أو عنهما من عوض ..

ومن هؤلاء الفطاحلة الامام احمد بن حنبل . الذى قال فيه الامام الشافعى حينما خرج من بغداد الى مصر : (خرجت من بغداد وما خلفت بها اتقى ولا افقه من ابن

^{٩٤} هو ابو سعيد عبد الملك بن قريش الاصمعي البصري نسبة الي جده لاصمع احد ائمة اللغة والنحو له مصنفات كثيرة منها كتاب الاضواء والقلب والابدال وغريب القران مات سنة ٢١٥ هـ اشارة التعيين ص ١٩٣ الاعلام ١٦٢/٤ انباه الرواة ١٩٧/٢ تذكرة النحاة ص ١٣

حنبل) الا ان مذهبه قليل الاتباع . وموقفه من مشكله ، خلق القران يدل على قوة عزيمته وشدة تمكنة بالدين .

ومن فقهاء ذلك العصر ابو يوسف^(٩٥) الذى ولد سنة ١١٤ هـ وتوفى سنة ١٨٢ هـ وقد ذكر المترجمون له انه نشأ فقيراً ، وان استاذاه ابا حنيفة كان يمدّه بالمال . وقد تولى ابو يوسف القضاء للمهدى والهادى والرشيد ، وكان فى ايام الرشيد يتقلد منصب قاضى القضاة ..

كذلك الفقيه الليث بن سعد^(٩٦)، ولد ببيلة قلقشندة بمصر واشتهر بالكرم والثراء وقد اطنب العلماء فى الاشادة بعلمه . وروى عن الشافعى انه قال ان الليث افقه من مالك الا ان اصحابه لم يقوموا به ، وقال ابن وهب^(٩٧) ما رأينا احداً قط افقه من الليث ، وكان الشافعى يتأسف على فوات لقائه .. وتوفى الليث سنة ١٥٧ هـ .

٥/ علم الكلام :-

اشتغل بعلم الكلام ويقصد الاقوال التى كانت تصاغ على نمط منطقى أو جدلى ، وعلى الاخص المعتقدات ، كما يسمى المشتغلون بهذا العلم (المتكلمين) . وكان يطلق هذا اللفظ اول الامر على من يشتغلون بالقصائد الدينية ، غير انه اصبح يطلق على من يخالفون المعتزلة ويتبعون اهل السنة والجماعة ... يقول الغزلى (وانما مقصوده حفظ عقيدة اهل السنة وحراستها من تشويش اهل البدعة...)

^{٩٥} هو القاضي أبو يوسف يعقوب الإمام الفقيه العالم الثقة أخذ عن أبي حنيفة و يحيى بن سعيد بن مهدي و سفيان بن عيينه روي عنه الوراق و ابن ابي الدنيا و عبد الله بن حنبل .انظر أخبار ابي حنيفة و أصحابه ص ١٢٢

^{٩٦} هو الليث بن سعد بن عبد الرحمن مولى خالد بن ثابت بن طاعن . ولد بمصر سنة ٩٤ هـ . سمع من عطاء بن ابي رباح و ابن ابي مليكة و ابن شهاب الزهري روى عنه خلق كثيرون منهم عبد الله بن المبارك و ابن وهب و اشهب . و كان عالماً فقيهاً مجتهداً و حافظاً للحديث توفي سنة ١٧٥ هـ . سير اعلام النبلاء ج ٥ / ٣٣٥ انظر تفسير ابن كثير ج ٢ / ٢٣٠

^{٩٧} ابو محمد عبد الله بن وهب بن مسلم القرشي ولد سنة ١٢٥ هـ روى عن كبار العلماء منهم مالك وابن ابي ذئب و ابن جريج و اخرين وروى عنه اصبغ و سحنون و احمد بن صالح و اخرين وهو فقيه ويقال كان اعلم اصحاب مالك بالسنة توفي سنة ١٩٧ هـ الديباج المذهب ج ١ / ١٢٢

هذا ومن اشهر المتكلمين واصل بن عطاء^(٩٨) ، وابو الهذيل العلاف ، والنظام ،
وابو الحسن الاشعري^(٩٩) ، وحجة الاسلام الامام الغزالي ...

٦ / علم النحو :-

نشأ علم النحو فى البصرة ، والكوفة اللتين صارتا من اهم مراكز الثقافة فى القرن
الاول الهجرى . وفيهما وضعت العقائد والفقه ونشأت مدرسة النحويين واللغويين .
وكان يقيم فى هاتين المدينتين جالية تنسب الى قبائل عربية مختلفة ذات لهجات
متعددة ، والآف من الصنائع والموالى الذين يتكلمون الفارسية . ومن ثم تعرضت
العبارات السليمة الى شئ غير قليل من الفساد ، ودعت الضرورة الى تقويم اللسان
العربى حتى لا يتعرض القرآن الكريم الى التحريف .. وكان ابو الاسود الدؤلى اول
من اشتغل بالنحو فى عهد الامويين وقد قيل انه تلقى اصول هذا العلم عن على بن
ابى طالب^(١٠٠) .

وكان ابو الاسود^(١٠١) اول من وضع مدرسة البصرة التى تعتبر اقدم مدرسة بالكوفة
واشهر منها ، حتى سمي نحاة البصرة (اهل المنطق) تميزا لهم عن نحاة الكوفة ،
وكانت مصطلحاتهم النحوية متباينة بعض المتباينة لنظائرها عند الكوفيين وكان بين

^{٩٨} ابو حذيفة واصل بن عطاء الغزال الاثغ ولقب بالغزال لانه كان يلزم الغزالين ليعرف المتعفات من
النساء فيجعل صدقتهن لهن وهو مؤسس فرقة المعتزلة ورئيسها الاول (٨٠-١٣٠هـ) وكان تلميذا للحسن
البصري يقرأ عليه العلوم والاخبار وكان في ايام عبد الملك بن مروان وهشام بن عبد الملك الكامل للمبرد
٢١٩/٣ ، الملل والنحل ص ٤٦

^{٩٩} ابو الحسن (٢٧٠-٣٣٠هـ) علي بن اسماعيل بن اسحق ابو الحسن متكلم مشارك في بعض العلوم
تنسب اليه الطائفة الاشعرية ، رد علي المعتزلة والشيعة والجهمية وله تصانيف كثيرة منها التبيين عن اصول
الدين الرد علي الراوندي في صفات القرآن . ترجمته في سير اعلام النبلاء ٢٠/١٠

^{١٠٠} كتاب الفهرست لابن النديم ص ٦٠-٦١

^{١٠١} ظالم بن عمرو بن جندل بن سفيان من كنانة وهو يعد في الشعراء التابعين والمحدثين والبخلاء
والمفاليج والنحويين لانه اول من عمل في النحو كتابا ويعد في العرج وشهد مع علي بن ابي طالب رضي
الله عنه صفين وولي البصرة لابن عباس ومات بها وقد اسن سنة ٩٩ في طاعون الجارف الشعر والشعراء
بن قتيبة ص ٤٩٢

نحاة البصرة كثير من الشيعة والمعتزلة الذين أفسحوا السبيل للحكمة الاجنبية كي تؤثر في مذاهبهم الكلامية ..

ومن علماء البصرة المبرزين ابو عمرو بن العلاء سنة ١٥٣هـ - (١٠٢) الذي اشتغل بالتفسير ، والخليل بن احمد واضع علم العروض وصاحب كتاب (العين) الذي يعتبر اول معجم وضع في اللغة العربية ، وسيبويه و الفارسي ، والاصمعي وابوعبيدة (١٠٣). وقد تألق نجمهما في عهد هارون الرشيد والمبرد (١٠٤) صاحب كتاب الكامل ، ومن اشهر علماء الكوفة الكسائي (١٠٥) العالم الفارسي الذي عهد اليه هارون الرشيد بنهذيب ابنه الامين والمأمون وتلميذه الفراء (١٠٦) المتوفى سنة ٢٠٧هـ

١٠٢ (٧٠-١٥٤هـ): زيان بن عمار التميمي المازني البصري، ابو عمرو، ويلقب أبوه بالعلاء: من أئمة اللغة والأدب، وأحد القراء السبعة. من الطبقة الرابعة، ولد بمكة، ونشأ بالبرصة، ومات بالكوفة. و في اسمه واسم ابيه خلاف، واعتمدنا هنا على رواية السيوطي في المزهر، لقوله: "وهذا أصح ما قيل في أسماء ابي عمرو". وانظر "المزهر في علوم اللغة وأنواعها"، للسيوطي، ٢ / ٤١٨ ط / دار الجيل، بيروت - لبنان. وانظر: "غاية النهاية" لابن الجوزي، ١ / ٢٨٨-٢٩٢

١٠٣ (١١٠-٢٠٩هـ): معمر بن المثنى بالولاء، البصري، ابو عبيدة النحوي: من أئمة العلم بالأدب واللغة. مولده ووفاته في البصرة. استقدمه هارون الرشيد الى بغداد سنة ١٨٨هـ، وقرأ عليه أشياء من كتبه. قال الجاحظ: لم يكن في الأرض أعلم بجميع العلوم منه. وكان أباضياً، شعوبياً، من حفاظ الحديث. وكان مع سعة علمه، ربما أنشد البيت فلم يقم وزنه، ويخطئ اذا قرأ القرآن نظراً له نحو ٢٠٠ مؤلف، منها "تقائض جرير والفرزدق و مجاز القرآن العقدة والبررة- ومعاني القرآن و اعراب القرآن. انظر الاعلام، ٧ / ٢٧٢ وفيات الأعيان ٥ / ٢٣٥-٢٤٣، ارشاد الاديب لياقوت الحموي، ج/٦، ص ٢٤٠٤-٢٧٠٩،

١٠٤ هو ابو العباس المبرد محمد بن يزيد عبد الاكبر الاسدي البصري اخذ عن المازني والجرمي وقرأ عليهم كتاب سيبويه وللمبرد مؤلفات كثيرة منها الكامل في الادب والمقتضب في النحو وشرح شواهد الكتاب مات سنة ٢٨٦هـ انباء الرواة علي انباء النحاة ج٣/٢٤١ اشارة التعيين ص٣٤٢ الاعلام ٧/١٤٤ بغية الوعاة ١/٢٦٩ تذكرة النحاة ص ٧

١٠٥ هو علي بن حمزة الكسائي الاسدي الكوفي احد القراء السبعة ومن ائمة النحو واللغة ولد بالكوفة وسكن بغداد وتوفي بالري وهو مؤدب الرشيد العباس وابنه الامين مات سنة اثنتين او ثلاثة وقيل سنة تسع وثمانين ومائة هو ومحمد بن الحسن صاحب ابي حنيفة في يوم واحد فقال الرشيد دفن النحو والفقه في يوم واحد اشارة التعيين ص٢١٧ الاعلام ج٤/٢٨٣ انباء الرواة ج٢/٢٥٦ - بغية الوعاة ٢/١٦٢

١٠٦ (١٤٤-٢٠٧هـ): يحيى بن زياد بن عبد الله بن منظور الديلمي أبو زكريا المعروف بالفراء: إمام الكوفيين، وأعلمهم بالنحو واللغة وفنون الأدب. كان يقال: الفراء أمير المؤمنين في النحو، ومن كلام ثعلب: لولا الفراء ما كانت اللغة "لولا الله ثم الفراء". ولد بالكوفة، وانتقل الى بغداد، وعهد اليه المأمون بتربية إبنيه، فكان أكثر مقامة بها.. وتوفي في طريق مكة. وكان مع تقدمه في اللغة فقيهاً متكلماً، عالماً بأيام العرب وأخبارهم، عارفاً بالنجوم

-٨٢٢م والمفضل الضبي (١٠٧) الذي صنف كتابه المفضليات واهداه الى الخليفة المهدي رضى الله وارضاه

٧/ علوم الادب :-

والمنتبع لخبار الامويين يجد ان نزعتهم عربية جاهلية لا تميل الى فلسفة الامور والذي يؤثر فيها مباشرة الشعر الجيد والخطبة البليغة ولذلك فان خلفاؤهم قد انشغلوا بنظم الشعر ، كيزيد بن معاوية حتى انهم قالوا (بدئ الشعر بملك وختم بملك) . يعنون بذلك امرؤ القيس ويزيد بن معاوية ، ومن الشعراء الذين نبغوا في كتابة الشعر في ذلك العصر . جرير (١٠٨) والاخلط (١٠٩) والفرزدق (١١٠)...

والطب، يميل إلى الاعتزال، من كتبه: المقصور والممدود " المعاني " ويسمى " معاني القرآن "، أملاه في مجالس عامة كان في جملة من يحضرها نحو ثمانين قاضياً، "المذكر والمؤنث-ط" . . الخ. واشتهر بالفراء، ولم يعمل في صناعة الفراء، الأعلام"، للزركلي، ج٨، ص ١٤٥-١٤٦ .

١٠٧ (ت ٢٦٧ هـ) المفضل بن محمد بن يعلي بن عامر الضبي، أبو العباس راوية علامة بالشعر والأدب وأيام العرب. من أهل الكوفة. قال عبد الواحد اللغوي: هو أوثق من روى الشعر من الكوفيين. يقال: إنه خرج على المنصور العباسي، فظفر به وعفا عنه. ولزم المهدي، وصنف له كتابه "المفضليات وسماه الاختيارات. ومن كتبه: الأمثال ،معاني الشعر، الألفاظ، الاغراض، والفروض. انظر: انباه الرواة على أنباه النحاة ٣/ ٢٩٨

١٠٨ جرير (٦٤٠-٧٢٨م) شاعر زمانه ابو حرزة جرير بن عطية بن الخطفي التميمي البصري ولد ومات باليمامة مدح يزيد بن معاوية وخلفاء بني امية اتصل بولاة العراق وصار شاعرالحجاج الذي وصله بالخليفة عبدةالملك بن مروان هاج باليمامة غسان السليطي فاعنته البعيت المجاشعي فهجا جريرمجاشع رهط الفرزدق فاشتبكا في هجاء ونقائض طوال حياتهما ودخل بينهما شعراء كثيرون لم يصمد منهم الا الاخلط ويعد الشعراء الثلاثة امراء الشعرا لامي وامتاز جرير بينهم بالهجاء لما يعمد اليه من سخرية مضحكة وصور فكهة والقاب غريبة واقذاع وبالعزل والثناء لرقة الفاظه وحلاوة انغامه وصدق مشاعره فكان اشيعهما شعرا واقربهما الي قلوب الجماهيرديوانه ونقائضه مع الفرزدق ومع الاخلط مطبوعة .انظر طبقات بن سلام ١/ ٣٧٤ الاغاني ٨/ ٣٨ خزانة الادب ١/ ٣٦ النجوم الزاهرة ١/ ٢٦٩ .

١٠٩ الاخلط (١٩-٩٠ هـ) غياث بن غوث بن الصلت بن طارقة بن عمرو التغلبي الملقب بالاخلط ابو مالك شاعر نشا علي المسيحية في اطراف الحيرة بالعراق وكانت اقامته طورا في دمشق مقر الخلفاء من بني امية وحينما بالجزيرة حيث قيم بنو تغلب واكثرمدح املوك وامراء بني امية ودعا اليهم وهجا خصومهم وتهاجي مع جرير والفرزدق وتناقل الرواة شعره من اثاره ديوان شعر . انظر تاريخ دمشق لابن عساكر ١٤/ ٧٣ الاغاني ٨/ ٢٨٠ الموشح للمزباني ١٣٢ طبقات الشعراء ابن سلام ١٠٧

١١٠ الفرزدق (.... ١١٠ هـ) همام بن غالب بن صعصعة بن ناجية ابن عقال بن محمد بن سفيان بن مجاشع بن دارم التميم المعروف بالفرزدق ابو فراس شاعر من اهل البصرة عظيم الاثر في اللغة والخبار كان شريفا في قومه عزيز الجانب وكان لا ينشد بين يدي الخلفاء والامراء الا قاعدا واراد سليمان بن عبد

اما عن موقف الادب فى العصر العباسى فقد ظهر كثير من الشعراء نهجوا بالشعر
مناهج جديدة فى كل من موضوعاته من معانى واساليب ، حتى فاقوا من سبقهم من
الشعراء الاسلاميين والمخضرمين والجاهليين ، أشهر هؤلاء الشعراء ابو نواس ، وهو
ممن أذاع القول فى الخمر والغزل والصيد .. وغير ذلك من اغراض الشعر ...
وسخر زعيم العصر من ذكر الاطلال فى شعره خاصة فى مطلع قصائده ويؤكد
صحة هذا القول .. قول ابو نواس :-

دع الاطلال تسفيها الجنوب وتبلى عهد جدتها الخطوب
وخل لراكب الوجناء ارضاً تخب بها النجبية و النجيب
بلاد نبتها عشر و طلح واكثر صيدها ضبع و ذيب
ولا تأخذ عن الاعراب لهوا و لا عيشا فعيشهم جديب
دع الالبان يشربها رجال رقيق العيش بينهم غريب (١١)

ومنهم هؤلاء الشعراء ابوتمام الطائي (١١٢) الاكبر المشهور بنزعتة العقلية والفلسفية
فى الشعر ، كذلك تلميذه ابو عبادة البحتري (١١٣) صاحب الاوصاف البديعة
والمدائح الخالدة . ومنهم كذلك ابن الرومى المعروف بطول نفسه وغزارة شعره
وغوصه على نادر المعانى وعجيب المتصورات ، وكذلك ابو العتاهية الذى يرع فى

الملك ان يقيمه فثارت طائفة من بني تميم فاذن له بالجلوس وتوفي في البصرة وقد قارب المئة من اثاره
ديوان شعر .انظر طبقات الشعراء لابن سلام ص ٧٥ الاغاني ٣٢٤/٩ وفيات الاعيان ٢٥٩/٢ الاعلام لزركلي
٩٦/٩

١١١ الديوان ص ٨٨

١١٢ شاعر العصر ابو تمام حبيب بن اوس بن الحارث بن قيس الطائي من حوران من قرية جاسم اسلم وكان
نصرانيا وكان اسمر طويلا ولد في ايام الرشيد وقدمه المعتصم علي الشعراء وكان البحتري يقدمه علي نفسه
مات في جمادي الاولى سنة (٢٣٢هـ) بسامراء وله كتاب فحول الشعراء والى فى الحماسة وقيل كان يحفظ
اربعة عشر الف ارجوزة للعرب طبقات الشعراء ٢٨٣ تاريخ الطبري ١٢٤/٩ الاغاني ٣٨٣/١٦ خزنة الادب
١٧٢/١ شذرات الذهب ٧٢/٢

١١٣ البحتري (٢٠٦-٢٨٤هـ) الوليد بن عبيد بن يحيى بن عبيد الطائي البحتري ابو عبادة اديب وشاعر فصيح
بليغ وخرج الي العراق فمدح جعفرا المتوكل علي الله وخلقاً من الاكابر والرؤساء واقام ببغداد دهرا طويلا
ثم عاد الي منبج وتوفي بها من اثاره ديوان شعر في مجلدين عاش نيفا وسبعين سنة وله حماسة ك(حماسة)
ابي تمام وكتاب معاني الشعر مات بمنبج او حلب سنة (٢٨٤هـ) الاغاني ٣٩/٢١ تاريخ بغداد ٤٧٦/١٣
معجم الادباء ٢٤٨/٩

فنون الشعر ، بالغزل الرقيق وعلى وجه الخصوص فى عتبة جارية المهدى التى قال فيها:

يا عتب مال ولك يا ليتنى لم ارك
مليكتى فانتهى ماشئت ان تنتهى
ابيت ليلى ساهراً ارعى نجوم الفلك
مفترشاً جمر الغضى ملتحفاً بالحسك^(١١٤)

كذلك يقول ابو العتاهية فى الحكم والموعظة :

ان اخاك الصدق من كان معك ومن يضر نفسه لينفعك
ومن اذا ريب الزمان صدعك شئت نفسه كى يجمعك

هكذا كان العصر العباسى الاول وهكذا نظم الشعراء فى كل الاغراض .

و مما تقدم يتضح ان العوامل التى ساعدت على ازدهار الادب فى العصر
وهى :-

١. اختلاف صور الحياة وقيم الاشياء فى الدولة العباسية عن نظائرها فى الحياة الجاهلية .
٢. تطور الحياة المادية التى كانت فى ايام الجاهلية تقوم على السذاجة وذلك بسبب تعدد اعمال الناس وزيادة تجارتهم فى العصر العباسى.
٣. انتشار الشعوبية التى قامت على حط شأن العرب ونقد اشعارهم ومعانيهم
٤. اثر الثقافة الاجنبية والفارسية خاصة فى الشعر وفى الحياة العباسية .
٥. تشجيع الخلفاء والامراء وكبار رجال الدولة للشعراء طوال ايام العباسيين .

^{١١٤} يعنى حسك السعدان ، الحسك ايضاً ما يعمل من الحديد على مثاله وهو فى الات العسكر

السمات العامة للحركة الادبية في العصر العباسي الاول

كانت الخلافة زعامة دينية دنيوية ، ثم أخذت مع الايام تتحول الى زعامة دينية مستضعفة ، والأدب الذى ينسب الى العباسيين هو أدب العباسيين فى بغداد ، والبهيين فى فارس ، والحرانيين فى الشام والفاطميين فى مصر والمغرب .

هذا ومن اهم مراكز الادب العباسى بغداد ، والبصرة ، والكوفة وحلب ..

اما نزعتة : نزع الادب الى ان يكون مرآة تتجلى فيها البيئة الجديدة . ثم ان لهذا الادب اغراض وفنون شتى ظهرت فى شعر شعراء هذا العصر الذى يتقدمه بشار ابن برد الذى كان صلة بين عهدين ، القديم والجديد .. وكان بشار شاعرا اعمى مكفوف اتصل بحلقات الادب والفقهاء ، وتطرف فى حياته العابثة وفى آرائه ، فطرد من البصرة ، فقصد حران والعراث ومدح يزيد بن عمر بن هبيرة .. ثم عاد مرة اخرى الى البصرة فنفى ثانية فتشرد الى ان مات مناوئوه فعاد الى البصرة .

ومنها كان يتردد الى بغداد ، ومدح الخليفة المهدى فوصله ، ثم عاد فقضت عله بسبب خبث لسانه ، وغضب عليه الوزير يعقوب بن داود فاغري المهدى فقتله ، فقتل بشار بن برد وسقطت قيثاره الشعر من يده ولبت الروح نداء ربها .

أهم الاغراض فى هذا العصر :

نجد ان الشعر السياسى والحماسى قد ضعف الى حد بعيد ، وأهمل الغزل العذرى ، وظهر الشعر الفلسفى والصوفى والتعليمى والقصصى والتهكمى ، والرسائلى ، واستقل الزهدى والخمرى والطردى وقوى المدحى والرتائى والهجائى ، وازداد الشعر الحكيم عمقا ، والغزلى فسادا ، ومال الشعر الوصفى الى ذكر المدينة الجديدة .

اما أساليبه وصياغته :

فى هذا العصر العباسى مال الشعراء الى الابتداءات الجديدة وحرصوا على التناسب والترابط بين اجزاء القصيدة ، ومراعاة الترتيب فى التركيب ، واختيار الأوزان الخفيفة ، واعتماد العذوبة والوضوح كما انهم التزموا المحسنات البانية والبديعية .

أقسامه :

ينقسم الادب العباسى الى :

١. ادب الثورة التجديدية : من ابرز شخصيات هذا الطور بشار بن برد ..
الحسن بن هانىء المشهور بابى نواس ، وابو العتاهية ، وابن المقفع ..
٢. ادب الحركة المعاكسة : ابرز شخصياته هم أبو تمام والبحتري ، وابن الرومى والجاحظ .
٣. ادب الاستقرار والتبرج نحو الصنعة والزخرف : ابرز شخصيات هذا الطور الثالث هم أبو الطيب المتنبى وابو العلاء المعرى ، والشريف الرضى .
ولما كان العهد العباسى على ما عهدنا فيه من حريات وترف ، وانتشار الحانات ودور اللهو ، غرق الناس فى حب الخمر وكثر الجدل فى حلالها وحرامها الا ان بعض الشعراء قد اجازوا لانفسهم معاقبتها من غير قيد أو شرط بل راعوا يجهرن بولعهم بها ، ومع الخمر والجوارى ذاع الغناء ، وملأت اصداؤه الدور والقصور ، واضيف الى ذلك حب الغلمان والتغزل بهم غزلا مكشوفاً .
ولقد ترك ذلك الادب اثرا بليغا ، فكثرت عشاق الخمر وكثرت شعراؤها .
كان زعيم هذه الحركة فى هذا العصر وشاعرها المجلى واميرها الذى سبق المتقدمين والمتأخرين أبو نواس .

التجديد والحدأة فى الادب العباسى :-

ساهمت التغيرات السياسية والاجتماعية والثقافية فى نقل الادب والنقد الى مرحلة لا يمكن التراجع عنها وخاصة فى العهد الاول للدولة العباسية الاولى بالتحديد ، وقد ساهمت الثقافة بجانب تلك المتغيرات فى دورا بارزا وخاصة الثقافة الاجنبية واصبح الكثير من النقاد يميل الى التحليل الفلسفى والموضوعى والواقعى .
مثل أبو نواس وبشار ، فبشار يعيب غلظة التصوير فى قول كثير من الشعراء ويرفض ذلك لانه يخل بالابداع واعطاء الصورة المرسومة مباشرة ومثال لذلك عن نقده :

ألا انما ليلي عصا خيزرانة اذا لمسوها بالاكف تلين

وقال فى ذلك : والله لو جعلها عصا مخ أو زيد لقد كان جعلها جافة خشنة بعد ان جعلها عصا الا قال كما قلت :

ودعجاء المحاجر من معد كأن حديثها من ثمر الجنان

اذا قامت لمشييتها كأن عظامها من خيزران

وهذه سمة من السمات المتعددة للفترة العباسية .

هذا النقد الذى قدمه بشار يشير الى رؤيته وثقافته ونظرته الى المرأة بصورة عامة ، علما بان بشار هو فارسى الاصل وبالتالى يكشف فى هذا النقد مزاجه الفارسى الرقيق الذى يرى ان يتلطف الشاعر فى تصويره للمرأة حتى يستهويها برقة حاشيته (١١٥) .

ومن هذا المنطق يمكن القول بان هناك تجديداً وحادثةً قد حدثت فى الشعر العربى اثر تطور نقدى كان نتاج الى الاتى :

- التاثر بالماضى قبل وبعد الاسلام وخاصة العهد الاموى
- ظهور التأليف والتدوين والنسخ للكتب النقدية
- التأثر بعلم الفلسفة والمنطق من الثقافات الاجنبية
- ويروى الجاحظ (أنعمرو بن لجأ قال لبعض الشعراء ، انا أشعر منك ! قال : وبم ذلك ؟ قال : لانى أقول البيت واخاه ، وانت تقول البيت وابن عمه(١١٦) .
- خلاصة ذلك القول ان الشعر فى العصر العباسى الاول قد تعدد اغراضه وتباينت اساليبه وطرقه ونقده وانعكس ذلك على افكار الادباء والنقاد والشعراء .
- وخاصة الذى اصبح يأخذ الملامح الاتية :

- رفض التقليد والاعتماد على الطبع فى صنعه
- ظهور الفلسفة والتفلسف والمنطق
- عكس الروح والاخلاق . ومثال ذلك يقول أوس بن حجر :
- أيتها النفس أجملى جزعا ان الذى تكرهين قد وقعا (١١٧)

^{١١٥} د. شوقي ضيف - النقد - دار المعارف - القاهرة - ١٩٦٤ - ص ٣٥

^{١١٦} الجاحظ - البيان والتبيان - الجزء الاول - بيروت - د ت - ص ٢٠٦

وهذا القول ايضا يندمج مع الملمح الاول ككل شاعر يصبغ طبعه على اقوله . فشاعرنا يصبغ على الخمر ، وأوس قوله يتناسب مع طبعه ، وهكذا دواليك .

حيث اشار شاعرنا الى ضرورة الطبع لا التقليد ونادى باستبدال وصف الاطلال بوصف الخمر ، وقد طبق دعوته هذه على الكثير من قصائده ، ولكن عيب عليه هذا الاستبدال الذى لم يضيف جديدا يذكر ، وتعتبر دعوته هذه اذا قام بتطبيقها دون اللجوء الى الاستبدال لكان يعد من كبار النقاد (١١٨) .

عليه فان النسق الفكرى لدى الشاعر لم يكن فى الاساس موجودا بالشكل الذى يظهر فى القصيدة ، وان بناء القصيدة لديه مبنى على اللحظة التى يعيشها أو الحافز الذى يظهر له مباشرة ، فالشاعر فى نسقه الفكرى قد وجهه الى وصف وتعريف الحمر والسلوكيات التى تدثها لدى الفرد ، وبالتالي فهو وصفها كالمعشوقة وكالغلام وكالمجتمع .

وما يؤكد ذلك فانه وصفة الخمر بالنسب الكريم فقال :

سليلة كرم لم يفض ختامها ولم يلتذعها فى بطون المراحل
بكر عليها صيفها وشتاؤها ويأتى عليها قابل بعد قابل

وايضا يصفها بالفتاة البكر ص ٩١ قائلا :

يا خاطب القهوة الصهباء يمهرا بالرطل يأخذ منها ملاء ذهباً
قصرت بالراح فاحذر ان تسمعها فيحلف الكرم ان لا يحمل الغنبا (١١٩)

لا يظهر النسق الفكرى فى كون الشاعر ومن خلال صياغته لاشعاره ان يؤيد أو يرفض أو يعارض الافكار المطروحة فى الساحة بل كان معروفاً من صغاليك العرب . وما يجدر ذكره فى هذا الشأن ان التمدد الحضارى للمسلمين قد وصل ذروته من خلال ذلك التلاحق الذى تم بين الحضارة الاسلامية والحضارات الاخرى

^{١١٧} محمد حسن عبد الله - مقدمة فى النقد الأدبي - دار البحوث العلمية - الكويت - ص ٣٧٥-٤٧٣ :

بتصرف

^{١١٨} محمد غنيمي هلال - النقد الادبي الحديث - دار الثقافة - بيروت - ١٩٧٥ - ص ١٥٩

^{١١٩} ديوان ابي نواس صفحة ١٨٥

اليونانية والفارسية وخاصة الاخيرة . الا ان الشاعر لم يتأثر بتلك التداخلات بالشكل الذى يؤثر فى سلوكه الشعرى بالرغم من انه شاعر ومفطور .

ويعترض الباحث على ان الشاعر يؤمن بالشعبوية وذلك من خلال دراسته لديوانه حيث لم يعثر على مقاطع شعرية كاملة تؤكد ضرورة التحام الشعوب العربية أو حتى المسلمة مع بعضها البعض لتشكيل فكريا ايدولوجيا يقوى من عزيمتها . هذا من جانب ومن جانب آخر لم يفخر الشاعر بقبيلته أو حتى عشيرته لكونها متميزة ، فضلا عن ذلك لا وجود اجتماعى للشاعر لكونه من دعاة الشعبوية . ولكن لا يمنع ذلك من ان الشاعر تفاخر لاصله العربى لا القبلى العشائري ، كما ان نمط حياته الذى يسير كان فى معظمه موجها نحو الخمریات واغراض الشعر الاخرى المعروفة والسائدة .

ومن زاوية اخرى ان اثر الدين فى اشعار الشاعر موجودة ولكن ليس بالشكل الذى يجعله مصنفا بانه من فقهاء وعلماء الدين بل ان معرفته بالدين عادية جدا . وحتى ان التأثير الدينى فى قصائده تم استخدامه فى مواقع كان ينبغى الا تستخدم فيها ، ونخلص من ذلك بالآتى :

لم يؤمن الشاعر بضرورة الدين فى الحياة ادى الى تقديم المادى على المثال وذلك لاعتقاده ان النموذج المثالى يودى الى تحليل الافكار بشكل داخلى ومحصور ومعزول عن نشاطات الحياة الاجتماعية عند الناس عند تناوله للخمر يحاول دوما ان يجعل ملامح سلوكها ويجعل الهدف من شربها حافزا نحو الانطواء الذاتى والتعري الوجداني الذى يفصل الفرد عن واقعه الحقيقى ونسيان متاعبه ، وبالتالي الاستمرارية فى الشرب .

الخمر تخاطب الفرد من خلال عقله الباطن مع تغييب تام لعقله الظاهري وبالتالي فان اللذة فى الشراب ، وان الناس مطبوعون على السعي وراء المنفعة يعملون لادراكها بمختلف الوسائل .

كل ذلك لا يمنع من التأكيد على ان الشاعر يغطى ثلاثة جوانب اساسية ،
الاول: ان لفظه رشيقا عذبا ، وفخما سهلا ، ذا معنى ظاهرا مكشوف ، وقريبا معروفا

، و ثانيها انه يرفض التكلفة فى الصياغة والصتعة ، واخيرا تحول الفاظه وصياغته الى براعة خلق الابداع .

ولو كان الشاعر مهتما بالفلسفة والمنطق لتغيرت تصوراته ووجهان نظره ليس فقط على صعيد افكاره بل حتى على مهمة الشعر المعرفية المتصلة بالقوة النفسانية المبدعة الى جانب الاستفادة القصوى من النظرات أو الآراء النقدية التى كانت ثمرة الاتصال بالفلسفة والمنطق .

وما يمكن ان نقوله فى هذا الصدد ان العباسيين قد برعوا فى نظم الشعر وذلك لاعتمادهم على الاجانب وعلى وجه الخصوص (الفرس) الذين كانوا اكثر اناقة وابداعاً من غيرهم فى ذلك العصر .
وفى الادب حكم وعبر كثيرة ، ومنها ما قاله ابو تمام فى مدح الخليفة المعتصم بالله على اثر انتصاره فى عمورية :

فتح الفتوح تعالى ان يحيط به نظم من الشعر أو نثر من الخطب
فتح تفتح ابواب السماء له وتبرز الارض فى اثوابها القشب
يا يوم وقعة عمورية انصرفت عنك المنى حفلاً معسولة الحلب

فانها صورة معبرة عن عظمة هذا الممدوح وما يؤكد لنا ذلك قوله:
تفتحت ابواب السماء لهذا الخليفة والارض قد تزينت باثوابها القشب تعبيراً رائعاً ويا
له من تعبير

ب/ النثر :-

مثل هذا الفن طائفة من الادباء نخص بالذكر منهم عبد الله بن المقفع الذى يرجع اليه الفضل فى نقل كثير من الكتب عن (الفهلوية) وهى الفارسية القديمة ومنا كتاب كليلية ودمنة الذى يعد من اقدم كتب النثر فى الادب العربى كما يعد مثلاً أعلى فى سلامة الاسلوب وسلاسة العبارة .

منهم كذلك الاديب عبد الحميد الكاتب الذى يعتبر شيخ صناعة الكتابة والذى قيل فيه : (١٢٠) (بدأت الكتابة بعبد الحميد) (١٢١). ومنهم ابن قتيبة (١٢٢) الذى ينسب

١٢٠ جواهر الادب فى ادبيات وانشاء لغة العرب - ط/٣٠ تأليف احمد الهاشمى ص ٢٧٢

الى مدينة (مرو) حاضرة خراسان وقد تقلد وقتذاك القضاء فى مدينة (دينور) ومنه كتبه المعروفة (كتاب المعارف) وكتاب الشعر والشعراء الذى نادى فيه بالتجديد وانحى على كل قديم ، وكتاب (ادب الكاتب) وكتاب (عيون الاخبار)^(١٢٣) .

الذى قسمه الى عشرة كتب . كتاب الحرب ، وكتاب السؤدد ، وكتاب الطبائع والخلق المذمومة ، وكتاب العلم والبيان ، وكتاب الزاهد ، وكتاب الاخوان ، وكتاب الحوائج ، وكتاب الطعام ، وكتاب النساء .

كذلك عمرو بن بحر الجاحظ البصرى الذى عرف بحرية الفكر والميل الى عقائد المعتزلة حتى نشأت فرقة تحمل اسمه (الجاحظية) .

ومن كتبه المشهورة على الاطلاق . كتاب الحيوان ، وكتاب البيان والتبيين (.

ثم لا بد من اشارة واضحة الى حركة العلوم العقلية فى تلك الفترة ونقصد بها علوم الترجمة ، ومعاهد الدرس والثقافة ، والتأريخ والجغرافيا وعلوم النجوم والرياضيات والكيمياء والطب....

ولمزيد من تسليط الضوء فى هذه النواحي المختلفة كان لزاماً على وانا اتناول هذا العصر العباسى الاول بشئ من التفصيل كان لا بد من وقفة متأنية فى هذه العلوم وهذه الحركة العقلية .

^{١٢١} هو أبو غالب عبد الحميد بن يحيى بن سعد ، وكان جده سعد مولى للعلاء بن وهب العامري وكان يعرف بعبد الحميد الأكبر . وهو هذا الكاتب المشهور . ولد سنة ٦٠ هـ في مدينة الأنبار ثم انتقل به أهله إلى الرقة ، وكانت نشأته في الشام كان مولداً فارسياً . وتكسب عبد الحميد في أول الأمر بتعليم الصبيان ، ثم تعلم صناعة الكتابة علي خنته أبي العلاء سالم بن عبد الله مولى هشام بن عبد الملك . فلما انتقلت الخلافة إلى مروان بن محمد في أوائل ١٢٧ هـ انتقل معه من أرمينية إلى دمشق ، وأصبح الكاتب الأول ، و رئيس ديوان الإنشاء في الخلافة الأموية الفهرست ١١٧ العقد الفريد ٢١٩/٤

^{١٢٢} عبد الله بن مسلم بن قتيبة الدينوري (ابو محمد) (٢١٣ هـ - ٢٦٧ هـ) عالم مشارك في انواع العلوم كاللغة والنحو و غريب القران ومعانيه وغريب الحديث والشعر والفقه والشعر والاخبار وايام الناس وغير ذلك سكن بغداد وحدث بها وولي قضاء دينور من تصانيفه الكثيرة غريب القران ادب الكاتب عيون الاخبار طبقات الشعراء المعارف وجامع الفقه (مظر الذهبي سير اعلام النبلاء ٩/ ٦٨ بغية الوعاة للسيوطي ٢٩١ انباه الرواة للقفطي ٢/ ١٣٤-١٤٧ النجوم الزاهرة ابن تغري بردي

^{١٢٣} طبعة دار الكتب المصرية فى اربه مجلدات

الترجمة:-

جاءت الدولة العباسية على انقاض الدولة الاموية ومن المعروف ان العباسيين قد استعانوا بالفرس هنا نشأ اختلاط بين العنصرين العربى والفارسى كذلك فان ميول الخلفاء العباسيين كانت واضحة الى معرفة علوم الفرس واليونان .

فعنى ابو جعفر المنصور بترجمة الكتب ونقل له حنين بن اسحاق بعض كتب فى الطب . كما نقل ابن المقفع كتاب كليله ودمنة من الفهلوية - الفارسية القديمة - وكتاب اقليدس فى الهندسة الى العربية ، واشتهر فى الترجمة غير ابن المقفع كثيرون كآل نوبخت ، والحسين بن سهل الذى استوزره المأمون .

لتزداد العناية العباسية بهذه الترجمة فى عهد هارون الرشيد بعد ان دانت بعض المدن الرومية الكبرى ... فامر بترجمة ما عثر عليه المسلمون من كتب اليونان ، وكان للبرامكة كبير الاثر فى نشاط حركة الترجمة وذلك بتشجيعهم للمترجمين وادرار الارزاق عليهم ...

وفى عهد الخليفة المأمون قويت حركة النقل والترجمة من اللغات الاجنبية وخاصة من اليونانية والفارسية الى العربية . لنجده يهتم بارسال البعث الى القسطنطينية لاحضار المصنفات الفريدة فى الفلسفة والهندسة والموسيقى والطب .

كذلك فان لابناء موسى بن شاكر المنجم الذين انفقوا الاموال الضخمة فى الحصول على كتب الرياضيات وكانت لهم اثار قيمة فى الهندسة والموسيقى . هذا وقد لاح نجم احد الجهابذة الرياضيين محمد بن موسى الخوارزمى الذى يعد اول من درس الجبر دراسة منظمة وجعله علماً منفصلاً عن الحساب .

وما نذكره هنا ان حركة النقل والترجمة فى عهد المامون العباسى قد اشتغل بها كثير من المسلمين وعملوا على تفسيرها والتعليق عليها واصلاح اغلاطها . نخص منهم بالذكر يعقوب بن اسحق الكندى الذى نبغ فى الطب والفلسفة وعلم الحساب والمنطق والهندسة وعلم النجوم وقد حدا فى تأليفه حذو ارسطو وترجم كثيراً من كتب الفلسفة وشرح غوامضها....

ومجمل القول بان الذين تزعموا هذه الخاصية في هذا العصر من صدر الاسلام هم اربعة اولهم يعقوب بن اسحق الكندي، وثابت بن قرّة الحرّني (١٢٤) ، وعمر بن الفرّخان الطبري ، وحنين بن اسحق (١٢٥) .. وان العباسيين قد ترجموا ما وصل اليه اليونان والفرس وغيرهم من العلوم كالفلسفة والطب والنجوم والرياضيات والموسيقى والمنطق والفلك والجغرافيا والتاريخ والحكم والاداب والسير وقد ذكر ابن النديم (١٢٦) (ان بنى المنجم كانوا يرزقون جماعة النقلة ، ومنهم حنين بن اسحق وحبيش بن الحسن وثابت بن قرّة وغيرهم كثير في الشهر نحو خمسمائة دينار للنقل والملازمة) (١٢٧).

٢/ معاهد العلم والثقافة في العصر العباسي الاول :

المساجد هو الوعاء الجامع وقد تنوعت العلوم التي كانت تدرس في العصر العباسي حتى ان كثيراً من هذه المساجد اصبحت مراكز هامة للتحركات العلمية .. والمثال لهذه المساجد هو مسجد البصرة . الذي كان فيه حلقة قوم لاهل الجدل يتصايحون في المقالات ، وبجانبيهم حلقة للشعر والادب وكان حضور هذه الحلقات

^{١٢٤} ثابت بن قرّة الصابئي الحراني (٢٢١ - ٢٨٨ هـ) فيلسوف عصره كان صيرفيا صحب ابن شاکر فبرع في علم الاوائل وصار منجما للمعتضد وتصانيفه فائقة ومن تلامذته عيسى بن اسيد النصراني المشهور وكان ابنه ابراهيم راس الاطباء وكذلك حفيده ثابت بن سنان الطبيب صاحب التاريخ المشهور مات سنة (٢٨٨هـ) عيون الانتباء في طبقات الاطباء ٢٩٥ (ط. بيروت ١٩٦٥ م ، تحقيق د. نزار رضا) وفيات الاعيان ٣١٣/١ البداية والنهاية ٨٥/١١ شذرات الذهب ١٩٦/٢

^{١٢٥} العبادي النصراني (٨١٠-٨٧٦م) طبيب ومترجم ينسب الي الصابئة نسطوري تتلمذ علي يد ويحنا بن ماسوية وترجم عن اليونانية الي السريانية والعربية اتصل بالخليفة المتوكل وخدمه بالطب رحل الي الروم وفارس ليحصل علي العلم والحكمة تكونت منه ومن ابنه اسحق بن حنين واب اخته حبيش الاعسم مدرسة للترجمة لخص حنين كتب بقراط وجالينوس الف في الطب كتب كثيرة وترجم في الفلسفة كتاب تيماسوس والقوانين لافلوطن والمقولات والطبيعات والاخلاق الكبرى والمعادن ترجم شروحي تاسطيوس علي الكتاب الثلاثين من (ما بعد الطبيعة لارسطو كما ترجم الانجيل الي العربية و كتاب اقليدس وله تصانيف عدة مات في صفر سنة (٢٦٠هـ) الفهرست لان النديم ٣٥٢ طبقات الطباء لابن ابي اصبيعة ٨٤/١ وفيات الاعيان ٢١٧/٢ العبر ٢٠/٢

^{١٢٦} محمد بن اسحاق بن محمد النديم الوراق (..... ٣٤٨ هـ) البغدادي ابو الفرج عالم اديب مشارك في انواع من العلوم من تصانيفه الفهرست والتشبيهات ياقوت كعجم الادباء ١٧/١٨ الزركلي الاعلام ٢٥٣/٦

^{١٢٧} كتاب الفهرست ص ٣٤٠

شعوب وديانات مختلفة حتى امتزج بعضها ببعض حتى من اعتنق هذا الدين من غير العرب كان يرى لازماً عليه ان يتعلم العربية وآدابها حتى يتيسر له قراءة القرآن ودراسته ، وبذلك يجمع بين ثقافته القومية والثقافة العربية .

ايام الدولة العباسية وعندما نشطت حركة التأليف والترجمة كان طبيعياً ان تظهر صناعة الورق وكثرت المكتبات حتى صارت فيما بعد اهم مراكز الثقافة الاسلامية^(١٢٨)

ومن اعم المعالم للدولة العباسية (بيت الحكمة) الذى يرجح ان الرشيد هو الذى وضع اساسه ، ليعمل المأمون من بعده بمدة بمختلف الكتب والمصنفات من اكبر خزائن الكتب فى العصر العباسى ، وقد ظلت هذه الخزنة قائمة حتى استولى المغول على بغداد سنة ٦٥٦هـ وكانت تحوى هذه الخزنة على كل الكتب فى مختلف العلوم التى اشتغل بها العرب ...

هذا ومن اهم معاهد الثقافة - الزاوية ، والرباط ، والكتاب والمدرسة ، وديوان الانشاء والمارستان . كما اصبحت بعض المدن مراكز للدراسات على اختلافها وبهذا المنطق فان معاهد الدرس والثقافة قد اسهمت اسهاماً كبيراً فى خرج هذه الحضارات المختلفة حتى اعتقد وظن كثير من غير العرب ضرورة التسلح بالثقافة العربية اضافة الى ثقافتهم ...

كتابة التاريخ :-

تأثرت كتابة التاريخ فى صدر الاسلام بحياة الرسول (ص) ولذلك فأن المؤرخين اتخذوا من الحديث مادة لما روئوه ، ومن ثم ظهرت كتب السير والمغازى . ومن اهم المصادر السيرة النبوية لابن هشام^(١٢٩) المتوفى بمصر سنة ٢١٨هـ ولكن سيرة الرسول (ص) التى كتبها بن هشام يؤخذ عليها الاختصار فى مواضع أطال فيها ابن اسحق والعكس صحيح ومن كتب ابن هشام - أنساب حمير وملوكها ..

^{١٢٨} تاريخ الاسلام السياسى والدينى والثقافى والاجتماعى حسن ابراهيم حسن ٢٨٤/٢

^{١٢٩} (... - ٢١٣هـ): عبد الملك بن هشام بن أيوب الحميري المعافري، أبو محمد جمال الدين، مؤرخ، عالماً بالأنساب واللغة وأخبار العرب. ولد ونشأ في البصرة، وتوفي بمصر. أشهر كتبه "السيرة النبوية - ط" المعروف

ومن اهم المصادر التاريخية مصادر التاريخ النبوى ، وهى القرآن الكريم ، والاحاديث النبوية والشعر الذى أثر عن العصر النبوى مثل شعر حسان بن ثابت^(١٣٠) الذى نظم القصائد الكثيرة فى مدح الرسول (ص) وهجاء أعدائه ...

علوم الجغرافيا :-

اتسع نطاق التجارة فى العصر العباسى الاول وذلك لانتساع مدينة بغداد حاضرة العباسيين براً وبحراً بالبلدان القاصية ، كذلك لتعبيد الطرق وجعلها آمنة ... اثر كبير فى تسهيل الاسفار وتمهيد السبل أمام الكاشفين والرحالين .. لذلك فأن رحلات المسلمين وصلت فى عهد هارون الرشيد الى الهند وسيلان وشبه جزيرة مالقة والصين .. ويقال انهم وصلوا بحراً الى كوبا .. ولكن هذه الثورة الجغرافية العظيمة لم تظهر ظهوراً جلياً الا فى العصر العباسى الثانى .. وكفى العصر العباسى الاول ظهور ابن خرداذبه ، الجغرافى الفارسى الاصل الذى خلق لنا كتابه (المسالك والممالك) ويعتبر بحق من أقدم الكتب الجغرافية التى ظهرت فى اللغة العربية ، وهو عبارته عن دلي يستعين به المسافرون فى الاهتداء الى الطريق البحرى الذى يبدأ من مصب نهر دجلة عند الأبله ، ويصل الى الهند والصين^(١٣١) .

علم النجوم والرياضيات والكيمياء :-

هذه العلوم مجتمعة لم يكن لها مكان ملحوظ بين العلوم التى اشتغل بها المسلمون فى العصر العباسى الاول الا انها ازدهرت بعد ذلك ، ومن علماء المسلمين الذين

بسيرة ابن هشام، رواه عن ابن اسحاق، وله "قصائد الحميرية -" فى اخبار اليمن وملوكها فى الجاهلية، و "التيجان فى ملوك حمير -انظر: " الاعلام"، للزركلي، م/٤، ص ١٦٦. انظر: " الروض الأنف فى سماع السيرة النبوية لابن هشام"، لابي القاسم عبد الرحمن السهيلي، "٥٠٨-٥٨١هـ" ومعه السيرة النبوية لعبد الملك بن هشام المتوفى سنة ٢١٣هـ، ج/١، ص ١٥-١٧، ط/١، ت ط "١٤١٢هـ = ٢٠٠٠م"، دار إحياء التراث العربى، بيروت -لبنان.

^{١٣٠} حسان بن ثابت (... ٥٤هـ) بن المنذر الخزرجي الانصاري الصحابي المخضرم ادرك الجاهلية والاسلام وكان يقطن المدينة ومدح الغسانيين وملوك الحيرة قبل الاسلام ثم كان شاعر النبي صلى الله عليه وسلم فى الاسلام وكان شديد الهجاء وتوفي بالمدينة من اثاره ديوان شعر. انظر الاعلام للزركلي ١٨٨/٢ الاغاني

اخذوا يشتغلون بهذه العلوم . جابر بن حيان^(١٣٢) الذى اشتهر فى الكيمياء ، وهو من أهل طوسون ، ويعرفه الأوربيون باسم (Geber) ، وتوفى فى عهد الخليفة الهادى سنة ١٥٨-١٦٩ هـ وقد ألف جابر كتباً كثيرة الكيمياء والمعادن والاحجار أنتفع بها الاوربيون ...

كما اشتهر بالصيدلية كوهين العطار . وضع كثيراً من المؤلفات نخص بالذكر منها كتابه - صناعة الصيدلة ، شرح فى العقاقير شرحاً ضافياً وأوضح طريقة عمل المشروبات والجربات والمساحيق والحبوب ...

اشتهر كذلك فى علم الحساب عمران بن الوضاح وشهاب ابن كثير ، ومهر فى الهندسة الحجاج بن أرتاه^(١٣٣) الذى خط المسجد الجامع ببغداد فى عهد المنصور ..

وممن نبغ فى علم النجوم فى العصر العباسى الاول جعفر بن عمر البلخى ، ويعرف بأبى (معشر الفلكى)^(١٣٤) وكان فى بدء حياته من اصحاب الحديث ثم اشتغل بعلم النجوم ونبغ فيه بعد ان بلغ السابعة والاربعين من عمره وعمر طويلاً حتى جاوز المائة ، كذلك فان الفضل بن سهل^(١٣٥) كان جيداً بعلم النجوم وان هذا

^{١٣٢} جابر بن حيان طبيب عربي اول من اشتغل بالكيمياء القديمة عاش بالكوفة وبغداد في اخر القرن ٨ واولئ القرن ٩ ترجمت كتبه التي زادت عددها عن الثمانين الي اللاتينية وتعتبر اهم ما كتب في في الكيمياء في ذلك العصر تناولت كتاباته الفلزات واكاسيدها واملاحها والاحماض والتقطير والترشيح وكان اثرها ملموسا في الكيمياء الموسوعة العربية ٥٩٠/١

^{١٣٣} الحجاج بن ارتاة الامام العلامة مفتي الكوفة مع الامام ابي حنيفة ولد في حيا الامام مالك بن انس ولي قضاء البصرة مات بالري سنة ١٤٥ هـ . طبقات بن سعد ٣٥٩/٦ ، طبقات خليفة ١٦٧

^{١٣٤} جعفر بن محمد البلخي صاحب التصانيف في النجوم والهندسة جاوز المئة من عمره ضربه المستعين لكونه اصاب في امر قبل ان يقع له كتاب الزيج ، المواليذ ، القرانات ، طبائع البلدان مات في رمضان سنة ٢٧٢ هـ . وفيات الاعيان ٣٥٨/١ شذرات الذهب ١٦١/٢

^{١٣٥} الفضل بن سهل الوزير السرخسي واخو الوزير الحسن بن سهل اسلم ابوهما علي يد المهدي واسلم الفضل سنة تسعين ومئة يدعلي المامون وكان يلقب ذا الرناستين لانه تقلد الوزارة والحرب كان شيعيا منجما يقال ان حكم علي نفسه ان يعيش ثمانيا واربعين سنة ثم يقتل بين ماء ونار فكان ان قتله خال المامون غالب الاسود في حمام سرخس سنة اثنين ومئتين مروج الذهب ٥/٤ النجوم الزاهرة ١٧٢/٢ العبر ١٣٣٨ شذرات الذهب ٤/٢

العلم قد دله على ان المأمون سيصير خليفة ، لذلك تقرب اليه واخلص له الى ان افضت الخلافة اليه فاستوزره .

كذلك فان لعبد الله بن نوبخت باع طويل بالنتجيم فى العصر العباسى الاول ...
وقديماً قيل : ان الانسان لا يكون فيلسوفاً ولا طبيباً حاذقاً الا بدراسة فروع الرياضيات والفلك والموسيقى .

علم الطب :-

اهتم العباسيون بنشر العلوم الطبية وتقدمها ، فشجعوا الاطباء واسسوا المدارس الطبية والمستشفيات ، وعقدوا المؤتمرات الطبية التى كان يجتمع فيها الاطباء من كافة البلاد فى موسم الحج حيث يعرض الاطباء نتائج ابحاثهم ، حتى اصبحت بغداد فى الشرق وقرطبة فى الغرب من اهم مراكز الثقافة الطبية الاسلامية .

وامر هارون الرشيد بتشيد مستشفى كبير لتعليم الطب وزوده بالمؤلفات العلمية....

الفصل الثاني

حياة ابي نواس

المبحث الاول المولد و النشأة

كل فرد له خصوصيته وهذه الخصوصية هي نتاج طبيعي للتأثر والتأثير فى عمليات الحراك الاجتماعى اى ان ذلك مرتهن على الإطلاق بالمؤثرات الداخلية لبيئة الفرد والخارجية . وهذه المؤثرات هى المحفزة والمنشطة للسلوك ، حيث تتولد الدوافع .

فمن الداخل تلعب الاسرة وعلاقاتها الاجتماعية والسياسية والثقافية والاقتصادية دورا فى اكتساب سلوكيات قد تتفق أو تختلف كل حسب واقعه ، اما من الخارج فانه يتمثل فى المجتمع الخارجى المحيط بالفرد ، وهو ايضا له نفس التأثير فى تكوين أفكار وثقافات وسلوكيات تكون احد مقومات الفرد التى تؤهله للاندماج مع المجتمع والتعايش معه ، وقبلها النفس .

والشاعر ابو نواس هو ايضا ذلك الفرد الذى يتأثر ويؤثر فيما حوله أو خارج إطاره الداخلى اى فى المجتمع الذى يعيش معه ، وهذا التأثير يشكل السلوك والاعتقاد والفكر والحاسة والانفعال . وفى هذا الصدد تتناقش الدراسة وتحلل اعمال ابو نواس من منظورين ، منظور ذاتي واسري ، ومنظور اجتماعي واقتصادي ، وثقافى وسياسى واثر ذلك فى اقواله الشعرية .

اذ التحليل ينحصر فقط من اعماله الشعرية وذلك عن طريق التحليل النفسى والاجتماعى والاقتصادى والسياسى والثقافى . حيث اصبح العمل الفنى فى تحليله يرتبط بالشاعر نفسه من خلال مكتسباته ومن هذا المفهوم يحاول الباحث ان يضع أسلوبا نقديا مبنيا على المؤثرات الداخلية والخارجية للشاعر .

اسمه : الحسن بن هانئ بن عبد الاول بن الصباح مولى الجراح بن عبد الله بن جماده ابن افلح بن الحارث بن دوه بن حذقه بن مظه بن سلهم بن الحكم بن سعد العشيرة ابن مالك ...

المولد :

تضاربت الروايات فى مولد الحسن بن هانىء " ابو نواس " وهذا التضارب يمكن رده الى طبيعة الوضع الاسرى للشاعر ونظرة المجتمع لهذه الطبيعة . فاسرة الشاعر ليست لها مركز مرموق اجتماعيا وسياسيا وثقافيا ودينيا واقتصاديا ، ولذلك فهى عباره عن اسرة عادية جدا ، وان الاهتمام تم بمولده بعد ان اصبح مشهورا ذائع الصيت.

وهناك روايتين أحدهما تشير الى ان الشاعر قد ولد فى عام ١٣٦هـ والرواية الثانية سنة ١٤٠هـ . وهذا التضارب فى تاريخ مولده ايضا انتقل الى موقع مولده ، حيث هناك رأى يقول انه ولد فى الاهواز وانتقلت به أمه الى البصرة ، وهناك من يقول : انه ولد بالبصرة ، وان أباه انتقل اليها من الاهواز قبل مماته .

ورجوعا الى الفترة الزمنية التى عاصرها الشاعر وباعتراف الكثير من الشعراء والكتاب والادباء والنقاد والمهتمين ان تلك الفترة فترة العصر الذهبي للشعر بعد الاسلام . وان الشاعر لا يعترف به كشاعر وتدون اعماله الا من خلال تقريبه الى الامراء والخلفاء وزعامات القبائل والعشائر ، أو ان يكون هناك هجاء لاذع لأحد الشخصيات المعروفة ذات المركز الاجتماعى أو الثقافى أو السياسى أو الاقتصادى أو الدينى .

هذا الحديث قصد منه ان ابو نواس وأسرته اسرة عادية جدا . وترجح الدراسة ان إدمان ابو نواس السكر وبث فيه انفعالاته الشعرية كان ايضا من اسباب الاهتمام به لاحقا . لذلك جاء التضارب بجانب عوامل يكتفى بهذا القدر منها .

كنيته

وكنيته : أبو نواس ، سئل عن كنيته ما أراد به ، ومن كناه بها ، وهل هو نَواس ، أو نَوَّاس فقال :- نواس ، وجدن (١) ويزن (٢) وكلال (٣) وكلاع (٤) أسماء جبال لملوك حمير ، والجبل الذى لهم يقال له نَواس .

قال :- وكان سبب كنيته ان رجلا من جيراني بالبصرة ، دعا اخواناً له ، فابطأ عليه واحد منهم ، فخرج من بابه يطلب من يبعثه اليه يستحثه على المجئ اليه ، فوجدنى مع صبيان ألعب معهم ، وكان له دُؤابةٌ فى وسط رأسى ، فصاح بي يا حسن ، امض الى فلان جئنى به ، فمضيت اعدو لادعو الرجل ، ودُؤابتى تتحرك ، فلما جئت بالرجل قال لي ، احسنت يا ابا نَواس ، لتحرك دُؤابتى فلزمتنى هذه الكنية ..

وسئل مرة اخرى ، فقيل له .. من كُنَّاك أبا نَواس، فقال ان كنيته نفسى بذلك، لأننى من قوم لا يشتهر منهم الا من كان اسمه فرداً وكانت كنيته سنيعة (٥) .
ويروى بفتح النون والواو مخففة ، واما النواس بن سمعان مشددة .. وكانت كنيته الاصلية ابا على ، وانما هو كان يشتهى ان يلقب بابى نواس لشهرته وانه من اسماء ملوك اليمن ، ومن اسمائهم ايضا (ذو نَواس)

وكان هانئ أبو الحسن بن هانئ كاتباً لمسعود الماذرائي على ديوان الخراج .. وكان اسمه هُنئى .. وكان راعى غنم ، ولم يكن له ولاء ولا حلف حتى مات ، فلما كبر ابو نواس وأدب قال لنفسه .. حسن بن هانئ وانما كان حَسَن بن هُنئى ، وقيل كان ابو ابى نواس حائكاً .

^١ جدن : مغارة باليمن وقيل موضع باليمن ، وقيل واد ، راجع معجم الياقوت ج ٢ ص ١١٤ دار صادر ١٩٨٤م .. نقلا من الاغانى لأبى الفرج الاصفهاني المتوفى ٣٥٦ ج ٢٥ .

^٢ يزن : اسم واد باليمن .

^٣ كلال : حصن من حصون حمير باليمن .

^٤ كلاع : واد باليمن راجع ياقوت ج ٥ ص ٤٣٦ .

^٥ سنيعة : جميلة ، والسنع : الجمال ، والسنيعة : الحسن الجميل راجع اللسان مادة سنع ج ٨ ص ١٦٨ دار صادر .. نفس المرجع السابق ذكره .

وقيل كان من جند مروان (١) بن محمد من اهل دمشق وكان فيمن قدم من الاهواز في ايام مروان للرباط بها والشحنة فتزوج بجلبان وأولدها عدة أولاد .. منهم ابو نواس وابو معاذ ، واسمه احمد .

وكان ابو معاذ احمد مؤدب اولاد فرج الرُّحْجِي ، وكان ابو معاذ عطلاً من مذهب ابي نواس ، لا يحسن شيئاً الا انه أخ ابي نواس . ثم شاعت أقدار الله ان ينقل هذا الصبي وهو ابن ست سنين الى البصرة ، وقيل :- ان أمه يقال لها شحمة من لهز تيرى (٢) قرية من قرى الأهواز تُدعى بباب آذر .. وكانت تعمل الصوف وتتسج الجوارب والاخراج ، فتزوجها هُنَيّ ابوه فولدت ابا نواس ، وكان هُنَيّ قد رآها وعشقها على شط نهر من انهار قرى الاهواز ، وهى تغسل الصوف ، وكان لها ابن آخر قيل ، وكانت تعمل الخيزران ...

وكانت لابي نواس اخت عند فرج القصّار . عبد كان لاحمد بن عصمة الباجرزي .

والامور تسير بنا على هذا النحو وبعد ان تعرفنا كيف التقى هانئ بجلبان على ذلك الشط ، وكنتاج طبيعى على وعلى سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم جاء مولد الحسن بن هانئ ، واختلف فى مولده ، فقيل كان مولده فى سنة ست وثلاثين ومائة ، وقيل سنة خمس واربعون ، وقيل سنة ثمان واربعون ، وقيل سنة تسع واربعون .

وفاته :

واختلف كذلك فى موته ، توفى سنة خمس وتسعون ومائة وقيل سنة ست وتسعون ، وقيل سنه سبع وتسعين ، وقيل سنة ثمان وتسعون ، وقيل سنة تسع وتسعون ، وكذلك قيل مات قبل دخول المأمون بغداد بثمان سنين وكان عمره تسعاً وخمسين سنة ..

^١ مروان بن محمد توفى سنة ١٣٢ هـ - ٥٧٠ م . الاغانى ج ٢٥ ...

الشحنة : شحنة الكوره : من فهم الكفاية لضبكها من اولياء السلطان راجع اللسان مادة شحن ج ١٣٠

^٢ تيرى : فى معجم البلدان تيرا من نواحي الاهواز فتح سنة ثمانى عشر على يد مسلمى بن القيف وحرملة بن مزيط من قبل عتبة بن غزوان مرجع سابق ..

وكان ابو نواس يزعم انه من العجم والذى صح مما ادعاه ابو نواس ، انه مولى للحكميين ، وانما ادعى ولاء جاء وحكم بالبصرة لان بها قوماً منهم

نشأته وبعض من صفاته :-

نشا الشاعر من أب لم يورثه شيئاً إن كان ذلك الشئ مادياً أو معنوياً ، وإن أمه قامت فى بادئ الامر بالعمل من اجل إعالتة هو وإخوانه ، ولم تشر كتب التاريخ الى عدد أخوته من الذكور والإناث . وكانت والدته تدير منزلاً لإدارة الدعارة والخمر ولعب الميسر كمصدر دخل لها ولأبنائها . ومن خلال الروايات لذلك الامر ان أمه ليست بالعجوز والكهله بل تتمتع بشباب حيوي جعلها ان ترتبط بعلاقة بينها وبين رجل توجت بزواج شرعي .

وبعد هذا الزواج اصبح الشاعر عبئاً على أمه فتخلصت منه عن طريق تركه مع عطار ، وهذا الجو الجديد وضع الشاعر وهو طفل ان لا يربط نفسه بالبيت ، حيث هناك واقع وعند العطار واقع آخر ففضل الواقع الأخير . فمن خلال وجوده فيه تمكن من الاندفاع نحو المعرفة ومتابعة العلماء والادباء والشعراء .

وفى امر نشأة الشاعر الاسرية يمكن القول بانه عاش يتيماً ، وغاب عنه حنان الام ، ووجد نفسه فى منزل يدار فيه كل اساليب الفحش والبداءة ، وبالتالي ما يراه يفعل بأمه أو هو نفسه ، ثم انتقال ذلك الوضع بعد ان تزوجت أمه حيث قامت باهماله ، واخيرا دفعته ليكون نشطاً اقتصادياً ويساهم فى قوت اخوته . ويكمن وصف مثل هذه النشأة بانها نشأة قاسية .

الا ان الشاعر وفى صغره كان يتميز بذكاء خارق وحسن معاملة بجانب ظرافته ودوما يأخذ الجانب فى الامن فى حياته مما اكسبه اهتمام وعطف من الآخرين خارج نطاق أسرته وبالتالي اى المجتمع ساهم فى بناء شخصية الشاعر الشعرية .

وكانت بدايات ذلك وجوده داخل مجتمع يضم الكثير من الشعراء وهذا المجتمع كانت يجمعه شرب الخمر فى دار ابي نواس ، وكان مجلس هؤلاء تناول

اشعار القدامى والمحدثين بالنقد ، أو الامراء أو التفسير ، وكانوا يقترحون احيانا موضوعات تكون محل اشعارهم بشكل وبشكل لحظوي مرتجل ، هذا بجانب تناولهم للشعراء والنقاد ، وبالتأكيد ان مثل هذا المجتمع يضم الكثير من الجنسيات والاعراق والثقافات وكل يناقش وفقا لثقافته وأعرافه وتقاليده وأفكاره ، وهذا التباين كان ذو اثر كبيرا فى تكوين شخصية الشاعر الشعرية والنقدية .

نشأ شاعرنا بالبصرة وقرأ القرآن على يعقوب الحضرمى ، فلما حذق القراءة رمى اليه يعقوب بخاتمه ، وقال : اذهب فأنت أقرأ أهل البصرة ..

وكان أبو نواس حسن الوجه ، رقيق اللون، ابيض حلو الشمائل ، حسن الجسم ، وكان فى راسه سماجة وتسفيط (١) فكان دائم العمة (٢) والقلسة (٣) لذلك . وكان الثغ على الرء يجعلها غيناً وهى كثيرة بالبصرة ، لا يخلو من العشرين اثنان ان يلثغا بها

قال الجاحظ :-

ما رأيت احداً اعلم باللغة من ابى نواس ، ولا أفصح لهجة مع حلاوة ومجانبة للاستكراه

وكان نحيفاً وفى حلقه بحة لا تفارقه ...

قال :- ولما شب استلمته امه برأء يبىرى عود البخور وكبر وتادب وصحب أهل المسجد والمُجَّان ..(٤)

واشتهى الكلام ، فقعد الى اصحابه فتعلم منهم شيئاً من الكلام ، ثم دعاه ذلك الى الزندقة ، فكان ذلك يحسب منه على وجه العبث ، ثم مجن فى شعره ، وشخص بعد ذلك الى مدينة السلام (بغداد) فأقام بها وعاشر الملوك فحطّ من سفهه وعيبه ..

^١ السفت : الذى يضافيه الطيب وما اشبهه من ادوات النساء ، والسفت ايضاً الجوالق ولعله اراد تسنيط : اى

صلع الاغانى ج ٢٥ ص ١

^٢ العمة : الاعتماد

^٣ التقليل : لبس القلنسوة وهى من ملابس الرؤس

^٤ الاغانى ج ٢٥ ص ١٤

وكان ينادم ولد المهدى (١) . فلم يبق مع احد من الناس ونادم القاسم بن الرشيد هارون ، ولقى منه اشياء كرهها وكُرِهت له .

جلس ابو نواس الى الناشئ الراوية فقرأ عليه شعر ذى الرمة (٢) فأقبل الناشئ على ابيه هانى ، وقال له ان عاش ابنك هذا وقال الشعر ليقولنه بلسان مشقوق .

وكان ابتداء صلة ابي نواس بوالبة (٣) بن الحباب الاسدى ان والبة جاء من الاهواز الى البصرة الى سوق العطارين يشتري حوائج وبخورا فاشتري منها عوداً هندياً ، وابو نواس كان يبىرى العود ، فاحتيج اليه فى برى ذلك العود وتتقيته ، فلما رآه والبة بن الحباب كاد عقله يذهب فلم يزل يختدعه حتى صار اليه ، فحمله الى الاهواز ، وقدم به الكوفة بعد (منصرفهم) ، فشاهد معه ادباء اهل الكوفة فى ذلك الوقت ، فتادب بأدبهم

اذا صح ان ابا نواس كان ماجناً .. بعيداً عن الشعوبية السياسية . فهل كان شاعرنا صعلوكاً ، ضارباً فى الآفاق ، قليل الشأن ، ام انه كان رجلاً له مكانة اجتماعية وأدبية رفيعة ومع ذلك مجن ، ولها ، وعبث ..

يتصدر الاجابة على هذا السؤال المباشر الأستاذ الدكتور طه حسين الذى أثبت فى فصل عن ان ابي نواس من دراسة له وعنوانها (القدماء والمحدثون) (٤) ... (ان ابا نواس لم يكن قليل الخطر ، ولا رجلاً لا يويه له ، وانما كان ذا مكانة عالية ، وعالية جداً ، وانه على هذه المكانة كان ماجناً ، مجاهراً بالمجون ، مستمتعاً باللذة لا يخشى فى ذلك سخط الامراء ، ولا انكار الفقهاء والمحدثين ، وانما كان

^١ المهدى : توفى سنة ١٦٩-٧٨٥م .. وهو محمد بن عبد الله المنصور بن محمد بن على العباسى ابو عبد الله بالله ، من خلفاء الدولة العباسية فى العراق ولى بعهد من ابيه سنة ١٥٨هـ واقام فى الخلافة عشر سنين وشهرا راجع الاعلام ج٦ ص ٢٢١

^٢ ذو الرمة : هو قيلان بن عتبة بن نهيس بن مسعود العدوى من مضر ابو الحارث ذو الرمة شاعر من فحول الطبقة الثانية فى عصره راجع الاعلام ص ١٢٤ ج٥...

^٣ والبة بن الحباب ... توفى ١٧٠هـ - ٧٨٦م وهو والبة بن الحباب الاسدى الكوفى ابو اسامة شاعر غزل ، زريف ماجن وصاف للشراب من اهل الكوفة ، وهو استاذ ابي نواس ولما مات رثاه ابو نواس .

^٤ القدماء والمحدثون . ابو نواس .. جريدة السياسة القاهرة بتاريخ ٢٤-١-١٩٢٣م للدكتور طه حسين

يعتمد على شئ واحد وهو عفو الله ، وانه قد اخذ من الحياة لذتها جميعاً ، فلما مرض وعلم انه ميت اخذ يتوب وينيب ، ويعتذر ويستغفر ، فلما مات رأى بعض الرواة فى المنام ان الله قد غفر له ، وانه دخل الجنة) .

ومما يؤكد ذلك قوله عندما حضرة الوفاة :-

يا رب ان عظمت ذنوبى كثرة

فلقد علمت بأن عفوك اعظم

ان كان لا يرجوك الا محسن

فبمن يلوذ ويستجير المجرم

ادعوك رب كما أمرت تضرعاً اذا رددت يدى فمن ذا يرحم

ما لى اليك وسيلة الا الرجا

وجميل عفوك ثم انى مسلم

ولم تقتصر ثقافة ابي نواس في البصرة علي الجانب الادبي لغة شعرا ، بل درس الفقه الحديث والتفسير حتي قال بن المعتز مؤكدا لذلك في كتابه طبقات الشعراء (كان ابو نواس عالما فقيها ، عارفا بالاحكام والفتيا ، بصيرا بالاختلاف ، صاحب حفظ ونظر بطرق الحديث يعرف ناسخ القرآن ومنسوخه ومحكمه ومتشابهه)^(١)

ولم يلبث ان توفى ابو نواس قبل ان يدخل المامون بغداد أي قبيل عام مائتين هجرية ، وقد اختلف في مكان وفاته بين ان تكون في السجن او في منزل صاحبة حانوت ، او في دار اسماعيا بن نوبخت ، كما اختلف في سبب وفاته بين ان تكون طبيعية او يكون اسماعيل بن نوبخت قد سمه تخلصا من سلاطة لسانه

^١ طبقات الشعراء لابن المعتز ص ١٠١

المبحث الثاني

مراحل التعليم

كانت بداية الشاعر فى التعلم بداية غير طبيعية بالنسبة لطفل فقد والده وعمره لم يتجاوز العامين بعد . حيث وجد نفسه فى مناخ يعتبر غريبا عنه ، وذلك من خلال تلك الأنشطة التى تمارس امام عينيه فى مجال الخمر وادارة الدعارة . وبالتالي فان منزله يضم كافة الشرائح الاجتماعية التى تتعامل مع تلك الأنشطة وكل فرد من افراد هذه الشرائح له طريقته الخاصة فى التعامل مع شرب الخمر ومضاجعة المومسات . فمن هذا الوضع نمى وترعرع الشاعر وهذه التجربة أهلتة ليقف على مختلف الأساليب التى كانت سائدة فى عصره ، واعتنق مبادئ وقيم ، كانت الخمرة تمثل احد ركائزها بجانب الاشياء الاخرى .

هذا السلوك حفز الشاعر ان يعتنقه ويوجه جل اشعاره نحو الخمر والدعارة والفسوق ضاربا بذلك القيم الاجتماعية كنتاج حتمى للواقع الذى عمل على بلورة شخصية الشاعر وتراكيبها النفسية الانفعالية وتأثيرها وتأثرها ، ويمكن تحليل ذلك من خلال أربعة مراحل :

المرحلة الاولى : الاعتماد المطلق :

ويكون النظام السلوكى فيها فى طور تكوينه الاولى ومن ثم يعتمد على المناخ الاجتماعى المحيط به اعتمادا كليا ومطلقا فى إشباع حاجاته المختلفة ، وتتسم العلاقة فى هذه المرحلة بقبول النظام السلوكى لكل اشكال الرقابة الخارجية المفروضة عليه والرغبة الشديدة التى يحتفظ بها لأنماط السلطة الاجتماعية .

المرحلة الثانية : الاستقلال السلبي :

فى هذا النظام السلوكى يبدأ الفرد فى تأسيس مقدراته الذاتية والخبرات وبالمعلومات المختزنة محاولا بذلك تخفيض درجة الاعتماد على المناخ الاجتماعى ، حيث يميل الى الاستقلال من اشكال التباعد والنفور من لوائح الرقابة والتقييد الخارجية الذى يسلم بها المجتمع ، بجانب رفض محاولات التأثير الصادرة عن

السلطة الاجتماعية بلا تمييز ومقاومة تلك المحاولات ، وفى الوقت نفسه يحاول ان يتخذ لنفسه سلوكا يدعم به إمكانياته الذاتية التى تحقق له الاستقلال الكامل عن المناخ الاجتماعى فى المستقبل .

المرحلة الثالثة : الاعتماد المشروط :

ويجد الفرد نفسه فى هذه المرحلة انه اكتشف صعوبة المعارضة والمقاومة المستمرتتين للسلوك الاجتماعى ، حيث نمو الطاقات الدرامية للنظام بجعله اقدر على تبين حقيقة الاوضاع السائدة فى المناخ الاجتماعى وطبيعة الفرص المتاحة لإشباع رغباته أو القيود المفروضة عليه ، ومن ثم يعتمد النظام الى العودة للاعتماد على المناخ الاجتماعى ، ولكن بصورة غير مطلقة وبطريقة تعكس النمو والتطور والنضج الذى تحقق للنظام فى هذه المرحلة ومطالب النظم السلوكية الاخرى . وفى التجائه الى التعاون أو التنافس ، بدلا من الخضوع المطلق أو محاولة السيطرة الكاملة ، والدخول فى معادلات حذرة مع الآخرين .

المرحلة الرابعة : التفاعل والاعتماد المتبادل :

تشير هذه المرحلة الى درجة كافية من النضج والتوازن الذاتى الذى يسمح له باقامة علاقات ايجابية مع عناصر المناخ الاجتماعى تتسم بالاعتماد المتبادل حيث يتأثر النظام بالمناخ ويعتمد عليه ، كما يؤثر هو فى المناخ ويقدم له العون والمساعدة (١) .

ومن خلال هذا الموجز يتضح ان الشاعر فى مناخه الاجتماعى اكتسب الادوات التى تمكنه من تحديث حاجاته وإشباعها ، بجانب التزامها بالمعايير الاجتماعية العامة فى حالة تعامله مع المجتمع وفقا لتلك اللوائح الاجتماعية المقيدة كانت قانونا او عقيدة او تقاليد ، وبالتالي تسهل عمليات اختيار الاهداف وتحديد

1/Festinger L.A.A.Theory of cognitive Dissonance –ed Evanston In : Row Peterson , Revised :
(ed 1965) بتصرف

المنازل والمواقع التي يسعى الفرد الى تحقيقها ، فضلا عن تلك النظرة الاجتماعية لسلوكه من خلال ما يبذله من جهد وفكر ، تتعلق بالموانع والعقبات التي يسنها المجتمع او بعض مؤسساته وفئاته ، وعليه لا يمكن للشاعر ان ينفلت من تلك الأطر الاجتماعية .

ويتمعن ديوان الشاعر يتضح ذلك التأثير الاجتماعي وخاصة تلك الشرائح التي كانت تمارس انشطتها في ظل وجوده كطفل ، ولذلك يلاحظ ان الخمرات كانت اكثر براعة ودقة في التصوير والصناعة والصياغة ، بل معظم اشعاره تأخذ هذه السمة .

تعليمه وثقافته : فقد بدأ منذ ان اودعته أمه الى العطار ، وكان هذه نهاية البداية لحياة الشاعر حيث كانت بواكير انفصاله عن أمه وأسرته من خلال تلك السلوكيات المتمثلة في غيابه الكثير عن بيته ، بجانب عدم اهتمام أمه به بعد ان تزوجت وكان غياب والدته هذا عنصرا محفزا في ان يصنع الشاعر لنفسه مكانة في ما يجيد من صناعة وهو الشعر الذي يعتبر متفلسا طبيعيا لفرد وجد نفسه في ظل ظروف تتباين مع تلك السائد في المجتمع .

كما لا يمكن تجاوزه هو الوضع الاقتصادي ، وهذا هو آخر عانى منه الشاعر منذ طفولته ، اذ ان الوضع الاقتصادي فرض عليه ان يقوم باعالة نفسه ، وعندما تحقق ذلك اصبح يتواجد في مجتمعات العلم والدين والشعر والقصص ، واهتمامه المركز على الشعر والشعراء وما يثبت ذلك اللقاء الذي جمع بينه وبين والبة بن الحباب الاسدي وقد روى ابن خلكان ان " ابا اسامة والبة بن الحباب رأى الحسن فاستحلاه ، فقال : " انى ارى فيك مخايل ، ارى ان لا تضعها ، فاصحبن أخرجك .. " فقال له ومن انت ؟! فقال : ابو اسامة والبة بن الحباب .. فقال : نعم .. انا والله طلبك ، ولقد أردت الخروج الى الكوفة بسببك لأخذ عنك واسمع شعرك " ويضيف صاحب الاغانى الى هذا الخبر ان والبة سأله : " لماذا ؟ " فقال : شهوة للقاءك ، ولأبيات حفظتها لك . قال : وما هي ؟ فانشد الحسن ابيات والبة التي يقول فيها^(١) :

^١ فى وفيات الاعيان

ولها - ولا ذنب لها - حب كأطراف الرماح (١)

وكانت البداية الفعلية والتي ساهمت في تكوين شاعريته هي عند التقائه بوالبة وانتقاله معه الى الكوفة ، والمعروف في ذلك الزمان ان الكوفة والبصرة هما عمقا الثقافة والعلم والفلسفة والمنطق والفقه ، وبالتالي أصبحتا مطلب كل طالب علم ، وساهمت الفترة التي عاشها الشاعر في الكوفة في اكتسابه لكثير من العلوم كانت خاصة بالشعر والشعراء وفن القصة والرواية ونظم الحكم وصرعات القصور والآثار التي أحدثها الاعاجم والموالي في سير العمل الثقافي والاجتماعي والسياسي والاقتصادي . مجريات الاحداث هذه أكسبت بعدا ثالثا حيث مثلت الجانب الاول ، ثم المجتمع المحيط به داخل وخارج عائلته كبعد ثاني .

رجع الشاعر الى البصرة مرة اخرى بعد ان كلفه والبة بحفظ الكثير من القصائد والأراجيز وتأكد من حفظها ، وقبل ان يصل البصرة عاش عاما كاملا مع بني أسد ، وبعد وصوله اتصل بخلف الأحمر ، ويعرف خلف بأفذاذ الشعراء في ذلك العصر ، ويعتبر اتصاله بخلف وبقاؤه احد تلاميذه هي اخر مراحل التعليم التي ساهمت في استقلالية الشاعر وتكوين ذاتيته . وعندما أحس به خلف الاحمر ، سمح له بقول الشعر وصناعته .

وفي البصرة اخذ يتردد على المريد حيث يلتقي بالاعراب الفصحاء لذين كان يفدون اليها من بواديهم فيقصدهم الناس وينهلون من معارفهم اللغوية والادبية ، وفي البصرة تعمق ابو نواس في علوم العربية ورواية الشعر واخذ اخبار العرب عن ابي عبيدة (٢)، وغرائب اللغة عن ابي زيد الانصاري (٣) ورواية الشعر عن

^١ ديوان ابي نواس : الحسن بن هانئ - حققه - وضبطه - وشرحه - احمد عبد المجيد الغزالي - الناشر دار الكتاب العربي - بيروت - د ت - ص ت .

^٢ ترجمته ص ٥٧

^٣ ابو زيد الانصاري الامام العلامة حجة العرب ابو زيد سعيد بن اوس بن ثابت بن بشير بن صاحب رسول الله صلى الله عليه وسلم البصري النحوي صاحب التصانيف ولدت سنة نيف وعشرين ومائة واخذ عنه جماعة مهم رؤية العجاج وابو عمرو بن العلاء وعمرو بن عبيد القدي وقال عنه المبرد الاصمعي وابو عبيدة وابو زيد اعلم الثلاثة بالنحو ابو زيد ولح حلقة بالبصرة مات سنة ٢١٥ هـ . سير اعلام النبلاء ٩/٤٩٤

خلف الاحمر^(١) الذي حثه علي حفظ الشعر القديم وقد عبر ابونواس عن اعجابه
بسعة علم خلف بما نال من معارفه في قصيدته التي رثاه بها والتي ساتعرض لها
فيما بعد

^١ وهو خلف بن حيان ويكنى أبا محمد وأبا محرز و كان خلف مولى أبي بردة بن أبي موسى الأشعري
أعتقه وأعتق أبويه وكان أعلم الناس بالشعر وكان شاعرا ووضع على شعراء عبد القيس شعرا كثيرا موضوعا
وعلى غيرهم وأخذ ذلك عنه أهل البصرة وأهل الكوفة المزهر في علوم اللغة وأنواعها ج: ٢ ص: ٣٤٥

المبحث الثالث

الجانب النفسي وأثره فى انحراف الشاعر

توطئة :

الخبرات الشخصية هى سمة اساسية يتم اكتسابها من خلال اندماج الفرد مع المجتمع بدءا بمجتمعه الصغير ، الأب ، والأم ، الإخوان انتهاء بالاسرة ان وجدت ، وقد لا يوجد هذا المجتمع الصغير ، ويبدأ الطفل فى اكتساب خبراته من الافراد الذين يحيطون به وبالتالي تتكون لديه البنى الاساسية التى يقدر ان يعتمد عليها فى تعامله مع المجتمع كان تعامل ايجابيا أو سلبيا ، والمجتمع نفسه يعزز من تطور تلك الخبرات .

كما توجد وحدة شعورية ، نفسية ، بين كل افراد المجتمع كبشر ينتظمون جميعا فى وحدة تاريخية مترابطة باعتبارهم كائنات اجتماعية . ومن خلال ذلك الواقع يكتسب الطفل الناشئ ثقافته لانها تشتمل على انماط ظاهرة واخرى مستترة قد يغلب احدهما على الاخر وفقا لمدى التأثير الذى يتم بشأنهما ، وهذه الانماط لا تخرج من اطار العادات والتقاليد الاجتماعية وقيمها الاخلاقية ودرجة تقديسها وتطويرها ، فمن الصعوبة بمكان عزل ثقافة النشئ بمعزل عن الظواهر الاجتماعية الاخرى لان كل الظواهر الاجتماعية تؤلف تآلفا وظيفيا من جهة وانما ترتبط بمنهج تم التأطير له مسبقا كركائز ثابتة تتطور فيها متغيراتها لتتواءم مع واقعها من خلال منطقيات فكرية .

هذا هو الجانب الاجتماعى الذى يشكل اكتساب السلوك الثقافى والذى يساهم ايضا هذا الجانب فى خاصية اكتساب الفكر والخاصية الاجتماعية (١) . بجانب

^١ د. احمد الخشاب - دراسات انثروبولوجية - دار المعارف - القاهرة - ١٩٧٠ - بنصرف

العوامل الجغرافية والديمقراطية والاقتصادية والسياسية ... الخ . بجانب الحضارة السائدة (١) .

ينطلق التحليل من الحقائق الآتية :

- ان الشاعر نشأ فقيراً وفي أسرة فقيرة
- ان أسرة الشاعر لا تنتمي الى الأسر أو العشائر والقبائل المعروفة والمشهورة .
- ان الشاعر نشأ في بيت داعر وخماره وقمار
- ان الشاعر نشأ يتيماً .
- ان الشاعر وجد اهمال تام من أمه .
-

هذه الحقائق وردت في ديوانه كما هو موضح في النشأة والبيئة . وهذه الحقائق تعتبر من الظروف التي احاطت بالشاعر ، وهي تعتبر ايضاً من لمؤثرات في سلوكه بشكل عام وفي تناوله للخمر بشكل خاص وخاصة ان الخمرات قد اخذت الجانب الاكبر من قصائده . وفي هذا الشأن ستأخذ الدراسة نماذج شعرية تعطي عدة سلوكيات ذات طابع اجتماعي ونفسي :

ويقول في ذلك :

خليلي بالله لا تحفرا لي القبر الا بفطربل
خلال المعاصر بين الكروم ولا تدنياني من السنبيل
لعلني اسمع في حفرتي اذا عصرت ضجة الارجل

وقال ايضاً

لا تبك ليلى ولا تطرب الى هند وأشرب على الورد من حمراء كالورد
كأساً اذا انحدرت في حلق شاربها أجده حمرتها في العين والخذ

^١ حسين مؤنس - الحضارة عالم المعرفة - المجلس الوطني للثقافة والفنون - الكويت - د ت - بنصرف

فالخمر ياقوتة ، والكأس لؤلؤة من كف جارية ممشوقة القد

قبل التطرق الى التحليل الاجتماعى دوما تشير اشعار أبو نواس الى صورتان رئيسيتان يتداولان حوارا دراميا ويل احيانا يكون هناك ثلاثة اصوات ، وهى صوت الشاعر ، وصوت مخاطبة وصت ذكرياته ويل فى بعض القصائد الطويلة ترتف الى اكثر من ثلاثة ، اى ان اشعاره تحمل حقائق نفسه وكل ما يتعلق بها من نزعات وغرائز ورغبات وعواطف واحاسيس ومشاعر ، وخوالج وهى حقائق تموج فى نفسه وثابتة بكل انفعالاتها وعواطفها .

وبالتالى وقبل التحليل الاجتماعى من خلال النماذج الاستدلالية الخمس ، واستنادا للحقائق المشار اليها فانه لا بد من دراسة السلو الذى تم اكتسابه من هذه الحقائق .

شكل الانحراف النفسى للشاعر :

لعبت البيئة التى ترعرع فيها الشاعر دورا بارزا فى ان ينتهج سلوكا اصبح سمة عرف بها واختص بها ، من خلال ديوانه يلاحظ القارئ ان معظم اشعار الديوان تتجه نحو الخمر ، فهى تارة تشبه بالفتاة والغلام وتارة بالعلاج ، واخرى بانها هى التى يجب ان تعطي الاولوية ، وتارة نكران تحريمها واخرى بانها لب الحياة وعصبتها ... الخ .

والسؤال لماذا هذا الانحراف ؟ والاجابة على مثل ذلك السؤال تاخذ ابعادا اسرية واقتصادية ، واجتماعية وثقافية محيطة بالشاعر من باكورته اى طفولته . فالشاعر عندما نشأ بين اب فقير واسرة فقيرة لا وليس لها وجود قبلى يظهر من قوتها وسط اسر القبيلة وافرادها ، من جهة ، أو يظهرها وبمظهر القوة والغنى بين القبائل الاخرى ، كما لا يوجد بالاسرة من هو عالم أو فقيه أو مثقف يحمل اسم

اسرته ويظهرها للمجتمع الذى تعيش حواليه هذه الاسرة أو اى نوع من الشخصيات الاجتماعية ذات المركز الاجتماعي .. الخ .

وهذا من جانب ، ومن جانب آخر ما جاء فى نشأته ان والده توفى بعد عامين من عمره وان والدته بعد ذلك كانت تدير منزلا لممارسة الدعارة وشرب الخمر ، ثم بعد ذلك هجرته بعد ان تزوجت من آخر ذهبت معه وتركتها لعطار . هذه الظروف مجتمعة حاصرت طفولته واستوعبها وهو طفل ، وخاصة انه كان يتمتع بذكاء مكنه من هذا الادراك والاستيعاب ، ساهم فى انفصامه فى المجتمع وان يعيش لنفسه ضاربا بكل القيم والموروثات التى يعيش فيها مجتمعه ، والتى نفسها كانت سبب شهرته .

اذ يمكن تلخيص انحراف الشاعر النفسى الى عوامل اجتماعية وعوامل انفعالية ، وهذه العوامل مجتمعة شكلت السلوك النفسى والرفض الانفعالى للمجتمع بشكل سالب تكون الخمرة والغلمان هما ادوات التعبير عن ذلك الرفض . فالشاعر نشأ فى بيت فيه الدعارة وشرب الخمر والقمار ، والذين يقومون بتلك الانشطة من مختلف الشرائح الاجتماعية والقبلية " العربية وغير العربية " فى هذا الجو والمناخ وجد الشاعر نفسه ، وهذا هو مشكل التربية لدى الشاعر .

اما الجوانب الانفعالية الاخرى فانه اراد التميز عن الآخرين ولذلك كان يهتم باقوال المتميزين فى المجتمع ليضمن له موقعا اجتماعيا يميزه لذاته لا لاسرته ، لانه هو فى الاساس انفصل عن اسرته تدريجيا بعد عمله عند العطار ، ومكونا صورة هابطة عن اسرته من خلال ما رآه وما سمعه ، وهذا الانفعال نحو تكون الذات هو الذى جعله ينكب نحو العلم وينهل منه ، وخاصة بعد التقاؤه بوالبة وبعده خلف ، بجانب الآخرين الذين عرفوا بصعاليك العرب .

وايضا شكلت نفسية الشاعر عند غرامه لجارية رفضت الارتباط به ودنست من كرامته كإنسان ، مما جعله يعتقد في نفسه انه مرفوض اجتماعيا ، حتى من ادنى الناس منزلة ، وهذا الاحساس جعله يتفق في المعرفة والاطلاع من جهة وفي الوقت نفسه يضع المرأة في منزلة دنيا مضطهدة لديها وخاصة ان الصورة الاولى قد كونتها له أمه منذ نعومة اظفاره ، وبالتالي اصبحت المرأة في عموم انفعالات الشاعر لا تسوى شيئا وهذا مادفعه الى اعتبار الغلمان هم عبارة عن منافذ اساسية للغريزة الجنسية للإنسان ويظهر في اشعاره الغزلية في الغلمان ومطاردته ومغامراته معهم ، واعتبرهم عنصرا ثانيا واساسيا بعد الخمر في حياة الإنسان .

المبحث الرابع

التحليل النفسى لحياة ابي نواس

اولا التحليل النفسى

ان كل فرد له مقوماته الشخصية المكتسبة من الواقع الذى يحيط به والتي إلى خبراته السلوكية هذا بجانب ما يحدده وعيه من وجود ، وبما فى الانسان هو كائن اجتماعى ، فانه يتأثر بالجماعة ، وكان هذا التأثير يأخذ طابع التصالح معها أو رفضها . ومن هذا المنطق - يوجد خطين رئيسيين لدراسة التحليل الاجتماعى للادب . فهناك نهج خارجى يبحث الجوانب الخارجية التى تحيط بالادب اى بالشاعر والحركة الادبية السائدة التى تؤثر عليه ومحاولة تفسيره على ضوء السياق الاجتماعى الخارجى الذى يفسر حياة الشعراء والادباء والمؤلفين من زوايا عدة يأخذ علم النفس جانباً وعلم النفس الاجتماعى والفلسفة والمنطق وكل الفنون الاخرى التى تحيط بالفرد جانباً آخر .

اما النهج الداخلى وهو عبارة عن النقد الجماعى الذى يركز فى الاساس ليس فقط على تفسير وتحليل الاعمال الادبية ذاتها فحسب ، بل ايضا ادواته فى تلك الاوزان والاساليب والصور والاستعارات والرموز والاساطير (١) .

وفى هذا السياق سيتم مناقشة اعمال الشاعر من خلال الاجيال الادبية التى عاصرها ومن خلال اشعاره ومدى تركيزه على جوانب أو جانب دون الاخر ، فضلا عن مدى انتشار ذلك الجمهور الذى يتقبل اعماله ومدى انتشار هذا العمل ودور المؤثر فى الساحة الادبية ومدى تأثيره بما هو موجود اصلا كان من السابق أو ذلك الحاضر الذى يعاصره . اى بمعنى دراسة ادبية للجناس الادبية واشكالها . حيث يتوجب فى ذلك اجراءات دراسة للموضوعات التى يتناولها فى مجال الشعر سواء كان مدحا أو ذما أو فخراً أو غزلاً أو مجوناً أو تعامللاً مع الطبيعة.... الخ .

^١ د. مصطفى سويف ، الاسس النفسية للابداع الفنى فى الشعر خاصة - ط ٢ - دار المعارف - القاهرة -

وبما ان الشاعر لديه جمهوره فانه لا بد من دراسة ذلك من حيث طباعه و الافكار التى يعتقدوها وكانت سببا فى ان يتقبل تلك الاشعار . وهنا تكون الدراسة مزدوجة بين ربط الاطر الاجتماعية والاشكال الجمالية .

هذا السلوك التحليلى فى دراسة الجمهور الذى عاصر الشاعر يهدف الى ايجاد العلاقة وامكانية اتصال الشاعر بجمهوره ومدى نجاحه بين الجمهور (١). والجمهور المعنى ليس مرتبطاً بزمن أو بحيز معين بل يظل متواجداً ما دام ان العمل الادبى موجود . وهذا يشير الى استمرار الاعمال الادبية فى عمومها فشاعرنا اعماله قبلت فى السابق وكان جمهوره ثم بتتابع الاجيال ووجود المهتمين ادى الى استمرار تلك الاعمال الى يومنا هذا الحاضر والى ما شاء الله .

وهذا يؤكد ان استمرار تدفق العمل من زمان لآخر ومن مكان لآخر يعنى الترابط الاجتماعى الذى يتم بين القديم والحديث ، ان الحديث يستفيد من القديم فى صياغته لواقعه ، خاصة ان هناك تواصل أجيال ليس فى مجال الادب فحسب بل فى كافة المجالات والتى بدورها تشكل أنماط المجتمع والتى يختارونها لكى تتواءم وتتفاعل مع ما هو متاح لديهم .

ومن المعروف ان البناء الاجتماعى لكل مجتمع يضم عدد من الانساق المترابطة ، كالنسق الاقتصادى والسياسى والاجتماعى والثقافى وغيرها . وهذا النسق لا يمكن ان يظل ثابتا عبر تمرحله الزمانى ومروره باجياله .

بل يلحق به صورة دائمة ويؤدى الى تغيير قسما ت هذا الانساق تغييرا جزئيا أو كليا حسب الظروف والمراحل .

والعوامل التى تؤدى الى التغيير الاجتماعى عديدة الا ان أهمها على الاطلاق التغير الاقتصادى والسياسى والاجتماعى ، وبالتالي فان اى دراسة لابد لها ان تتناول الجوانب الاجتماعية والاقتصادية والسياسية والثقافية والايولوجية ، وعند تناول الشاعر كدراسة فلا بد من تحليل عدد من التصميمات المتعلقة بنوعية البناء الاجتماعى فى حقبة تاريخية عاصرها بجانب طبيعته واتجاهاته الاساسية فى نفس

^١ جمال زكى / السيد يس - اسس البحث الاجتماعى - دار الفكر العربى - القاهرة - ١٩٦٣ - ص ٢٣٥-٢٦٥
بتصرف .

الخاصة وخاصة ان الادب فى معناه الحديث يقوم على فكرة الاتصال الاجتماعى
(١) .

وخلاصة ذلك ان الدراسة تتناول الشاعر أبو نواس من خلال وضعه الاجتماعى والاقتصادى ، والثقافى ، وجمهوره والمؤثرات الداخلية والخارجية التى ساهمت فى تحقيق وجوده الاجتماعى والادبى والثقافى فى الساحة الادبية ، بمعنى معرفة كل الظروف التى تحيط بالشاعر واثـر هذه الظروف فى بلورة وتكوين الشخصية الاجتماعية والادبية واتخاذـه لمنهجية تأخذ شكلها الغالب على الاعمال الشعرية .

ويعتبر هذا التناول محاولة للتوسع فى مجال نقد وتحليل الشعر لا من الصور البلاغية واللغوية الصرفة بل اضافة كل المؤثرات التى يمكن ان تلعب دورا أساسيا فى تركيبة الشاعر النفسية .

سلوك الشاعر الاجتماعى والانسانى :

والسلوك هنا للدلالة على كل اشكال وانماط الحركة الانسانية ، فالافعال والتصرفات والتعبيرات ومحاولات التأثير وغيرها من الانشطة التى يمارسها الانسان خلال حياته كلها تدخل جيعا فى نطاق السلوك ، اى سلسلة من الافعال وردود الافعال التى تصدر عن الانسان و محاولاته المستمرة لتحقيق اهدافه واشباع رغباته المتطورة والمتغيرة ، وكذلك هى الافعال التى يعبر بها الانسان عن قبوله أو رفضه لمحاولات التأثير الموجهة اليه من عناصر المناخ المحيط به سواء كانت عناصر بشرية ام مادية ، ومن جهة اخرى ايضا السلوك الانسانى مصدر لكل القيم وايضا يكون السلوك مصدرا لتدمير الانسان نفسه من خلال سلوكه الذاتى(٢) .

^١ ادوارد كارديلي - فى النقد الاجتماعى - ترجمة احمد فؤاد بلبع - دار المعارف - القاهرة - ١٩٦٨ - ص ١٨ -

^٢ الحسن بن هائى ابو نواس عباس محمود العقاد ، دار الفكر بيروت (بدون تاريخ) ص ٦٤

تشير الحقائق السابقة ان الشاعر أبو نواس تميز بمجموعة من الخصائص واستمرت هذه الخصائص تتعايش معه ذاتيا خلال مراحل حياته المختلفة ولكن أخضعها للتعديل والتطوير والإلغاء فابو نواس الماجن ليس بذلك التائب . ولا بذلك العاشق وهكذا ، وفي الوقت ذاته تعتبر من المحركات الدائمة لسلوكه حيث توفر قدرة من الاستثارة يكفى لتحريك الانشطة السلوكية .

والشاعر فى مرحلة طفولته وبعد وفاة والده قد تعرض بالتأكيد الى الجوع وعدم الأمان ، والخوف ، وفي الوقت ذاته يرى الآخرين يتتعمون بكل ما هو طيب من استقرار واطمئنان ... الخ .

اما عن السلوك فى الاجتماعى للشاعر تحدده قواعد وانماط للسلوك وتسيطر عليه وتنظمه مجموعات من النظم الاجتماعية . ومن ناحية اخرى ينظم المناخ الاجتماعى فى صورة طبقات ويضم فئات وتجمعات على أسس مختلفة تعكس حالة معينة من التجزئة الاجتماعية ، حيث يمارس المناخ تأثيرات مختلفة تهدف الى تطوير النظام السلوكى اجتماعيا واخضاع انماط الاستجابة الصادرة عنه للقواعد والمعايير السلوكية التى تتوافق مع الهيكل الاجتماعى .

والشاعر باعتباره احد العناصر المكونة للمناخ الاجتماعى و احد الذين تأثروا به فانه حاول ان يطوع هذا السلوك الاجتماعى واخضاعه لانماط الاستجابة التى اصدرها لنفسه بقصد تكوين اسس لتأسيس شكل اجتماعى جديد تكون الخمر هى البؤرة التى تنطلق منها الجماعة اى تطويع مجتمعه الخاص تجاه القبول بالخمر كهيكل اجتماعى ، وقد لعب الشعر وقوة لفظه دورا بارزا فى سن قيم واخلاق تلائم شراب الخمر والصعلكة . اى :

- استمد الشاعر نظامه السلوكى وقواعده من اوضاع وظروف المناخ الاجتماعى بدءا من اسرته .

- الجانب الاكبر فى تأسيس سلوكه هو اندماجه وتفاعله مع الانظمة السلوكية التى عاش تحت رحمتها منذ طفولته .

- اتخذ الشاعر سلوكا متطرفا كتعبير صادقاً في رفضه لواقعه الذي وجد فيه نفسه وبالتالي محاولة تكون مجتمع هدفه شرب الخمر والتبحر في ما تخلقه من لحظات مع تجاهل تام للواقع ورفض ممارسته .

واصبح مفهوم الشاعر الى الحياة بانها لا تدرك الا عن طريق الشعر والتلميح به حيث اصبح الشاعر ينتقى خير الكلام للشئ الذي لم تعد ثمة ضرورة لقوله ، واصبح يجزء الاشياء والاشخاص سواء بسواء ، ويعبر باكثر من لفظ عن معنى واحد ويبالغ في تلميع الكلمات حتى افقدها لونها الاصلى .

واصبح قول الشعر لديه نار دون رماد ، وهو البحث عن الشئ ثم تجاوزه وجعله ايقاع ممل في تعبيره عن الاشياء ، وذلك لان الوقائع الانسانية التي حدثت في تاريخ الشاعر انما كانت عبارة عن ابنية كلية ذات دلالات تتسم بانها عملية ونظرية انفعالية على السواء . وبالتالي اتسم الشعر عن الشاعر بوجود موضوع عبارة عن وحدة تبحث عن القيم الحقيقية في عالم متدرج وان اسلوبه يتسم بالانفعالية والوجدانية والتحديد الذاتي ، ونجد ان قول الشعر ونقده بجانب اعماله واتقانها واضحا ملموسا . عليه فان الاسباب الاجتماعية والتاريخية المتشابكة التي ادت الى تفوق الشاعر وجعلته يجارى فحول الشعر العربى ويتفوق عليهم احيانا وباعترافهم . فهي نقطة في التاريخ تزدد عبقرية الشاعر الذي استطاع ان يحدث ثورة جماعية و ينشئ مدرسة جديدة .

لانه يقوم بجهد تركيبى لمحاولات جزئية كثيرة سبقته وان عمله هذا من الصعوبة بمكان ان يكون فرديا بحث ، لان العمر العبقرى يتسم بانه ذلك الذى يأتى فى موعده لكى يسد نقصا تستشعره الروح العامة التى تربط بين الاشكال الاجتماعية والاشكال الادبية .

رغما عن الانحرافات الاجتماعية التى اتسم بها الشاعر وذلك بخروجه من الاعراف الاجتماعية وتقليده لجماعات سابقة له فى هذا المضمار الا ان خروجه كان وفقا فى قول الشعر .

المبحث الخامس

إنتاجه الأدبي

شاعرية ابي نواس وفنه :

يمتاز ابي نواس بقوى شاعرية فريدة قد تبلغ احيانا حدا من النبوغ بعيدا يلامس العبقرية وهي التي رفعت قدر الشاعر بين اكابر الشعراء فى الادب العربى .

فالعقل من ابرز تلك المقدرات التى اوتيها الشاعر والبديهة السريعة الذكاء ، والخطر المولد الذي يدرك بلمحة طائفة من المبتدعات والمعانى الطريفة وقد زادت ثروته بما وعاه الشاعر من ثقافة رحبة وما اكتسبه من الحياة الواقعية عن طريق السماع والنظر والمعايشة وبما كان يوحيه اليه طبعه الهازئ من مبتكرات وافرة . وكان له خيال واسع قوى يفرض الاعجاب . يبتكر به تلك الصور الرائعة والمعاني الجميلة ويتمثل في بعض اشعاره مثل قوله :

ما زلت أسأل روح الدن فى لطف واستفى دمه من جوف مجروح

حتى انثنت ولى روحان فى جسد والدن منطوح جسما بلا روح

وروعة الصورالتي اتى بها تسمو بالمعاني المبتكرة وخاصة فى أبواب التقليد

و يتجلى ذلك فى البيتين الآتيين وهما من الشعر المدحى :

انما انت عطايا أبدا لا تستريح

بح صوت المال مما منك يشكو ويصيح

وقد ساهم فى إبداع تلك الصور الخيالية ما اوتيته أبو نواس من قدرة على

تشخيص الاشياء الجامدة وبث الحياة فيها حتى كأنها أشخاص تحس وتضطرب

وتعبر عن عواطفها :

قدر الرقاشى مضروبا به المثل فى كل شئ خلا النيران تبتزل

تشكو الى قدر جارات اذا التقيا اليوم الى سنة ما مسنى بلل

غير ان قوة أبو نواس على التصوير ودقة ملاحظته لا تظهر الا فى مثل

هذه الصور الخيالية فى ظهورها قدرة على تأليف المشاهد الرائعة وبراعته البالغة فى

رسم اللوحات الزاهية الناطقة بالالوان وفى اوصافه للخمر امثلة جمة تشهد بما يمتاز به شعره فى التصوير وبما له فيه من طاقة نادرة .

اما العاطفة عند ابي نواس فالظاهر ان حياته اللاهية قد حدثت من عمقها وبعد تأثيراتها ولكنها على بساطتها تحمل من صفات الرقة المشبهه لافى الاحساسات واعذبها والتوثب الدائم المتشوق ابداء الى المتعة الجديدة والارهاف فى استجلاء المحاسن والمتع والتناغم مع كل جمال والصراحة التى لا تخلو احيانا من سداجة حلوة فى وصف نزعات نفسه ومتعتها وهو ما يضى على شعره الوانا فانتة من الطلاوة والحيوية والاستعاضة فضلا عن روح الدعابة والفكاهة والسخرية الذى يتبع فى اغلب شعره فيسبغ عليه من السحر ما يجعله محببا مقربا من القلب ولا يخفى اننا لا نعنى بدعابة ابي نواس كل ما له فى هذا الموضوع من مجون فانه كان غالبا يبلغ فى شعره هذا من الاسفاف ما لا يجوز لنا ان نعه من الادب فى شئ .

ومهما اتى أبو نواس من حجاب الوصف وفى الصراحة فى تصوير نفسه فانه فى الاجمال يقف موقفا عنها يدركه بالحواس ولا يتعداه الى التأثيرات النفسية العميقة وهو يثير فى القارى عاطفة وابتهاج وقد يرغمه فى الاعجاب .

ويمكن بايجاز وصف شاعرية أبو نواس بانها شخصية تلقائية ،شخصية تقوم على اصالة اصطبغت بها نفسيته ومقدرته الشعرية بلون فريد ولانه قصد شعره على تمثيل تلك النفسية ولتلك القوى ثم لانه ابدى اخلاصا تاما فى تصويرها تصويرا كانت تقتضى طبيعة حاله ان يكون طريفا فذا .

وتلك الشاعرية الشخصية التلقائية انها حرة طبيعية لا تقيد نفسها بقيود اجنبية الا فى حالة الاضطرار كما فى المديح مثلا .

فن أبي نواس :

كان لا يروي الشعر الا وهو مطمئن النفس والبال يتحرى الحالات النفسية التى تستدعى تقاطر المعانى والابخلة فيبادر الى انتقاء جميلها وتنسيقه ثم يعود الى ما انتخبه يتذوقه وينقيه من كل ما يعكر صفاء الفن فيه وبفضل هذه العناية الفنية النشيطة استطاع أبو نواس ان يتلافى التكرار الممل الرتيب والجمود والتقليد ، فقد

كان معرضا لهما بسبب وحدة المواضيع فقد نظم مثلا فى الخمر قصائد كثيرة ولولا
فنه لجاءت جميعها متشابهة الا انه قد تنبه لهذا الخطر فتلافاه بما طبع عليه شعره
من تنوع غزير فى المعانى اتاحته له قريحته المولدة الخصبة وتنوع فى الصور بما
يسره له خياله القوى على الابداع المرن فى التكيف باوجه التخيرات والتجسيد ورسم
اللوحات الفنية وتنوع خصوصا فى الاسلوب القصصى الذى غلب على شعر ابى
نواس وقد جدد فيه تجددا رحبا وسكب شخصيته على فنها فى مداه الحر الواسع .

وقد ساعده على ذلك لغة غنية لا تعصه فى شئ ولا تقف به عن اداء اى
معنى اراد واى صورة شاءها ، فابو نواس كما عرفناه قد تضلع فى اللغة تضلعا قويا
، فاستطاع ان يتكيف فى استخدامها على هواه فاذا بها هينة جزلة مترفعة فى المديح
والطرديات ، شديدة الاسر ، سهلة فى الغناء ، قريبة المنال ، تامة الوضوح على
غير تبزل فى الفكاهة والخمر والقصص عموما .

ولا تختلف ألوان أبو نواس الشعرية عن لغته فى تكيفها وانقيادها فقد استطاع
ان يكسرها على جميع الاشكال وينتزع منها جميع اصناف الانغام ويأتى بها اعجوبة
فى التنوع والسلاسة ، اما تنوعها فظاهر جليا بتنوع الابواب التى طرقها والتى اتخذ
كل منها اوزان خاصة ملائمة من رصانة المديح واستطالة اوزانه الى اراجيز
الطرديات ، الى الرزاة والقصر فى الزهديات الى الرشاقة والدعابة ومرونة الاوزان
فى الخمریات .

اما السلاسة فبيئة خصوصا فى اوزان القصيدة وفى اساليبه الخطابية
والغنائية والقصصية ، ولا ريب ان ابا نواس كان فى ذلك من اسبق المجددين
 واجملهم فنا ، فهو اول من نفى عن الشعر العربى تلك الرتابة التى لازمته وصاغته
على وتيرة واحدة ، فقطعت القصيدة الى ابیات مستقلة وقسم البيت الى شطرين
متصلين ، وفي بعض الاحايين كان يجعل من البيت جملة حديث تسير طليقة
كالنثر :

تغير عينيك دليل على انك تشكو سهر البارحة^(١)

ولم يخشى الاخذ احيانا كثيرة بالتضمن كما فى قوله :

فماج الناس فى الناس وظنوا انها الرجعة الى الله

ويمكن اذاً وصف اوزان ابي نواس الشعرية بصفة الحال ، الموسيقى التى هى
صدى لتلك الاوزان وثمره حركتها ، ونوعها وتأليف اصواتها وحروفها وقد ابدى أبو
نواس فيما عدا التنوع ، براعة نادرة فى جعل النغم ملائماً لخفقات العاطفة وحركتها
الداخلية وقد اقصى أبو نواس الجمود عن شعره كما اقصاه بالحيوية الشخصية
الطليقة التى تشيع فى عامة قصائده وبالتناغم المحكم الذى اثبتته بين فنه من ناحية
وبأحاسيسه وظرفه ودعابته من ناحية اخرى^(٢) .

الاسلوب القصصى فى شعر ابي نواس :

ان ابا نواس فى مثل هذه الفنون الرائعة التى تجود بها مخيلته حسبما تقضيه
ظروف نفسه من خلال سلوكه الشخصى يكاد لا يعرف الشعر الصرفى هذا
من خلال ما ظهر فى حوار المسرحى القصصى الذى سياى ضمن هذا الوصف
التي تصوره هذه القصيدة يقول ابو نواس^(٣)

وفتية كمصابيح الدجى غرر شم الانوف من الصيد المصاليات^(٤)
صالوا على الدهر باللهو الذى وصلوا فليس حبلهم منه بمبتوت
دار الزمان بأفلاك السعود لهم وعاج يحنو عليهم عاطف الليت
نادمتهم قرقف الاسفنت صافية مشمولة ، سبيت من خمر تكريت
من اللواتى خطبناها على عجل لما عجبنا بريات الحوانيت
فى فيلق للدجى كاليم ملتطم طام يحار به من حوله النوتى
اذا بكافرة شمطاء قد برزت فى زى محتشم لله زميت^(٥)

^١ الديوان ص ٢١٣

^٢ المصدر : تاريخ الادب العربى : حنا الفاخورى

^٣ الديوان ص

^٤ المصاليات : الشجعان ، مصابيح الدجى : كناية عن النجوم . غرر : بيض ، الصيد : جمع اصيد وهو الرافع
الراس كيرا ، بمبتوت : ليس بمقطوع ، الليت : العنق ، قرقف : من اسماء الخمر ، الاسفنت:طيب الرائحة ،
معنقة من عصير العنب ، تكريت : بلد بين بغداد والموصل ، عجبنا : صححنا

قالت من القوم قلنا من عرفتهم من كل سمح بفرط الجود منعوت

يشير الشاعر فى البيت الاول من هذه المجموعة بحادثة جديدة بعد الحادثة الاولى ، فاذا هم يتنادمون على خمر مشمولة ، طيبة الرائحة ، جلبت من بلدة تكريت ، وما عثم ان أدبر الى ملاحقة الحوادث حتى طلع علينا بتلك العجوز الشمطاء التى تتظاهر بثوب البراءة ، بينما هى تدير خمارة للهو والمجون ، ان وصف الخمر التى اشار اليه يكاد لا يستوقفنا كثيرا ، لانه شائع ومبتذل ، بينما يلفتنا سلوك تلك العجوز التى تخشى ان تظهر للطارقين ، لئلا يكونوا من الشرطة هذا ما يدلنا واقع العصر حيث كثر الفجور فى الخمارات حتى أقاموا عليها حدودا وأخضعوها على الرقابة ، فجعل السكارى يغامرون فى سبيل قنصها وشربها ...

اما الحديث الذى يجرى بين هذه العجوز وبين ابى نواس وصحبه ، فينتقل بالقصة الى جو الحوار المسرحى ، اذ جعلوا يتحدثون فتجيبهم أو تسأل هى فيجيبون ، وهكذا .. لذلك فاننا نلاحظ ان الشاعر يمازج فى خمرياته بين السرد القصصى والعرض المسرحى ، وهو قد حرص على ان يقدم الى الخمارة ليلا لان ذلك أدل على تعلقه بها وإسرافه فيها ، مما لو طلبها نهارا أو عشوة فهو لا يقبل كما نرى فى هذه القصيدة ... وسائر القصائد ، الا بعد ان ينام الناس والسكارى وحتى صاحب الخمارة (٢).

ولقد جعل الشاعر ينادم هؤلاء الفتية بتلك الخمر الطيبة ، المعتقدة ، المجلوبة من تكريت تلك المدينة المشهورة والتى لا تخفى على احد قديما أو حديثا وذلك لاهميتها فى المدن العراقية قاطبة ... هذه الخمر المعتقدة قد خطبت على عجل ، نراهم قد قدموا على احدى صاحبات الحوانيت والليل قد ادلهم كاليم المتلاطم الذى يحار من هوله النوتى : اما صاحبة الخمارة فهى شمطاء كافرة ، تتظاهر بالخشوع والتزمت ، وقد جعلت تتحرى عنهم فماذا قالوا لها ... قالوا لها .. كما ترين فتية الكرام المنعوتين بفرط الجود ... فاغتنمى من مرورهم عليك مثلما غنم داؤد من إسلام جالوت ، واحيي بما تغنمينه منهم " حتى اذا ارتحلوا عن داركم موتى " .

^١ ، زميت : المتوقر ، النوتى : الملاح فى البحر ، طام : ممثلى

^٢ خمریات ابی نواس ، تحقیق د/ فوزي عطوي ، دار صعب بیروت (بون تاریخ) ص ٣٤

فاجابتهم لدى ما تطلبون لكننى لم آت بها اليكم قبل الصباح .. فتداركوا وقالوا ..
ايتى بها فى الصباح بالذات تتوهج بشرار الياقوت .

فأقبلت بها كضيء الشمس ، فسألوها عن عمرها اى عن عمر هذه الخمر ..
فقالتهن لهم من عهد الملك داود ، خبئت بالذن فى قبر تحت الارض ، اما رائحتها ..
فكالمسك اذا مزجت كانها شبك در على ديباج ياقوت .
والحال هذه كان يجتمع من حولها قينة وضارب يقول :

"يا دارهند بذات الجزع حييت" وقد انتنت اليهم الحافظهم كالمباهيت

فأنغامه كصياحات اللحن، ظل يغنيهم بها حتى اصبحوا كالسبابيت اى كالقوم الذين
أخذهم النوم .بعدئذ ، ينصرف الشاعر الى وصف الحقائق المزدانة بالزمان والتوت .
والطلح والطيور ، تلك كانت حالة الشاعر مع الخمر مصاحبة المجان ، حتى اذا الم
بهم الشيب الذى ليس له حظ عند الغواني لزم على حياته المستهترة وجعل يدعو الله
ان يعفو عنه كما عفا عن صاحب الحوت ..

اما على الصعيد الاخر فان هذه القصيدة تزخر بفضيلة اخرى هى من اهم
الفضائل على الاطلاق هى فضيلة الحوادث وذلك واضحا فى مطلع القصيدة التى
تشتمل على فضيلة الحوادث والسرد القصصى من خلال ابياته السابقة حيث يقول:

وفتية كمصابيح الدجى غرر شم الانوف من الصيد المصاليات

صالوا على الدهر باللهو الذى وصلوا فليس حبلهم منه بمبتوت

دار الزمان بأفلاك السعود لهم وعاج يحنو عليهم عاطف الليت

هذه الابيات ليست فى واقع الامر سوى مقدمة للقصة ، لانها لم تعقد المشكلة
بعد ، ولم تظهر لنا الا بعض الملامح الخارجية وقد اقتصرنا على وصف الفتية
صحى ابى نواس ، فاذا هم كرماء شجعان نيرو الوجوه ، شرفاء ، وهذا المعنى ليس
مختصا به ، وانما سلف من قبل كسائر معانى الخمر .

وكقول طرفة فى معلقته التى وصف فيها مجلس خمر له ولرفاقه فى معرض
الافتخار بنفسه حيث يقول فيها :

فان تبغني في حلقة القوم تلقني وان تلتسني في الحوانيت تصطد^(١)
 وان يلتقي الحي الجميع تلاقني الي ذروة البيت الشريف المصمد
 ندماي بيض كالنجوم و قينة تروح علينا بين برد و مجسد
 الي قوله :

وما زال تشرابي الخمورولذتي ربيعي وانفاقي طريقي وملتدي

كذلك اهتم الاعشى^(٢) في وصفه مجالس الخمر بالحديث عن اثر الخمر في
 الشاربين و تعنته في هذا علي نحو خاص حيث يظهر في وصفه لهذا المجلس
 في حائته التي يقول فيها عن صحبه :

في شباب كمصاييح الدجى ظاهر النعمة فيهم والفرح
 رجح الأحلام في مجلسهم كلما كلب من الناس نبج
 لا يخشون علي المال وما عابدوا في الحي تصرار اللقح^(٣)
 أو قول أبي نواس ذاته عبر قصيدة اخرى :

في ندماي سادة نجب اخذوا اللذات عن امم^(٤)

الا ان صحبه هؤلاء ، يمتازون على سابقهم بشجاعتهم ، فهم يصلون على
 الدهر باللهو ، ويدور بهم في فلك السعود وينحنى عليهم اي ان هؤلاء الصاحب لا
 يدعون الدهر يستبد بهم ، بل يستبدون هم به لذتهم ومتعتهم ، وهذا المعنى تردد
 غالبا في شعره اذ رأيناه يقول :

^١ الديوان ص ٢٨٣

^٢ الاعشى ميمون بن قيس بن جندل بن شراحبيل ابن عوف بن سعد المعروف باعشى قيس ويقال له اعشى
 بكر بن وائل والاعشى الكبير ابو بصير لقب بالاعشى لضعف بصره من شعراء الجاهلية واحد اصحاب
 المعلقات ولد في قرية منفوخة باليمامة قرب مدينة الرياض ووفد علي كثير من الموك ولا سيما ملوك فارس
 ولذلك كثرت الالفاظ الفارسية في شعره وعاش عمرا طويلا وادرك الاسلام ولم يسلم وعمي في اواخر عمره
 وتوفي في منفوخة من اثاره ديوان شعر. انظر الاغاني ١٠٨/٩ معجم الشعراء للمرزباني ٤٠١/١٢ الاعلام
 ٣٠٠/٨

^٣ ديوان الاعشى الكبير شرح وتعليق د. محمد حسين ص ١٧٧ دون تاريخ

^٤ الديوان ص ٩١٢

دارت على فتية دان الزمان لهم فما يصيبهم الا بما شاءوا

ولقد كسا هذا المعنى بشئ من الفذلكة الفلسفية المشبع بها جو العصر فقد كان القوم عصرئذ يخيل اليهم ان الانسان مطية القدر ، فجعل أبو نواس يدعى ان الدهر مطية له ولصاحبه ...

من ناحية اخرى فهناك واقعا آخر نشهده لنستشهد به على تأثير الخمر فى نفوس شاربيها اذ انها تعتريهم بالخيلاء والزهو ، حتى يتشبه لهم انهم ذوو سلطة جعلتهم فوق الناس وفوق الدر ، والعرب كانوا قد أدركوا ذلك منذ الجاهلية ، اذ قالوا ان الشيطان ذبح على جذوع الكرمة طاووسا ، مشيرين الى ما فى شرب الخمر من تأثير بالادعاء والاختيال .

وقد أسلف الاخطل^(١) بذكر هذا المعنى اذ جعل يتناول امام عبد الملك بقوله :

اذا ما نديمى على ثم على ثلاث زجاجات لهن هدير
خرجت اجر الذيل تيهها كأننى عليك امير المؤمنين امير

أو قول حسان بن ثابت :

ونشربها فتركنا ملوكا واسدا ما ينهنها اللقاء

هذه المعانى مجتمعة تتفق مع ما ذهب اليه أبو نواس الا انه فى ذلك جارى طبيعة العصر الذى عاش فيه ، معتمدا الإسراف بالمبالغة ، فكانما نعيش معه فى قلب أسطورة مستحيلة ، ان الاخطل واليشكرى وحسانا تخيلوا انهم ملوك أو خلفاء . اما أبو نواس وصاحبه ، فقد ارتفعوا عن الملوك والاسياد واخضعوا للذاتهم الدهر ذاته .

ولا تعجب لذلك لان الشعراء العرب كانوا يتواطئون ، بعضهم على البعض الاخر ، فقد اعتقدوا ان المعانى هى محدودة ، متكررة وليس ثمة مجال للإبداع ، فاقتصر همهم على العناية بالعبارة حتى جعل واحداهم يعتزل نفسه أيما اعتزال ، الا اننا بالرغم من المستحيل الذى يعترينا ، عندما نتلو شعر ابى نواس نظل نشعر ان

^١ ترجمته ص ٥٨

وراء تلك المبالغة المسرفة روحا شفافة ، حيث تلقى ظلها أو تدفع من حرارتها ،
فنتأثر ونعجب بالرغم من مستحيلها ...

بعد هذه المقدمة وهذا السرد القصصى انبرى ابو نواس لوصف الخمر بنعوت
متردة أبدا فى شعره ، وفى شعر من سبقه ومن يعاصره من أدباء الخمر...
يقول الحسن بن هانئ^(١) :

اثن على الخمر بالآنها وسمها بأحسن أسمائها^(٢)
لا تجعل الماء لها قاهرا ولا تسلطها على مائها^(٣)
كرخية قد عتقن حقبة حتى مضى أكثر أجزائها^(٤)

هذه الابيات تدل دلالة واضحة على ان نفس النواسى قد وصلت درجة عالية
من تقديس الخمر وعبادتها ، فقد جعل لها نعمتا تستحق الثناء عليها ، وأسماء حسنى
يختار أحسنها ليطلقه عليها ، كذلك يقول فى هذه القصيدة :

لا تزدد عليها بالماء عند المزج ولا تقلل منه الى الحد الذى يجعلها اقرب الى
ان تكون صرفا بل بين بين حتى تزول حدتها ، وتخف سورتها ، كذلك يصفها
بالخمر المعتقدة وهذه صفة حميدة للخمر خاصة تلك التى جاءت من بلاد الكرخ ،
ولذلك فانها عتقن لمدة طويلة من الزمن ، والخمر كلما طال امر تعتيقها نقصت
وفقدت كثيرا من جرمها وذلك بالضرورة أجود وأحسن وهو ما اشار اليه بتلك الابيات
أنفة الذكر .

ابو نواس بين التقليد والتجديد

كان مبدأ ابي نواس فى الادب ان يكون الادب صورة الحياة فى عصره لذى عاش
فيه ، واذا كان الشعراء من اهل البادية قد وقفوا على الاطلال معبرين عن تجارب

^١ الديوان ص ٥٣

^٢ اثن : امر من الثناء ، الآنها : نعمها

^٣ لا تزدد عليها الماء

^٤ كرخية : نسبة الى الكرخ من ضواحي بغداد ، حقبة : مرة من الدهر ، عتقت : المعتقدة الخمر القديمة

حياتهم فما بال اهل الحاضر ، لا سيما عواصم اللهو والترف ، يجشمون انفسهم ما لا يعرفون ، ويفرضون علي ذواتهم اصطناع ما يجهلون وفي ذلك يقول ابو نواس .

صفة الطلول بلاغة القدم فاجعل صفاتك لابنة الكرم
تصف الطلول على السماع بها افدوا العيان كانت في العلم
واذا وصفت الشئ متبعا لم تخل من خطأ ومن وهم (١)

وللحقيقة فان موقفه من القديم لم يكن موقفا هجوميا فحسب ، بل هو في الاصل موقف الدفاع عن الحداثة والمعاصرة بوجه التقليديين الذين ارادوا ان يفرضوا علي المحدثين منهجهم بسنة التطور والحياة .

وراح ابو نواس يعبث بتلك الفئة ساخرا من انماطها التقليدية متهمها بالوقوف علي الطلل وناقما علي الشقي يبكي علي الطلل داعيا عليه بألا يرقأ له دمع حيث يقول ابونواس :

عاج الشقي على رسم يسائله وعجت أسأل عن خمارة البلد
يبكي على ظل الماضين من أسد لا در درك قل لي من بنو أسد (٢)

وهكذا فقد ارى ابو نواس بالطلل ذلك الذي جعله التراثيون مثار للذكريات ومربع الحنين واحلوه في غرة قصائدهم و البيت الاول لا يمثل موقف شخصين فحسب انما يمثل تيارين عامين شغلا عصر ابي نواس عصر المحافظة والتقليد ، وتيار الحداثة الداعي الي ان يعيش الانسان واقع عصره والي ان يكون الشعر صورة صادقة للواقع وللحياة

وما تقدم يعكس صورة واضحة عن المجتمع في ذلك العصر كيف كان يتشكل وكيف كان يتواءم .

١ الديوان ص ٧٩٠

٢ الديوان ص ٢٧٨

آثار أبي نواس الأدبية

لأبي نواس ديوان شعر طبع مرارا في بيروت ومصر يتضمن حوالي ١٢ ألف بيت من الشعر مرتبة على اثني عشر بابا مرجعها إلى الخمر والمجون والغزل والمدح والرثاء والهجاء والوصف والطرود والزهد والعتاب . من العجيب قد نسب إلى أبي نواس شعر كثير ليس له في المجون والخمر والطرود والابداع فقد أصبح رجل الشعب والمثل الأعلى لكل ما هو من الخمر والعبث وما يشبهها حتى نسجت حول اسمه الأساطير ونسب إليه كل ما جهل مصدره من الأبواب التي برع فيها بعكس ذلك قد أهمل كثير من الشعر الجدي لأن أبا نواس لم يدون شعره بنفسه بل دونه غيره بعد ثلاثين أو أربعين سنة من وفاته وعلى ذلك قد يظن أن أكثر الضعيف المنسوب إليه إنما هو من المنحول أو ما قاله ارتجالا في آونة الشرب والمجون .

تقليده :

لم يكن أبا نواس ليعمد إلى التقليد في أكثر الأحيان إلا اضطرار وكان ذلك يورثه شيئا غير قليل من التبرم والضجر لأنه يتكلفه تكلفا ولا يخشى أن يقول في مطلع إحدى قصائد المديح :

أعر شعرك الاطلال والمنزل الفقرا فقد طالما أزرى به نعتك الخمر
دعاني إلى وصف الطلول مسلط يضيق ذراعي أن ارد له امرا
فسمعا امير المؤمنين وطاعة وإن كنت قد جشمتني مركبا وعرا^(١)

وغنى عن القول بعدما عرفنا من سعة اطلاع أبي نواس على الأدب القديم تضلعه من اللغة ومقدرته الشعرية أن يجيد التقليد إلى حد بعيد فيأتي بمديحه مشابها كل المشابهة لمدح الشعراء السابقين ولا سيما الأمويين منهم يستهله بندب الاطلال ، أو التغزل المصطنع وذكر الرحيل ووصف الناقة أحيانا ، حتى يبلغ الممدوح فيصبغ

^١ الديوان ص ٣٤٤

عليه الاوصاف المعهودة من كرم الاصل ، والجود ، والاتصال بالنسب النبوى وتمثيل الله بقصد الاستجداء .

واذا انس أبو نواس من ممدوحه شيئاً من الالفة والمودة لا يحجم عن إرسال شعره اكثر حرية وطبيعة كما يجرى له خصوصاً فى مدحه لصديقة الامين ، واننا نستطيع ان نعد رثاء أبو نواس على قلته من الشعر التقليدى ولا يدع ان يصطنع أبو نواس ويقلد فى الرثاء وهو ممن تستحيل عليهم الاجادة فى مثل ذلك لما فيه من محاربة الحزن والالم طوال حياته حتى من قبل غرامه باللذة كل عاطفة شفقة ، وفيما عدا ذلك فان شعر ابى نواس كشعر بشار لا يخلو من بعض التقليد سواء كان ذلك فى اللجو الى اساليب قديمة أم فى اقتباس معان ردها عدد كثير من الشعراء الذين تقدموه . واننا اذا استقرينا اكثر أبواب شعره من وصف وفخر وهجاء وغير ذلك لمسنا اثر التجديد والتقليد فيهما .

المبحث السادس

مكانة ابي نواس الادبية

آراء الناقد في شعر ابي نواس :

يجمع المؤرخون والادباء على ان (ابا نواس) من أجود الشعراء شعرا وأدقهم قصيدا عالما بمختلف ضروب الشعر ، بارعا في الادب ، ولغات العرب ، حتى قال عنه الجاحظ كلمة لطيفة حسنة .

والجاحظ هو أبو عثمان عمر بن بحر من أعظم أدباء العرب على الاطلاق وأجودهم لغة وأسلوبا انتظمت له معارف عصره ودانت له معلومات زمنه ، فكان دائرة معارف ما من ذلك شك ولا ريب . قال الجاحظ عن أبو نواس : لا اعرف أحدا بعد (بشار بن برد) مولدا اشعر من ابي نواس . وعن (ابى عبيدة) أبو نواس للمحدثين كأمرؤ القيس للأولين ، لانه هو الذى فتح لهم هذه الفطن ودلهم على هذه المعانى .

وقال (أبو الحسن الاخفش البغدادي) (^١) بإسناده عن الاحمصي لا اروى لأحد من اهل الزمان ما ارويهِ لابي نواس .

وحدث المبرد (^٢) عن علي بن القاسم بن علي بن سليمان قال : سمعت ابا عبيدة يقول : ذهب اليمين بجد الشعر وهزله : امرؤ القيس بجده وابو نواس بهزله

^١ ابوالحسن الاخفش هو سعيد بن مسعدة المعروف بالاخفش البصري وهو الاخفش الاوسط احدائمة النحاة من البصريين اخذ النحو عن سيبويه وكان ثعلب يقول فيه هو اوسع الناس علما وقال المبرد احفظ من اخذ النحو عن سيبويه الاخفش وصنف كتباً كثيرة منها المقاييس في النحو والاشتقاق وغير ذلك مات سنة ٢١٥ هـ مع الهوامع شرح جمع الجوامع ٢ / ١٩ انباه الرواة ٢ / ٣٦ - ١٤٥ اشارة التعيين ص ١٣١ الاعلام ٢٧٧/١ بغية الوعاة ١ / ٥٩٠ تذكرة النحاة ص ٥ .

^٢ ابو العباس المبرد محمد بن يزيد عبد الاكبر الاسدي البصري اخذ عن المازني والجرمي وقرا عليهم كتاب سيبويه وللمبرد مؤلفات كثيرة منها الكامل في الادب والمقتضب في النحو وشرح شواهد الكتاب مات سنة ٢٨٦ هـ انباه الرواة علي انباه النحاة ج ٣ / ٢٤١ اشارة التعيين ص ٣٤٢ الاعلام ٧ / ١٤٤ بغية الوعاة ٢٦٩/١ تذكرة النحاة ص ٧

وقال (أبو الحسن الطوسي) ^(١) شعراء اليمن ثلاثة امرؤ القيس ، حسان ، وابو نواس ، وكان لخلف الأحمر ولاء فى اليمن بين الشعراء ولهم منه العطايا الجزيلة والهدايا السنية ، وكان عصبيا شديد الخلق يميل ميلا فطريا الى ابي نواس وهو الذى كناه بهذه الكنية . وقال له انت من اليمن فتكن باسم من اسمائهم ثم أحص له اسمائهم وخيره بقوله : ذو جدن أو ذو كلان ، وذو يزن ، وذو كلاع ، وذو نواس ، فاختار (ذا نواس) فكناه (ابا نواس) فصارت كنيته فغلبت على (ابي على) كنيته الاولى .

وحكى ان ابا نواس كان يعجبه شعر النابغة ^(٢) ويفضله على زهير تفضيلا شديدا وهما من كبار شعراء الجاهلية وأصحاب المعلقات . وكثيرا ما يقول ان الاعشى وهو من شعراء المعلقات ايضا ليس مثلهما .

وكان يتعصب لجريز ويقول هو اشعر الناس ، ويأتم بشار ويقول : هو غزير الشعر كثير الافتتان ويقول ايضا أدمت قراءة شعر الكميت فوجدت قشعريرة ، ثم قرئت شعر الخريحي فتشفعت على الحمى ببرودة .

كان أبو نواس يأخذ معانيه فى الخمر فيغير عليها اذا شاع شعر نادر نسيه الناس الى أبو نواس وله معانى فى صفتها ، وأبدع فيها وسبق اليها فاستعارها أبو

^١ هو: الحسن بن علي بن اسحاق الطوسي ، ابو علي الملقب بقوام الدين نظام الملك ، اصله في نواحي طوس ولد سنة ٤٠٨ هـ وزير حازم ، محب للعلم ، أنشأ النظامية في بغداد اغتاله رجل من الديلم سنة ٤٨٥ هـ ، وفيات الاعيان ١٤٣/١ ، البداية و النهاية ٧٠/١٠ .

^٢ النابغة الذبياني زياد بن معاوية بن ضباب الذبياني الغطفاني المضري توفي نحو ١٨ ق.هـ . شاعر جاهلي من اهل الحجاز كانت تضرب له قبة من جلد احمر بسوق عكاظ فتقصده الشعراء فتعرض عليه اشعارها وكان خطيبا عند النعمان بن المنذر حتي شبيب في قصيدة بالمتجردة زوجة النعمان فغضب النعمان ففر النابغة وغاب زمنا ثم رضي عنه النعمان فعاد اليه له شعر كثير جمعه بعضه في ديوان صغير . ابن عساكر تاريخ

دمشق ٢٥٨/٦ الاعلام ٩٢/٣ الاغانى ٣٨/١١ معجم الشعراء ١٦٩

نواس ويعرف في مذهبه في الخمر والمجون حتى تناول القصص الشعبية بصورة وأسلوبه (١) .

رأي النظام

قال النظام (٢) : كأنما جمع الكلام له فاختار أحسنه ، رأى إبراهيم الياس : اذا رأى الرجل يحفظ شعر أبي نواس علمت ان ذلك عنوان ادبه .

رأى ابن السكيت (٣) :

أرى من المحدثين لأبي نواس محسبك (٤) .

ومجمع الآراء في انه متقن اللغة قولاً وعملاً عربى خالص اذا جد ظريف ، اذا اخذ عن العرب قوافيه لنظمهم المشين الجزل . اخذ عن الفرس أوصافهم المادية للحياة المتحضرة . فهو اشعر شعراء عصره ثورة على القديم ، يفصل الحضارة عن البداوة ، يريد الشعر حضرياً ألفاظه ومعانيه وأغراضه كان فاسقاً عاصياً لله معتمداً على عفوه ومغفرته (٥) .

الموضوعات الشعرية عند أبي نواس :

على الرغم من كل ما طرأ على المجتمع السياسى من تغير وتطور ظلت المجالات الموضوعية التي عرفت الشعر من قبل قائمة ومستمرة فالمدح والهجاء والثناء والغزل والوصف والمجون والزهد . كلها ظلت مجالات للابداع الشعرى في

^١ طباعة دار الفكر ، نجيب محمد لبهيش ، تاريخ العرب حتى اخر القرن الثالث الهجرى .

^٢ ترجمته ص ١٤

^٣ شيخ العربية ابو يوسف يعقوب بن اسحق بن السكيت البغدادي النحوي المؤدب مؤلف كتاب اصلاح المنطق اخذ عن ابي عمرو الشيباني وطائفة وروي عنه ابو عكرمة الضبي وله من التصانيف نحو من عشرين كتاباً مات سنة (٢٤٤هـ) وفيات الاعيان ٣٦٦/٦ الفهرست ٧٩ تاريخ بغداد ٢٧٣/١٤ معجم الادباء ٥٠/٢٠ البداية والنهاية ٣٤٦/١

^٤ ادب العرب ، مطبعة الكريم جونية ، بقلم مارون عبود ، ص ١٩٤ ، دار الثقافة ، بيروت

^٥ المرجع نفسه ، ص ١٩٥ .

ذلك العصر . . وان ذلك كان استجابة للاوضاع السياسية والاقتصادية والاجتماعية الجديدة .

اولا : المدح

يلاحظ على شعر المدح فى القرن الثانى تطورات بعضها يدخل فى موضوع المدح نفسه اما من الناحية الشكلية فقد أشرت الى التغير الكبير الذى طرأ على مقدمات قصائد المدح بدأ الشعراء يفتتحون هذه القصائد بوصف الخمر والتعبير عن إقبالهم على ملذات الحياة بدلا من افتتاح هذه القصائد بالبكاء على الاطلال والنسيب التقليدى .

ان ابا نواس لم يتخرج كما رأيت من افتتاح قصائد مدحه بالغزل المذكر وكثيرا ما أحسن الشعراء فى القرن ببعض قصائد المدح فى رغبتهم فى التعبير عن انفسهم وأحاسيسهم ولهذا كانوا يستغلون مقدمات هذه القصائد فى اظهار مشاعرهم والتعبير عنها .

وهناك تطور آخر فى شكل قصيدة المدح اذ تأثرت بالعوامل المختلفة والتي ادت الى رقة الأوزان والألفاظ مع ان قصائد المدح كان أساسها فى العصر الجاهلى الاسلامى ايضا الجزالة والفخامة وقوة اسر الالفاظ وطول البحر الشعرى ليتلائم مع جزالة الالفاظ وفخامة التعبير .

وإذن أبو نواس فى فن المدح الذى هو محك اختيار الشعراء شاعر تقليدى قديم وان كانت هناك سمات أو بوارق لين فى مدائحه وقد وجدت أشباه لها عند غيره من جمهرة الشعراء السابقين .

ويرى الباحث " ان أبا نواس فى مدحه الجاهلى النزعة مقلد يقف على الاطلال ويمتطى النياق ويتعمد أوابد اللغة تحف به الرصانة ويواكبه جلال الالفاظ ويتحدث الى المحافظين من جهة والى علماء اللغة والبيان من جهة ثانية .فشخصيته تضعيع كما تضعيع فى سائر أبوابه التقليدية .كقوله فى مدح الرشيد :

حيى الديار اذ الزمان زمان ولربما جمع الهوى سفوان
واذا مررت على الديار مسلما فلغير دار اميمة الهجران^(١)

^١ الديوان ص ٨٤٤

ثم ان مدحه كان طلبا للمال أو استعطافاً أو تقرباً أو خشية الامين حيث يقول

الا ترى ما اعطى الامين اعطى ما لم تره العيون
ولم تكن تبلغه الظنون الليث والعقاب والدلفين
ولي عهد ما له قرين ولا شبه ولا خدين
استغفر الله بلى هارون يا خير من كان ومن يكون
الا النبي الطاهر الميمون ذلت بك الدنيا و عز الدين (١)

ولكنه اخلص احيانا اذا ما رضى أو اذا شعر بالمودة بينه وبين من مدحه
كما هي الحال فى بعض مدائحه للامين فيخاطبه فيها مخاطبة النديم والصاحب
ومدائحه للخصيب والى مصر لانه أرضاه وأطلق له العنان فى ملامه ،
يقف الناقد عند بعض قصائد أبي نواس ممهدا لها بابيات تجري على سنن
الشعر التقليدى . فتبدأ غالبا بالنسب ثم يمدح بالصفات المعروفة للمدح والتى
يتناولها الشعراء ويجرون فيها على نهج واحد . وان اختلفت الصورة والأساليب ،
ومن أجمل مدائحه ميميته فى مدح الامين ومطلعها :

يا دار ما فعلت بكل الايام ضامتك والايام ليس تضام (٢)

وقيل ان هذه القصيدة هي اول ما انشد أبو نواس فى مديحه وقد وصله عليها
بألف دينار ومما يتردد من أبياتها فى كتب الادب وعلى السنة الرواة إعجابا بقوله:
وقد تهزت مع الغواة بدلهم واسمعت سرحاللهو حيث أساموا
وبلغت ما بلغ امرؤ بشبابه فاذا عصارة كل ذاك آثام (٣)
وقال يمدح الخصيب :

منحتكم يا اهل مصر نصيحتي الا فخذوا من ناصح بنصيب
ولا تثبوا وثب السفاة فتركبوا علي حد حامى الظهر غير ركوب
فان يك فيكم افك فرعون باقيا فان عصا موسى بكف خصيب (٤)

^١ الديوان ص ٨٥٨

^٢ الديوان ص ٧٧٢

^٣ المثل السائر ٢٧/٢

^٤ الديوان ص ١٤٨

رماكم امير المؤمنين بحية اكلول لحيات البلاد شروب
ومن اروع ما قاله في مدح الخصيب عندما وفد أبو نواس على الخصيب
بمصر فأذن له وعنده الشعراء فأنشد الشعراء أشعارهم فلما فرغوا قال أبو نواس أنشد
إيها الأمير قصيدة هي كعصا موسى تلقف ما صنعوا قال أنشدتها فأنشده قصيدته
التي منها قوله

إذا لم تزر أرض الخصيب ركابنا فأني فتى بعد الخصيب نزور
فتى يشتري حسن الثناء بماله و يعلم أن الدائرات تدور
فما فاته جود و لا ضل دونه ولكن يسير الجود حيث يسير
فاهتز الخصيب لها طربا وأمر له بألف دينار ووصيف ووصيفة
وكذلك قصيدته في الخصيب التي مطلعها :

أجارة بيتنا أبوك غيور وميسور ما يرجى لديك عسير^(١)

وانطلاقاً من سرد الشاعر بين القديم والمحدث اختتم في الجانب الشكلي برأى
ناقد آخر حيث يقول (لابی نواس في المديح خاصة طريقان : طريق القدماء
والطريقة التي شقها المحدثون . ففي المديح على طريقة القدماء اضطر أبو نواس
الى ان يصل عقلية بعض ممدوحيه ليستدر اكفهم ، وعقليه الممدوحين عامة كانت
يومذاك لم تزل تطرب الى صفات البادية وتهتز لذكر ألوانها من اجل ذلك قلد أبو
نواس في بعض مدائحه الاقدمين ، لقد وقف على الاطلال وذكر الجمل والفرس
ووصف الصحراء ، ولكن في مطالع المدائح فقط وفي مدائح الرشيد والامين أو في
مديح البرامكة والفضل بن الربيع^(٢))

وفي المدح على طريقة ابي نواس يقول الدكتور عمر فروخ (وخالف أبو
نواس الاقدمين في مطالع المديح وفي الصفات التي خلعها على الممدوح ويعود
المحدثون خصوصاً اهل الحضر ان يفتتحوا قصائدهم بالغزل وبالكلام عن الصدود

^١ المستطرف في كل فن مستظرف ج: ١ ص: ٤٩٨

^٢ هو الفضل بن الربيع بن يونس استوزره الرشيد بعد ان نكب البرامكة ، ثم ان ابنه الامين من بعده ووهو الذي
زين للامين خلع المامون من البيعة توفي سنة ٢٠٨ هـ ، ترجمته في وفيات الاعيان ١٢/٢

والهجران وذكر الشباب والندامى والنسرين ، والورد ، وقد ذكروا الغلمان ويذكرون النساء ولقد جرى أبو نواس على ذلك فى غير مدائح الخلفاء والامراء والوزراء .
فالمبالغة ايضا ليست وقف لأبى نواس أو غيره وانما هى عادة الشعراء فى كل العصور ولكن من الحق ان اذكر ان المديح فى القرن الثانى قد اتجه الى المبالغة وابتعد عن جملة المعالجة التى تداولها فن المديح فى الشعر القديم والتى شكلت العمود الفقرى اذ لم تعد المثالب الخلقية والكرم والشجاعة محور قصائد المديح .

ثانيا الرثاء :

الرثاء عند ابى نواس كالمدح عنده من حيث اللون التقليدى وقد اجمع النقاد والمحدثون على ان رثاء ابى نواس اقل خطأ من حيث الجودة فى مديحه بل ربما كان الرثاء اضعف شعر ابى نواس ، وهذا امر طبيعى لانه لم يكن رجلا محزوناً ولا ميالاً للحزن وانما كان رجلاً مبتهجا بطبعه .
ويقول الدكتور طه حسين :
وانا ازعم بان ابى نواس لم يصدق فى رثائه الا مرة واحدة وذلك حين رثى الامين بهذه الابيات :

طوى الموت ما بينى وبين محمد وليس لما تطوى المنية ناشر

فلا وصل الا عبرة تستديمها أحاديث نفس ما لها الدهر ذاكر

وكنت عليه احذر الموت وحده فلم يبق لى شئ عليه أحاذر

لئن عمرت دور بمن لا أوده فقد عمرت ممن أحب المقادر^(١)

ويعقب الدكتور طه حسين على تلك الابيات بقوله (فاما غير ذلك من الرثاء فسخيف أو متكلف ولست اشك فى ان ابا نواس كان يشعر بضعفه فى هذا الفن وكان مع ذلك يحاول ان يخفى الضعف).^(٢)

^١ الديوان ص ٣٧٢

^٢ ضحى الاسلام احمد امين ص ٣١٠

يرى الباحث ان الرثاء قليل جدا فى ديوان ابى نواس فلم يكن الحزن مذهب
ابى نواس ولكن هذا لم يمنع عاطفة ابى نواس من البروز فى هذا الفن ، فلقد رثى
الامين فى ابيات قلائل ولكنها مشهورة . ولعل عاطفته فى رثاء رفيق صباه واستاذة
والبة كانت هذه القطعة تألقت من الغناء وكان يباح بها) .
وهى التى يقول فيها :

فاضت دموعك ساكبه جزعا لمصرع والبه
قامت بموت ابى اسامة فى الرفاق النادبة
قامت تبث من المكارم غير قيل الكاذبه
فجعت بنوا اسد وبنو نزار قاطبة
بلسانها و زعيمها عند الامور الحازبة
لا تبعدن ابا اسامة فالمنية واجبة
كل امرئ تغتاله منها سهام صائبة
كتب الفناء علي العباد فكل نفس ذاهبة
كم من اخ لك قد تركت همومه بك ناصبة
قد كان يعظم قبل موتك ان تنوبك نائبة^(١)

وقد رثى الحيوان الأليف كالكلاب والقطط ، وهذا الضرب من الرثاء يكشف
عن معنى انساني حضارى حيث تتوالد العاطفة التى تربط بين الانسان والحيوان
والتي تغدو قوية فى نفس الانسان حتى ان فقدته للحيوان الاليف لديه يبعث فى نفسه
الاسى والحزن .

فقد كان للشاعر أبو نواس كلب صيد أثير ولكن حية لسعته فى عرقوبه
وأفرغت فيه سما فمات ساعته وقد حزن عليه الشاعر فرثاه وبكاه بأرجوزة يقول
مستهلها :

يا بؤس كلبى سيد الكلاب قد كان اغنانى عن العقاب
وكان قد أجزى عن العقاب وعن شراء الجلب الجلاب

فهذا الكلب سيد الكلاب وهو كلب صيد ماهر لا يحوج صاحبه حيث يخرج للطرده استخدام الصقور وبعد ان يذكر الشاعر ما كان لذلك الكلب من فضل فيما أشبعه به من لوم الأطباء ، يمضى فيحكى قصة مصرعه بسم فيقول :

فبينما نحن به فى الغاب اذا برزت كالحة الانياب
رقشاء جرداء من الثياب كأنما تبصر من نقاب
فعلت عرقوبه بناب لم ترع لى حقا ولم قاب
فخر والضاعت بلا ارتياب كأنما تنفخ فى جراب

وهكذا اخرجت الحية الرقطاء فى منظرها البشع وهاجمته من خلفه دون ان ينتبه اليها فعضت عرقوبه لكن سقط الكلب صريعا وانسابت الحية فى هدوء واطمئنان وقد أصابت منه مقتلا تفح فحيح المنتصر ومن ثم يختم الشاعر مرثيته بتوعدها بالاقترصاص لكله الاثير منها :

لا أبت ان أبت بالأعقاب حتى تذوقى أوجع العذاب

انها تجربة طريفة بلا شك ، يكشف لنا تأملها عن ركائز التطور الحضارى والخبرات الجديدة التى كتبها شعراء تلك الفترة والإمكانات التى فتحتها المحدثون منهم فى تطويع أدواتهم التعبيرية لكل مضمون مستحدث .

ثالثا :الهجاء :

ولاحظ قبل كل شئ ، ان هجاء ابى نواس ينقسم اقسام فهناك الهجاء السياسى وها نفسه ينقسم قسمين : احدهما هجاء ابى نواس للعرب عامة ، وللنزاريين خاصة ، فقد كان أبو نواس كما يقول الدكتور طه حسين (شديد لميل الى الفرس وكان لا يحب العرب الا اليمانية ، فاما النزارية فقد كان يزدرهم ويمقتهم كل المقت وكان ينالهم بأشد الشعر إقذاعا والقسم الاخر من هجائه السياسى هجاؤه للذين عاشروه من الامراء والوزراء .

فقد كان أبو نواس يكره البرامكة ويكره الامويين ، وكان ينال أولئك وهؤلاء بفاحش القول . فانظر هذه الابيات التى هجا بها إسماعيل بن صبيح مولى الامويين وكاتب الامين :

الاقل لإسماعيل انك شارب بكأس بنى ماهان ضربة لازم
 اتسمن اولاد الطريد و رهطه باهزال آل الله من نسل هاشم
 وان ذكر الجعدى أذريت عبره وتغدو بحجر مغطرا غير صائم
 فان يسر إسماعيل فى فجراته فليس امير المؤمنين بنائم^(١)

والى ما يقرب من ذلك يرى الدكتور شوقى ضيف ان هجاء نوعان ، نوع
 نمسك فيه بالاوضاع التقليدية وذلك حين كان يهجو العدنانيين ويفخر بمواليه
 القحطانيين وكأننا نسمع قصائد من نمط نقائض جرير والفرزدق ، فهى تعج بالمثالب
 القبلية التى عرفها فى نقائضهما . وذلك انه لا يوازن بين خشونة البدو وحضارة
 الفرس كما يصنع بشار وانما يوازن بين تلك الخشونة والحضارة العباسية المادية وما
 يجرى فيها من خمر ومجون كالذى يعلف علوفا ويأخذ ذلك عنده شكل ثورة جامحة
 على الوقوف بالرسوم والاطلال والبكاء ودعوة حارة الى المتاع بالخمر على شاكلة
 قوله:

عاج الشقى على دار يسائلها وعجت أسأل عن خمارة البلد

وهناك قسم ثالث فى هجاء أبو نواس ، هجاؤه لأصحابه من الشعراء والندامى
 فله فى الرقاشي وفى بني نوبخت كثير مقذع ، وهنا يقول الدكتور طه حسين (
 وظاهر ان رجلا كابى نواس حياته بينا الكأس والطاس . فى لعب ومزاح كان من
 خفة الروح وتوقد الذكاء ودقة الفطنة بحيث كان يبلغ ما أراد اذا هجا فهو من اشد
 الشعراء فى عصره اخذاعا ومن أكثرهم نكاية بالخصم وفى هجائه ازدراء لا يعد له
 ازدراء) فانظر قوله :

أَمَاتَ اللهُ مِنْ جُوعٍ رَقَاشَا فَلَوْلَا الْجُوعُ مَا مَاتَتْ رَقَاشُ
 وَلَوْ أَشْمَمْتَ مَوْتَاهُمْ رَغِيفَا وَقَدْ سَكَنُوا الْقُبُورَ أَذْنَ لِعَاشُوا^(١)
 وانظر الى قوله فى هجاء داؤد بن ذرين رواية بشار :
 إِذَا انْشَدَ دَاؤْدُ فَقُلْ أَحْسَنَ بَشَارُ
 لَهُ مِنْ شَعْرِهِ الْغَثُ إِذَا مَا شَاءَ اشْعَارُ
 وَمَا مِنْهَا لَهُ شَيْءٌ إِلَّا هَذَا هُوَ الْعَارُ

ويرى الباحث ان فى تصويره ان هجاء ابى نواس متين التركيب خشن لاذع حاصر النكتة ، فإن ابا نواس لم تمر به فرصة أو مناسبة استطاع ان يعرض فيها لمن هجوه ويتهكم عليه ويحمل السامع أو القارئ على التهكم الا انتهزها وانك ترى ان ابا نواس لا يتعفف عن ذكر ما يستقبح ولا يقرع مما يكره فى اللفظ أو المعنى اذا اضطر الى ذلك .

ثم هو لا يعرف حرمة لأحد فقد هجا العباسة أخت الرشيد وهجا البرامكة ايام دولتهم وهجا العرب والاسرة المالكة منهم ، على ان هناك هجاء لابی نواس من النوع الكاريكاتورى الساخر ، وربما أبو نواس ابرع شعراء زمانه فى ذلك اللون من الهجاء .

انظر فى هذه الابيات مثلا :

رَأَيْتَ الْفَضْلَ مَكْتَبَا يِنَاغِي الْخَبْزَ وَالسَّمَكَا
 فَقَطَّبَ حِينَ ابْصَرْنِي وَنَكَسَ رَأْسَهُ وَبَكََا
 فَلَمَّا انْ حَلَفْتَ لَهُ بَانِي صَائِمٍ ضَحْكََا^(٢)

فابو نواس هنا يتحدث عن بخل صاحبه وكنه يختار لتصوير هذا البخل موقف من سلوك هذا الهجاء ، ومن ديوان الشاعر لقطات اخرى من نفس الطراز الكاريكاتورى يصور فيها نفسية البخلاء وسلوكهم . وايضا فانه يصور لنا نمطا آخر من الناس ، هم ثقلاء الروح والظل فيقول مثلا عن صاحب له من هذا النوع:

^١ الديوان ص ٥٢٥

^٢ الديوان ص ٦٧٩

لى صاحب أثقل من احد قرينه ما عاش فى جهد
 علامة البغض على وجهه بينه فدخل فى المهد
 لو دخل النار طفا حرها فمات من فيها من البرد

فهذا صاحب أثقل من جبل احد المعروف بظاهر المدينة المنورة من عاش
 حياته فى عناء وتعب انه بغيض الى النفس منذ ان ولد ففى حراه ما يبغض الناس
 فيه وهو ثقل الروح والظل على قدر هائل من البرود ، حتى انه لو دخل جهنم
 نفسها لاطفى حرارتها وأشاع فيها البرد ما يقتل اهلها .

ويفيد أبو نواس من ثقافة عصره حين يقدم الينا صورة معن ثقل على النحو

التالى :

قل لزهير اذا اتكأ وشدا اقلل أو اكثر فانت مهذار
 سخنت من شدة البرودة حتى صرت عندى كأنك النار
 لا يعجب السامعون من ضفتى كذلك الثلج بار حار

فهو يدور هنا حول معنى برودة ذلك المعنى فيرى انه صار ساخنا من شدة
 برودته شأنه فى هذا شأن الثلج ، فانت لا تطيقه كما لا تطيق النار وهو من المعانى
 اللطيفة المبتكرة التى تتم عن عقلية مرهفة الإدراك ، ومن الأمثلة التى قدمتها يتضح
 لى ان الهجاء قد تطور تطورا كبيرا فى القرن الثانى الهجرى ، تطور فى معانيه
 وأهدافه وأسلوبه وألفاظه وصوره ، وقد تراوح هذا التطور بين الهبوط الى درجة
 السباب والفحش والابتذال وبين الارتفاع من الناحية الفنية الى درجة التصور الساخر
 الممتع الذى يدل على طاقة فنية وذهنية ساخرة تعتمد على فن أصيل وروح مرحة
 ضاحكة ، ترتفع عن السب الرخيص والانتهاكات الدنيئة .

وقال عن نفسه : شعرى أشبه بشعر جرير ، فقال له بعض من حضروه ماذا

تقول فى شعر الاخطل ، فقال : هو امامى فى الخمر .

فقال له ما الفرزدق ؟ قال : ذاك الأب الأكبر . وقال ما قلت الشعر حتى حفظت
 شعر ستين امرأة خلاف رجل .

وحكى ايضا عن ابن الاعرابى انه قال : ختمت شعر ابى نواس فما رويت

لشاعر بعده .

وعن ابن عكرمة عامر بن عمران الظبي عن ابن السكيت ان ابا عمرو الشيباني^(١) قال : لو لا ما اخذ فيه أبو نواس من الفحش لاحتجبنا بشعره لانه كان يحكم القول ولا يخلطه .

وكان على بن عباس المعروف بان الرومي^(٢) يزعم انه ليس بعد بشار اشعر من ابي نواس ويصب على قوالب معينة .

قال سفيان بن عيينة لرجل من اهل البصرة انشدني لابي نواسكم فانشده الرجل : **ما هو الا له سبب يبتدئ به وينتجب فقال سفيان : آمنت بالذى خلقه .** فقال احمد بن يوسف الكاتب^(٣) : لقد وصف أبو نواس الخمر بصفة لو سمعها الحسان ، الحسن البصري^(٤) ، ابن سيرين لهاجرا اليه واعتكفا عليه .

وقال ابراهيم النظام : كانما كشف لابي نواس عن معاني الشعر حتى قال أجودها واختار أحسنها ، وقال عبد الله الحجاز كان أظرف الناس منطقاً وأقزهم أدبا وأقدرهم على الكلام وأسرعهم جواباً وأكثرهم حياء وكان ابيض اللون ، جميل الوجه ، مليح النغمة والاشارة ، ملتف الأعضاء بين الطويل والقصير ، معقول الوجه ، قائم الانف ، حسن العينين والضحك ، حلو الصورة ، لطيف الكف والاطراف ، فصيح اللسان ، جيد البيان ، عذب الالفاظ ، حلو الشمائل ، كثير النوادر ، اعلم الناس ،

^١ هو اسحق بن ضرار ابو عمرو الشيباني الكوفي . قال الخطيب : كان ابو عمرو راوية اهل بغداد واسع العلم باللغة والشعر ثقة في الحديث عالما بكلام العرب حافظا للغاتها صنف كتاب الجيم والنوادر وغريب المصنف وغير ذلك مات سنة ٢٠٦ هـ الاعلام ج ٣/١٨١ - ٢٩٦/١ - بغية الوعاة ٤٣٩/١ - تذكرة النحاة ص ٣٠٥

^٢ ابن الرومي شاعر زمانه مع البحتري ابو الحسن علي بن العباس بن جريج مولى آل المنصور له النظم العجيب والتوليد الغريب مولده سنة (٢٢١ هـ) ومات لليلتين بقيتا من جمادي الاولى سنة (٢٨٣ هـ) يقال ان الوزير القاسم بن عبيد الله كان يخاف من هجوه فدس السم له في الطعام فلما احس وثب فقال له الوزير الي اين قال الي موضع بعثتني اليه قال فسلم علي ابي قال فما طريق علي النار فبقي ايما فمات تاريخ بغداد ٢٣/١٢ وفيات الاعيان ٣/٣٥٨ شذرات الذهب ٢/١٨٨

^٣ احمد بن يوسف بن صبيح مولى بني عجيل من قرية من قرى الكوفة تعرف (بدبا) الكوفة فلما اتق تكني بابي القاسم توفي سنة ٢١٣ هـ . انظر الاوراق ص ١٤٣

^٤ هو الحسن بن ابي الحسن البصري ابو سعيد اما اهل البصرة كان عالما فقيها حجة كثير العلم توفي سنة ١١٠ هـ

فكيف تكتمل العرب راوى للشعار علامة بالاخبار كان كلامه شعرا موزونا وهذه جملة مختارة مما يقول فيه تقديرا لشعره وادبه .

ثانيا :الطرديات :-

الطرديات أو وصف الصيد من الاغراض الشعرية التى كانت معروفة عند العرب الا انها حتى عهد ابى نواس لم تقم فنا مستقلا بذاته بل كانت كالخمريات تاتى فى اغلب الاحيان مدموجة فى عرض قصيدة مختلفة المواضيع موجزة فى الاجمال ، قلما تتعدى بضعة ابيات .

وقد عنى ابو نواس عناية خاصة بهذا الباب ، لانه كان من الامور التى يؤثرها الامراء واغلبهم ولع بالصيد وكان شاعرا يخرج بصحبته اليه ، ويرجع ملء حقيبته صور رائعة متنوعة صور الكلاب والطرائد ، والات الصيد ، وسائر ما يستخدم ويرى من مثل تلك الحال ثم يتحفهم بقصائد فى تصوير تلك الايام اللاهية ، يتناول فيها الصيد من جميع نواحيه ويعتنى فى وصفها ويتمادى ما يشاء ، حتى يؤلف لوحات عليها من البراعة والاتقان ما قلما اتفق لسواه ، وابو نواس يكثر فى هذا الباب من الصناعة البديعة ، والابتارات والتشابه الخيالية والصور المستمدة من حضارة العصر المترفة .

هذا وقد ذكر من القصائد الطردية الموثوق منسوبة اليه ضع وثلاثون قصيدة اغلبها اراجيز على روى واحد لا تخلو من حوشية وغرابية فى اللفظ ورتابة فى النغم .

ثالثا:الزهديات :

هو العنوان الذى الف النقاد اطلاقه على تلك القصائد القليلة التى قالها ابو نواس فى اخريات ايامه ، وقد تحطمت قواه ، وقعد به العجز عن تتبع الملاحى ، فانكفاً على نفسه يسير ، بعين موجعة وقلب كسير ، غور المعاصى التى ملأ حياته ،فهاله ذاك المشهد القاتم ، وراعه ما تراءى من افق الحياة الاخرى التى كان يحس بدنوها ...

والحق ان زهديات ابى نواس هى ابعد ما تكون عما عرفناه من الزهديات فى تاريخ الشعر العربى ، تلك التعاليم الجافة وتلك العظات المصطنعة فى كثير من الاحيان

والتي لا تتمكن من التأثير فى النفس لانها قلما تصدر عن عاطفة شديدة . فزهديات
ابى نواس هى من الشعر الغنائى الخالص ، وهى نغمات شجن يتراجع فيها نواح
قلب الالم والخوف والندم والزهد فى الدنيا ، هى على قلنتها ، من اجمل شعر ابى
نواس ، وارقه ، واعمقه عاطفة ، وابعده تثيراً ، واصدقه عبارة ، بل هى جديرة ان
تذكر فى جملة ارواح ما قيل من الشعر الغنائى العربى القديم ..

رابعاً : الغزل

لم يكن مزاج ابى نواس ومذهبه فى الحياة اللاهية الشارة وراء اللذة الوقتية ، ليتيحاً له
اكتساب الحب الصحيح الخالص . أو ليجعله يوماً من العاشقين ، وهو اذا تغزل
يصنع الغزل اصطناعاً ، ومع ذلك فقد يبلغ ابو نواس احياناً ، فى غزله هذا الى شئ
من اجادة فنية لا تخفى ما فى جيبه من مخادعة فى العاطفة ، وتكلف باد وردى
ساقط ...

ثم ان لابی نواس صنفاً آخر من الغزل ، يكاد يكون جديداً فى الادب العربى ، لانه
صورة لظاهرة جديدة فى الحياة الاجتماعية العباسية وهو (التشبيب بالغلما
والغلاميات) ...

والغلما جماعة من الفتیان المتخنثين ، المسرفين فى التطرف والتبرج ، اما
الغلاميات فجوار متطرفات خليعات ، يتخذن المظاهر الملفقة ، ويتزين بزى الفتیان
، وينصرفن الى المشاركة فى الادب والشعر والموسيقى وابداء الكثير من الظرف ،
وقد كان ابو نواس مغرمًا بتلك الظواهر فوصفها . وتغزل بهن فى شعر يلائمهن
خفة وسوء ادب ، واباحة ، ووقوفاً عند الزخرف الشحطى والاشكال الحسية الخارجية
من غير تغلغل الى العاطفة الصادقة والجمال الحق ...

اما الغلمان فقد كان ابو نواس يندفع الى التغزل بهم عن عاطفة مشبوبة ، فيأتى
غزله جامعاً الرشاقة والحيوية ، واضطرام الشعور ، وحلاوة الفن والموسيقى وجمال
التصوير المقدار الوافر . ومن ثم فقد تهيأ له ان يعد من اول مبتدعى باب الغزل

المذكر عند العرب ، وأشهر اعلامه ، الا ان شهرته فى واقع الامر مخزية ، لان اغلب شعره فى هذا الموضوع حافل بالشذوذ والخلاعة العارمة ... يحمل من وصف المنكرات والعار والمرض الاخلاقى ما لا يقوى الفن .. مهما تسامى ان يستر شناعته القبيحة ، أو يزعمه الى درجة الادب الحق الرفيع ، ولا ريب (ان هذه الطريقة التى ابتدعها أو شرعها هذا الشاعر الماجن ، على حد ما قال احمد حسن الزيات كانت جناية على الادب ووصمة فى تاريخ العرب ، وبالحا من وصمة

المبحث السابع

حياة ابي نواس السياسية

ابو نواس والخليفة هارون الرشيد

لم يجرؤ ابو نواس على دخول البلاط والتقرب من الخليفة فى بادئ الامر ، وذلك لما يمتاز به ابو نواس من شذوذ فى طرائق حياته وشعره .. والأرجح انه لما بلغ الفضل بن الربيع الى كرسي الوزارة سنة ١٨٧هـ - ٨٠٤م بعد نكبة البرامكة اتصل الشاعر ابو نواس عبر الوزير بالخليفة هارون الرشيد ، حيث بدأ بما يبدأ اى من الشعراء بالمدح من أجل التقرب الى خليفة العصر ، ومن اشهر قصائده التى مدح فيها هارون الرشيد تلك التى انشدها اثر فوز الخليفة بنقبور . ويبدو ان الشاعر ظفر بشئ من حب الرشيد لذلك قربه اليه فى اول الامر ، وسرعان ما غدا البون فاضحا بين وقار الخليفة وخزيات الشاعر المتطرفة وإغراقه فى الخمر والمجون والهوى وغزل الغلمان اذ قام الشاعر بنقل الغزل من أوصاف المؤنث الى أوصاف الذكر واتهامه بالزندقة . وقد ذهبت به الجرأة يوما الى ان يهجو قبائل عدنان ، والإفحاش فى قلب قريش فأضطر الخليفة الى سجنه لمخالفته الظروف الطبيعية السائدة فى تلك الفترة. سجن ابو نواس قرابة الأربعة اشهر ، وضائق روحه السجن ، وقد عرف الشاعر بانه مستعد لتلبية نزعاته الى حيث تدعوه غير مبال ولا هيباب . وطرق جميع أبواب اللهو التى نشتهبها نفسه ، فأرسل بقصائد عدة الى الخليفة يستمد العفو .

ابو نواس والخصيب :-

خرج ابو نواس من السجن ، وفى النفس شئ من الشوق لمعاودة ما قد الفه من تبذير وإسراف فى الملذات ، الا انه يده كانت صفرا من المال .. فضائق به الحال ، ولم يجد لها حلا غير الانتقال الى مصر ، حيث اتصل بالخصيب أميرها الذى كان على ديوان الخراج .. وقد وصف اليه سفره فى قصيدة عدد فيها الأمكنة التى مر بها ، وهكذا فان الشاعر وصل الى مكانة عالية عند

الأمير .. بعد ذلك مدح الخصيب ، وإن الخصيب قد استعذب مدح الشاعر ومجلسه ، ومنحه الصلات .

أخرجه من عسره .. الا ان مصر لم تستطع ان تقوم ان تقوم مقام بغداد من عدة نواحي .. كذلك لم تشبع عطايا الخطيب رغائب شاعر المتعة واللذة فعاد الى بغداد - وهجا الخصيب ورماه بالبخل .

ابو نواس والامين :

عرف ابو نواس الامين وهو لا يزال طالب علم ، وقد أحبه الامين وآثره لنفسه رفيق شباب .. فراح ابو نواس يداعب الحلم بان يكون يوماً من الايام شاعر الامين ونديمه الخاص اذا ما بويع بالخلافة .. وقد تحقق مطمعه ، فما ان تبوأ الامين كرسي الخلافة حتى قرب صديق شبابه واتخذته نديماً له وشاعراً خاصاً ، وهكذا عاش ابو نواس أعذب ايام حياته ، اذ قد تهيأ له ان يعب من السمعة واللذة ما يشتهي .. ولا يتكلف في الشعر من مشقة لما بينه وبين الخليفة من سابق معرفة وألفة انما يرسله كيفما أتى مسرفاً في المدح والإطراء ، ولكن هذه النعمة على ما يرجح لم تدم اكثر من سنتين ، اذ وقع الخلاف بين الامين وأخيه المأمون وتراعى الى سمع الخليفة ان الحسن بن سهل^(١) في خراسان قال : كيف لا يحل قتال الامين وشاعره ونديمه يقول :

الا فاسقتي خمرا وقل لي هي الخمر ولا تسقني سرا اذا امكن الجهر

فتطرق الوجل والحذر في نفسه ، ويادر الى اصلاح أمره وإبعاد الظنون وتهئية الخواطر .. فعنف فجأة في تصرفه مع شاعره ، وابدي عليه عقيقاً ، واتهمه بالزندقة وزج به في السجن مدة ثلاثة اشهر ثم أطلقه ونهاه عن الشرب .

^١ الحسن بن سهل الوزير الكامل ابو محمد حمو المامون واخو الوزير ذي الرئاستين الفضل بن سهل تزوج المامون ببنته بوران سنة عشر ومئتين وكان جواداً مات بسرخص في ذي القعدة سنة ست وثلاثين ومئتين تاريخ الطبري ١٨٤/٩ تاريخ بغداد ٣١٩/٧ البداية والنهاية ٣١٥/١٠ النجوم الزاهرة ٢٨٧/٢ شذرات الذهب

وعندما قتل الامين سنة ٨١٣م-١٩٨هـ طغى القنوط على نفس الشاعر ، وكان قد بلغ من الانحطاط مبلغا ، وفطن الى حياته التى بددها هدرا فى السوء ، فتاب الى ربه ، وجنح الى الزهد حتى توفى ببغداد وماله من العمر غير ٥٤ سنة .
وقد روى الشافعى قال : دخلت على ابى نواس وقلت له : ما أعددت له هذا اليوم^(١) ، فقال :

تعاظمني ذنبي فلما قرنته بعفوك ربي كان عفوك أعظما

الشهرة التى ظفر بها ابو نواس لم يكن مدارها كلها على شخصيته النموذجية بل يرجع الكثير منها الى اقترانه بطراز آخر من الشخصية النموذجية لعله أشهر أمثاله فى التاريخ العربى أو التاريخ العالى ، تلك هى شخصية هارون الرشيد الذى قيل عن ابى نواس انه كان شاعره ونديمه ، وانه كان يلزمه فى حله وترحاله ، ويطلع على اسراره فى بيته وخفايا حريمه .

اذن لا بد من استعراض نفسية هارون الرشيد وهل أثر هذا الملك فى شعر هذا الماجن (١٧٠هـ - ١٩٣م) .

وهو اشهر خلفاء بنى العباس قاطبة ، بلغت بغداد فى عهده درجة لم تصل اليها من قبل .. فأصبحت مركزا للتجارة وكعبة لرجال العلم والأدب ..

وكان ان اشتهر اسمه كذلك فى بلاد الغرب لعلاقته المتميزة (بشرمان) ملك الفرنجة ونمت بينهم علاقات سياسية جيدة اضافة الى أواصر الود والصفاء ، والذى زاد من ذبوع شهرته بين أمم الغرب كتاب (ألف ليلة وليلة) ذلك السفر الذى ترجم الى معظم اللغات الأوروبية . حتى انه لا تكاد تخلو منه مكتبة من مكتبات الافراد فى أوربا وأمريكا .

ولد هارون الرشيد بالرى فى شهر ذى الحجة ١٤٥هـ - وأمه أم ولد يمانية جرشية يقال لها الخيزران ، وهى أم الهادى ، فيها يقول مروان بن حفصة:-

^١ ابو نواس الحسن بن هانئ عباس محمود العقاد ص ٩٤

يا خيزران هناك ثم هناك أمسى يسوس العالمين ابنك^(١)

هذا وقد ولد الفضل بن يحيى البرمكى^(٢) قبله بسبعة ايام فقط . فأرضعت أم الفضل الرشيد ، وأرضعت الخيزران الفضل بلبان الرشيد .

تولى هارون الرشيد امر الخلافة فى الليلة التى توفى فيها أخوه الهادى ، وهى والله اعلم كما جاء عند الطبرى هى ليلة الجمعة لأربع عشرة ليلة من شهر ربيع الاول سنة سبعين ومائة^(٣) ١٧٠ هـ .

^١ تاريخ الاسلام د/ حسن ابراهيم حسن ٥٤/٢

^٢ الفضل بن يحيى كان اميرا على خراسان وعمل الوزارة وقيل انه اسخى من جعفر وكان هرون من الرضاة وكان غرقا فى الملمات وكان شجاعا مات فى السجن سنة (١٩٢ هـ) الطبرى ٣٤١/٨ شذرات الذهب ٣٣٠/١ الكامل لابن الاثير ٢١٠/٦

^٣ الطبرى -ج١- ص٤٧-٤٨- السيوطي : تاريخ الخلفاء ص١٨٨

الفصل الثالث

الصور المستمدة من الاغراض الشعرية
للمجتمع العباسي في شعر ابي نواس

المبحث الاول

الصورة المستمدة من خمريات ابي نواس

مقدمة

كانت الخمر جزء من حياة العرب منذ عصر الجاهلية يقبلون عليها علي اختلاف طبقاتهم دون تحرج ويصفونها في شعرهم باعتبارها مظهرًا من مظاهر الفتوة والكرم وسماحة النفس وكانت اشعار الخمر منتشرة في الجاهلية وقالوها في مناسبات لم يقصد فيها وصف الخمر وقد وصفوها باوصاف كثيرة فقالوا إنها حمراء وان ريحها طيب فواح كالمسك وكانت هذه الاوصاف ساذجة واولية بالنسبة لما بلغه فن الخمريات في القرن الثاني فكان اثر الخمر عند الجاهليين لا يعدو انها تدفع للكرم كما في قول عمرو بن كلثوم^(١)

تري اللحز الشحيح اذا امرت عليه لماله فيها مهينا

وقد تعرض لها الادب العربي فقل من بين شعراء الجاهلية من لم يتصد لها ، ولطرفة^(٢) وعنترة وعدى بن زياد العبادي^(٣) فضلا عن الاعشى الذي وقف الجزء الكبير من شعره على وصفها والتغنى بها .. الا ان الجاهليين عموما ما كانوا يصنعون الخمر للفخر ، والمدح بكرم الخلال والجود .. وكانوا في وصفها مجملين

^١ (. . . - نحو ٤٠ ق هـ): عمرو بن كلثوم بن مالك بن عتاب، من بني تغلب، ابو الأسود شاعر جاهلي، من الطبقة الأولى، ولد في بلاد ربيعة وهو من الفتاك الشجعان. ساد قومه (تغلب) وهو قتي، وعمر طويلاً، وهو الذي قتل الملك عمرو بن هند. أشعر شعره معلقته التي مطلعها: ألا هبي بصحتك فأصبحينا ..

مات في الجزيرة الفراتية. انظر الاعلام، ٨٤ / ٥ - جمهرة اشعار العرب ٨٦-٨٨

^٢ (نحو ٨٦-٦٠ ق هـ) طرفة بن العبد بن سفيان بن سعد، شاعر جاهلي ولد في بادية البحرين، واتصل بالملك عمرو بن هند، ثم أرسله بكتاب إلى المكبر (عامله على البحرين وعمان) بأمره فيه بقتله، لأبيات بلغ الملك أن طرفة هجاه بها، فقتله المكبر، شاباً، في (هجر) أشهر شعره معلقته، ومطلعها: " لخولة أطلال ببرقة ثمهد". وجمع المحفوظ من شعره في " ديوان - ط ". صغير، ترجم إلى الفرنسية. وكان هجاءاً، غير فاحش القول. تقيض الحكمة على لسانه في اكثر شعره. انظر: "الأعلام"، ج ٣ / ٣، ص ٢٢٥. - الشعر والشعراء ص ٢٦ - ٢٨. جمهرة اشعار العرب "، ص ٣٠٤ - ٣٤٥

^٣ هو عدي بن زيد بن حماد بن زيد بن أيوب بن محرووف بن عامر بن عصىة بن امرئ شاعر فصيح من شعراء الجاهلية وكان نصرانيا وكذلك كان أبوه وأمه وأهله وليس ممن يعد في الفحول وهو قروي وكانوا قد أخذوا عليه أشياء عيب فيها وكان الأصمعي وأبو عبيدة يقولان عدي بن زيد في الشعراء بمنزلة سهيل في النجوم يعارضها ولا يجري معها الأغاني ج: ٢ ص: ٨٩

غير مفصلين ، لا يذهب وصفهم الى ابعد من لونها وطعمها ، وشكل اقدامها وما تحدثه من نشوة . زد على ذلك انهم لم يتخذوا وصف الخمر فنا مستقلا من فنون الشعر .

فمن شعره فى الخمريات ذلك الحوار الذى دار بينه وبين الخمار يسأله عن نسبة ويجيبه :

وخمار طرقت بلا دليل سوى ريح العتيق الخسروانى
فقام الى مذعورا يلبى وجوف الليل مثل الطيلسان
وقال أمن تميم ؟ قلت كلا ولكنى من الحى اليمانى

وكذلك قصيدة ذكرفيه المدام واعتبرها نعم السلاح :

لست ارى لذة ، ولا فرحا ولا نجاحا حتى أرى القدحا
نعم سلاح الفتى المدام اذا ساوره الهم ، ام به جمعا
والخمر شئ ، لو انها جعلت مفتاح قفل البخيل لانفتحا
لا عيش الا المدام أشربها معتقا تارة و مصطبحا
يا صاح لا أترك المدام ولا أقبل فى الحب قول من نصحا

كما قال فى قصيدة له بعنوان - اسقيانى سلافا :

يا خليلي قد خلقت عذارى وبدا ما اكن من اسرارى
فاشربا الخمر واسقيانى سلافا عتقت بين نرجل و بهار
لبثت فى دنانها الف شهر لم تقمص ولم تعذب بنار
نسج العنكبوت بيتا عليها فعلى دنها دقاق الغبار
فاتى خاطب مليح اليها ذو وشاح مؤزر بازار
نقد المهر ثم زفت اليه فى سراويلها و فى الزنار
فدعا بالبزاب ثم وجاها فجرت كالعقيق و الجنار
فى اباريق من لجين حسان كظباء سكن عرض الفقار
أو حراك زعرن من صوت صقر مفزعات شواخص الابصار

قد تحسيتها على وجه ساق خالغ في هواي كل عذار
 قمر يقمر الدياجي بوجه ضؤوه في الدجى صباح نهار
 يتثنى كأنه غصن بان ميلته الرياح بالاسحار
 بابى ذاك من غزال غرير في قباء محلل الازرار
 كم شممنا من خده الورد غضا و مزجنا رضابه بعقار

ولارتباط الخمر بالكرم عند العرب ضرب بها المثل حيث قيل قد تخرج الخمر من الضنين مالا للرجل ويعطى عند السكر وعند المدح وغيره مما يعرض له من سبب يسهل عليه معه الإعطاء وأصله أن زهير بن جناب الكلبي وقف عاشر عشرة من مضر إلى امرئ القيس بن عمرو بن المنذر^(١) فأعطى كل رجل منهم مائة من الإبل فقال زهير قد تخرج الخمر من الضنين فقال أو مني يا زهير قال ومنك فغضب وأقسم لا يعطى رجلا منهم بعيرا فلامه أصحابه فقال حسدكم أن ترجعوا إلى هذا الحي من نزار بتسعمائة بعير وأرجع إلى قضاة بمائة بعير. وقال عنتره في نحو ذلك

فإذا سكرت فإنني مستهلك مالي وعرضي وافر لم يكلم
 وإذا صحت فما أقصر عن ندى وكما علمت شمائي وتكرمي^(٢)

اما عند الاعشي فان تأثير الخمر يفتر العظام

تدب لها فترة في العظام ويغشي الذؤابة فوارها

يري الاستاذ محمد حسين (ان عدد الابيات التي وصف فيها الجاهليون الخمر لا تزيد علي المائة والخمسين بيتا باستثناء الاعشى فان له وحده ما يوازي هذا العدد) وقد اطل في وصف الخمر بحيث له عشرين بيتا او يزيد في قصيدة واحدة وليست الاطالة والتفصيل هي كل ما يميز عن غيره من الشعراء الجاهليين فهناك ميزة

^١ امرؤ القيس بن حجر بن الحارث الكندي، (١٣٠ - ٨٠ ق هـ): من بني آكل المراء أشهر شعراء العرب على الاطلاق. يمني الأصل. مولده بنجد، أو بمختلف السكاسك باليمن. اشتهر بلقبه، وكان أبوه ملك أسد وغطفان، وأمه أخت المهلهل الشاعر، فلقنه المهلهل الشعر، فقال له وهو غلام، كان يحب اللهو، مات في أنقرة وقد جمع بعض ما ينسب اليه من الشعر في ديوان صغير "الأعلام"، ج/٢، ص ١٢ الأغاني"، ج/٩، ص ٧٧- ١٠٧

^٢ كتاب جمهرة امثال العرب ١٢٨/٢

اخرى لعلها اكثر اهمية وهي ان الاعشي قد اصطنع في خمرياته البحر القصار
 التي تلائم ما يصور من الوان المجون والخلاعة (١)
 نجد بعد الاعشي من الشعراء الجاهليين الذين فصلوا في الخمر كحسان بن ثابت
 وعدي بن زيد وعلقمة بن عبدة ويتبين لنا من القدر الضئيل الذي وصلنا من
 شعرهم انهم عنوا بوصف الخمر عناية الفنان الذي لا يقصد غير اللذة التي
 يجدها في التعبير عما في نفسه فهم لم يَمروا عليها مروراً ولم يذكروها مفتخرين
 متمدحين بفتونهم ولم يذكروها لانه ارادوا ان يشبهوا رضاب صوابهم بها
 ولكنهم ذكروها لان لهم في وصفها لذة فنية خالصة (٢)
 فحسان بن ثابت يقول:

لله در عصابة نادمتها يوما بجلق في الزمان الأول
 أولاد جفنة عند قبر أبيهم قبر ابن مارية الكريم المفضل
 يسقون من ورد البريس عليهم كأساً تصفق بالرحيق السلسل
 كلتاها حلب العصير فعاطني بزجاجة أرخاهما للمفصل
 بزجاجة رقصت بما في قعرها رقص القلوص براكب مستعجل (٣)
 كما مر يوماً حسان بن ثابت بقبر ربيعة بن مكرم الكناني بثنية كعب ويقال بثنية
 غزال فقلعت به راحلته فقال

نفرت قلوصي من حجارة حرة بنيت على طلق اليمين وهوب
 لا تنفري يا ناق منه فإنه شريب خمر مسعر لحروب
 لولا السفار وبعد خرق مهمه لتركتهأ تحبو على العرقوب
 فبلغ شعره بني كنانة فقالوا والله لو عقرها لسقنا إليه ألف ناقة سود الحديق (٤)
 ثم جاء الاسلام وحرم القرآن الخمر ، فسكت الشعر عنها حيناً ، وان لم يبطل
 شربها في الخفاء ..

١ اساليب الصناعة في شعر الخمر والناقة ١٥

٢ المصدر نفسه ١٠

٣ الاغاني ١٥٣/١٥

٤ المصدر نفسه ٧٢/١٦

ومن الشعراء أبي محجن كان من المخضرمين الذين أدركوا الجاهلية والإسلام وهو شاعر فارس شجاع معدود في أولي البأس والنجدة وكان من المعاقرين للخمر المحدودين في شربها فعن ابن الأعرابي عن المفضل قال لما كثر شرب أبي محجن الخمر وأقام عمر بن الخطاب رضي الله عنه عليه الحد مرارا وهو لا ينتهي نفاه إلى جزيرة في البحر يقال لها حضوضى وأمر ابن جهراء النصري ورجلا آخر أن يحمله في البحر وذكر الخبر مثل الذي قبله وزاد فيه وقال أبو محجن أيضا

صاحباً سوء صحبتها صاحباني يوم أرتحل

ويقولان ارتحل معنا فأنادي إنني ثمل

إنني باكرت مترعة مزة راووقها خضل

قال الأصبهاني وهذه القصة كانت لأبي محجن في يوم من أيام حرب القادسية يقال له يوم أرماث وكانت أيامها المشهورة يوم أغواث ويوم أرماث وقد ظهر في شعر أبي محجن لأول مرة الصراع بين لذة الشرب ونهي الإسلام عن شربها حيث قال

الا سقني يا صاح خمرا فأنني بما انزل الرحمن في الخمر عالم

وجد لي بها صرفا لازداد ماثما ففي شربها صرفا تتم الماثم

هي النار الا انني نلت لذة وقضيت اوطاري وان لام لائم

وولى عثمان الوليد بن عقبة في خلافته الكوفة فشرب الخمر وصى بالناس وهو سكران فزاد في الصلاة وشهد عليه بذلك عند عثمان فجلده الحد^(١)

وقد انتشرت الخمر في أيام الامويين فقد كان هناك من الشعراء من هو مشهور بشرب الخمر وله شعر كثير وهو ابن سيحان الذي وجد سكرانا فاقام عليه الوالي الحد فغضب معاوية لذلك وبعث الي الوالي يعنفه فيها علي اقامة الحد ويطلب اليه تكذيب الاتهام محابة لابن سيحان الذي هو من الحزب الاموي ومن المدافعين عنهم

(٢)

^١ الأغاني ج: ١ ص: ٢٥

^٢ المصدر نفسه ٢/٢٤٩

كان يزيد بن معاوية أول من سن الملاهي في الإسلام من الخلفاء وأوى المغنين وأظهر الفتك وشرب الخمر وكان ينادم عليها سرجون النصراني مولاه والأخطل وكان يأتيه من المغنين هو خائب خاثر فيقيم عنده فيخلع عليه ويصله فغناه يوما

يا للرجال لمظلوم بضاعته ببطن مكة نائي الأهل والنفر

إن الحرام لمن تمت حرامته ولا حرام لثوبي لابس الغدر

فاعترته أريحية فرقص حتى سقط ثم قال اخلعوا عليه خلعا يغيب فيها حتى لا يرى منه شيء فطرحته عليه الثياب والجباب والمطارف والخز حتى غاب فيها^(١)

وما زال الامر كذلك حتى استقرت الدولة الاموية ، فشرب بعض الخلفاء الخمر واشتهر بشربها الوليد ويزيد ، على ان شأنهم في شربها ما برح بين التستر والظهور .. ينظر اليه بعين الغرابة والاستهجان .. ومن اشهر شعراء الخمرة اذ ذاك الاخطل .. الذي فسحت له حظته لدى الخليفة مجالا واسعا حرا بالمجاهرة ، بل للمفاخرة في معاقرة الخمر والاستقصاء في التغنى بها ، ومن شعرائها كذلك الوليد بن يزيد ، امام شعراء الخلاعة والاستهتار والخمر والمجاهرة بالزندقة والكفر ، هذا وقد بلغ الشعر الخمرى في ذلك العهد شأوا بعيدا الا انه لم يكن بعد بابا مستقلا ولا أستوعب جميع المعانى . كما جاء في الاغاني عن قصيدة الوليد بن يزيد في الخمر (وكان أبو غسان^(٢) يكاد أن يرقص إذا أنشدها

أصدع نجي الهموم بالطرب	وانعم على الدهر بآبنة الغنب
واستقبل العيش في نضارته	لا تقف منه آثار معتقب
من قهوة زانها تقادمها فهي	عجوز تعلو على الحقب
أشهى إلى الشرب يوم جلوتها	من الفتاة الكريمة النسب
فقد تجلت ورق جواهرها حتى	تبدت في منظر عجب
كأنها في زجاجها قبس تذكو	ضياء في عين مرتقب
في فتية من بني أمية أهل	المجد والمآثرات و الحسب
ما في الورى مثلهم ولا فيهم مث... لي و لا منتم لمثل أبي	

^١ المصدر نفسه ٣٠١/١٧

^٢ الاغاني ٢٧/٧

وهذا من بديع الكلام وناديه وقد جود فيه منذ ابتدأ إلى أن ختم وقد نقلها أبو نواس
والحسين بن الضحاك^(١) في أشعارهما^(٢)

قال أبو الفرج الاصفهاني (وكان الشعراء يقتبسون معاني الوليد بن يزيد وله في ذكر
الخمرة وصفتها أشعار كثيرة قد أخذها الشعراء فأدخلوها في أشعارهم سلخوا معانيها
وأبو نواس خاصة فإنه سلخ معانيه كلها وجعلها في شعره فكررهما في عدة مواضع
منه ولولا كراهة التطويل لذكرتها هنا على أنها تنبئ عن نفسها)^(٣)

وقال المدائني لما أكثر الوليد بن يزيد التهلك وأنهمك في اللذات وشرب الخمر
وبسط المكروه على ولد هشام والوليد وأفرط في أمره وغيه مل الناس أيامه وكرهوه
ورادوا خلعه وبلغ الوليد ذلك فقال يذكر قومه ومشى بعضهم إلى بعض في خلعه

سل هم النفس عنها بعنداء علا
أصبح اليوم وليد هائما بالفتيات
عنده راح وإبريق وكأس بالفلاة
ابعثوا خيلا لخيول ورماة لرماة^(٤)

الخمرة في المجتمع العباسي :

بانّت معاقرة الخمر من ابرز مظاهر الحياة المترفة اللاهية في المدينة
العباسية الجديدة .. ونلاحظ ان هذه العادة قد استشرت وانتشرت في البلاد الاسلامية
، وانبتت حاناتها في سواد بغداد واريافها على طرق القوافل والمسافرين ، بعيدا عن

^١ الحسين الضحاك ابو علي الشاعر المفلح الخليع مدح الخلفاء وسار شعره وعمر دهره وكا ذا ظرف ومجون
وتفنن في بديع النظم وكان نديما مع اسحق الموصلي اشتهر بالخليع لمجونه وهناته وهو القائل:

صل بخدي خديك تلق عجا من معان يحار فيها الضمير
فبخديك للرياض ربيع و بخدي للدموع غدير

مات سنة خمسين ومائتين وله بضع وتسعون سنة . الجرح والتعديل ٤٩/٣ ، تهذيب التهذيب ٣٣٤/٢

^٢ الأغاني ٣٠١/١٧

^٣ المصدر نفسه ٢٧/٧

^٤ الأغاني ج: ١٧ ص: ٣٠١

عيون الشرطة ، وعن عيون المتزمتين واصحابه الرصانة .. والذين يتوافدون على الحانات هم الفرس ، والروم ، والانباط ، والاكراد والشودان .

انتشرت دور النصارى فى البلاد ، ينشد فيها بعض الافراد عبادة ربهم فى العزلة بعيدا عن الضوضاء .. وكانت تقع هذه الديورة فى طريق المسافرين والخارجين للصيد والنزهة لا يتأخر احد فى التعرّيج اليها فى الحين طلبا للراحة ولاسيما وقد ألف الرهبان إكرام الضيوف بسخاء ، وكانت هذه الديورة لا تخلو من خمور جيدة ومعتقة ، يتجر فيها الرهبان احيانا فى سبيل الحصول على ما يقوم بمعيشتهم ويقدمون منها لمن له فيها رغبة من ضيوفهم ، وكثر بذلك قاصدوا الحانات لشرب الخمر .

كان أبو نواس صاحب عصابة من طلاب اللهو ، يتردد الى الحانات حينما والى الديورة حينما اخر ، فيشرب ثم يندفع الى التغنى بالخمور ووصف السكر متفننا فى كلا الوصف والغناء . ولذلك فان طبيعة ابي نواس لم تكن من الطبائع التى يتسلل اليها اليأس أو العقد النفسية ، لانه كان يبوح برذائله ويتكشف بها ويتعمد ان يجيبه الناس بها علانية ، وانما تكمن العقدة النفسية فى طويه الانسان أو تتسلل اليها من الكبت وطول الكتمان .

تطور فن الخمریات

لم يكن الوليد بن يزيد وحده مجددا فى شعر الخمر بل كان هنالك شعراء منهم ابو الهندي^(١) والاقيشر وعمار ذو كزاز فقد ربطوا حياتهم بالخمور اخلصوا لها فجاء شعرهم تعبيرا عن عاطفتهم

وقصيدة الوليد التى يقول فيها اصدع نجي الهموم هذه منهم من ينسبها لى ابي نواس وعلي كل فهي تظهر التطور الجديد الذى حدث فى المعاني القديمة بالنسبة الى

^١ هو عبد المؤمن بن عبد القدوس بن شبة بن ربيع من بني رياح بن يربوع وكان مغرما بالشراب ومات بسجستان وهو القائل يصف الاباريق

سيغني ابا هند عن وطب سالم اباريق لم يعلق بها وضر الزيد

ثم ترك الخمر وقال : تركت الخمور لاربابها واقبلت اشرب ماء قراحا

الشعر والشعراء لابن قتيبة ص ٤٥٨

الخمير فهي عجوز ومع ذلك فهي احلي من العروس الجميلة عند طلابها وقد استخدم مصطلحا فلسفيا حين جعل جوهرها رقيقا من القدم اما المزاج فقد اصبح معني متسعا ابدع الشاعر في وصفه وافتن به

وكانت أم حكيم^(١) منهومة بالشراب مدمنة عليه لا تكاد تفارقه وكأسها الذي كانت تشرب فيه مشهور عند الناس وهو في خزائن الخلفاء وفيه يقول الوليد بن يزيد

عللاني بعاتقات الكروم واسقياني بكأس أم حكيم

إنها تشرب المدامة صرفا في إناء من الزجاج عظيم

جنبوني أذاة كل لنيم إنه ما علمت شر نديم

ليت حظي من النساء سليمي ان سلماي جنتي و نعيمي

فدعوني من الملامة فيها إن من لأمني لغير حليم

ومن الشعراء من قصر شعره علي وصف الخمير كغالب بن عبد القدوس^(٢) الهندي

فهو عربي الاصل وهاجر الي خراسان واستوطن بقرية اسوها كوي زيان وعاش

فيها لا يخرج من حانة الا ليدخل اخري وقد صور حياته بقوله

ثبت الناس علي راياتهم وابو الهندي في كوي زيان

منزل يزري بمن حل به تستحل الخمير فيه و الزواني

انما العيش فتاة عادة وقعودي عاكفا في بيت خان

اشرب الخمير واعصي من نهى عن طلاب الخمير والبييض الحسان

في حياتي لذة لهو بها فاذا مت فقد ازدي زماني

^١ كانت زينب تسمى الموصلية من حسن جسدها وكانت تحت عبد العزيز بن الوليد بن عبد الملك تزوجها في حياة جده عبد الملك فلم تنزل أم حكيم عند عبد العزيز مدة ثم تزوج ميمونة بنت عبد الرحمن بن أبي بكر فملكته إلا بطلاق أم حكيم فطلقها فتزوجها هشام بن عبد الملك ثم مات عبد العزيز فتزوج هشام ميمونة أيضا وكان شديد المحبة لأم حكيم فطلق لها ميمونة اقتصاصا لها منها فيما فعلته بها في اجتماعهما عند عبد العزيز وقال لها هل أرضيتك منها فقالت نعم فولدت أم حكيم من هشام ابنه يزيد بن هشام الأغاني ج: ١٦ ص: ٢٩٨

^٢ غالب بن عبد القدوس كان شاعرا مطبوعا وقد أدرك الدولتين الاموية وأول الدولة العباسية وكان جزل الشعر حسن الألفاظ لطيف المعاني واقام بخراسان شغف بالشراب وكان يتهم بفساد الدين واستقرغ شعره بصفة الخمير وهو أول من وصفها من شعراء الإسلام فجعل وصفها وكده وقصده و سمع إسحاق الموصلي يوما يقول وأنشد شعرا لأبي الهندي في صفة الخمير فاستحسنه وقرظه فذكر عنده أبو نواس فقال ومن أين أخذ أبو نواس معانيه إلا من هذه الطبقة وأنا أوجدكم سلخه هذه المعاني كلها في شعره الأغاني ٢٠ / ٣٤٣

ولما حج نصر بن سيار وأخرج معه أبا الهندي فلما حضرت أيام الموسم قال له أبا الهندي إنا بحيث ترى وفد الله وزوار بيته فهب لي النبيذ في هذه الأيام واحتكم علي فلولا ما ترى ما منعك فضمن له ذلك وغلظ عليه الإحتكام ووكل به نصر بن سيار فلما انقضى الأجل مضى في السحر قبل أن يلقى نصرا فجلس في أكمة يشرف منها على فضاء واسع فجلس عليها ووضع بين يديه إداة وأقبل يشرب ويكي ويقول

أديرا علي الكأس إلي فقدتها كما فقد المفطوم در المراضع
حليف مدام فارق الراح روحه فظل عليها مستهل المدامع

قال وعاتب قوم أبا الهندي على فسقه ومعاقرة الشراب فقال

إذا صليت خمسا كل يوم فإن الله يغفر لي فسوقي
ولم أشرك برب الناس شيئا فقد أمسكت بالدين الوثيق
وجاهدت العدو ونلت مالا يبلغني إلى البيت العتيق
فهذا الدين ليس به خفاء دعوني من بنيات الطريق (١)

هذا وقد تطور فن الخمریات في العصر العباسي تطورا كبيرا وظهرت فيه اتجاهات جديدة لم تكن موجودة من قبل وكانت الكوفة موطن هذا التطور اذ ان معظم سكانها كانوا نصاري يعرفون بالعباد اشتهرا عند عرب البادية ببيع الخمر وكانت الحيرة علي كثرة من الحوانيت والخمارات التي كان يبیت فيها الناس معاقرين للشراب متسمعين لاغاني القيان لهذا لا نتسغرب وفرة الشعر في الخمر ومدحها في الكوفة ولم يزل خمارو الكوفة مشهورين أي اواخر القرن الثاني او بعده بقليل (٢)

ورث المجتمع العباسي كل ما كان في المجتمع الساساني الفارسي فقد مضو يعبون الخمر عبا ويحتثون كؤوسها حتى الثمالة وحاكاهم من عايشهم حتى اصبح الادماني ظاهرة عامة على الرغم من نهى القرآن عنها وحضه على اجتنابها اذ يقول

١ الأغاني ج: ٢٠ ص: ٣٤٧

٢ انظر تاريخ الاداب العربية ٢٤٥

الله تعالى (إِنَّمَا الْخَمْرُ وَالْمَيْسِرُ وَالْأَنْصَابُ وَالْأَزْلَامُ رِجْسٌ مِّنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ فَاجْتَنِبُوهُ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ) (١)

وكان من اسباب انتشار الخمر ولإقبال الناس عليها ان ادى اجتهاد بعض الفقهاء الطرق الى (تحليل بعض الانبذة كنبذ التمر والزبيب المطبوخ ونبذ العسل والبر والتين) .

تطور فن الخمريات علي يد ابي الهندي تطورا كبيرا من ناحية تخصيصه واقتصاره علي دون فنون الشعرا لآخري ومن ناحية اتساع معاني الخمر وصفها ووصفها في شعره ووصفه مجالسها واوانيتها وسقاتها

وفارة مسك من عذار شممتها	يفوح علينا مسكها و عبيرها
سموت اليها بعد ما نام اهلها	غدوا ولما تلق عنها ستورها
مصبغة الاعلي كان سراتها	ذبائح انصاب توافت شهورها
تلاأ في ايد السقاة كانها	نجوم الثريا وزينتها عبورها
اقلها فوق الفراش كانها	صلاية عطار يفوح زريها
خفيفا مليحا في قميص مقلص	وجبة خز لم تشد زرورها
وجارية في كفها عود بربط	يجابوها عند الترنم زيرها
اذا حركته الكف قالت حمامة	تجيب علي الاغصان ايك تصورها
تجاوب قمريا اغن مطوقا	شقائقه منشورة و شكيرها (٢)

زاد اقبال الشعراء علي وصف الخمر بعد شيوعها في القرن الثاني واهتموا بها واصبح شربها جزءا من حياتهم المتحضرة وهم يعبرون عن تلك اللذة بهذا الوصف للخمر و مجالسها ومنهم حماد عجرد (٣) الذي يصف مجلسا للشراب انه في جنان بين الانهار يشرب من اناء بيد حسناء جميلة ذات قوام ودل رخم فقال

١ المائدة الاية ٩٠ .

٢ طبقات بن المعتز

٣ الشاعر المفلح ابو عمرو حماد بن يحيى بن عمرو بن يونس بن كليب السوائي مولا هم الواسطي او الكوفي نادم الوليد بن يزيد ثم قدم بغداد زمن المهدي فكان قليل الدين اتهم بالزندقة كان بينه وبين مزاح هجاء فاحش مات سنة (٢٦١ هـ) قتله محمد بن سلمان امير البصرة علي الزندقة . انظر الشعر والشعراء ٧٧٩ تاريخ الطبري ٨٦/٨ تاريخ بغداد ١٤٨/٨ معجم الادباء ٢٤٩/١٠

في جنان بين أنهار و تعريش كروم
 نتعاطى قهوة تشخص يقظان الهموم
 بنت عشر تترك المكثر منها كالأميم
 فيها دأبا أحبي و يحييني نديمي
 في إناء كسروي مستخف للحليم
 عندنا دهقانة حس... .انة ذات هميم
 جمعت ما شئت من حسن ومن دل رقيم
 في اعتدال من قوام وصفاء من أديم
 وبنان كالمداري و ثنايا كالنجوم
 لم أنل منها سوى غمزة كف أو شميم
 غير أن أقرص منها عكنة الكشح الهضم (١)

ومن هؤلاء الشعراء ايضا ابو الشيص (٢) الذي يصف الخمر وصف المحب لها وقد
 اجاد واحسن حينما وصف الخمر والاطوار التي مرت عليها منذ اعتصار كعذراء
 الي ان وصلت عجوزا تخفي تجاعيد الزمن

وعزاء لم تفتترعها السقاة ولا استامها الشرب في بيت حان
 ولا احتلبت درها ارجل ولا وسمتها بنار يدان
 ولكن غذتها بالبائها ضروع يحف بها جدولان
 الي ان تحول عنها الصبا واهدي الفطام لها المرضعان
 فلم تزل الشمس مشغولة بصبغتها في بطون الدنان
 ترشحها للثام الرجال الي ان تصدي لها الساقيان
 ففضا الخواتم عن جونة صدوف عن الفحل بكر عوان
 عجوز إذا سك اصداعها مضمخة الجلد بالزعفران (٣)

^١ الأغاني ج: ١٤ ص: ٣٣٢

^٢ هو محمد بن عبد الله بن رزين الملقب بابي الشيص وعبد الله شاعر صالح الشعر كان منقطعا الي محمد بن طالب فاخذ منه جامع شعر ابيه . الاغاني ١٠٨/٥

^٣ طبقات بن المعنر ٧٩

وقصر ابوالشيص شعره في بعض القصائد علي الخمر دون غرض اخر حيث
يصف الخمر بالعذراء التي تزف اليهم حين تجلوها الكئوس حيث قال

وسبيئة من كرمها حيرية عذراء من لمس الرجال شמוש
لم يتفتق النعمان عذرتها ولم يرشف مجاجة كاسها قابوس
كتب اليهود علي خواتم دنها يادن انت علي الزمان حبيس
ذمية صلي وزمزم حولها من ال برمك هريد و مجوس
تجلو الكئوس اذا جلت عن وجهها شمسا غذاها الشمس فهي عروس (١)

وكان آدم بن عبد العزيز يشرب الخمر ويفرط في المجون وكان شاعرا فأخذه
المهدي فضربه ثلاثمائة سوط على أن يقر بالزندقة فقال والله ما أشركت بالله طرفة
عين ومتى رأيت قرشيا تزندق قال فأين قولك

اسقتي واسق غصينا لا تبع بالنقد دينا
اسقنيها مزة الطعم تريك الشين زينا
قال فقال لئن كنت ذاك فما هو مما يشهد على قائله بالزندقة قال فأين قولك
اسقتي و اسق خليلي في مدى الليل الطويل
قهوة صهباء صرفا سبيت من نهر بيل
لونها أصفر صاف وهي كالمسك الفتيل
من ينل منها ثلاثا ينس منهاج السبيل
فمتى ما نال خمسا تركته كالقتيل

فقال كنت فتى من فتيان قریش أشرب النبيذ وأقول ما قلت على سبيل المجون والله
ما كفرت بالله قط ولا شككت فيه فخلى سبيله ورق له (٢)

^١ نفس المصدر

^٢ الأغاني ج: ١٥ ص: ٢٧٧

وهو هنا يصف شعر طعم الخمر التي كان يدمن احتساءها ويتحدث عن لونها وراحتها وتأثيرها في شربها ويمزج ذلك كله بالعدل لمن يتعترض عيلي شربها والتشكيك في راح الجنة التي وعد بها المتقون

ويظهر ان معاقرة الشراب كانت متفشية في المجتمع العباسي ويظهر هذا فيما دار بين الأحنف بن قيس والحارثة بن بدر حينما عاتبه الأحنف علي معاقرة الشراب فلامه الحارثة علي ذمه لانه ليس وحده في الشراب

و عاتب الأحنف بن قيس حارثة بن بدر على معاقرة الشراب وقال له قد فضحت نفسك وأسقطت قدرك وأوجعه عتابا فقال له إني سأعتبك فانصرف الأحنف طامعا في صلاحه فلما أمسى راح إليه فقال له اسمع يا ابا بحر ما قلت لك فقال هات فأنشده

يذم أبو بحر أمورا يريدّها ويكرهها للأريحي المسود
فإن كنت عيابا فقل ما تريده ودع عنك شربي لست فيه بأوحد
أشربها صهباء كالمسك ريحها وأشربها في كل ناد و مشهد
فنفسك فانصح يابن قيس و خلني ورأيي فما رأيي برأي مفند
وقائلة يا حار هل أنت ممسك عليك من التبذير قلت لها اقصدي
كذا العيش لا عيش ابن قيس وصحبه من الشرب للماء القراح المصرد^(١)

فقال له الأحنف حسبك فإني أراك غير مقلع عن غيك ولن أعاتبك بعدها أبدا .
كما روي ان حارثة بن بدر قال لعبيد الله بن ظبيان وكانا في عرس لابن مسمع هل لك في شراب قال نعم فأتيا بنبيذ من زبيب وعسل فأخذ ابن ظبيان العسل فكرع فيه حتى كاد يأتي عليه ثم ناوله حارثة فقال له حارثة يابن ظبيان إنك لطب بحسوها فقال أجل والله إني لأشربها حلالا وأجاهر بها إذا أخفى غيري شرب الحرام فقال له حارثة من غيرك هذا قال سألني عن هذا الأمر فقال حارثة

^١ الأغاني ج: ٨ ص: ٤٠٤

إذا كنت ندماني فخذها وسقتي ودع عنك من راءك تكرر في الخمر
فإني امرؤ لا أشرب الخمر في الدجا ولكنني أحسو النبيذ من التمر
حيا وتقاً لله والله عالم بكل الذي نأتيه في السر والجهر
ومثلك قد جربته وخبرته أبا مطر و الحين أسبابه تجري
حساها كمستدمى الغزال عتيقة إذا شعشت بالماء طيبة النشر
أقام عليها دهره كل ليلة يشافها حتى يرى وضح الفجر
فأصبح ميتا ميتة الكلب ضحكة لأصحابه حتى يدهده في القبر
فما إن بكاه غير دن ومزهر وغانية كالبدن واضحة الشجر
وباطية كانت له خدن زنية يعاقرها والليل معتكر الستر^(١)

اتخذ بعض الشعراء من القصيدة الخمرية مجال لبث عواطفهم الصادقة التنفيس
عن مشاعرهم العميقة فاصبحت القصيدة الخمرية فنا تظهر فيه براعة الشاعر في
صناعة المعاني والالفاظ علي حد سواء واصبح الشعراء يتحدثون حديثا تفصيليا عن
اوصافها المحسوسة وغير المحسوسة التي دلت علي مدي التحضر والاناقة
وكانت مجالسهم تتسم بالجمال من انواع الورود والغيان الحسنات وكان تلقيد
الفرس في الملابس سمة من يحضرون المجالس فكانوا يضعون الثياب الملونة
الحمراء والصفراء والخضراء وغيرها^(٢)

وفي هذا العصر وضعت قواعد واداب للخمر واشتروطوا ان يكون النديم حسن البزة
نبيل الهمة نظيف الكف ،نقي الظفر الخ كما للساقى اداب وشروط بديع
الجمال زائدا في الظرف والدلال ومن دابه ان يستاذن جلساءه وندماءه في المزج
وعدمه فان منهم من لا تناسبه الراح صرفا ومنهم من يختار الممزوج قليلا^(٣)

^١ الاغاني ٤٠٢/٨

^٢ الفخري في الاداب السلطانية

^٣ انظر حلبة الكميت ص ٢٥

أبو نواس وتصويره لمجتمع الخمر :

كان أبو نواس كغيره من شعراء الخمر في عصره الذين اجادوا في وصف الخمر وكانت السمة الغالبة في شعراء اللهو في هذا العصر التغني باوصاف الخمر واجادة الشعر فيها والتباري بينهم وقد اجا هذا الشاعر في هذا المجال حتي ظن الناس انه شاعر الخمر

ونجد ان ابا نواس ليس هو الاول الرائد في هذا المجال بل هناك من سبقه في كل عصر من العصور .

فقد عرف الشعر الخمرى ثلاث قمم سامقة ، فى عصور متوالية ، هم (الاعشى ، شاعر الخمر فى الجاهلية ، وفى صدر الاسلام "الاخطل" . وقد لمع نجم ابي نواس الحسن بن هانئ فى العصر العباسى الذى وصفها) .

والناظر الى ديوان ابي نواس من زاوية شعر الخمر يجد انه مر بحقبة زمنية من حياته ترسم ملامح شخصيته اللاهية العابثة التى لا تركنا الى ما فى الحياة ولا ما فى الحياة ولا تعبها بما سوف يؤول اليه فى اخر المطاف .

ونجده من كثرة احتسائه للخمر اورد فيها اشعارا ثم فصلها تفصيلا ، تراه يذكر اسماء عديدة للخمر حتى يخيل اليك انه قد احصى اسماءها عددا ، وتارة يوصف حاناتها فى عهده وكأنه ارتادها جميعا ولا عجبا فى ذلك من شاعر ماجن عابث مثله .

ثم يعرج بل الى وصف مجالسها وجلسائها وساقياها ومن كان حوله ثم يدلف اليها فقد قال : (اشعارى فى الخمر لم يقل مثلها ، واشعارى فى الغزل فوق اشعار الناس وهما اجود شعرى ان لم يزاحم غزلى وقلته فى الطرديات . فنجده يذكر قائلا :

تلك لذاتي و كنت قيتى لم اقل من لذة حسبى
 طربت الى الغنج والمزهر وشرب المدامة بالاكبر
 وألقيت عنى ثياب الهدى وخفت بحورا من المنكر
 وأقبلت اسحب ذيل المجون وامشي على اقصف فى متزر^(١)

^١ ديوان ابي نواس ص ١٠٨

وقف وقفة تحليل لشخصيته من خلال نظم شعره ، وخاصة في حياته التي تأرجحت ما بين الاستقامة في اول عمره والفجور في اوسطه ثم الزهد في آخراياه .
فانظر الى قوله (لم اقل من لذة حسبي) اى انه مع معصيته وفجوره لا يكتفى عن إتيان المعاصي بل يتبع المعاصي واحدة تلو الاخرى ولا يهم ولا يتورع ولا يتخوف لما تجره له هذه العصية .

ويرى بعض النقاد انه اراد ان يخرج من ضغط نفسى احاطه به من كل جانب لما سلف ذكره .

ومن هذه اللذات التي جمعها شرب الخمر والكأس الاكبر حتى يقوده ذلك بان وصل الى انه القى ثياب الهدى اى انه اصبح عاريا عن الخلق والادب والدين ، ويصل الى انه خاض بحورا من المنكر .

اذا نحن اثبتنا هذه الابيات الفائتة له فذلك اثبات ودليل على خلاعة شعره وعلى انتكاسته فنعلم انه كان عالما فقيها حافظا للقران ويدرى ان الخمر محرمة يعتنى لهذا ، بل اقل ثياب الهدى عنه ثم فاض بحور من المنكر وما ينطوى تحت المنكر اشياء كثيرة .

اذا نظرنا الى من قال وما قيل وفي اى عصر قيل نبحت عنه ونفيه مع ميزان الشرع والاخلاق والقيم ولا ندع مثل هذا الشعر بايدى جيل قائم لا يدري ما يقود اليه من شرور وآثام .
ويقول في ابيات له :

دع عنك لومى فان اللوم اغراء وداونى بالتى كانت هى الداء

صفراء لا تنزل الاحزان ساحتها لو مسها بحجر مسته سراء^(١)

ومناسبة هذه الابيات روى ان ابا نواس صحب فى حياته ابراهيم الناظم ثم افترقا ، وكان ابراهيم قد اعتنق مبادئ (المعتزلة) وعدى على رأى فرقة منهم تدعى النظامية فلما التقى ابراهيم بالشاعر دعاه الى اعتناق مذهبه ووجه اليه الملامة على

^١ خزنة الادب ١/٤٥٥

شرب الخمر ومجاهرته بالعصيان ، كما عهد الى تخويله من عاقبة ارتكاب الكبائر
لان مرتكب الكبيرة مخذ في النار على رأى المعتزلة .

فنجده ينفى ما ذكره صاحبه ويرفع من قدرها عنده بوصفها بلون وتسميتها
وان الاحزان لا تنزل بساحتها وان من شربها يكون فى سرور .

كيف ذلك وقد حرمها الله سبحانه وتعالى واثبت ضررها على الانسان ، فقد
اثبت علة القائل وما به من معصية وفجور بدليل من عاش معه فى عصره ولازمه
وما ظهر لنا من خلال شعره فهل لنا ان نأخذ ما قال ونبد طبعه تحت مظلة انه
ادب وننشره ؟ . وقال فى قصيدة له :

فبادروه مجونا فى وقت كل صلاة

فهو بهذا خرج عن حدود الشرع وذلك بشربه الخمر ولا سيما فى اوقات
العبادة وهى اوقات الصلاة ويدعوا الى ذلك والدليل ما قاله .

ونجده بادر بالمعصية وشهر بفجوره بل دعى الى ذلك من خلال شعره .
فهلا يغطى شعره الماكن اللاهى بثوب اسود لا يرى منه احد شئ ولا تعرضه بل
نجله قاصر على النقاد . وقال فى قصيدة له :

اسقنيها بسواد قبل تغريد المنادى

من كميت بلغت فى الدن اقصى مستزاد

فشرينا شرب قوم عطشوا من عهد عاد^(١)

ونجده يرجع فى هذه القصيدة الخمر الى عهد سالف ويعزى ذلك بانها قديمة
الصنع وبعبدة الامل فيشرها ويظل يفخر ويتخير فى شربها اوقات كأنه يجار
بالمعصية .

وقال فى قصيدة أخرى :

الا فسقنى خمرا وقل لى هى الخمر ولا تسقنى سرا اذا امكن الجهر

فما العيش الا سكرة بعد سكرة فان طال هذا عنده قصر الدهر

وما الغبن الا ان ترانى صاحيا وما الغنم الا ان يتعتنى السكر^(٢)

^١ الديوان ص ٢٥٨

^٢ الديوان ص ٣٨١

ولا خير في فتك بدون مجانة ولا في مجون ليس يتبعه كفر^(١)

وفى شعر أبى نواس شتى ضروبه لا يستطيع أى ما شخص ان يصل الى ما يصبوا اليه الشاعر من خلال شعره الا بجهده فهو فى القصيدة الواحدة بل البيت الواحد قد تناول عدة مواضيع مما يكون الحم على القصيدة من أى نوع من شعره شئ صعب .

وهو فى هذه الابيات يفضل حياة السكر الدائم على عكس الصحو وان يكون مجاهرا بالمعاصى لاهيا ماجنا مجون يقوده الى درك الكفر .
فاى ترتيب لحياته اختاره هذا الشاعر هل هذا هروب يلحقه من عار أمه أم نتيجة الصحبة السيئة لا أدرى ؟

قال فى المثل السائر (وقرأت فى كتاب الروضة لأبى العباس المبرد وهو كتاب جمعه واختار فيه أشعار شعراء بدأ فيه بأبى نواس ثم بمن كان فى زمانه وانسحب على ذيله فقال فيما أورده من شعره وله معنى لم يسبق إليه بإجماع وهو قوله:

**تدار علينا الراح فى عسجدية حبتها بأنواع التصاوير فارس
قرارتها كسرى وفى جنباتها مها تديرها بالقسي الفوارس
فللراح ما زرت عليه جيوبها وللماء ما دارت عليه القلانس**

ويحكى عن الجاحظ أنه قال (ما زال الشعراء يتناقلون المعنى قديما وحديثا إلا هذا المعنى فإن أبا نواس انفرد بإبداعه) (٢)

وقد أكثر العلماء فى وصف هذا المعنى وقولهم فيه إنه معنى مبتدع ويحكى عن الجاحظ أنه قال ما زال الشعراء يتناقلون المعنى قديما وحديثا إلا هذا المعنى فإن أبا نواس انفرد بإبداعه

وكذلك ورد قوله فى الخمر أيضا

**يا شقيق النفس من حكم نمت عن ليلي ولم تنم
فاسقتي الخمر التي اختمرت بخمار الشيب فى الرحم**

^١ ديوان أبى نواس ص ٣٨٣

^٢ المثل السائر ٣٠٦/١

وهذا معنى مخترع لم يسبق إليه وهو دقيق يكاد لدقته أن يلتحق بالمعاني التي تستخرج من غير شاهد حال متصور (١)

وقال ايضاً (وبلغني انه اختلف في هذا المعنى بحضرة الرشيد هرون رحمه الله فقليل إنه يريد بخمار الشيب في الرحم أن الخمر تكون في جوانبها ذات زيد أبيض على وجهها فقال الأصمعي إن أبا نواس ألطف خاطراً من هذا وأسد غرضاً فاسألوه فأحضر وسئل فقال إن الكرم أول ما يجري فيه الماء يخرج شبيهاً بالقطنة وهي أصل العنقود فقال الأصمعي ألم أقل لكم إن الرجل ألطف خاطراً وأسد غرضاً (٢)

والحسين بن الضحاك يقال عنه إنه أول من جالس منهم محمد الأمين شاعر أديب ظريف مطبوع حسن التصرف في الشعر حلو المذهب لشعره قبول ورونق صاف وكان أبو نواس يأخذ معانيه في الخمر فيغير عليها وإذا شاع له شعر نادر في هذا المعنى نسبه الناس إلى أبي نواس وله معان في صفتها أبدع فيها وسبق إليها فاستعارها أبو نواس

قال أنشدت أبا نواس لما حجبت قصيدتي التي قلتها في الخمر وهي

بدلت من نفحات الورد بالآء ومن صبوحك در الإبل والشاء

فلما انتهيت منها إلى قولي

حتى إذا أسندت في البيت واحتضرت عند الصبوح ببسامين أكفاء

فضت خواتمها في نعت واصفها عن مثل رقاقة في جفن مرهء

قال فصعق صعقة أفرعني وقال أحسنت والله يا أشقر فقلت وياك يا حسن إنك أفرعنتي والله فقال بلى والله أفرعنتي ورعنتي هذا معنى من المعاني التي كان فكري لا بد أن ينتهي إليها أو أغوص عليها وأقولها فسبقتني إليه واختلسته مني وستعلم لمن يروى ألي أم لك فكان والله كما قال سمعت من لا يعلم يرويها له (٣)

وعن عثمان بن الأجرى قال سمعت الرياشي ينشد هذين البيتين ويستحسنهما ويستظرفهما جداً وهما

^١ المرجع السابق

^٢ المرجع السابق

^٣ الأغاني ج: ٧ ص: ١٦٣

إذا ما الماء أمكنني وصفو سلافة العنب

صببت الفضة البيضاء فوق قراضة الذهب

فقلت له من يقولهما يا أبا الفضل قال أرق الناس طبعاً وأكثرهم ملحاً وأكملهم ظرفاً
حسين بن الضحاك

و عن حسين بن الضحاك قال أنشدت أبا نواس قصيدتي

وشاطري اللسان مختلق التكريه شاب المجون بالنسك

حتى بلغت إلى قولي

كأنما نصب كأسه قمر يكرع في بعض أنجم الفلك

قال فأنشدني أبو نواس بعد أيام لنفسه

إذا عب فيها شارب القوم خلته يقبل في داج من الليل كوكبا

قال فقلت له يا أبا علي هذه مصالاة فقال لي أتظن أنه يروى لك في الخمر
معنى جيد وأنا حي (١)

نماذج من شعر ابي نواس في الخمر

يشير الكتاب والنقاد وعلماء اللغة والنحو البلاغة بان الشاعر ابو نواس يجيد
قول الشعر وانه يلقيه على طبيعته دون تصنع وصناعة اى انه ولد مفطوراً على قول
الشعر ، وقد لعبت البيئة التي احاطت به دوراً بارزاً في اشعاره ،

وتعتبر اقوال ابو نواس في الخمر دليلاً صادقاً لتلك البيئة الاولى التي عاش
فيها ، وتأثر بها حتى خلقت منه فاجراً وفساقاً في القول والعمل ، مما يدل على
نكرانه للمجتمع ونظراته وقيمه له ولاسرتة وراى في شراب الخمر جدراً عازلاً بينه
وبين واقعه واقاويل الناس وحتى يكون مذهبه هذا في محل اعجاب وتقدير استفاد
من فطرته وعززها بالمعرفة اللغوية والبلاغية فجذب اليه الكثير من المعجبين
والتابعين ، اما في ترديد اقواله الشعرية أو دراسة اقواله وتحليلها لغوياً وبلاغياً .

وايضا اكتسب عداوة الآخرين وخاصة رجال الدين الذين يرونه فاجراً كافراً

فاسقاً يستحق الصلب والحرق .

١ الأغاني ج: ٧ ص: ١٧٣

وكما مر ان التجربة التى عاشها الشاعر دفعته الى ان تكون الخمر هى وسيلته للكشف عن منابع الجمال الحسى فى الاشياء ، بل انه يسعى بها الى نقل لحظات الواقع وتحويله من زمن متراكم كمى الى قيمة أو كيفية .وان للخمر عند ابى نواس زمن خاص ، ونشوة خاصة كذلك ، وفى ذلك يقول ادونيس (١) :

(المسألة بالنسبة الى ابى نواس هو العيش بامتلاء ، وهى تحويل كمية الوجود الى نوعية ، وتحويل كتلة الزمن الى قيمة ، فليست الحياة هى التى تعمه بل قيمتها ، هكذا يستبدل الذاكرة بالحلم والغيبة بالشهادة ، والتذكر والحزن بالمغامرة وطلب اللذة . ان شعره هو فن يجعل الزمن كله حاضراً يتناول وتشع زمنا ثانيا ردفا آخر للزمن ، هو زمن النشوة والهيام) .

هكذا كان من الطبيعى ان تصبح الخمر نافذة الشاعر للحياة تتعانق فيها الذات بالموضوع ، فهى من ثم حواسه التى يرى من خلالها العالم ، وهى ايضا تجربته الروحية والنفسية التى تعكس مدى الحس فى عالم الداخل . يقول الحسن بن هانى فى قصيدته التى بعنوان ابو ايوب :-

قلت لما وضع الصبح فاورى واستنارا (٢)

وتولى تابع النجم الى الافق ففارا (٣)

ورایت الديك قد صاح لدى الصبح مرارا

هذه الخمر . جهارا فاشربنها لا سرارا

لا كمن يكنى عن الامر اذا ما خاف عارا

و ارينها مرة تذهب بالهم عقارا

تترك المرء اذا ما ذاقها يرخى الازارا

ويرى الجمعة كالسبت ويرى كالليل النهارا

فالزمن زمن خاص ، والمكان مكان خاص ، وكلاهما يجسدان عالم الشاعر الداخلى ، وهو عالم داخلى بكل معنى الكلمة ، يقتنع الشاعر بهذه الخصوصية بل يعطيه

^١ مقدمة الشعر العربى - ادونيس ص ٤٩

^٢ اورى : انتقد ، استنارا : انارا

^٣ ففارا : فذهب

حسا انسانيا فى تصور كلى تستشعر فيه الى اى حد يعانق الخاص مع العام ،
والداخل مع الخارج .

بل ان الامر يتجاوز الاحساس بالزمن الى الاحساس بالمكان ، فتصبح الخمر ليست
مجرد وسيلة لتحويل المكان كذلك ، فيصبح الاحساس بالمكان احساسا خاصا هو
الاخر كما اصبح الزمن زمنا خاصا هنا نجد ان الشاعر اشار الى زمن بطبيعة حاله
لا يقاس بمعايير خارجية ، وانما يقاس بمقياس الذات

استطاع ابو نواس من خلال شعوره الحسى بالخمر ان يجعل منها موقفا آخر ،
يتألف الابداع فيه ، ويتعانق مع الفكر ، فلا تستطيع ان تفصل فى تجربته الشعرية
المتفردة بين الذات والموضوع ولا بين الواحد والكل ، فقد انصهرت كل هذه الاشياء
وتحول الداخل والخارج فى شئ واحد هو معاشة الشاعر لتجربته .

فى هذه القصيدة التفت الشاعر الى اصحابه الذين يشاربهم ، فوصفهم بالعزة وارتفاع
الاقدار الى حد ان الزمان يذل لهم ، فهو لا يستطيع ان يصيبهم بشئ الا ما يريدونه
هم وما يبتغونه .

كذلك يريد ان يقول ان شوقه انما هو الى الخمر ، فهو اذا بكى بكى لها لا للمنازل
التى كانت تسكنها المعشوقات كما كان يصنع غيره من الشعراء .

والحقيقة ان الجديد فى خمريات ابى نواس انه اشاع الحياة فى الخمر واعتبرها شقيقة
روحه وتوعم نفسه بل اعتبرها فى احيان اخرى امه التى ترضعه بلبانها ، وذلك
عندما قال فى قصيدته التى بعنوان خاطب الخمر يقول فيها (١) :-

يا خاطب القهوة الصهباء يمهرها بالرطل يأخذ منها ملأه ذهباً

قصرت بالراح فاحذر ان تسمعها فليحلف الكرم ان لا يحمل الغنبا (٢)

انى بذلت لها لما بصرت بها صاعا من الدر والياقوت ما ثقباً

فاستوحشت وبكت فى الدن قائلة يا أم ويحك اتخشى النار واللهبا

فقلت لا تخدريه عندنا ابدا قالت ولا الشمس قلت الحر قد ذهباً

قالت فمن خاطبى هذا ؟ قلت انا قالت فبعلى قلت والماء ان عذبا

^١ ديوان ابى نواس ص ٩١

^٢ قصرت بالراح : لم تعطها حقها

قالت لقاحى فقلت الثلج ابرده قالت فبيتى فما استحسن الخشبا

قلت القنانى والاقداح ولدها فرعون قالت لقد هيجت لى طربا

لا تمكنى من العرييد يشربنى ولا اللئيم الذى ان شمنى قطبا (١)

كان ابو نواس يتحدث عن الخمر حديثا دقيقا فكان لا يترك فيه شيئا من اوصافها المحسوسة أو غير المحسوسة ، ولذلك فان استعماله لهذه الصور والالوان المختلفة فمرة تكون صفراء ، ومرة اخرى حمراء وثالثة كما فى الابيات السابقة اذ يصفها بالصفاء المشوب بحمرة .

اما فى هذه الابيات الاتية فيصفها بالصفار المشوب ببياض ، فتصبح لونا من لون الذر المتطاير فى حزمة الضوء على نحو ما جاء فى الصورة التالية فى قصيدته (دق عن الحس) (٢) :-

صفراء سلك جمان لؤلؤها القات كاتب سيد الفرس (٣)

ترى الحباب بمثله صفدا دقت مسالكها عن الحس (٤)

وكأنا هى حين تبرزها للشاربين عصاره الورس (٥)

واذا ترام تفوت لامسها مثل الهباء يفوت باللمس (٦)

هذه الصور المختلفة تعكس مقدرته البارة فى تشكيل الصورة كل حسبما تقتضيه الظروف ، وبالتالي فان المجتمع فى هذا العصر قد تأثر بهذه الفنون مجتمعة ، وكان الشاربون يحضرون الى هذه المجالس التى تقال فيها هذه القصائد الملونة بملابس عجيبة ، مقلدين الفرس فى ذلك ، فكانوا يضعون الثياب الملونة الحمراء والصفراء والخضراء والبيضاء على ابدانهم .

^١ العرييد : الذى يوذى نديمه عند سكره ، قطبا: عبسا

^٢ المصدر نفسه ص ٢١٥

^٣ الجمان : حبات صغيرة من الفضة ، لؤلؤها : حبابها

^٤ يصف الفقاقيع المتصاعدة من الكأس فى مسالك تدق الحس

^٥ الورس : شجرة تنبت باليمن ذو عصاره صفراء يصبغ بها

^٦ الهباء : الذر المتطاير الذى يرى فى حزمة من الضوء تسقط من كوة ، هذا الهباء يرى ولا

يرى الباحث ان ابا نواس نظم في شتى ضروب الشعر، و لا يستطيع اى ما
 شخص ان يصل الى ما يصبوا اليه الشاعر من خلال شعره الا بجهده فهو فى
 القصيدة الواحدة بل البيت الواحد قد تناول عدة مواضيع مما يكون الحكم على
 القصيدة من اى نوع من شعره شئ صعب .
 وهو فى هذه الابيات يفضل حياة السكر الدائم على عكس الصحو وان يكون
 مجاهرا بالمعاصى لاهيا ماجنا مجون يقوده الى درك الكفر .

المبحث الثاني الصورة المستمدة من الغزل والنسيب في شعر ابي نواس

المتأمل في فطرة الانسان التي فطر وجبل عليها نجده دائما مفتونا بمحاسن المرأة ، وهى سنة الله فى خلقه وعباده ، ومن سنة الله على عباده بان جعل المرأة ملاذا آمنا وسكنا ولباسا للرجل منذ خلق ابو البشرية سيدنا آدم عليه السلام . قال تعالى (ومن آياته ان خلق لكم من انفسكم ازواجا لتسكنوا اليها وجعل بينكم مودة ورحمة ان فى ذلك لآيات لقوم يتفكرون) (١) .

طبع الانسان على ان يمتلك كل ما هو جميل فيستلطفه ويميل اليه حتى يتعلق به اذ لا يستطيع مفارقتة ، وقد تطرق الى مراتب الحب كثير من النقاد والادباء امثال ابن حزم - طوق الحمامة - وجعلوه على درجات - استلطافا ، ثم ميلا ، ثم حنيئا ثم غراما ثم هياما ثم تولها ثم تدلها وقد يجئ طبيعيا أو مترفا (٢) .

والغزل كغيره من الاغراض الشعرية القديمة يشغل حيزا من الشعر العربى القديم مستمدا من الحقب السابقة معانيه ، مراعيًا الارض والثقافة ومتطلبات الاحوال ، فاصبح سمة لكل عصر من العصور ، وهو ناتج من انفصال الشاعر عندما يتحدث عن مشاعره وانفعاله واحاسيسه الواقعية ، ويكشف ما فى اعماقه ودواخله فى لحظات السعادة والحزن والترقب والقلق ، فيصور لنا لحظات الانتظار والشوق ولعادة وما يتصل بها من انفعالات مختلفة .

لذلك فان للغزل محاور لا تتعدى الثلاثة وهى :-

الغزل والنسيب والتشبيب ، ولم يصل فيها النقاد الى تعريفات منفصلة عن بعضها البعض ، ولكن توجد تعريفات نوجزها فى ما قاله ابن منظور فى لسان العرب .
معنى التشبيب وتشبيب الشعر ترقيق اوله بذكر النساء وهو من تشبيب النار وتاريخها وشبب بالمرأة قال فيها الغزل والانسيب وهو يشبب بها أي ينشيب بها

^١ قرآن كريم سورة الروم الآية ٢١

^٢ د. حسين الحاج حسن ، اعلام من الشعر العباسى . الطبعة الاولى المؤسسة الجامعية للنشر والتوزيع ١٩٩٣

والتشبيب بالنسب وفي حديث عبد الرحمن بن ابي بكر رضي الله عنهما انه كان يشبب بليلي بنت الجودي في شعره تشبيب الشعر ترقيقه بذكر بالنساء^(١) وقال : الغزل حديث الفتيات واللهم مع الفتيات ومغازلتهم ومحادثتهن ، ومرادوتهن ، والتغزل التكلف لذلك وفي الغزل هو أغزل من أمرئ القيس^(٢) ويقول في التشبيب شب بالمرأة . قال فيها الغزل والنسب وهو يشبب بها اي نسب بها^(٣) ويقول في النسب ، النسب والنسب بالنساء ينسب نسيبا ونسيبا ومنسبة تنسب بهن في الشعر وتغزل^(٤) .

وعرف النقاد القدماء الغزل وعرفوا بينه وبين النسب ، وقد وقف قدامة بن جعفر عن الغزل والنسب قائلا : النسب ذكر النساء واخلاقهن وتعرف احوال الهوى به معهن .

قال بن رشيق (والنسب والتغزل والتشبيب كلها بمعنى واحد واما الغزل فهو الف النساء والتخلق بما يوافقهن وليس مما ذكرته في شيء فمن جعله بمعنى التغزل فقد اخطأ^(٥))

كذلك عرف ابن رشيق القيرواني مفرقا بين الغزل والنسب والتشبيب فقال . النسب والتغزل والتشبيب كلها بمعنى واحد ، اما الغزل فهو إلف النساء والتخلق بما يوافقهن^(٦) .

ويقول ايضا : حق النسب ان يكون حلو الالفاظ رسلها ، قريب المعاني سهلها ، غير كز ولا غامض ، وان يختار له من الكلام ما كان ظاهر المعنى ، لين الايثار ، رطب المكسر . شفاف الجوهر ، يطرب الحزين ويستخف الرصين^(٧) .

^١ لسان العرب لابن منظور ٢١٨١/٤

^٢ المرجع السابق مادة غزل

^٣ المرجع السابق مادة تشبيب

^٤ المرجع السابق مادة نسب

^٥ العمدة في نقد الشعر ودابه ٤٩/٢

^٦ ابن رشيق القيرواني العمدة ج ٢ ص ١١٦

^٧ ابن منظور القيرواني العمدة ج ٢ ص ١١٧

على ان اغلب الظن ان القدامى يتفقون على ان الغزل والنسيب والتشبيب كلها تحمل معنى واحد ، وهى مجالسة ومغازلة النساء والحديث معهن .
 واذا تتبعنا الغزل فى عصوره المختلفة نجده فى الغالب ما تفتح به القصائد ،
 فالقدامى يبدؤن قصائدهم بذكر المحبوبة ، وطيفها ، فيقفون على الاطلال الدارسة ،
 ويبيكون ويستبكون ويدعون بالسقيا لديار المحبوبة لهم الخير ويكثر النعيم ، وتخضر
 الارض ويمتلئ الضرع ومن ذلك قول الاعشى :-

ودع هريرة ان الركب مرتحل فهل تطيق وداعا ايها الرجل
 غراء فرعاء مصقول عوارضها تمشى الهوينة كما يمشى الوجى الوحل
 كأن مشيتها من بيت جارتها مر السحابة لاريث و لا عجل

الغزل الفاضح (الغزل الشاذ)

لم يكن مزاج أبي نواس ومذهبه فى الحياة اللاهية الشاردة وراء اللذة الوقتية
 اكتناف الحب الصحيح الخالص أو ليكون يوما من العاشقين .
 وهو اذا تغزل يصطنع الغزل اصطناعا ومع ذلك فقد يبالغ أبو نواس احيانا
 فى غزله وهذا الشئ من الاجادة الفنية ولا يخفى لما فيه من مخادعة فى العاطفة
 وتكلف بارد وردى وساقط .

والقارئ لديوان ابي نواس ولاسيما غلمانه ، يعجب لهذا التثقل الزئبقي الذى
 يمارسه بين قلب وقلب ، فاذا هو معجب (بجنان حينا وبحنان مرة اخرى) .
 وما يلاحظ ان ابا نواس احب الجارية (جنان) على وجه التحديد ، الا ان
 ما قابلته من صد وجفاء كان سبب جديد يضاف الى الاسباب التى صنعت شخصية
 غامضة ورسمت من شعره هذه الصورة الحزينة التى تكون واضحة حتى فى حالات
 مجونه وغيه .

ومما تقدم يظهر ان الغزليات والغلمانيات هما طرب الى الجمال وترويح للذة
 وليس تعبيراً عن الهوى الدفاق والعاطفة المتأججة ، وان الحديث على اللذة
 والاعجاب بالجمال شئ ، والتعلق بالجمال والتقيد بالحب شئ آخر .

وقال فى احدى قصائده :

أتانى عنك سبك لى فسبى أليس جرى بفيك أسمى فحسبى
وقولى ما بدا لك ان تقولى فماذا كله الا لحبى^(١)

هذه الابيات رد فيها على محبوبته (جنان) يحن فيها اليها ويتودد ويظهر حبه لها وكان ذلك من خلال ما يرسله من شعر غزلى لها .
فهى كانت على عكس ذلك تسبه ولا تبادل له حبا مما زاد ذلك عليه أزمته النفسية التى يعانيتها فتحطمت مشاعره وأحاسيسه .

تعتبر هذه اول مرحلة للشاعر بان يخرج من اطار الغزل العفيف الطاهر الى التشنيع بالنساء والتشبيب بهن فأصبح لا يعنيه بوصفهن بخلاعة والسبب اداة ما واجهته به محبوبته (جنان) فأصبح الحب لذة وقتية .وفى قصيدة أخرى :

تسفيك من يدها خمرا ومن فمها خمرا فما لك من سكرين من بد
لى نشوتان وللندامان واحدة شئ خصصت به من بينهم وحدى

لا ينفك شعر الغزل عنده عن الخمرة ما ذكر الغزل الا وجاءت الخمر ولم يذكر الخمر الا ويأتى غزل .

وتعتبر هذه المرحلة الاولى من بعد الصد ، بدأ يشعر بالجوارى اللاتى يعملن بالحنانات بان له سكرين سكر الخمر من كأس وسكر من القبل فهو يشعر بالجارية :
وقال فى مرة اخرى :

يا قمرا ابرزت فى مآتم يندب شجوا بين أتراب
يبكى فيزرى البدر من نرجس ويلطم الورد بعناب
لا تبك ميتا حل فى قبره وابك قتيلا لك بالبواب^(٢)

انها تدور حول محبوبته التى تبكى على فقيد لها يوم موته وهو يقول لها لا تبكى على من اصبح تحت التراب بل ابكى معذب يحبك يقف على الباب أعيريه نظرة .

نجد انه لديه شعر فى الغزل جيد عفيف صادق طاهر لكن بعد الصدمة أو الأزمة التى مر بها أدخلت فى شعره الغزلى نوع شبه ردى به نوع من السذاجة وعدم

^١ الديوان ص ١١٧

^٢ الديوان ص ٩٤

الحياء وتبدو الخلاعة به ظاهرة فعلينا ان نخرجه عن دائرة الغزل المسمى لديه ويكون على حدا .

ونحن لا ننقصه حقه فى جودة اشعاره الغزلية لكن ما انتجه بعد ازمتة النفسية مع محبوبته لا يتوافق مع اخلاقنا وقيمنا ومبادئنا والدين اولا .
الغزل الشاذ :

ثم ان لابی نواس صنفا آخر يكاد يكون جديدا فى الادب العربى لانه صورة ظاهرة جديدة فى الحياة الاجتماعية العباسية وهو التشبيب (بالغلمان) ^(١) و(الغلاميات) ^(٢) . والمسرفين من التطرف والتبرج.

وقد كان أبو نواس مغرما بتلك الظواهر فوصفها وتغزل بهن فى شعر يلائمهن خفة وسوء ادب وقوفا عند الزخرف السطحى والاشكال الحسية الخارجية من غير تغلغل الى العاطفة الصادقة والجمال الحق .

اما الغلمان فكان أبو نواس يندفع الى التغزل واضطرام الشعور وحلاوة الفن والموسيقى وجمال الصورة والمقدار الوافر ، ومن ثم فقد عد من اول مبدعى باب الغزل المذكر عند العرب ، واشهر اعلامه الا انما اشعاره فى الواقع مخزية لانه اغلب شعره فى هذا الموضوع حافل بالشذوذ والخلاعة العارمة يحمل من المنكرات والعار والمرض الاخلاقى ما لا يقوى الفن مهما تسامى ان يستر شناعته القبيحة التى شرعها هذا الشاعر الماجن على حد قول بعض المؤرخين ان ابا نواس كان جناية على الادب وصمة فى تاريخ الادب العربى.

وسوف نقف على جانب من هذا الشعر على سبيل العرض وليس الحصر لاننا اذا ما تطرقنا على جميع اشعاره لما احصينا المعنى المراد بل نقف عليها وقفة تحليل وتوضيح وتبيين .قال الشاعر :

^١ الغلمان : هم المخنثين من الرجال

^٢ الغلاميات : هن المشبهات بالرجال

فقلت من الطارق؟ قلنا عصابة خفاف الاداوى تبتغى لهم خمر
ولابد ان يزنوا فقلت أو الفداء بابلج كالدينار فى طرفه فتر(١)
فقلنا لها هاتيه ما ان لمثلنا فدينك بالاهلين عن مثل ذا صبر
فبتنا يرانا الله شر عصابة تجر اذيال الفسوق ولا فخر

هذه الابيات من ديوانه الخمریات وهى مصنفة من شعر الخمر عنده ، ولكن نجد انه يجمع بين المجون والغزل الفاضح والشذوذ مما يصعب تحديد الموضوع . فهو يطلب الخمر من صاحبة المحل وهى كبيرة ثم يعرجون بانه لا بد من ان يزنوا وهو فحش ومعصية ، واكبر من ذلك ردها بانه لديها غلاما وبدأوا يصفونه ويرو انهم اصبحوا شر عصابة تجر اذيال الفسق والفجور . ان شعره هذا يجمع المجون والفجور والفسق والتشهير والمجاهرة بالمعصية وليس بشعر يصنف له دواوين وتروج له بل يجب ان نرثى لحاله بعد ما كان عليه من خير ومكانة اصبح فاسق على حد قول من عاصروه من العلماء وقال :

وظبى خلوب اللفظ حلو كلامه مقبله سهل وجانبه وعر
سكبت له منها فخر لوجهه أمكنه منه ما تحيط به الإزر
فقلت اليه والذى كحل عينه فقبلته والصب ليس له صبر
وقلبته ظهرا لبسن و تارة يكون بساط الارض بالباطن الظهر
الى ان تجلى نومه عن جفونه وقال كسبت الذنب؟ فقلت لى العذر
فاعرض مزور فكان بوجهه تفقؤ رمان وقد برد الصدر
فما زلت ارقبه الثم خده الى ان تفنى راضيا وله السكر

فلماذا كل هذا الفجور الفاضح وتحكم له بجودة شعره يا ليت غيرى يدر ما وصل اليه من تقاهات فى النظم والمعنى . وقال ايضا فى قصيدة :

من كف ذى غنج كان جبينه قمر وسائر وجهه دينار
يزهى بعينى شادن وجبينه والخصر فيه لشقوتى زنار

وما يهم هنا في دراسة ابي نواس موضوعان عشقه وغزله (الاشتهااء الذاتى).

فالاشتهااء الذاتى على الحالات الجسدية التى تقترن باختلال وظائف الجنس فى صاحبها ، ويبلغ من اختلاف هذه الوظائف ان المصاب به يمنى اذا أطال النظر بدنه عاريا فى المرأة ، ما اليها ، وانه اشتهى بدنه كأنه بدن انسان غريب عنه ، ولكنها شهوة يبالغ فيها المريض ، لان الإعجاب بالأبدان الغريبة لا يستغرق شعور المرء كما يستغرق الاشتهااء الذاتى لصاحبه ويغريه على الدوام يتأمل جسده ومعاودة النظر اليه ، ويحدث احيانا الا يكون النظر استحسانا محضا ، بل اسفا لبعض النقص واجتهادا فى تحسينه والمغالطة فيه .

فملازمة الاشتهااء الذاتى لا غنى عنها فى هذا الضرب من الشذوذ الجنسى وهو عشق الانسان لذاته من الناحية الشهوانية فالشاذ فى حب جسمه أو حب الجنس الاخر يجد طلبه ويقضى مأربه . اما الذى يشتهى بدنه فليس فى وسعه ان يقضى مأربه منه ويغير الاحتيال لذلك بالتلبيس والتشخيص .

هذه اللوازم على ابي نواس فى خلائقه الاولى وخلائقه التبعية وتفسر جميع احواله حيث لا يفسرها ضرب اخر من ضروب الشذوذ من الوسائل الجنسية ، فالشذوذ الذى يميل بصاحبه الى عشق ابن جنسه والعزوف عن الجنس الاخر آفة لا تنطبق على ابي نواس ، لانه يغازل الجوارى كما يغازل الغلمان ، وكلامه كثير فى استحسان الفتاة لانها كالغلام ويستحسن الغلام لانه كالفتاة والواقع ان الاغاطة والظهور هما بيت القصيد ، وان صاحب المزاج قد يهمه ان يغظ جمهوره الناس بالمخالفة ، وان كانت مخالفة الى التقوى والصلاح ، لان الظهور وآثاره الشعور هما الهوى الغالب عليه (١) .

^١ عباس محمود العقاد (أبو نواس) ، ص ٢٤-٢٧

المبحث الثالث

الصورة المستمدة من شعر المجون

في شعر ابي نواس

ظهر هذا النوع من الشعر بصور سافرة في هذا العصر العباسي وربما لم يكن هنالك عصر من العصور وصل الي هذه الدرجة في النوع من الشعر (فقد كان المجتمع زاخر بزنادقة وملاحه وانواع من ديانات شتي مجوسية وغير مجوسية فمضي كثيرون يطلقون لانفسهم العنان في ارتكاب المعاصي متحريرين من كل قانون للخلق والعرف والدين وكان من اهم تلك العوامل التي هيات لذلك السلع التي كانت تباع وتشترى من الجواري والقيان فقد كن من اجناس وشعوب مختلفة وكن يتفنن في الحيل التي يجذب بها قلوب الرجال (١)

ضم هذا المجتمع مجموعة من الشعراء الذين اكبوا علي ملذاتهم وشهواتهم وامنوا بمبادئ المجون وخرجوا علي تعاليم الدين والتقاليد وجاهروا بهذا الخروج وكانت هذه المجموعة تتقابل مع بعضها ويتجمعون ليتطارحون فيما بينهم الشعر الدال علي الامعان في المجون وكثيرا ما كانت تجري بينهم وبين ابي نواس المطارحات الشعرية

كانت ضمن هذه المجموعة اسماء لامعة من الشعراء منهم ابان اللاحقي (٢) والحسين بن الضحاك ودعبل الخزاعي (٣) ومسلم بن الوليد ووالبة بن الحباب واحمد بن روح فضل الرقاشي وابو قابوس النصراني والجماز وابو الشمقمق

^١ شوقي ضيف تاريخ الادب العربي في العصر العباسي ص ٧٣

^٢ ابان بن عبد الحميد بن لاحق بن عفر مولي بني رقاش نقل الي البرامكة كتاب كليله ودمنة فجعله شعرا ليسهل الحفظ عليهم وعمل قصيدة ذكر فيها مبدا الخلق وامر الدنيا وشيئا من المنطق وسماها ذات الحل ومنهم من ينسبها الي ابي العتاهية كان بينه وبين ابي نواس هجاء . الاغاني ٣٦/٢٣

^٣ هو دعبل بن علي بن رزين الخزاعي شاعر مطبوع مفلق اصله من الكوفة كان هجاء خبيث اللسان لم يسلم منه احد من الحكام وكان من مشاهير الشيعة توفي سنة ست واربعين ومائتين . معجم الادباء

والحسين الخياط وعلي بن الخليل الكوفي^(١) وحمد عجرد ومطيع بن اياس ويحي بن زياد وابن ابي عيينة^(٢)

يري شوقي ضيف (ان هؤلاء المجان قد اشاعوا افه مزرية هي افه التعلق بالغلماں المرد وكان اول من اشتهر بالغزل فيه والبة بن الحباب وهو يصرح بذلك تصريحاً في غير موارد ولا استحياء ويقال انه هو لذي يتحمل وزر افساد ابي نواس بل هو الذي يتحمل إفساد العصر كله الذي شاع فيه من هذا الغزل المقيت الذي يخنق كرامة الشباب والرجال خنقا^(٣))

ويروي ان الامين حين افضت اليه الخلافة قدم الخصيان وآثرهم فشاعت قالة السوء فيه ورات امه زبيدة درءاً لتلك القالة ان تبعث اليه بعشرات الجواري والبستهن لباس الرجال حتي ينصرف عن الخصيان فكن يختلفن بين يديه وابرزهن للناس ولم يلبس كثيرون ان جاروه في هذا الصنيع وكن يسمين بالغلاميات وعمت البدعة في الساقيات بالحنات ولعل ذلك السر في ان ابا نواس كثيرا ما يتحدث عن بعض الجواري بضمير المذكر بعدها اخذ المخنثين بين المغنين والضاربين علي الدفوف وكانوا يتشبهون بالنساء في عاداتهن وثيابهن وصفر شعورهن وصبغ اظافرهن بالحناء

كانت هذه المجالس التي يعكف عليها هؤلاء المايجون كانت تحوي كل انواع الرذائل وكل اركان المجون وقد روي حمزة الاصفهاني ابياتا لعشرة من أولئك المايجين كان يستضيف كل منهم الاخرين عنده ويغريهم بلون من الوان المجون ليقبلوا ضيافته فداوود بن رزين الواسطي يغريهم بالخمير في مجلس لطيف وسماع

^١ علي بن الخليل رجل من اهل الكوفة مولي لمعن بن زائدة الشيباني ويكني ابا الحسن وكان يعاشر صالح بن عبد القدوس ولا يفارقه فاتهم بالزندقة واخذ مع صالح ثم اطلقه الرشيد لما انكشف امره وقتل صالح بن عبد القدوس الاغاني لابي فرج الاصفهاني ١٦٨/١٤

^٢ وهو شاعر مطبوع ظريف غزل هجاء وأنفد أكثر أشعاره في هجاء ابن عمه خالد وكان من شعراء الدولة العباسية من ساكني وأبو عيينة اسمه كنيته وهو ابن محمد بن أبي عيينة بن المهلب بن أبي صفرة وكان من أطبع الناس وأقربهم مأخذاً من غير أدب موصوف ولا رواية كثيرة وكان يقرب البعيد ويحذف الفضول ويقل التكلف ومات قبله وكان يتعشق فاطمة بنت عمر بن حفص وقال إنما كان جندياً في عداد الشطار وكانت فاطمة من أنبل النساء وأسراهن وإنما كان يتعشق جارية لها. الأغاني ٢٠ / ٨٩

^٣ شوقي ضيف تاريخ الادب العربي في العصر العباسي ص ٧٣

الغناء وابو نواس يغريهم بارتكاب لفواحش ويجعل ميعادها الصلاة امعنا في
المجون والتهتك

فان اردتم فتاة اتيتكم بفتاة

وان اردتم غلاما صادفتموني مؤاتي

فثاوروه مجونا في وقت كل صلاة (١)

ويعرض عليهم حسين الخليع الخمر وارتكاب الفواحش مع غلام ثمل ويكتفي
فضل الرقاشي بدعوتهم الي الخمر اما عمرو الوراق فيدعوهم الي الخمر
والسماع ويحل لهم ترك الصلاة

هذا وليس عليكم اولي ولا وقت عصر (٢)

واما علي بن الخليل واسماعيل القراطيسي ورزين الكاتب وابن الخزاز (٣) فجميعهم
يدعون الي باقي العصابة الي مثل ما تقدم به اخوانهم من خمر وسماع وارتكاب
فواحش ولو بين بعضهم البعض كما جاء في ابيات ابن الخزاز ويبدو ان
المجون يصل بهم الي هذا الحد من التهتك ليشعروا انفسهم بالانطلاق من كل
 قيد والتفنن في الاقبال علي الشهوات وربما كطان الاتصال الشاذ بين افراد
العصابة المجان هذه وبعضهم لبعض له جذور في المزدكية الاباحية وما يدل
علي ذلك قول والبة بن الحباب

حتي اذا ما انتشينا وهزنا ابليس

ريت اعجب شيء منا نحن جلوس

هذا يقبل هذا وذاك يبوس

وقد اشتهر والبة بن الحباب بهذا الميل المزدكي الي الاباحة حتي ان المهدي
رفض اتخاذه نديما بسبب هذا الميل الذي افصح عنه في الشعر له (٤)

^١ ديوان ابي نواس ٦١

^٢ المصدر نفسه ٦٢

^٣ المصدر نفسه ص ٦٤

^٤ طبقات بن المعتز ص ٨٩

كان المجون شائعا بين افراد من الطبقات المتباينة بتاثير العوامل الاجتماعية ويؤكد ذلك ما ذكره حمزة الاصفهاني في روايته لديوان ابي نواس (عندما وقع بصر ابي نواس في احدي الخرابات اذ راي سقاء يعلو نصرانيا فلما لمحاه انفصل السقاء عن النصراني واخذ قريته وعدا وقام النصراني غير محتشم يشد سراويله وينشد بيتين في غاية الافحاش الي غير ذلك من الروايات لتي تصور قوة تيار المجون وغلبته في افراد المجتمع) .

ان اساس المجون عند هؤلاء الشعراء كان المجاهرة به وهذا واضح من قول بشار الذي دعا فيه الي اللذة دون نظر الي اللوام والساخطين اذ يقول

ترقب فينا العاذلين علي الهوي وما نال عيشا قبلنا من ترقبا

اذا نحن لم ننعم شبابا فانما شقينا ولم يحزن لنا من تشببا

وما استفرغ اللذات الا مقابل اذا هم لم يذكر رضا من تغضبا^(١)

كما جاهر ايضا بلذاته ولم يكتفي بذلك ويسهل للناس ارتكاب المحرمات فقال

من راقب الناس لم يظفر بحاجته وفاز بالطيبات الفاتك اللهج

قالوا حرام تلاقينا فقد كذبوا ما في التزام ولا في قبلة حرج

وقد منع المهدي غزل بشار لما فيه من الاباحية والمجون وتحريضه علي فسق المجتمع والتشهير بنسائه بدافع شعوبيته في الغالب^(٢)

كان هنالك الكثير من الشعراء الذين يصفون بالمجون وغير مشهورين منهم ابو النضير عمرو بن عبد الملك مولي بني نجح وقال عنه صاحب الاغاني كان يظهر الخلاعة والمجون والفسق ويعاشر ويعاشر جماعة ممن يعرف بذلك الشأن وكان من شعراء البرامكة وكان ممن ينافس ابا نواس في عشق جنان وهو يقول فيها

أنا والله أهواك وأهواك وأهواك وأهوى قبلة منك على برد ثناياك

وأهوى لك ما أهوى لنفسي وكفى ذاك فهل ينفعني ذلك يوما حين ألقاك

أنا والله أهواك وما يشعر مولاك فأياك بأن يعلم إياك و إياك^(٣)

^١ ديوان بشار ٢١١/١

^٢ المرجع السابق ٩٨/٢

^٣ الاغاني ٢٨٩/١١

روى صاحب الاغانى قال كان حماد عجرد ومطيع بن إياس يختلفان إلى جوهر جارية أبي عون بن المقعد وكان حماد يحبها ويحن بها وفيها يقول

إني لأهوى جوهرًا ويحب قلبي قلبها وأحب من حبي لها من ودها وأحبها
وأحب جارية لها تخفي وتكتم ذنبها وأحب جيرانا لها وابن الخبيثة ربه^(١)

و آدم بن عبدالعزيز الاموي ، كان ماجناً منهمكاً في الشراب في اول امره حتي ان احد الرواة قال عنه ما رايت قرشياً امجن منه ، وكان يصحب يعقوب بن الربيع^(٢) ، وكان يعقوب ايضاً من اهل الخلاعة والمجون ، ثم تاب آدم بن عبدالعزيز ونسك ، واتفق ان استأذن يوماً علي يعقوب بن الربيع ، وكان يشرب فقال يعقوب : ارفعوا الشراب ، فان هذا قد تاب واحسبه يكره ان يحضر ! فرفع الشراب واذن له فلما دخل آدم قال : اني لاجد ريح يوسف ، فقال يعقوب : هو الذي وجدت ، ولكننا ظننا ان يثقل عليك لتركك له ، قال أي والله انه ليثقل علي ذلك قال : فهل قلت في ذلك شيئاً منذ تركته ؟ قال : نعم ! وانشد :

الا هل فتي عن شربها اليوم صابر ليجزيه عن صبره الغد قادر

شربت فلما قيل ليس بنازع نزعته وثوبي من اذي اللوم ظاهر^٣

كان تيار المجون قويا في هذا العصر وكان يعبر واضحا عن هذا الاتجاه وتباري الشعراء الماجنون في اشعارهم حتي ان الرقاشي كتب ارجوزة مزدوجة قبل وفاته ضمنه انواعا المجون واركانه فقد روي ابن المعتز انها كانت مشهورة موجودة فوقد الامر الشاعر فيها اتباعه باتباع اللواط وشرب الخمر والقمار والهراش بين الديكة والكلاب وبدا ارجوزته بقوله

اوصي الرقاشي الي خلانه وصية محمود في إخوانه^(٤)

وقد بلغ الفحش مبلغه في هذا العصر فهذا الخاركي يقول شعرا من افحش ما قيل

^١ المصدر السابق ٣٣٤/١٤

^٣ اخو الفضل بن الربيع

^٤ معجم الادباء ج ٧ ص ٣٠٣

^٤ طبقات الشعراء ٢٢٦

إذا لام علي المرد نصيح زادني حرصا
ولا والله يا قوم فلا اقلع او اخصي^(١)

ظهرت ظاهرة الشذوذ الجنسي بصورة صارخة في هذا المجتمع ويتضح ذلك في
ابيات والبة بن الحباب التي قول في مطلعها

يعاطينا الزجاجة اريحي رخم الدل بورك معاطي^(٢)

وظاهرة الشذوذ هذه بدأت في منتصف لقرن لثاني ثم امتدت بعد ذلك فقد عرف هذا
العصر انواعا مختلفة من الانحرافات النسبية فقد عرف حب الذكور للذكور كما
يتضح من شعر الخاكي وحماد عجرد ومطيع بن ايس ووالبة بن الحباب
والحسين الضحاك ، كما عرف هذا العصر حب الاناث لاناث ويتضح ذلك من
شعر ابي العتاهية حيث قال صاحب الاغاني (كان أبو العتاهية يهوى في حديثه
امراة نائحة من أهل الحيرة لها حسن وجمال يقال لها سعدى وكان عبد الله بن معن
بن زائدة المكني بأبي الفضل يهواها أيضا وكانت مولاة لهم ثم أتهمها أبو العتاهية
بالنساء فقال فيها

ألا يا ذوات السحق في الغرب والشرق أفقن فإن... أشفى من السحق
أفقن فإن الخبز بالأدم يشتهي وليس يسوغ الخبز بالخبز في الحلق
أركان ترقعن الخروق بمثلها وأي لبيب يرقع الخرق بالخرق
و هل يصلح المهراس إلا بعوده إذا احتيج منه ذات يوم إلالدق

ابو نواس الشاعر الماجن

عاش ابو نواس في الاماكن المختلفة التي وجد فيها ولاسيما بغداد ، عيشة لهو
وسكر واستهتار ومجون .. وكان يصاحب جماعة من المجان يختلفوا اليهم الى
الحانات حيث يقضى الزمن الطويل في المعاقرة وسماع الغناء واللهو ، ومع وفرة ما
كان يناله من هبات ثوابا لشعره . فانه لم يحرص يوما على شئ من المال بل كان
يبدده جميعا في الخلاعة ، ليصبح بعدئذ في عر واضطراب وقد احب في عمره

^١ الورقة ٣٧

^٢ طبقات بن المعتز ص ٨٨

جارية اسمها جنان ، واكثر من ذكرها فى شعره ، الا انه لم يقف قلبه عليها وحدها ، بل كان يصبو الى كل جمال يراه ، وما زالت حياته على تلك الحالة من الحرية الادبية المتطرفة حتى انحطت قواه وافل جسمه .

نفسية ابو نواس ومذهبه فى الحياة :-

خلق ابو نواس اداة صالحة للهو والشعر ، فقد كان سليم الطلعة ، حسن القوام رقيق النفس ، نافذ الشعور خفيف الروح ، تشفف ثقافة فى الرواية واللغة والحكمة الهندية واليونانية والنجوم والطبيعات .

وكان هذا الانسجام بين قوى جسمه وعقله ، يجعله رقيقا من اطيب الرقاق وجليسا من اخف الجلساء ظلا . واعذبهم لسانا ، وشاعرا فى ابلغ وادق واجمع ما تدل عليه الكلمة .

وكان الى ذلك ميالا الى الخلاعة من فطرته ، فزادته نشأته الطائشة اغراقا فيها ، فأتخذ المتعة منذ صباه مذهباً وديناً .. يقول فيها :

تلك لذاتي و كنت فتى لم اقل من لذة حسبي

طربت الى الصحب والمزهر وشربت المدامة بالاكبر^(١)

والقيت عنى ثياب الهدى وخضت بحورا من المنكر

واقبلت اسحب ذيل المجون وامشي على القصف فى منز^(٢)

ولم يتهيأ لآبى نواس من رحابة الصدر ، واتزان الحس والصبر المتبصر ما يتيح له النظر فى عواقب المجون والبحث عن طريقة رزينة تنشئ سعادة دائمة ، وقد ساهم فى نزعتة هذه تلك النفس الصبيانية التى كانت تلازمه سحابة عمره ، فقد قضى معظم حياته كولد لا يقدر المسئولية وينفر من الاطلاع بها ، ولا تكاد تلفت اهتمامه الاحداث الاجتماعية والسياسية مهما كانت جسيمة ، بل هو كالغريب عنها يمرح هازئاً مستهترا لا ينضوي الى حزب ولا ينحاز الى مذهب سواء كان ذلك فى السياسة

^١ المزهر : العود

^٢ القصف : اللهو

أم في الاجتماع انما محبة الخمر واللذة الحسية ، وكل ما معززهما ويوفر أسبابهما في المذاهب الاخرى ينتحلها ابو نواس ، وكل ما ينافيها يعاديه ويحازيه .. هكذا كان مرماه ابدًا التمتع باللذة الحاضرة السانحة على غير مبالاة بما قد تنتج في الغد ، وكان بالتالي شأن اغلب المؤمنين بالمتعة ، واقعيا يجلب الطبيعة على علاقتها ونزواتها ، لا ينفرد ولا يخشى ولا يستحي من مظهر من مظاهرها مهما شابه من عيب أو خزي ، صريحا يأبى التستر ولو على القبح ، ويهوى كل ملهن مجهور ، ولو كان مدعاة الى العار . لا يطيق للطبيعة من قناع ولا للجهر بحبها والأخذ بسننها من لثام ، وقد ساهمت في ذلك حياته البسيطة الحرة ، البعيدة عن سامي المناصب وما تقتضيه من تكلف وتستر ، فلم يخشى يوما الجري من طبعه والمجاهرة بمآتيه ومغامراته ، بل راح يردد

دع التستر والرياء فما هما من شائيه

الا ان اللذة لم تكن لتدوم لآبى نواس على صفاء وثابته ابدًا بما يبتقى من ورائها ، اذ سرعان ما ولى الشباب بما فيه من ترف وطيش ونشاط يقاوم ما تحدثه الخلاعة من دمار ، فرأى اذ ذاك ان يبدد غيوم السكر بالشكر ، ويقتل الدم الذى يعقب اللذة بالاغراق في اللذة حتى تتخدر اعصابه وافكاره ، ويذهل عن الحياة ، وهكذا اتصبح الحياة في مذهبه ذهولا عن همومها وشقاوتها عن طريق الاغراق في اللذة المخدرة ، ولا يخفى ما يتوارى خلف هذه اللذة في نفس آبى نواس من تشاؤم كثيف حر قد يبدو عندما لا يجد الشاعر من سبيل الى المتعة التى تستره فيأتى بمعان مثل هذه :

عليك باليأس من الناس ان الغنى ويحك في اليأس

وكان لا بد ان يبدر منه اذ ذلك تطلع الى مستقبل الحياة ، وغايتها الاخيرة ، فيرى ذلك الافق الشاحب الرهيب افق الموت الذى سينتهى اليه كل انسان لا محالة ، ويخامره ريبة وخشية لما وراء ذلك الافق من اسرار مخبات فتتعدد معضلة الحياة في نظره . اذ يضطر الى ايجاد حل يوفق بين اللذة والدين ، فيستتب من الدين حلا هو الايمان بعفو الله الواسع ، الثقة المفرطة به ، ثقة تحمله في ضلاله على اتيان جميع المنكرات وافحشها من غير خوف . ومن ذلك قوله :

اترك التقصير فى الشرب وخذها بنشاط
لم وعفو الله مبذول غدا عند الصراط
خلق الغفران الا لامري فى الناس خاطئ

كذلك يرسل طبيعته على سجيته ويطلق لها حرية الانقياد وراء ميولها الحيوانية وهو هادئ السرب ، يسخر ويستهزئ ولا يعبأ ويوغل فى السكر والاستهتار ، موقنا ان الايمان يكفى فيه ، على ما ذهب اليه المرجئه ، التصديق بالقلب وان الله يغفر الكبائر باجمعها الا الكفر

وكان ابو نواس يبغض من يقول بغير ذلك حتى لينبذ مودته وهذا ما جرى له مع النظام شيخ المعتزلة ، الذى ألف ان ينهائى عن افعاله ، ويقول له ان الكبائر مخلدات فى النار فنهاء ابو نواس معرضا به وبعلمه قائلاً :-

دع عنك لومى فان اللوم اغراء وداونى بالتي كانت هى الداء
وقل لمن يدعى فى العلم فلسفة حفظت شيئاً وغابت عنك اشياء
لا تحظر العفو ان كنت امرا حرجا فان حظركه فى الدين ازراء

ومن ثم نرى ان ابا نواس لم يرذل الدين وان لم يعمل بفرائضه وشعائره ، وان لم تكن التقوى متمكنة من نفسه بل حاول ان يبقى مؤمناً وعندما خرت قواه وشعر بدنو المنية تولته عواطف دينية عميقة ..

تلك كانت نفسية ابي نواس ، الذى اتخذ اللذة مهبا وجد طول حياته ان يوفق بينها وبين ما كان من شأنه ان يعكر اندفاعه نحوها .

ابو نواس واثره فى شعر المجون

تزرع ابو نواس الشعراء الماجنين وكان ابرزهم وكان بالذات فى غاية التفحش والتدلي فى المجانة روي ابن المعتز عن ابي نواس (انه قال ما مجنت ولا خلعت العذار حتى عاشرت الخاركي فجاهر بذلك ولم يحتشم فامنتلنا نحن ما اتى به وسلطنا مسلكه ونحن ومن يذهب مذهبنا عيال عليه)(^١)

^١ طبقات الشعراء ٣٠٦

ظهر ابو نواس بصورة صارخة من التفحش والمجون مما حدا بسليمان بن ابي سهل بن نبيخت ان يصف ايا نواس بابيات قال فيها

وذي عدم من قبيح الشيم صريح الدناءة مولي الكرام
بعينة من كل خير عمي وبالاذن من كل حسن صم
خفي علي اعين المكرمات واشهر في ريبة من علم
كان الوقاحة قدت له علي وجهه رقعة من ادم

وصل المجون بابي نواس ومسلم بن الوليد ان يتعارضان في المفاضلة بين البكر والثيب فيقول ابو نواس

قالوا عشقت صغيرة فاجبتهم اشهي المطي الي ما لم يركب
كم بين حبة لؤلؤ مثقوبة لبست وحبّة لؤلؤ لم تثقب^(١)
ويعارضه مسلم بن الوليد قائلا

ان المطية لا يلذ ركوبها حتي تذلل بالزمام و تركبا
والحب ليس بنافع اربابه حتي يؤلف في النظام ويثقبا^(٢)

وما روي من نقائض ابي نواس مع عنان جارية النطفي ومع غيرها يؤكد الدور الخطير الذي قامت به الجواري في القرن الثاني من اشاعة التهتك والفحش وسريان تيار المجون فقد روي الراغب الاصفهاني عن تلك الجارية التي خرجت من دار الرشيد ومعها مروحة مكتوب عليها عبارة في منتهي البذاءة والفحش فهذه صورة مذهلة من صور المجون في هذا العصر^(٣)

كما فان تيار المجون هذا كان له الصوت القوي وكانت المجاهرة سمة من سمات هذا التيار كان ابو نواس صاحب الصوت العالي في المجاهرة بالمعاصي بل الاصرار والمضي في الفساد والبغي حيث يقول

لست بتارك لذات الندامي للصالح
قل لمن يبغي صلاحا بعث رشدي بطلاحي

^١ المستظرف في كل فن مستظرف

^٢ ديوان ابي نواس ٥١-٥٢

^٣ الاغانى ١٢/٢٨٤

اطيب اللذات ما كان جهارا بافتضاح (١)

مما تقدم يخلص الباحث ان لابي نواس اثر كبير في شعر المجون واشعاره التي تقدمت وما قاله ابن المعتز عنه دليل على مدي الاثر البالغ الذي تركه ابو نواس علي شعراء المجون.

وهكذا تظهر صورة المجتمع العباسي في عصره الاول واضحة جلية حيث ساد تيار المجون في هذه الفترة مما يدل علي ان المجتمع العباسي كان يسود فيه هذا التيار العارم حيث ان الخلفاء والمجتمع غضوا الطرف عن رواد هذا التيار بل كان بعض الخلفاء امثال الامين ينادمون شعراء هذا التيار .

^١ ديوان ابي نواس ٢٣٤

المبحث الرابع

الصورة المستمدة من شعر الزندقة

في شعر ابي نواس

اختلف الباحثون في تحديد نسبة هذه الكلمة هل هي فارسية ام عربية ففي دائرة المعارف الاسلامية (ان كلمة زنديق معربة من لفظ زنديق أي الذي يعمل بما يطابق كتاب لزند لمزدك واما بيفان فيرى ان كلمة زنديق من اصل ارامي (زنديق) وان هذه الكلمة انتقلت الي الفرس فحرفت الي زنديك ولما نقلت الي العربية فاصبحت زنديق وكان يقصد بها بادئ الامر ابرار المانوية وزهادهم ثم اصبحت علما علي المانوية كلهم وتطور معناها الي ملحد لا يؤمن بالدين الحق وهذا هو المعني الذي ظل يفهم في العصور الاسلامية (١) اما فولرز فيرى (ان الكلمة اصلها اغريقي) (٢) ويرى بروان ان الكلمة اصلها فارسي مهنها متبع الزند أي الشروح القديمة للافتا وهو كتاب زرادشت المقدس اما المانوية سمووا بالزندقة لقيامهم بتاويل وشرح الكتب المقدسة للديانات الاخرى حسب ارائهم وللزندقة عدة معاني تختلف باختلاف العصور فقد كان العرب يطلقون لفظ وزنديق علي من ينفي وجود الله سبحانه وتعالى او يقول له شريكا وقيل الزندقة من ينطق بالكفر ويظهر اذلايمان وفي ذلك يقول الشاعر

بغداد دار الاهل و المال طيبة وللمفائيس دار الضنك والضيق

ظلمت حيران امشي في ازقتها كاني مصحف في بيت زنديق

وكان لفظ زنديق يطلق اول الامر علي كل من يتاثر بالفرس في عاداتهم ويسرف في العبث والمجون ثم صار يطلق بعد ذلك علي كل من يتخذ عقائد المانوية شعارا له ويتمسك بعقيدة الثنوية وعبادة اليهين اثنين واتباع تعاليم ماني

^١ قصة الادب الفارسي ٦٠

^٢ دائرة المعارف الاسلامية مادة زنديق

ثم توسعوا في العصر العباسي في اطلاق لفظ الزندقة فاصبح يطلق علي من انكر الالهية وتظاهر بالظرف^(١)

ويرجع تاريخ الزندقة الي اواخر العصر الاموي فقد كان عبد الصمد بن عبد الاعلي^(٢) مربي الخليفة الاموي الوليد بن يزيد بن عبد الملك ومؤدبه زنديقا.

كما كان الجعد بن درهم^(٣) الذي ينتسب اليه مروان بن محمد اخر خلفاء بني امية فيقال مروان الجعدي وقد ذكر ان الجعد كان مؤدبا لمروان ولولده وانه ادخله في الزندقة فقد كان الجعد زنديقا

وكان خالد بن عبد العشري علي الرغم من اتهامه بالزندقة شديدا علي الزنادقة حتي انه حبس الجعد بن درهم وقتله يوم الاضحية وجعله بدلا من الاضحية بعد ان اعلن ذلك علي المنبر في عهد هشام بن عبد الملك الاموي

وكلمة زنديق ليست عربية انما هي تعريب لمصطلح ايراني كان يطلقه الفرس علي صنيع من يؤولون (الافستا) كتاب داعبتهم زرادشت تاويلا ينصرف عن ظاهر نصوصه ومن اجل ذلك نعتوا دعوة ماني ومن فتنوا بها من الفرس واخذ مدلول الكلمة يتسع في عصر العباسي لشم كل من استظهر نحلة من نحل المجوس واتسعت اكثر من ذلك فشملت كل الملحدين بالدين الحنيف وكل مجاهر بالفسق والاثم

ومعروف ان جمهور الفرس قبل الاسلام كانوا مجوسا علي دين زرادشت الذي ظهر في ديارهم حوالي منتصف القرن السابع بقبل الميلاد وما وضعه لهم من

(١) تاريخ الاسلام حسن ابراهيم حسن ٩٧/٢

(٢) امير هاشمي وهو عم المنصور وكان عامله علي مكة والائف وكان عظيم الخلفة ضخما وقد خرج عند مووت السفاح مع اخيه عبد الله علي المنصور . سير اعلام النبلاء ١٢٩/٩

(٣) هو الجعد بن درهم من المولي مبتدع له اخبار في الزندقة قال بخلق القران والقدر قتله خالد القسري والي العراق سنة ١١٨ هـ ترجمته في ميزان الاعتدال صحيفته ١٨٥/١ النجوم الزاهرة ١٣٢٢

تعاليم^(١) ضمنها كتابه الافستا وفيه زعم ان للعالم إلهين هما (اهوارمز) إله النور خالق كل خير (واهرمن) إله الظلمة خالق كل شر وان وراء الحياة حياة اخري يكون فيها حساب الانسان علي اعماله فاما النعيم واما الجحيم وان النار مقدسة ظاهرة مما جعل الايرانيين يقيمون لها المعابد في كل مكان وظهر عندهم في القرن الثالث الميلادي داع يسمى ماني مزج في تعاليمه بين الزرداشتية والبوذية والنصرانية^(٢) فابقي من الاولي علي عقيدة الهي النور والظلمة واستباحة الزواج بالبنات والاخوات واخذ من الثانية عقيدة التناسخ وتحريم ذبح الحيوان والطيور واخذ من الثالثة الزهد والنسك وفرض علي اصحابه صلوات وادعية كثيرة وفي اواخر القرن الخامس الميلادي ظهر في ايران داع جديد هو مزدك وكان ثنويا^(٣) يؤمن بالهي النور والظلمة وتقديس النار وقد مضي يدعو دعوة صارخة الي العكوف علي المذات والشهوات والامعان فيها واحل النساء واباح الاموال وجعلها شركة بين الناس وكان له كما كان لماني اتباع كثيرون

وقد عامل الاسلام والمسلمون المجوس معاملة اهل الكتب السماوية وبذلك ظلت المجوسية حية قوية حتي العصر العباسي وكان هنالك ثورات مثل ثورات (سنباد)^(٤) والخرمية في خراسان اذربيجان وطبرستان وهي ثورات كانت تستوحي هذه الملل المجوسية السابقة وكانت تسري في نفوس كثيرين من نازلة بغداد والعراق سرا وجهرا وكانت المانوية اخطرها جميعا لما كانت تاخذ به من الزهد ومن بعض التعاليم المسيحية مما جعلها تقترب من دعوات الديانات السماوية في السلوك وفي التخلق بالخلق الحسن وان افترقت عنها بعد ذلك افتراقا شديدا في ثنويتها وتحليلها بالزواج من البنات والاخوات وما جلبته من بعض مذاهب الهند.

١ الملل والنحل للشهرستاني ص ١٨٥

٢ الفهرست ص ٤٥٦ الشهرستاني ص ١٨٨

٣ الملل والنحل للشهرستاني ص ١٩٢

٤ ضحي الاسلام ، احمد امين

، اما اول من اتهم من الشعراء بالزندقة هو الوليد بن يزيد الخليفة الاموي وقد وجهت له الاتهامات بالانتماء الي الزنادقة فقد روي ابو الفرج الاصفهاني (وكان الوليد بن يزيد من فتيان بني أمية وظرفائهم وشعرائهم وأجوادهم ونسبائهم وكان فاسقا خليعا متهما في دينه مرميا بالزندقة وشاع ذلك من أمره وظهر حتى أنكره الناس فقتل وله أشعار كثيرة تدل على خبثه وكفره ومن الناس من ينفي ذلك عنه وينكره ويقول إنه نحله وألصق إليه والأغلب الأشهر غير ذلك)(^١) كما نقل المسعودي عن محمد بن يزيد المبرد ان الوليد الحد في بيتين ذكر فيهما النبي صلي الله عليه وسلم وان الوحي لم يات به عن ربه (^٢) كما ذكر المرتضي عن المرزباني ان الوليد كان يتحدث عن كتاب الله فقال

يذكرني الحساب ولست ادري احقا ما يقول عن الحساب (^٣)

كما حكى ان الوليد استفتح فألا في المصحف فخرج (واستفتحوا وخاب كل جبار عنيد) فرماه بسهام وقال

**تهددني بجبار عنيد نعم انا ذاك جبار عنيد
اذا ما جئت ربك يوم بعث فقل يا رب خرقتي الوليد**

و في الدولة العباسية تنبه الخلفاء الي خطورتهم فقد تنبه المهدي لانتشار هذه الملل المجوسية المارقة في امصار العراق وراي فيها خطرا أي خطر علي دولة الاسلام فامر باتخاذ الديوان خاص لتعقب من يعتنقها من المسلمين ونصب لهم حربا لا هوادة فيها ولا لين فكل من تثبت عليه الزندقة قدم وقودا لتلك الحرب التي ظلت قائمة الي عهد ابنه الرشيد ويظهر ان الفرس كانوا قد نشطوا نشاطا واسعا في نشرها بين الناس ونشط معهم كثير من الزنادقة انفسهم يترجمون كتب النحل الفارسية ويصنفون في الدعوة لها وفي تعاليمها وايضا بعض النصاري نقلوا الي العربية كتب

^١ الاغاني ٦/٧

^٢ مروج الذهب ١٤٨/١

^٣ امالي المرتضي ٩٠/١

بعض من مارقة النصاري وملحدتهم مثل مرقيون وابن ديسان يقول المسعودي^(١) (امعن المهدي في قتل الملحدين والمداهنيين في الدين لظهورهم في ايامه واعلانهم باعتقاداتهم في خلافته لما انتشر من كتب ماني وابن ديسان ومارقيون مما نقله عبد الله بن المقفع وغيره وترجمه من الفارسية والفهلوية الي العربية وما صنف من ذلك بن ابي العوجاء حماد عجرد ويحي بن زياد ومطيع بن اياس من تاييد المذاهب المنانية والديسانية والمرقيونية فكثرت بذلك الزنادقة وظهرت اثار اراؤوهم في اناس^(٢)) ويقول الجاحظ لولا متكلمون النصاري واطباؤهم ومنجموهم ما ال الي اغبيائنا وظرفائنا ومجاننا واحداثنا شئ من كتاب المنانية والديسانية والمرقيونية ولكانت تلك الكتب مستورة عند اهلها ومخباة في ايدي ورثتها فكل سخنة عين رأيناها في احداثنا واغبيائنا فمن قبلهم كان اولها^(٣))

ولم ينصب المهدي وخلفاؤه للزنادقة حرب السيف وحدها فقد نصبوا لهم ايضا حرب اللسان لسان المتكلمين الذين مضوا يجادلونهم ويفحسونهم وينقضون شبهاتهم بالبرهان القاطع والدليل الساطع و صنفوا في ذلك الرسائل والكتب الطوال ومن يقرأ كتب الحيوان للجاحظ يجده يتوقف كثيرا ليورد رد النظام وغيره من المتكلمين علي هؤلاء الزنادقة وكيف كانوا يسددون اليهم ادلة مصمية رادعة وكان للمعتزلة في ذلك القدر المعلي فهم الذين اشار عاشوا يناظرونهم ويدفعون شرهم عن العامة والخاصة موضحين لهم ما في شبههم من زيف وتمويه وما في عقائدهم من فساد ومناقضة للعقل المنطقي السليم

وقد قتل كثيرون من رؤوس الزنادقة لهذا العصر يتقدمهم ابن المقفع الذي قتل في عهد المنصور وفيه يقول المهدي : ما وجدت كتاب زندقة قط الا واصله ابن

١ أبو الحسن المسعودي ، علي بن الحسين بن علي ، من ذرية عبد الله بن مسعود ، مؤرخ رحاله بحائه ، ولد في بغداد ، واقام في مصر حي تتوفي سنة ٣٤٦ هـ - ٩٧٥ م. من مؤلفاته (مروج الذهب) و (أخبار الزمان و من أدباء الحدثنان) و (التنبه و الإشراف) انظر ترجمته في / طبقات الشافعية ٢/ ٣٠٧ ، النجوم الزاهرة ٣/ ٣١٥.

٢ مروج الذهب ٤/ ٢٤٢

٣ رسائل الجاحظ الثلاث ص ٢٠

المقفع (١) وقتل منهم كثيرون لعهد المهدي منهم في بعض الروايات صالح بن عبد القدوس وكان يعتنق المانوية، ويحاضر فيها، ويناظر، فقتل وصلب علي الجسر ببغداد (٢) نكالا للناس وعظة ومنهم بشار وكان يعلن اشادته بالنار معبودة قومه المجوس، ويفضلها علي الطين كما يفضل ابليس علي الانسان وبلغ من تحمس المهدي لقتله ان خرج بنفسه الي البصرة ليشهد مقتله وكانت البصرة اكبر وكر حينئذ للزنادقة والملاحدة ففيها نشا وعاش بشار وصالح بن عبد القدوس وروي محمد بن سليمان العباسي واليها للمهدي يقتل من ملاحدتها زنديقين كبيرين هما عبد الكريم بن ابي العوجاء وحماد عجرد وكان عبد الكريم مانويا يؤمن بالتناسخ ويتخذ من سيرة ماني وسيلة لدعوته الي الزندقة وتشكيك الناس في عقائدهم ولما قدم للقتل قال لئن قتلتوني لقد وضعت في احاديثكم اربعة الاف حديث مكدوبة مصنوعة (٣) وفي ذلك ما يصور جانبا من دس هؤلاء الزنادقة علي الاسلام ومحاولة تشويه هديه الكريم وقد تنبه لهم رواة الحديث النبوي فاسقطوا ما وضعوه وبينوا كذبه واختلافه وكان حماد عجرد ممن يؤلفون الكتب في تايد الاحاد والزندقة استغواء للعامة وافسادا لها وقد سلك معه في هذا الاتجاه يحي بن زياد ومطيع بن اياس ولا نجد ذكرا لقتلهما ولا لحبسهما علي الزندقة وربما لم تثبت عليهما ثبوتا قاطعا.

واشتد الهادي مثل ابيه في طلب الزنادقة حين ولي الخلافة لسنة ١٦٩ وقتل منهم جماعة من بينهم احد ابناء عمه داوود بن علي ويعقوب بن الفضل من سلالة الحارث بن عبد المطلب وسرعان ما خلفه ابنه هرون الرشيد لسنة ١٧٠هـ فسار فيهم نفس السيرة وممن تعقبهم يزيد بن الفيض ويونس بن ابي فروة وكان قد الف كتابا في مثالب العرب وعيوب الاسلام بزعمه وصار به الي ملك الروم

١ امالي المرتضي ١٣٤/١

٢ تاريخ بغداد ٣٠٣/٩

٣ امالي المرتضي ١٢٨/١

فاغدق عليه مالا كثيرا وطلب الرشيد ايضا علي بن الخليل الشاعر لما ذاع صيته من زندقته غير انه تبرأ منها فاطلقه (١)

وكان المامون اذا سمع بزندق او زنادقة امر بحملهم اليه واحضرهم مجالسه حيث المتكلمون ودفعهم جميعا الي المناظرة لعلمهم يقنعونهم ويروذنهم الي الاسلام ومحجتهم المستقيمة وكان يناظرهم هو نفسه احيانا فاذا لم يكفوا عن غوايتهم امر بقتلهم ويقال انه بلغه خبر عشرة رجال في البصرة يجتمعون علي المانوية فامر بحملهم اليه فلما ادخلوا عليه امتحنهم وحاول ان يردهم عن ضلالهم غير انهم ثبتوا علي عقيدتهم الفاسدة فامر بقتلهم جميعا (٢) ، كما ان المعتصم قام بزج قائده الافشين التركي في غياهب السجون لما ثبتت عليه الزندقة حتي مات فصلب بعد موته

ومما لا ريب فيه ان خلفاء بني العباس لم يكونوا يقتلون علي الزندقة الا بعد ثبوتها علي صاحبها ثبوتا لا يرقى اليه شك ويظهر انهم انما كانوا يقتلون من ينزع نزعة مجوسية وخاصة اصحاب النزعة المانوية كما تشهد بذلك الاخبار السابقة فكثرة المقتولين تضاف اليهم صفة المانوية ويؤكد هذا تأكيدا قويا وصية المهدي لابنه الهادي بتتبع الزنادقة فقد وصفهم له وصفا يدل علي انه انما اراد من يعتنقون تعاليم المانوية (٣) ومعني ذلك انهم لم يكونوا يقتلون علي الاباحة المسرفة والامعان في المجون ولا كانوا يعاقبون عليهما عقابا صارما وكان حريا بهم ان يشددوا في ذلك حتي لا تؤول الحياة في امصار العراق الي ما الت اليه في بعض جوانبها من الفساد والتحلل الخلقي. وقد تبين من هذا ان ال الزرادشتية او المجوس لم تكن محل سخط الادولة الحاكمة في أي عهد من العهود ولم تكن موضع محاربتها العنيفة لاصحاب المذاهب الشاذة

١ الاغانى ١٤/١٧٤

٢ مروج الذهب للمسعودي ٣/٣٣٢

٣ تاريخ الطبري ٦/٤٣٣

يرى الدكتور طه حسين (ان الزندقة الادبية في عصر بني امية ضعيفة مستترة لا يكاد الناس يظهرون الميل اليها فلما اجارت خليفة من خلفاء بني امية علي ان يجهر بالفجور قويت واستطاعت ان تظهر ثم انتصر الفرس فانتصرت معهم) (١)

ان التداخل بين الثقافات والانتقال من حالة فكرية الي اخري تولد ظاهرة التشكك في الدين فكان من الطبيعي ان تمر الامة الاسلامية بهذه الحالة حيث تداخلت فيها الحضارات والثقافات العديدة فانتقالها من الموروث العقدي والتقاليد الي الحرية العقلية وتدرجها في هذا الطريق كانت الشكوك خطوة ومرحلة لبداية هذه الحرية العقلية هذا ما يراه ابراهيم اللبان في كتابه الفلسفة والمجتمع الاسلامي وقد لاحظ ظهور تيارات فكرية في العالم العربي مختلفة كنتيجة لهذه الحالة الطارئة فظهرت بين العلماء والادباء طائفة من الشكاك الشككين مثل بشار بن برد (٢)

ان الانسياق وراء فكرة العلاقة الموجودة بين الشعوبية والزندقة قد لا تكون صحيح كلية حيث ان هنالك من العرب من اتهموا بالزندقة مثل الحسين بن عبد الله بن عبيد الله بن العباس وعبد الله بن معاوية بن عبد الله بن جعفر (٣) وآدم بن عبد العزيز من بني مروان (٤) ويعقوب بن الفضل وهما هاشميان.

ومع ذلك يجب ان لا ينكر دور الشعوبيين واثرهم في قوة تيار الزندقة حيث كانوا يهدفون الي تحطيم معنويات المسلمين ودس الاكاذيب والمفتريات في اصول دينهم حتي ينتقموا لحضارتهم الفارسية فقد حكي الطبري ان عبد الكريم بن ابي العوجاء لما ايقن انه مقتول قال اما والله لئن قتلتموني لقد وضعت اربعة الاف حديث احرم فيها حلالا واحل فيها الحرام والله لقد فطرتكم في يوم صومكم وصومتمكم في يوم فطركم

^١ حديث الاربعاء ١٦١/٢-١٦٣

^٢ الفلسفة والمجتمع ٧١

^٣ هو عبد الله بن معاوية من فتيان بني هاشم واجوادهم وشعرائهم ولم يكن محمد في دينه وكان يرمى في الزندقة وكان قد خرج الي الكوفة ثم انتقل الي نواحي الجبل ثم الي خراسان فاخذ ابو مسلم فقتله هناك سنة

١٣١ هـ . الاغانى ٢٢٣/١٢ ، لسان الميزان ٣٦٣/٣

^٤ الفلسفة والمجتمع ٧١

(١) ويروي صاحب الاغانى (ان عبد الكريم كان يفسد الأحداث فقال له عمرو بن عبيد قد بلغني أنك تخلوا بالحدث من أحداثنا فتفسده وتستزله وتدخله في دينك فإن خرجت من مصرنا وإلا قمت فيك مقاما آتي فيه على نفسك فلحق بالكوفة فدل عليه محمد بن سليمان فقتله وصلبه بها وله يقول بشار.

قل لعبد الكريم يابن أبي العوجاء بعث الإسلام بالكفر موقا
لا تصلي ولا تصوم فإن صمت فبعض النهار صوما رقيقا
لا تبالي إذا أصبت من الخمر عتيقا ألا تكون عتيقا
ليت شعري غداة حليت في الجيد حنيفا حليت أم زنديقا(٢)

كان وجود مثل هؤلاء المسلمين يظهرهم الاسلام ويبطنون غيره كافية لاثارة الشكوك في المجتمع الاسلامي كما يقول في ذلك المرتضى في اماليه (انهم جماعة يتسترون باظهار الاسلام ويحقن باظهار شعائره والدخول فيه في جملة اهله دمه وماله زنادقة ملحدون وكفار مشركون فمنعهم عز الاسلام عن المظاهرة والجاهم خوف لقتل الي المساترة وبليّة هؤلاء علي الاسلام اعظم والغظ لانهم يدخلون في الدين يموهون علي المستضعفين بجأش رابط وراي جامع)(٣)

وممن اتهم بالزندقة عبد الله بن المقفع فقد روى جعفر بن سليمان عن المهدي انه قال ما وجدت كتاب زندقه قط الا واصله بن المقفع)(٤)

وقد اكد هذا الراي ثعلب في تعليقه علي ابيات رثي بها بن المقفع يحيى بن زياد الحارثي حيث قال بن المقفع

رزئنا أبا عمرو ولا حي مثله فله ريب الأحداث بمن وقع
فإن تك قد فارقتنا وتركنا ذوي خلّة ما في انسداد لها طمع

^١ تاريخ الطبري ٢٤/١٠

^٢ الاغانى ١٣٩/٣ ، امالي المرتضى ٩٥/١

^٣ امالي المرتضى ٨٨/١

^٤ نفس المصد ص ٩٤

قال ثعلب البيت الاخير يدل علي مذهبهم في ان الخير ممزوج بالشر والشر ممزوج بالخير كما نا ابا الفرج الاصفهاني يؤكد هذا الكلام ويتهم اخرين مع ابن المقفع بالزندقة حيث قال (كان مطيع ابن إياس ويحيى بن زياد الحارثي وابن المقفع ووالبة بن الحباب يتنادمون ولا يفترقون ولا يستأثر أحدهم على صاحبه بمال لا ملك وكانوا جميعا يرمون بالزندقة)^(١)

وقد اتهم البرامكة كذلك بالزندقة حيث يقول بن قتيبة

إذا ذكر الشرك في مجلس أنارت وجوه بني برمك
وان تليت عندهم اية أتوا بالأحاديث عن مزدك

والبرامكة كانوا يرمون بالزندقة الا اقلهم وروي بيتين للاصمعي فيه اتهام صريح للبرامكة بالزندقة

إذا ذكر الشرك في مجلس أنارت وجوه بني برمك
وان تليت عندهم اية أتوا بالأحاديث عن مزدك^(٢)

اثر الزندقة في شعر ابي نواس

اتهم بعض الكتاب ابا نواس بالزندقة ولكن لا يوجد من الكتاب الكبار الذين اتهموه بالزندقة امثال الجاحظ وابن قتيبة وابن المعتز وما وجد عند هؤلاء انه كان شديد المجون مغرقا فيه ولكن من اتوا من بعدهم اتهموا ابا نواس الاتهام الصريح بالزندقة فمنهم مهلهل بن يموت وهو من كتاب القرن الرابع يكتب عن كفريات ابي نواس وابن منظور يكتب عن زندقته

^١ الاغاني ٣٠٦/١٣

^٢ المعارف ١٦٧

وممن يؤيد ثنوية ابي نواس محمد بديع الذي نقل عن فون ان ابا نواس كان واسع الحيلة فاستطاع بذلك ان يستخف بالعقيدة وينشر الضلال والزندقة ويتكلم بما يريد دون حياء او خجل ويعقب الكاتب علي ذلمك بقوله ومن مبادئ المانوية اثارة الشك في العقيدة ومهاجمة جميع الاديان اما الغزل بالمذكر فانه ينحدر من اصولها يقول البيروني ان كل مانوي يصطحب غلاما امرد ويستخدمه في شئونه ثم يقول محمد شريف (اننا نجد في شعر ابي نواس مظهرا واضحا من مبادئ المانوية والمزدكية من حيث اثارة الشك في العقيدة ومهاجمة الدين والاباحة المطلقة والغزل بالمذكر ونري الي جانب ذلك تعصبه الي قومه والاشادة بهم والخط من شان الادين والادب العربي واساليه)(^١)

يري محمد جابر عبد العال (ان ابا نواس لم يكن ماجنا عبثا فحسب ولكنه كان يؤمن بقول الغلاة من الشيعة ويحدد مذهبه بالخطابية والمعمرية وهي فرع من الخطابية ومن اسس مذهبهم ان جعفر الصادق اله وعلي هذا الاساس يكون جبريل خادما له كما يذكر ابو نواس نفسه في مديحه لعلي بن موسى الرضا.

انا لا استطيع مدح امام كان جبريل خادما لابييه

كما يذكر محمد عبد العال ان مذهب المعمرية ينكر البعث والحساب ويحل الخمر ويبيح النساء والغلمان واقتناص اللذات وابونواس يؤمن بذلك كله ويقول في شعره(^٢)

اما الاستاذ العقاد فيري (انه من اللغو ان يبحث الباحث عن مذهب ابي نواس في الزندقة فليس له في الزندقة مذهب غير العرض والاظهار وقد وري عنه انه انصرف من بعض المواخير سكران فمر بمسجد قد حضرت فيه الصلاة فدخل قام في الصف الاول فقرا الامام (قل ياايها الكافرون) قال ابو نواس لبيك فلما قضيت الصلاة لبيوه وساقوه للحساب ... فاي مذهب من مذاهب الزندقة يسول لصاحبه هذا المجون انما هي افة العبث بالمخالفة ولا شئ سواه يغريه بهذا السخف الذميم)

^١ الصراع بين العرب والموالي ٩٣

^٢ حركات الشيعة المتطرفين محمد عبد العال ٢٧٣

(١) ولعل ما ذهب اليه العقاد اخذه مमारواه ابن منظور (ان غسان المعافري ابن عم الحسين الخليع قال خرجت الي بغداد فنزلت علي الحسين وقلت احب ان تجمع بيني وبين ابي نواس قال انهض وسار بي الي شارع العلاء الوصيف وابونواس ينزل فيه بحيال دار العلاء الوصيف فطرقنا بابه وقلنا لغلامه قل له الحسين الخليع فخرج الينا بنفسه فادخلنا مجلسه فلما جلسنا حبسنا حتي هطلت السماء فحلف علينا الا نبرح واتانا بما حضر من طعام فطعمنا وصرنا الي مستطمر له بحداء منزل العلاء الوصيف وفيه مناظر الي الشارع ففتحنا الشارع وجلسنا نشرب وابتلت الارض بالمطر والطين فخرج غلام من دار العلاء الوصيف ما رايت احدا بعده احسن منه فلما راه الحسين تحير وقال لابي نواس أمه فاعلة ان كنت نزلت ههنا الا لموضع هذا الغلام قال ابو نواس وامه فاعلة ان كنت كذبت الا انه قد قلقل احشائي وقطع قلبي واسهر ليلي محبة له وليس يمكنني وفيه تخنيث وهو ارطب خلق الله واحسنهم دلالا قال فصفق له الحسين الخليع فرفع راسه فاوما اليه الحسين بيده ان تعال فنزع نعلين كانتا في رجليه ثم خاض الماء والوحد حتي دخل الدار فقام ابو نواس اليه فوجده يغسل رجليه ولبس نعله وصعد فلما جلس عبث به ابو نواس ساعة ثم قال لنا قالت لكم جدتي لا تحبسوا عباسا فقال ابو نواس نعم يا ام الفضل ليس نحبسك ثم سقاه ابو نواس ثلاث كاسات فقال له الغلام يقولون انك زنديق فبالله عليك ما الزندقة ؟ فقال ابو نواس اولها انت ولولا امثالك ما تزندقنا والساعة افسر لك الزندقة ما هي ثم اخذ بيده وخلا به في غرفة وفسق به وقال هذا اول الزندقة ثم جاء الي الحسين فقال له اذهب اليه فقام الحسين ففسق به ثم خرج الي غسان فقال اذهب ليه فقام اليه غسان ففسق به فلما فرغنا جاء وجلس فقال ابو نواس يا ام الفضل عرفت الزندقة ؟ هذه هي ثم شرب كاسا ونهض فانشا ابو نواس يقول

بنت العلاء اتتنا وهي حافية في يوم وحل كثير الماء والطين

^١ ابو نواس الحسن بن هانئ ٤٥

ثم ذكر ابن منظور بقية الابيات وفيها تفحش وبذاءة (١)

كانت زندقة ابي نواس زندقة فكرية تصور حالة من الشك الذي تنتاب المرء بعد اتصاله بهذه الثقافة الاجنبية وهذه الفلسفات وعلم الكلام فقد توصل ابن منظور الي معني الزندقة الفكرية ونسب ابا نواس اليها حين قال عنه (واشتهي علم الكلام ففعد الي اصحابه فتعلم منهم شيئاً من الكلام ثم دعاه ذلك الي الزندقة) (٢)

ومهما يكن من امر فان لابي نواس شعر انكر عليه واتهم بسببه بالزندقة وهو في بعض شعره ينكر البعث والقيامة حيث يقول

وايسر ما ابئك ان قلبي بتصديق القيامة غير صاف (٣)

وقوله

قلت والكاس علي كفي تهوى لالتثامي
اعرف ذاك اليوم في ذاك الزحام (٤)

كما ان لابي نواس ابيات صريحة في زندقته وكفرها فهو ينكر وشيعته الماجنة البعث والحساب ويؤمنون بقول الدهرية بان ليس للانسان الا حياته في الدنيا ثم ينقضي امره كإنقضاء النبات والحيوان حيث يقول في هذه الابيات

عاذلتي بالسفاوة والزجر استمعي ما ابئك من امري
باح لساني بمضمر السر وذاك اني اقول بالدهر
بين رياض السرور لي شيع كافرة بالحساب والحشر

^١ اخبار ابي نواس ملحق الاغاني ص ٢٣٩

^٢ اخبار ابي نواس ص ١٤

^٣ محاضرات الادباء ٨٣/٢

^٤ سرقات ابي نواس ١٤٤

موقنة بالممات جاحدة لما روه من ضغطة القبر
وليس بعد الممات منقلب انما الموت بيضة العقر^(١)

وقد كفر ابو نواس بابيات قالها كما ذكر بن منظور وهي :

تعلل بالمني اذ انت حي وبعد الموت من لبن وخمر
حياة ثم موت ثم بعث حديث خرافة يا ام عمرو^(٢)

وقال ايضا

اما ترني ابحت اللهو عرضي وديني وعتكفت علي المعاصي
لا اعود الي معاد ولا اخشي هناك من القصاص^(٣) كاني

كما كان ابو نواس ينكر القدر والجبر واوضح انه يؤمن بالموت فقط باعتبار انه
غاية كل حي فقال

يا عاذلي في الدين ذا هجر لا قدر صح ولا جبر
ما صح عندي من جميع الذي يذكر الا الموت والقبر
فاشرب علي الدهر وايامه فانما يهلكنا الدهر^(٤)

ويعتبر ابو نواس اول من ربط في شعره بين الزندقة والظرف في قوله:

وصيف كاس محدثة ملك تيه مغن وظرف زنديق

فقال عنه حمزة الاصفهاني اول من ظرف الزنديق ابو نواس وقد اشار بن القارح في
رسالته عن نوع من الزنادقة انهم يتظرفون ويبتدئون اعجابا بذلك المذهب تيه مغن
وظرف زنديق)

^١ الوساطة بين المتنبي وخصومه ٦٣

^٢ ملحق الاغاني ص ٢٦٧

^٣ نفس المصدر ص ٢٨٣

^٤ المصدر نفسه

وهنالك من الكتاب من يري ان زندقة ابي نواس لم تمس ايمانه كمهلل بن يموثيث قال لا اعرف في البوح له عذرا مع اعتقاده شريعة الاسلام بشرائطها لا يشك في ذلك احد ^(١)، كما روي بن الداية ^(٢) ان ابا نواس كان محافظا علي صلاته الا ان يسكر وكان يقضي ما يفوته منها حين يفيق من سكره ^(٣)

ومهما يكن من امر ابي نواس في زندقته الا انه استطاع ان ينقل الي الاجيال المتعاقبة صورة واضحة عن جانب من جوانب المجتمع العباسي والمتمثل في الزنادقة ولا ينكر منكر انهم كانوا جزء لا يتجزأ من المجتمع العباسي اثروا في هذا المجتمع واثروا فيهم، سواء كانت زندقة ابي نواس فكرية ام لم تكن الا انه استطاع ان يصور هذا الجانب تصويرا رائعا بما اثاره من افكار ومعاني من خلال شعره كما تدل علي اعتقاده معتقد الزنادقة من حيث اثاره الشك في العقيدة ومهاجمة الدين والاباحة المطلقة والغزل بالمذكر وكثرة هؤلاء الشعراء الذين ينتمون الي هذه الفرقة تدل علي مدى تاثير هذه الفرقة في المجتمع العباسي .

^١ سرقات ابي نواس ص ١٤٦

^٢ هو القاضي بدرالدين حسن الشهير بابن الداية

^٣ اخبار ابي نواس لابن همفان ٤٩

المبحث الخامس

الصور المستمدة من الشعر المذهبي

عند ابي نواس

ظهر هذا النوع من الشعر بعد ظهور الفرق الكثيرة التي ظهرت بعد الفتوحات الإسلامية نتيجة دخول طوائف عديدة من الأديان الاخرى في الإسلام أو تلك الطوائف التي أخذت تنحي منحي آخر في معتقداتها حسب تأويلها للآيات القرآنية والأحاديث النبوية أو تلك التي كانت لها أراء سياسية متطرفة .

نشأت هذه الطوائف في بلاد العراق التي كانت مهدا للحضارتين الفارسية والسامية ، والتي أصبحت كعبة العلم ومقر الحكومة في عهد العباسيين ، وقد سموا بالقدرية لأنهم يقولون بحرية إرادة الانسان ، وتتكون عقيدتهم من خمسة أصول التوحيد ، العدل ، الوعيد ، القول بالمنزلة بين المنزلتين ، الامر بالمعروف والنهي عن المنكر (١).

نشأت من هذه الفرق العديدة مساجلات كلامية وشعرية وقد كان الشعر له القدر المعلي في تلك المساجلات فنشأ ما يعرف بالشعر المذهبي ويقصد به الشعر الذي قاله اصحابه في الانتصار لمذاهبهم المختلفة سواء اكانوا من الخوارج ام من الشيعة ام من المرجئة ام من أي فرقة اخرى من هذه الفرق التي كانت تتصارع وتتناحر منذ نهاية القرن الاول واولئ القرن الثاني وبدأت تحل شيئا فشيئا محل الاحزاب السياسية التي شهد لقرن الاول صراعها

ظهر هذا المفهوم لم يظهر قبل القرن الثاني لسبب بسيط وهو ان هذه الفرق لم تكن معروفة قبل الاسلام ولهذا يتعتبر هذا المفهوم جديدا علي الادب العربي في ذلك الوقت وان كان هنالك بعض العلماء من يقول بوجود هذا النوع في الجاهلية (٢)

^١ مذاهب الاسلاميين ١١٢/١

^٢ اورد الشهرستاني في كتابه الملل والنحل ان العرب كانت لهم شبهات كانت مقصورة علي شيئين انكار البعث وانكار بعث الرسل حيث اورد لبعضهم هذا البيت
حياة ثم موت ثم بعث حديث خرافة يا ام عمرو

كما اورد ابو لفرج الاصفهاني ان الاعشي كان قدريا وان ليبيد كان جبريا ثم اورد لهم ابيات تدل علي ذلك .
الملل والنحل للشهرستاني ٤٣٣ الاغاني ١١٣/٩

كان للمتكلمين أثراً بالغاً في نشأة هذه المذاهب المختلفة فهم قد اثاروا بجدالهم الديني مشكلات كثيرة وعقائد مختلفة مما اثرت في الأدب أثراً كبيراً ، فعمقت موضوعاته، ودقت معانيه؛ وظهر ذلك في الكتب التي الفت في هذا العصر - وخاصة المعتزلة - فقد كان الشعراء يتلقفون معاني المتكلمين فيدسونها في أشعارهم، ويعتق الشعراء بعض المذاهب الدينية والكلامية فينتصرون لها ويعيبون ما عداها، ويمدح بعضهم المتكلمين وبعضهم يذمهم، إلي كثير من مثل ذلك . منذلك ما قاله محمد بن يسير يعيب المتكلمين ويقصد بشر بن غياث^(١) :

يا سائلي عن مقالة الشيع وعن صنوف الأهواء البدع
دع من يقود الكلام ناحية فما يقود الكلام ذو ورع
كل أناس بديهم حسن ثم يصيرون بعد للشنع^(٢)

وكانت طائفة المعتزلة لا دخل لها بالسياسة على عكس ما كان عليه الخوارج - الشيعة - والمرجئة . ولكنها خاضت غمار السياسة فيما بعد . فتكلمت في الإمامة وشروط الامام وقد تأثروا بالشيعة في قولهم بحرية الإرادة تلك العقيدة التي اسسها الأئمة من بيت علي . وأطلق المعتزلة على فقهاءهم لقب الأئمة الذي كانت تطلقه الشيعة على فقهاءهم .

نشطت حركة المعتزلة في مطلع القرن الثاني الهجري وانبث دعائهم في انحاء الدولة الاسلامية ينشرون مذاهبهم ويحاجون به لفرق الاخرى فقد صور صفوان الانصاري^(٣) جهاد المعتزلة في دعوتهم وكشف عن بعض مبادئهم في قصيدته التي يتحدث فيها عن واصل بن عطاء

متى كان غزال له يا ابن حوشب غلام كعمرو او كعيسى بن حاضر

^١ بشر بن غياث : هو بشر المريسي من زعما المرجئة وكان يقول أن الإنسان يخلق افعال نفسه؛ والنجار و الحسين بن محمد النجار، إليه تنسب رفقة التجارية، وقد كان يقول بالجبر

^٢ الاغانى ٢٤٤/١٤

^٣ الجهم بن صفوان ابو محرز السمرقندي كاتب متكلم وهو راس الطائفية الجهمية التي تنزه الباري من الصفات و يقول ان الله تعالى في كل مكان و يقول بخلق القرآن قتل سنة ١٢٨ هـ . اعلام النبلاء ج ٤

٣٠٢ لسان الميزان ج ١٢ ١٨٠

أما كان عثمان الطويل بن خالد أو القرم حفص نهية للمخاطر
 له خلف شعب الصين في كل ثغرة إلى سوسها الأقصى وخلف البرابر
 رجال دعاة لا يفل عزيهم تهكم جبار و لا كيد ماهر
 إذا قال مروا في الشتاء تطاوعوا وإن كان صيفا لم يخف شهر ناجر
 بهجرة أوطان وبذل و كلفة وشدة أخطار وكد المسافر
 فأنجح مسعاهم وأثقب زندهم و أوري بفلج للمخاصم قاهر
 وأوتاد أرض الله في كل بلدة وموضع فتياها وعلم التشاجر
 ما كان سحبان يشق غبارهم ولا الشدق من حيي هلال بن عامر
 الي قوله:.

تلقب بالغزال واحد عصره فمن لليتامى والقبيل المكاثر
 ومن لحروري و آخر رافض وآخر مرجئ وآخر حائر
 وأمر بمعروف و انكار منكر وتحصين دين الله من كل كافر
 يصيبون فصل القول في كل منطق كما طبقت في العظم مدية جازر^(١)

كان المعتزلة ينصبون انفسهم للرد علي اصحاب الضلالات فحين قام بشار يعتذر
 لابليس في ان النار خير من الارض حيث قال
 ابليس افضل من ابيكم ادم فتنبهوا يا معشر الفجار
 النار عنصره وادم طينة والطين لا يسمو علي النار
 وقال بعد ذلك سليمان الاعمى أخو مسلم بن الوليد الانصاري الشاعر في اعتذار
 بشار لابليس وهو يخبر عن كرم خصال الارض

لا بد للأرض ان طابت وان خبثت من ان تحيل اليها كل مغروس
 وتربة الأرض ان جادت وان قحطت فحملها أبدا في إثر منقوس
 وبطنها بفلز الارض ذو خبر بكل جوهرة في الارض مرموس
 وكل آنية عمت مرافقها وكل منتقد فيها وملبوس

^١ البيان والتبيين ٢٨/١

وكل ماعونها كالمُح مرفقة وكلها مضحك من قول ابليس^(١)

وقد تصدي صفوان لبشار ايضاً علي تلك الابيات

زعمت بأن النار أكرم عنصراً و في الأرض تحيا بالحجارة و الزند
ويخلق في أرحامها و أرومها أعاجيب لا تحصى بخط ولا عقد
وفي القعر من لج البحار منافع من اللؤلؤ المكنون والعنبر الورد
كذلك سر الأرض في البحر كله وفي الغيضة الغناء والجبل الصلد
ولا بد من أرض لكل مطهر وكل سبوح في الغمائر من جد
كذلك وما ينساح في الأرض ماشياً على بطنه مشي المجانب للقصد
ويسري على جلد يقيم حروزه تعمج ماء السيل في صبيب حرد^(٢)

وكانت مشكلة الجبر والاختيار اولي المشكلات التي اختلفت حولها الفرق
المذهبي والتي شغلت حتي الافراد العاديين الذين لا ينتمون الي اية فرقة ومدارها
الاختيار، " وأن الإنسان في قدرته أن يفعل الخير ويفعل الشر ، ومن أجل هذا
عذب العاصي و أثيب المطيع ، ومن أجل هذا أطلق عليهم أو هم سمو أنفسهم
(أهل العدل) إذ قالوا: إن ثواب الإنسان وعقابه على حساب عمله الذي أتى به حراً
مختاراً .

كما أثاروا مسألة أخرى وهي تتعلق بالله وصفاته ، والله تعالى يوصف بالعلم والقدرة
والإرادة ، وهل هذه الصفات زائدة عن ذات الله تعالى أو هي عينها ؟ وكان كثير من
المسلمين الأولين يتخرجون من هذه البحوث ، ويرون أن يقفوا عند النصوص من
غير بحث ، ويفوضون أمر علمها إلي الله ، ويقولون : إنا نؤمن بأن الله عالم قدير
مريد . ولكن لا نبحث فيما هي القدرة وما هي العلم .

^١ المرجع السابق ١٨/١

^٢ المصدر نفسه

فالمعتزلة أثاروا هذا البحث ، وقرروا أن هذه الصفات ليست زائدة عن الذات ، وأن الله عالم قادر بذاته أو نحو ذلك ، ولذلك سموا أنفسهم (أهل التوحيد) ، لأنهم وحدوا الله تعالى ، ولم يعددوه بتعدد الصفات . وكان من نتيجة هذا البحث مسألة كان لها دوي كبير في العصر العباسي ، وتسمى مسألة (خلق القرآن) .

ذلك أن المعتزلة لما وحدوا الله وصفاته ، وقالوا : إن الله قديماً لا أول له رأوا أنه من المستحيل أن يكون القرآن قديماً لا أول له أيضاً ، وأن يكون صفة من صفات الله ، وقالوا : إن القرآن وكل الكتب المنزلة ، كالتوراة ، والإنجيل كلام يخلقه الله ويصل إلي النبي عن طريق ملك أو نحوه .

وكان كثير من خصومهم يرون أن الواجب الإيمان أن القرآن كلام الله ، وأن القول في ما وراء ذلك كالبحث في منزلة كلام الله من الله ، بحث لا يستطيع العقل البشري إدراكه ، فيجب أن نسلم به ولا نسأل عن كيفته وكنهه (١).

كان تأثير المتكلمين كبيراً علي الشعر في هذا العصر وقد اخذ بعض الشعراء معاني المتكلمين وتلطفوا في عرضها، فقال سعيد بن حميد :

قالت: اكتم هواي واكن عن اسمي بالعزير المهيمن الجبار

قلت: لا أستطيع ذلك، قالت صرت بعدي تقول بالإجبار

وتخلت عن مقالة بشر بن غياث لمذهب النجار

اثر ت مذاهب المتكلمين علي شعراء القرن الثاني تأثيراً واضحاً فالعباس بن الأحنف (٢) يذكر في غزله مشكلة قدرية فيقول :

إذا أردت سلوا كان ناصركم قلبي، وما أنا من قلبي بمنتصر

فاكثروا أو اقلوا من اساتكم فكل ذلك محمول علي القدر

١ المرجع السابق

٢ العباس بن الأحنف ابن اسود بن طلحة الحنفي اليمامي من فحول الشعراء وله غزل فائق وهو خال ابراهيم بن العباس الصولي توفي بغداد سنة اثنتين وتسعين ومئة وكان من ابناء ستين سنة ومات ابوه الاحنف سنة خمسين ومئة بالبصرة (تاريخ بغداد ١٢/١٢ وفيات الاعيان ٣/٢٠ البداية والنهاية ١٠/٢٠٩)

وقد غضب أبو الهذيل العلاف المعتزلي^(١) من هذا الشعر لانه يعترف
 بالجبر، فهجاه العباس - فيما يظن - بقوله^(٢) :

يا من يكذب أخبار الرسول لقد أخطأت في كل ما تأتي وما تذر
 كذبت بالقدر الجاري عليك، فقد أتاك مني - بما لا تشتهي - القدر

جري صدي هذا الاختلاف في الشعر المذهبي فقد كان من الشعراء من ينتصر
 للقدرية ومنهم من يقف الي جانب الجبرية وفريق ثالث مذبذب الراي فصالح بن
 عبد القدوس مثلاً ينفي الجبر نفياً باتاً في قوله

ولا أقول اذا ما جئت فاحشة اني علي لذنوب محمول ومجبور

في موضع اخر متحير في نسبة افعال العباد التي ياتيها البشر هل هي جبرية ام
 اختيارية ام بين بين يقول

لم تخل افعالنا اللاتي تدل بها احدي ثلاث خصال في معانيها
 اما تفرد مولانا بصنعتها فاللوم يسقط عنا حين ناتيها
 او كان يشاركنا فاللوم يلحقه ان كان يلحقنا من لائم فيها
 ولم يكن لالهي في جنايتها صنع فما الصنع الا ذنب جانيتها^(٣)

اما بشار ايضاً فيذهب مذهب نوع فيه نوع من الجبرية في قوله

خلقت علي ما في غير مخير هواي وتنبقي احاديث واسماء^(٤)

كانت الخوارج هي اكثر الفرق الاسلامية وقد تفرعت الي فرق عديدة واجتمعت كل
 هذه الفروع علي تكفير علي وعثمان والحكمين واصحاب الجمل وكل من رضي
 بالتحكيم الحكمين وكانوا يريدون توجيه الناس في الامرو العامة وفقاً لاوامر الله
 ونواهيه . بعد سقوط الادولة الاموية استطاعوا ان يكتسبوا ناصراً في الموصل وما
 جاورها

١ ترجمته ص ١٩

٢ الاغاني ٣٦٩/٨

٣ محاضرات الادباء ١٨٥/٢

٤ ديوان بشار ٢٤٦/١

كان مبدا الخوارج الذي لا يحددون عنه هو الخروج علي طاعة السلطان الذي ترك
لحق يف نظرهم مضحين في سبيل ذلك بالاهل والمال راجين ان ينالوا جزاءهم
عند الله في الاخرة

وعلي الرغم من الخلاف بين المعتزلة والخوارج ينصف الجاحظ المعتزلي شعر
الخوارج ويصفهم بالصدق في نواحيهم علي ذنوبهم ويصف اصحابهم بالنسك
والفضل (١)

كان الترابط الشديد بين اصحاب هذا المذهب هو ما جعلهم يتصفون بالشجاعة والقوة
وجعلهم يضحون من عقيدتهم فقد روي المرزباني ابياتا لعمر بن الحسن الاباضي
يصف فيها اصحابه وتضحياتهم حيث يقول

في فتية شرطوا نفوسهم للمشرفية و القتا السمر
متراحمين ذوو يسارهم يتعطفون علي ذوي الفقر
وذوو خصاصتهم كانهم من صدق عفتهم ذوو وفر
متجملون لطيب ضيمهم لا يهلعون لنبوة الدهر (٢)

ويقول محمد بن عبد الملك الزيات يحرض المأمون علي ابراهيم بن المهدي :
ألم تر أن الشيء للشيء علة يكون له كالنار تقدح بالزند
كذلك جربنا الأمور و انما يدلك ما قد كان قبل علي البعد
و ظني بإبراهيم أن فكاكه سيبعث يوماً مثل أيامه النكد

اما المرجئة فقد قالوا بالارجاء في الايمان وبالقدر علي مذهب القدرية المعتزلة
واخرون منهم قالوا بالارجاء والايمان وبالجبر وهم اصحاب جهم بن صفوان اما
الصنف الثالث فانهم خارجون عن الجبرية والقدرية وهم المريسية والثوبانية .

^١ الانتصار ١٤١

^٢ معجم الشعراء ٢٢٩

صاغ هؤلاء المرجئة ما يعتقدونه من اراء في اشعار وجدت منه بعض القصائد التي فيها اثر الأرجاء منها ما ورد أن عون بن عبيد الله بن عبد الله بن مسعود كان مرجئاً ثم عدل عن الأرجاء .

فقال :

فأول ما أفارق غير شك أفارق ما يقول المرجئونا

وقالوا مؤمن من آل جور وليس المؤمنون بجائرينا

وقالوا مؤمن دمه حلال وقد حرمت دما المؤمنينا

كما أن هنالك ابيات لثابت بن كعب الملقب بقطنه الذي يعد من كابر المرجئة حيث قول شارحا عناصر المذهب

يا هند فاستمعي لي ان سيرتنا ان نعبد الله لم نشرك به احدا

نرجي الامور اذا كانت مشبهة ونصدق القول فيمن جار او عندا

المسلمون علي الاسلام كلهم والمشركون استووا في دينهم قددا

ولا اري ان ذنبا بالغا احدا من الناس شركا اذا ما وحدوا الصمدا

لا نسفك الدم الا ان يراد بنا سفك الدماء طريقا واحدا جددا

كل الخوارج مخط في مقالته ولو تعبد فيما قال او اجتهدا

اما علي و عثمان فانهما عبدان لم يشركا بالله مذ عبدا

وقد ووجه هؤلاء المرجئة ببعض الشعراء الذين حولوا ان يوضحوا اراء المذهب السني من مذهب الارجاء فقد روي الطبري ابياتا لنصر بن سيار حين يتحدث عن الحارث بن سريج

دع عنك دنيا واهلا انت تاركهم ما خير دنيا واهل لا يدومونا

الا لبضعة ايام الي اجل فاطلب من الله اهلا لا يموتونا

فامنح جهادك من لم يرج اخرة وكان عدوا لقوم لا يصلونا

واقتل مواليهم منا وناصرهم حيننا تكفرهم والغنم حيننا

والعائبين علينا ديننا و هم شر العباد اذا خابرتهم ديننا

و القائلين سبيل الله بغيتنا لبعد ما نكبوا عما يقولونا

فاقتلهم غضبا لله منتصرا منهم ودع المتراب مفتونا
ارجاؤكم لركم والشرك في قرن فانت اهل اشراك و مرجونا
لا يبعد الله في الاحداث غيركم اذا كن دينكم بالشر مقرونا

الشعوبية

وكانت المعاملة السيئة للموالي سببا في اضطغانهم علي العرب او بعبارة ادق علي الدولة الاموية فشاركوا الخوارج والشيعة في الثورة عليها واخذ فريق منه يمثلهم اسماعيل بن يسار^(١) النسائي يفاخر العرب بحضارة امته الفارسية وملوكها الساسانيين الذين غلبوا علي الارض للعرائس و قال مخافرا علي العرب بالعجم

رب خال متوج لي و عم ماجد محتدي كريم النصاب
انما سمي الفوارس بالفرد س مضاهاة رفعة الانساب
فاتركي الفخر أُمَامَ علينا واتركي الجور وانطقي بالصواب
واسالي ان جهلت عنا وعنكم كيف كنا في سالف الاحقاب
اذ نربي بناتنا و تدسو ن سفاها بناتكم في التراب

واهم شاعر في العصر اوقد نيران هذه الخصومة بشار بن برد وكان في عصر بني امية يكثر من الفخر بمواليه من قيس حتي اذا حدث الانقلاب العباسي انقلب معه يتبرا من العرب وولائهم ناسبا ولاءه الي الله ذي الجلال يقول^(٢)

1 اسماعيل بن يسار النسائي مولي بني تيم بن مر تيم قريش وكان منقطعا الي ال الزبير فلما افضت الخلافة الي عبد الملك بن مروان وفد مع عروة بن الزبير ومدحه ومدح الخلفاء من ولده بعده وعاش طويلا الي ان ادرك اخر سلطان بني امية ولم يدرك الدولة العباسية وكان طيبا مليحا مندرا وسمي بالنسائي لانه كان يبيع النجد والفرش التي تتخذ الاغاني لابي فرج الاصفهاني ٤٠٩/٤

2 الاغاني ١٣٩/٣

اصبحت ولي ذي الجلال وبعضهم مولى العريب فخذ بفضلك فافخر

وقد مضى يشن حربا علي العرب وكان ابوه طيانا يضرب اللبن فاعتري الي اشراف العجم وملوكهم داخلا كمايقول الجاحظ بذلك في باب فسيح لا حجاب عليه ونسب وسع لا مدافع عنه ولم يكتف بهذا النسب لذي ادعاه فقد مضى يزعم انه ينتسب من قبل امه الي قياصرة الروم علي نحو ما نجد في قصيدته (١)

هل من رسول مخبر عني جميع العرب

وهي تصور بضراوة حقه العنيف علي العرب وقد مضى فيها يقارن بين بداوته الجافية وحضارة ابائه اللينة من الفرس والروم وفي الحق ان شعوبيته كانت صارخة اذا كان زنديقا عدوا للعرب ودينهم الحنيف

ومن المحقق ان رجال الفرس البارزين من امثال البرامكة وال سهل وال طاهر ابن الحسين كانوا يذكرون نار هذه الشعوبية فيمن حولهم من الفرس وقد اختلف الناطقون عنها بين عالم واديب وشاعر نذكر منهم ابا عبيدة (٢) اللغوي الاخباري المشهور واصله من يهود فارس وقد صب عنايته علي تسجيل مثالب العرب وبلغ من فساد طوبيتهم ان طعن في بعض انساب (٣) الرسول صلي الله عيه وسلم وليس من شك في ان عنايته بتلك المثالب هي التي دفعه الي شرح نقائض جرير والفرزدق لما تحمل منها من وقود جزل وكان في الوقت نفسه

١ ديوان بشار ٣٧٧/١

٢ (١١٠-٢٠٩هـ): معمر بن المثنى بالولاء، البصري، ابو عبيدة النحوي: من أئمة العلم بالأدب واللغة. مولده ووفاته في البصرة. استقدمه هارون الرشيد الى بغداد سنة ١٨٨هـ، وقرأ عليه أشياء من كتبه. وكان أباضياً، شعوبياً، من حفاظ الحديث. قال ابن قتيبة كان يبغض العرب وصنف في مثالبهم كتب.. وله نحو ٢٠٠ مؤلف، منها "نقائض جرير والفرزدق - ط" و "مجاز القرآن" و "العققة والبررة" معاني القرآن" و "اعراب القرآن". انظر "الاعلام"، ٧/ ٢٧٢ وفيات الأعيان ٥ / ٢٣٥-٢٤٣،

٣ الفهرست لان النديم ط، القاهرة ص ٧٩

يعني بالكتابة في فضائل الفرس (١) ومنه علان الشعبي الفارسي (٢) وكان منقطعا الي البرامكة ونسخ في بيت الحكمة للرشيد والمأمون والفرس في مثالب القبائل العربية كتابا سماه الميدان (٣) وكان يستشعر هذه النزعة في اعماقه الكاتب سهل بن هارن (٤) الفارسي احد صناع البرامكة وقد اسند المأمون اليه الاشراف علي بعض خزائن بيت الحكمة وكان يتعصب علي العرب تعصبامسرفا وصنف في ذلك كتبا كثيرة (٥) قد افتتح الجاحظ كتابه البخلاء برسالة اشاد فيها بالبخل غص غصا غصا شديدا من فضيلة الكرم العربية.

ولكن علي الرغم من ذلك كانت الروح العربية مهيمنة مسيطرة يسندها الخلفاء وزعماء العرب من الولاة والقواد ومستشاري الدولة كما يسندها الفقهاء والمحدثون وعلماء اللغة ورواة الشعر وقد رد بعض شعراء العرب علي الشعبية واصحابها علي نحو ما نجد عند ابي الاصبغ الاموي في تصديه لعبد الله بن طاهر بن الحسين حين افتخر في قصيدة له بنسبه من فارس وبابيه طاهر بن الحسين قاتل الامين فقد نقضها بقصيدته (٦)

لا يرعك القال والقليل وكلما ما بلغت تضليل

١ الفهرست ص ٨٠ البيان والتبيين ٣٠٨/١ ، الكامل للمبرد ص ٣٥١

٢ علان الوراق كان حيا قبل ٢١٨ هـ راوية عارف بالانساب والمثالب والمنافرات اصله من الفرس وكان منقطعا الي البرامكة ينسخ في بيت الحكمة للرشيد ولما مأمون والبرامكة ومن تصانيفه الكثيرة كتاب فضائل كنانة كتاب المنافسة كتاب نسب تغلب بن وائل كتاب فضائل ربيعة وله شعر . انظر الفهرست لابن النديم ١٠٥/١ معجم الادباء ١٩١/١٢

٣ الفهرست ص ٢٥٣

٤ سهل بن هارون احد الاعلام ،الذين أثروا فن الكتابة ، وقد لقب لبلاغته ببرزجمهر الإسلام ، اشارة إلي أنه يحل في العربية محل بزرجمهر في الفارسية ، لما اثر عنه من حكم ، وامثال ،كتب بين يدي يحي البرمكي ، ثم جعله المأمون قيما علي بيت الحكمة في بغداد ، سنة ٢١٥ هـ. البيان والتبيين ٥٢/١

(١) الفهرست ص ١٧٤

(٢) الاغانى ١٠٤/١٢

وتجرد نفر من الموالى انفسهم للرد علي اصحاب هذه النزعة وما تحمل من كيد للعرب ودينهم الحنيف علي نحو ما يلقانا عند الجاحظ في كتابه البيان والتبيين وابن قتيبة في رسالته التي سماها كتاب العرب

أثر الشعر المذهبي في شعر ابي نواس

تأثر ابي نواس كغيره من شعراء العصر الأدب بالإرجاء، فقد كان المعتزلة يرون أن الكبيرة تستحق العقوبة حتى ما لم يكن وان مات عاصياً مرتكباً للكبيرة لا بد في النار، وقد كتب الله علي نفسه ذلك فلا يعفو، والمرجئية تجيز ضمان عفو الله حتى مع عدم التوبة، ومع الإكثار من المعاصي فلما افطر كثير من شعراء الدول العباسية أسرفوا في الميسر والخمرة والنساء والغلمان وركنوا إلي عفو الله علي نذهب الأرجاء فيأملونه ويركنون إليه وفتحوا في ذلك باباً واسعاً من أبواب الأدب مثال ذلك شعر أبنى نواس وربما كان خير مثل لذلك قوله يستهزئ بالنظام ومنصبه في الاعتزال ويحبذ الإرجاء كي ينال العفو مما اغترفه من اثامه، ورأيه في العفو يقول:

قال بن منظور في ملحق كتاب الاغانى^(١) (وقد صحب ابو نواس ابراهيم النظام وكان ينهاه عن افعاله وان الكبائر مخلصات في النار وان مذهب المعتزلة هو الحق فابي عليه ابو نواس ثم هجاه بالقصيدة التي تسمى الابراهيمية قال فيها

دع عنك لومي فإن اللوم إغراء وداوني بالتي كانت هي الداء
صفراء لا تنزل الأحزان ساحتها لو مسها ضر مسته سراء
قامت بإبريقها و الليل معتكر فلاح من وجهها في البيت للألاء
و أرسلت من فم الإبريق صافية كأنما أخذها للعقل إغفاء
رقت عن الماء حتى ما يلائمها لطافة وخفى عن شكلها الماء
قل لمن يدعي في العلم فلسفة حفظت شيئاً وغابت عنك أشياء
لا تحظر العفو إذا كنت أمر حرجا فان حظركه في الدين أرزاء^(٢)

^١ ملحق اخبار ابي نواس لابن منظور ص ٢٠٢

^٢ روي الراوون انه يخاطب بهما النظام المعتزل ويقصد بفلسفته التي يدعيها حظره العفو كما يدل عليه البيت بعده وهو مذهب المعتزلة

كما اورد بن منظور ايضا (١) (ان ابن الاعرابي قال يوما اشندوني بيتا اوله اكثم بن صيفي في الاختيارالراي واخره ابن ماسويه المتطبب في مداواة فقال قول ابي نواس

دع عنك لومي فإن اللوم إغراء وداوني بالتي كانت هي الداء

وكان ابراهيم النظام يتعجب من قول ابي نواس

وكم في الحب من قلب بداء الحب مغموس

وطرف ليس عن روح ولا نفس بمحبوس

ومعني غير معقول ولفظ غير محسوس

وقال ابو نواس ايضا في العفو :

أيها الغافل المقيم علي اللهو ولا عذر في المقام لساه

لا بأعمالنا نطيق خلاصنا يوماً تبدو السما فوق الجباه

غير أنى علي الأساة والتفريط راج لحسن عفو الإله

ويقول :

يا رب وان عظمت ذنوبي كثرة فلقد علمت بان عفوك اعظم

أن كان لا يرجوك إلا محسن فبمن يلوذ ويستجير المجرم

أدعوك ربّ كما أمرت تضرعاً فإذا رددت يدنيا فمئذ يرحم

ما لي إليك وسيلة إلا الرجاء وجميل عفوك ثم أنى مسلم (٢)

فمن يقرأ هذه الأبيات يرى فيها عنصر الارزاء فيه واضحا. فلا جرم ان يتلقف ابو

نواس راي كهذا ويتهافت عليه ليجمع بين لهوه واعتقاده الايمان فطفق ينادي

بانكار الشرك ولا يبالى ما عداه فقط فقال

تري عندنا ما يسخط الله كله من العمل المردي للفتي ما خلا الشركا

وقال :

تري عندنا ما يكره الله كله سوى الشرك بالرحمن رب المشاعر

^١ نفس المصدر

^٢ يريد بالمؤمن من آل جور أهل الجور والظلم ، المؤمنين كعقيدتهم كما يسأل سؤال فلسفي كيف يكون الجائر مؤمن؟ الاغاني

٣١٣/٢٥ المجلد الخاص باخبار ابي نواس

ثم تشبث بان الكبائر لا تسلك صاحبها مع الكفار ولا تحرمه الرجاء في عفو الله
فكان من اقواله الكثيرة في ذلك

وثقت بعفو الله عن كل مسلم فلست عن الصهباء ما عشت مقصرا

ومنها:-

غاد المدام وان كانت محرمة فللكبائر عند الله غفران

ومنها

ردا علي الكاس انكما لا تديان الكاس ما تجدي

لو ذقتما ما ذقت ما امتزجت الا بدمعكما من الوجد

خوفتماني الله جهدكما وكخيفته رجاؤه عندي

ان كنتما لا تشربان معي خوف العقاب شربتها وحدي^(١)

وقد صحب ابو نواس ابراهيم النظام

اما التأثير الكلامي في شعر بي نواس فهو واضح وقد لاحظته الجاحظ واستنكر
وجود اصطلاحات علم الكلام في الشعر قائلا انما جازت هذه الالفاظ في صناعة
الكلام حيث عجزت الاسماء عن اتساع المعاني ولكنه يستدرك قائلا وقد تحسن
ايضا الفاظ المتكلمين في مثل شعر ابي نواس وفي كل ما قالوه علي جهة
التظرف والتلمح كقول ابي نواس^(٢)

وذات خد مورد قوهية المتجرد

تأمل العين منها محاسنا ليس تنفذ

فبعضها قد تناهى و بعضها يتولد

والحسن في كل عضو منها معاد مردد

وكقوله :

يا عاقد القلب مني هلا تذكرت هلا

تركت قلبي قليلا من القليل أقل

يكاد لا يتجزأ أقل في اللفظ من لا

^١ الديوان ص ١٨٨

^٢ البيان والتبيين ٨٩/١

وحدث بعض بني نوبخت قال ان النظام جاء يوما فسالنا عن منزل ابي نواس فقلنا تلك الغرفة واومنا الي غرف كان ينزلها وله غلام اسود وحمار قال اته فاستاذن عليه وقال انشدني قولك

يا عاقد القلب مني

فانشد فقال النظام انت اشعر الناس في هذا المعني والجزء الذي لا يتجزأ منذ دهرنا الاطول نخوض فيه ما خرج لنا فيه من القول ما جمعته انت في بيت واحد^(١)

وصاحب الفرح والتهاني يدرك تاثر ابي نواس بعلم الكلام ايضا ويرجع سبب ذلك الي مصاحبة ابي نواس لابراهيم النظام فهي التي جعلته يشتهي علم الكلام ثم تركه فبان ذلك في اشعاره^(٢) وابن منظور يؤكد صلة ابي نواس بعلم الكلام ايضا ويقول انه قعد الي اصحاب الكلام فتعلم منهم ويضرب مثلا لظهور هذا الاثر الكلامي في شعر ابي نواس بقوله

ان اسم حسن لوجهها صفة ولا اري ذا في غير ها اجتماعا
فهي اذا سميت فقد وصفت فيجمع الاسم معنيين معا

ويلحق علي البيتين بن منظور قائلا ان ابا نواس يشير بذلك الي مسألة كلامية مشهورة وهي ان الصفة هل هي عين الموصوف او غيره^(٣)

اما عن مذهب الخوارج فيقول ابو نواس ترك الشراب والتمذهب بمذهبهم^(٤):

نالني باللام فيها أمام لا أرى لي خلافة مستقيما
فاصرفاها إلي سواي فاني لست إلا علي الحديث نديما
جل حظي منها إذا هي دارت أن أراها وان أشم النسيما
فكأنني و ما أزين منها قعدي يزين التحكيما

^١ اخبار ابي نواس: ١٠٦

^٢ الفرح والتهاني ص ٤

^٣ اخبار ابي نواس ١٣/١

^٤ بيتيمة الدهر ٤٤٣/١

كل عن حملته السلاح إلي الجرب فأوصى المطيق إلا يقيما
ويقول ايضا (١) :

ولي عهد ما له قرين ولا له شبه ولا خدين
استغفر الله بلي هارون يا خير من كان وما يكون
إلا النبي الطاهر الميمون

يرى الباحث ان ابا نواس قد تأثر في شعره بالمذاهب التي كانت سائدة في ذلك
العصر كمذهب المعتزلة والمتكلمين والشيعة والمرجئة والزنادقة والخوارج وغيرهم
من الفرق واستطاع ان يدلي بدلوه في هذا المجال، حيث صور تلك الافكار
المذهبية والصراع الفكري الدائر بين هذه الفرق والتي كانت تمثل جانبا مهما في
المجتمع العباسي باروع الالفاظ ونقلها في صورة رائعة للاجيال اللاحقة.

المبحث السادس

الصورة المستمدة من الزهد

في شعر ابي نواسي

مفهوم الزهد في الاسلام

والزهد لغة ضد الرغبة والحرص علي الدنيا^(١) واصطلاحا الكف اولا عن المعصية وعما زاد عن الحاجة وترك ما يشغل عن الله ثم الكف عن امور الدنيا جميعا بتخلية القلب والتكشف التام وترك كل ما هو مخلوق ومن ثم فان مصطلح الزهد يدل بوضوح علي معني اوسع من القناعة بالقناعة هي الاعتدال وقمع لشهوات النفس بل هو اوسع من الورع ايضا وهو الكف عن المحارم والترجح منها وعرفه الجنيد خلو الايدي من الاملاك والقلوب من التتبع^(٢)

فالزهد في نظر الاسلام هو اسلوب من الحياة يحياها المسلم وموقف خاص من الدنيا وزخرفها وشهواتها ولذاتها ومن النفس ومطامعها واخذ الانسان نفسه بالمجاهدات الروحية والبدنية فقد قال رسول الله صلي الله عليه وسلم (ان ادرت بن يحبك الله فازهد في الدنيا)^(٣)

فالقران الكريم حث علي الورع والتقوي وهجر الدنيا وحذر من شان هذه الحياة وعظم شان الآخرة فدعا الي العبادة وقيام الليل والصوم مما هو في صميم الزهد ما يجعل الاسلام هو العامل الاول في نشأة حركة الزهد وتطوره

وبالرغم من ذلك فان الاسلام لم يدع الي الرهينة وترك الكسب وهجر الحياة الاجتماعية فالاسلام لم يحرم التمتع بالحلال من امور الدنيا ولكن الذي حرم هو الانغماس في شهواتها التي تشغل القلب عن ذكر الله

^١ لسان العرب لابن منظور

^٢ دائرة المعارف الاسلامية ٤٥١/١٠

^٣ الترغيب والترهيب ج ٦/٤-٥

مجتمع الزهد العصر العباسي

لم يكن المجتمع العباسي منحلاً كل الانحلال ولم يكن الحديث عن الزندقة والمجون شائعاً بهذا القدر بل كانت طبقات محدودة هي التي شاعت فيها الزندقة والمجون الخمر ولكن كانت موجة المجون اقوي لان جمهورها كان من الفرس كما انها كانت خاصة بالمترفين .

فكما كانت الحانات مكتظة بالفساق واهل المجون فان دور العبادة والمساجد ايضا كانت عامرة بمن يرتادونها من اهل التقوي والصلاح وكانت الحلقات عامرة بطلاب العلم فازدهرت الخطابة في بيئة الوعاظ والنساک ، مما كانت تزخر بهم في المساجد بغداد ، والبصرة ، والكوفة ، وكانوا أخلاطاً من الزهاد ، والفقهاء ، وكان بعضهم يمر بمجالس الخلفاء لوعظهم ، وأحياناً كانوا يستقدمونهم فيعظونهم حتي ييكونهم بما يوقعون في نفسهم من خشية عقاب الله ، وبما يصورون لهم من زفير جهنم ، وهم في تضاعيف ذلك يزجرونهم عن ظلم الرعية ، واقتراف المعاصي والسيئات .

من كبار الوعاظ الذين عرفوا بمقاماتهم المحموده بين أيد الخلفاء ثلاثة هم : عمرو بن عبيد (١) المعتزلي الزاهد المشهور واعظ المنصور ، وابن السماك (٢) واعظ الرشيد، وكان صالح بن عبد الجليل ناسكاً مفوهاً وكان ابن السماك محدثاً واعظاً مؤثراً روى عن أحمد بن حنبل وغيره وله كلام ومواقف بين يدي الرشيد تدور في كتب التاريخ ، والأدب .،

وكان هؤلاء الوعاظ يستمدون دائماً من الذكر الحكيم ، وأحاديث الرسول الكريم ، وأقوال لصحابة ، ومن سبقوهم إلى الوعظ في العصر الأموي من مثل الحسن البصري وكانت مواعظهم بارعة لما أشاعوا فيها من إيمان شديد بالدين ، ثقة

١ الزاهد العابد القدري كبير المعتزلة واولهم ابو عثمان البصري مولى بني تميم قال النسائي ليس بثقة وقيل انه كان من الدهرية رثاه المنصور وله كتاب العدل والتوحيد والرد علي القدريه مات في ايام المنصور سنة اربع واربعين ومائة .انظر كتاب المجروحين ٦٩/٢ مروج الذهب ٣١٣/٣

الزاهد القدوة سيد الوعاظ ابو العباس محمد بن الصبيح العجلي الكوفي توفي سنة ثلاث وثمانين ومئة وقد اسن . سير اعلام النبلاء ٣٢٨/٨

و طيدة بأن ما عند الله خير وأبقى ، مما في أيدي الناس من متاع الحياة الزائل .

كان هؤلاء النساك والعباد يحيون حياة زهد خالصة كلها تبتل وعبادة وتقشف رجاء ما عند الله من الثواب في الآخرة امثال سفيان الثوري^(١) وداوود الطائي وعبد الله بن المبارك والفضيل بن عياض^(٢) وسفيان بن عيينة

ومن مشهوري هؤلاء النساك عبد الواحد بن زيد المتوفي سنة ١٧٧هـ وهو الذي انشا اول رباط للناسكين في عبادان بالقرب من الكوفة وفي رباطهم يقول ابو العتاهية :

سقى الله عبادان غيثا مجلا أن لها فضلا جديدا و أولا
وثبت من فيها مقيما مرابطا فما ارى عنها له متحولا
إذا جئتها لم تلق إلا مكبرا تخلي عن الدنيا وإلا مهلا
فأكرم بمن فيها علي الله نازلا وأكرم بعبادان دارا ومنزلا

وكثير من الوعاظ كانوا يمزجون وعظهم بالقصص الديني ، وتفسير بعض أي القرآن : وهو مزج قديم من صدر الإسلام الأول . وكثر هؤلاء القصاص والوعاظ في عصر بني أمية وتكامل ازدهاره في هذا العصر

وقف الجاحظ في بيانه مراراً في صالح المري^(٣) حاكياً كلامه أو بعض ما كان يورده من شعره في قصصه من ذلك قوله عنه : كان صالح المري القاص العابد البليغ كثيرا ما ينشد في قصصه وفي مواعظه هذا البيت :

فبات يربو أصول الفسيل فعاش الفسيل ومات الرجل^(٤)

^١ هو ابو عبيدة سفيان بن سعيد الثوري ولد سنة ٩٧هـ وخرج الي من الكوفة الي البصرة ودفن بها سنة ١٦١هـ . انظر ترجمته في كتاب جمهرة الاولياء واعلام التصوف ص ١١٥

^٢ الفضيل بن عياض الامام القدوة وشيخ الاسلام ابو علي التميمي اليربوعي المروزي المحدث سكن مكة وكان اماما ربانيا ثقة كبير الشن كان يقبل الصلة من بن المبارك ولا يقبل جوائز الدولة مات سنة ١٨٧هـ رحمه الله . انظر تذكرة الحفاظ ١/٢٤٥

^٣ الزاهد الخاشع واعظ اهل ابصرة ابو بشير القاص ويقال انه اول من قرأ ابلا تحزين في البصرة وكان شديد الخوف من الله كانه ثكلي اذاقص توفي سنة ١٧٢هـ . سير اعلام النبلاء ٨/٤٧

^٤ البيان و التبيين ج ١/١١٩

ويتضح من كلام صالح المري وغيره من القصاص والوعاظ أنهم ارتقوا بصناعة النثر في المعاني التي كانوا يرددونها رقيًا بعيدًا ، إذا شعبوا وفرعوا في تلك المعاني طويلاً ، واستتبطوا فيها كثيراً من الدقائق التي تمس القلوب والعقول ، وأضافوا إلى ذلك عناية واسعة بأساليبهم ، وهي عناية تقوم على الدقة في اختيار اللفظ ، والإحساس المرهف بجمال السبك ، والصياغة .

أخذت تنبثق بين النساك مقدمات النزعة الصوفية متمثلة في شبح كثيرين منهم ابراهيم بن ادهم البلخي^(١) المتوفي سنة ١٦٠ هـ ، وشقيق البلخي تلميذ ابراهيم بن ادهم ويقال انه اول من تكلم في التصوف .

كان الزهد في هذا العصر مذهب له خصائصه المعينة وله اصول وعناصر يرتكز عليها وكان فكرة عميقة تغلغل في كيان الشاعر ولم ينحرف عنها الي غرض اخر وكان الدافع الديني هو الاساس لحركة الزهد الذي ظهرت في الشعر العربي .

اهتمت بعض الكتب ككتاب الفهرست لابن النديم وحلية الاولياء لابي نعيم وصفة الصفوة لابن الجوزي بذكر النساك والمتصوفة وهي تصور لنا مدي اهمية تيار الزهد في هذا العصر الذي شهد تحول حركة الوعظ الي زهد حقيق ثم الي تصوف وتجرد كان اساسا للفرق الصوفية التي انت بعد ذلك

علي ان هذا الزهد الاسلامي مقدماته الصوفية كان بجانبه نوع من الزهد الفاسد او زهد الزنادقة الذين كانوا يتعنتقون المانوية والذين كانوا يرغبون عن متاع الدنيا الزائل واشهرهم صالح بن عبد القدوس وقد قال عنه ابن المعتز ان له في ذلك ما ليس لاحد)

^١ هو اسحق بن ابراهيم بن ادهم من اهل بلخ كان من ابناء الملوك اتجه الي الزهد والورع خرج الي مكة وصحب هبها سفيان الثوري والفضيل بن عياض دخل الشام فكان يعمل فيها وياكل من عمل يده ومات

سنة ١٦١ هـ تهذيب بن عساكر ١٦٨/٢

كانت مجالس البصري في مسجد الكوفة ومواعظه وحكمه تجمع حوله القلوب المؤمنة ومنذ ذلك الوقت اشتدت الحركة المضادة لتيار المجون والزندقة فظهر العديد من النساك الذين تجردوا عن الدنيا علي تفاوت بينهم في درجات الزهادة والانفصال الروحي عن الحياة المادية

كان للتطور الاجتماعي الذي حدث في هذا العصر الاثر الخطير في تيار الزهد وتطوره فشيوع تيار اللهو والمجون والزندقة ووجود الفوارق الاجتماعية اوجدت حركة معاكسة تعكف علي العابدة وتحتقر الدنيا فكانوا يقصون في المساجد فبدا الزهاد يجعلون منه علما واسعا والفوا فيه الكتب مثل كتاب المريدين ليحيى بن معاذ الرازي^(١) وكتاب الزهد لبشر الحافي

يرى محمد عبد العال^(٢) ان تحول الادب في بيئة الكوفة من المجون الي الزهد كان من اثر السياسة العنيفة التي اتبعها العباسيون مع الزنادقة فقد اختفت تلك الصراحة التي جعلت الشاعر يلائم بين شعره ونفسه واخذ الادب يتلون ليرضي طبقة الحاكمين ولبس الادب ثوب الخداع وانتقل من التعبير عن اللذة واقتحام الحرام الي الدعوة الي التقشف والزهد^(٣)

وهذا ليس صحيحا فتيار المجون كان شائعا مع وجود تيار الزهد بل ان الذين قادوا تيار المجون شهدت له اشعارهم بالتوبة عند وفاتهم امثال ابو العتاهية وابونواس وغيرهم من شعراء المجون المشاهير وكان الخلفاء يستمعون الي اشعار المجون بل كان يصلونهم بالعطايا وري في الاغاني (ابياتا لسعيد بن وهب في غلامين تحاكما اليه ايهما اجمل يقول فيها

قمران جاءا فحكمانى لا حكم قاض ولا أمير
هذا كشمس الضحى جمالا وذا كبد الدجى المنير

^١ هو يحيى بن معاذ الواعظ تكلم في الرجاء واحسن الكلام فيه توفي سنة ثمان وخمسين ومائتين وروى الحديث . انظر طبقات الصوفة ص ٩٨

^٢ حركات الشيعة المتطرفين ١٢٨

وقال وشاعت الأبيات حتى بلغت الرشيد فدعا به فاستنشدته إياها فتلكأ فقال له أنشد
ولا بأس عليك فأنشد فقال له ويلك اخترت الكبير سنا أو قدرا قال بل الكبير قدرا قال
لو قلت غير هذا سقطت عندي واستخففت بك ووصله^(١) .

شعراء الزهد

لم يكن الشعر الذي نظمته هؤلاء الشعراء غاية في ذاته ولا وسيلة للكسب كما فعل
غيرهم من الشعراء يتملقون بها الحكام وانما اتخذوه وسيلة للتعبير عما يجيش في
صدورهم من افكار واره لانهم راو ان الشعر اهم وسيلة للتخاطب بين النفوس
والتاثير عليها لما له من قوة وسلطان والقدرة علي فرض الراي.

اختص شعر الزهد بهذه المميزات اكثر من غيره من ضروب الشعر الاخري فهو
يعتمد علي اللغة السهلة والاسلوب الواضح مما يقربه من قلوب العامة فتهتم به
وتقبل علي حفظه لانه لا تجد كبير عناء في ذلك مثلما تجد في غيره من الاغراض
الاخري التي تتطلب اللغة القوية والاسلوب المتين

كانت اهم الموضوعات عند هؤلاء الشعراء الزهاد الزهد عما في ايدي الناس
والقناعة بما قسم الله لعباده من الرزق وذم الدنيا الزائلة ذم الحرص علي جمع
المال والتذكير بالموت والاخرة

ولكن اسلوب التعبير عن هذه الموضوعات كان يختلف عن شاعر لآخر فالامام
الشافعي ينظر الي تقسيم الرزق نظرة قدرية فهو لا يخضع لمقاييس الذكاء او
الحنكة بل هو في الغالب يكون من حظ الاغبياء ويحرم منه العقلاء فيقول
بصورة محسوسة الحركة عميقة التجربة

لو كنت بالعقل تعطي ما تريد به لما ظفرت من الدنيا بمسروق
رزقت مالا علي جهل فعشت به فلست اول مجنون بمرزوق^(١)

^١ الاغاني ٢٠ / ٣٥٤ راجع شعر المجنون في العصر العباسي من هذا البحث

والامام علي الرضا(٢) يذم الحرص وجمع المال ومنعه عن الفقراء وهو يعتبره سيئة تحط من قيمة صاحبه ولما كان حظ الانسان من الدنيا ياتيه طبيعيا دون حيلة اكتسبها فلماذا يخاف المرء اذن من الفقر حيث قال:

لا تحرصن فالحرص يزري بالفتى و يذهب الرونق عن بهجته
و الحظ لا تجلبه حيلة فكيف يخاف المرء من فقرته
ما فاتك اليوم سيأتي غدا ما في الذي قدر من حيلته
لا تنهر المسكين يوما اتى فقد نهاك الله عن نهركه
واقنع بما اعطاك من فضله واشكر لموليك علي نعمته (٣)

اما بشر الحافي(٤) فيرى ان الاستغناء بالله عن الناس هو الغني الحقيقي وطمع النفس رذيلة تفضح الانسان وتزري به ولهذا هو يرى ان رضح النوي وشرب الماء المالح اهون عليه من سؤال تضيع عنده الكرامة والعزة فيقول

اقسمت بالله لرضخ النوي وشرب ماء الاعين المالحة
اعز للانسان من حرصه ومن سؤال الاوجه الكالحة
فاستعن بالله تكن ذا غني مغتبطا بالصفقة الرابعة
الياس عز والتقى سوؤد وطمع النفس خلة فاضحة
من كانت الدنيا به برة فانها يوما له ذابحة(٥)

^١ الديوان ص ٨٥

^٢ هو ابو الحسن علي الرضا بن موسى الكاظم بن جعفر الصادق احد الائمة الاثني عشر علي اعتقاد الامامية وكان المامون قد زوجه ابنته ام حبيب وجعله ولي العهد وكانت ولادته سنة ١٥٣ هـ ووفاته سنة ٢٠٢ هـ ودفن بطوس . وفيات الاعيان ٢٦٩/٣

^٣ جواهر الادب لاحمد الهاشمي ص ٤٣١

^٤ بشر بن الحارث ابن عبد الرحمن بن عطاء الامام العالم المحدث الزاهد الرياني القدوة شيخ الاسلام ابو نصر المروزي ثم البغدادي المشهور بالحافي ابن عم المحدث علي بن خشرم ارتحل في طلب العلم فاخذ عن مالك وطائفة من العلماء وحدث عنه الرسالسقطي وجماعة كان شديد الورع شديد الاخلاص قال ابراهيم الحربي لو قسم عقل بشر علي اهل بغداد لصاروا عقلاء مات رحمه يوم الجمعة ربيع الاول سنة (٢٢٧ هـ) قبل العتصم الخليفة بستة ايام وعاش ٧٥ عاما طبقات بن سعد ٣٤٢/٧ تاريخ بن معين ٥٨ طبقات الصوفية ص ٣٩ صفة الصفوة ١٨٣/٢ الباب ٣٣١/١ النجوم الزاهرة ٢٤٩/٢

^٥ تهذيب بن عساكر ٢٣٧/٣

كما يرى بشر في القناعة الغني الحقيق لأنها غني النفس وهو يرضى ان يقطع الليالي والنوم تحت رواق الهم والقلق اهون من ان يقال له غدا بانه قد مد يده لغره فهو يتكل علي في اليسر والعسر فيقول

قطع الليالي مع الايام في خلق والنوم تحت رواق الهم والقلق
اخرى واعذر لي من ان يقال غدا اني التمتست الغنى من كف مختلق
قالوا قنعت بذا قلت القنوع غني ليس الغنى كثرة الاموال والورق
رضيت بالله في عسري وفي يسري فلست اسلك الا اوضح الطرق^(١)

ومحمد بن كناسة^(٢) كان من شعراء القرن الثاني وهو بن اخت ابراهيم بن ادهم وكان يسكن الكوفة وقال عنه الاصفهاني كان رجلاً صالحاً لا يتصدى لمذح او هجاء وقد حاول مجان الكوفة اغراءه بالاشتراك في تيار المجون فاستعصم بايمانه القوي وظهر زهده وترفع عن حياتهم بقوله :

تؤنبني أن صنت عرضي عصابة لها بين أطناب اللئام بصيص
يقولون لو غمضت لازددت رفعة فقلت لهم إني إذن لحريص
أتكلم وجهي لا أبا لأبيكم مطامع عنها للكرام محيص
معاشي دوين القوت والعرض وافر وبطني عن جدوى اللئام خميص
سألقي المنايا لم أخالط دنية ولم تسر بي في المخزيات قلوص^(٣)

وعندما توفي ابراهيم بن ادهم رثاه بن كناسة فقال

رأيتك ما يكفيك ما دونه الغنى وقد كان يكفيك دون ذاك ابن أدهما
وكان يرى الدنيا قليلا كثيرها فكان لأمر الله فيها معظما
أما الهوى حتى تجنبه الهوى كما اجتنب الجاني الدم الطالب الدما
وللحلم سلطان على الجهل عنده فما يستطيع الجهل أن يترمرما

^١ تهذيب بن عساكر ٢٤/٣

^٢ هو محمد بن كناسة واسم كناسة عبد الله بن عبد ويكنى أبا يحيى شاعر من شعراء الدولة العباسية كوفي المولد والمنشأ قد حمل عنه شيء من الحديث وكان إبراهيم بن أدهم الزاهد خاله وكان امرأ صالحاً لا يتصدى لمذح ولا لهجاء وكانت له جارية شاعرة مغنية يقال لها دنانير وكان أهل الأدب وذوو المروءة يقصدونها للمذاكرة والمساجلة في الشعر. الاغاني ١٣ / ٣٦٣

^٣ الاغاني ١٣ / ٣٦٦

وأكثر ما تلقاه في القوم صامتا وإن قال بذ القائلين و أحكما^(١)
 كان عبدالله بن المبارك^(٢) إذا خرج الى مكة قال
 بغض الحياة وخوف الله أخرجني وبيع نفسي بما ليست له ثمننا
 إني وزنت الذي يبقى ليعدله ما ليس يبقى فلا والله ما اتزنا^(٣)

كما له أيضا وهو يتحدث عن النفس الامارة بالسوء والتي ينبغي للانسان ان يعصياها

رايت الذنوب تميت القلوب ويختتم العقل ادمانها
 يبيع الفتى نفسه في رداه واسلم للنفس عصيانها^(٤)
 وله ايضا

أبأذن نزلت بي يا مشيب أي عيش وقد نزلت يطيب
 وكفى الشيب واعظا غير أني آمل العيش والممات قريب
 وكم أنادي الشباب إذ بان مني وندائي موليا ما يجيب^(٥)

وابراهيم بن ادهم يكفيه لهذا العيش لقمة من جريش الملح يسد بها جوعه وهي
 عنده اطيب والذ من ثمرة محشوة بثمر الزنبور

للقمة عيش بجريش الملح اكلها الذ من ثمرة تحشى بزنبور^(٦)
 ومن الشعراء الذين تابوا وتنسكوا بعد حياة المجون والفسق سعيد بن وهب^(٧) فقد
 روى ابو الفرج الاصفهاني (قال بعض اصحاب جاء رجل إلى أبي العتاهية ونحن

^١ المصدر نفسه ص ٣٦٧

^٢ هو عبد الله بن المبارك بن واضح الامام الحافظ العلامة شيخ الاسلام فخر المجاهدين وقدة الزاهدين
 كتب في الفقه والزهد وغيرهما مات بهيت سنة ١٨١ هـ . تذكرة الحفاظ ١/ ٢٧٤

^٣ تذكرة الحفاظ ١/ ٢٧٨، سير اعلام النبلاء ٨/ ٣٩٤

^٤ الورقة لابن الجرح ص ١٥

^٥ سير اعلام النبلاء ٨/ ٤١٦

^٦ الديوان ص ١٤٢

^٧ أبو عثمان بني سامة بن لؤي بن نصر مولده ومنشؤه بالبصرة ثم سار إلى بغداد فأقام بها وكانت الكتابة
 صناعته فتصرف مع البرامكة فاصطنعوه وتقدم عندهم وكان شاعرا مطبوعا ومات في أيام المأمون وأكثر شعره

عنده فساره في شيء فبكى أبو العتاهية فقلنا له ما قال لك هذا الرجل يا أبا إسحاق فأبكاك فقال وهو يحدثنا لا يريد أن يقول شعرا قال لي مات سعيد بن وهب رحم الله سعيد بن وهب يا أبا عثمان أبكيت عيني يا أبا عثمان أوجعت قلبي قال فعجبنا من طبعه وأنه تحدث فكان حديثه شعرا موزونا وقال عنه الخطيب البغدادي انه شاعر من أهل البصرة انتقل الى بغداد فسكنها ومات في زمان المأمون وكان خليعا ماجنا أكثر القول في الغزل والخمر ثم تاب ونسك وحج راجلا وكان صديقا لأبي العتاهية قال حج سعيد بن وهب ماشيا فبلغ منه وجهه فقال

قدمى اعتورا رمل الكثيب وأطرقا الآجن من ماء القلب
رب يوم رُحمتا فيه على زهرة الدنيا وفي واد خصيب
وسماع حسن من حسن صخب المزهري كالظبي الريب
فأحسبا ذاك بهذا و اصبرا وخذا من كل فن بنصيب
إنما أمشي لأنى مذنب فلعل الله يعفو عن ذنوب^(١)

وروي عن سيبويه أبو محمد انه قال كان سعيد بن وهب الشاعر البصري مولى بني سامة قد تاب وتزهد وترك قول الشعر وكان له عشرة من البنين وعشر من البنات فكان إذا وجد شيئا من شعره خرقه وأحرقه وكان امرأ صدق كثير الصلاة يزكي في كل سنة عن جميع ما عنده حتى إنه ليزكي عن فضة كانت على امرأته ونظر سعيد بن وهب إلى قوم من كتاب السلطان في أحوال جميلة فأنشأ يقول من كان في الدنيا له شارة فنحن من نظارة الدنيا

نرمقها من كذب حسرة كأننا لفظ بلا معنى
يعلو بها الناس وأيامنا تذهب الأرنل والأدنى

في الغزل والتشبيب بالمذكر وكان مشغوبا بالغلمان والشراب ثم تنسك وتاب وحج راجلا على قدميه ومات على توبة وإقلاع ومذهب جميل الاغاني ومات وأبو العتاهية حي وكان صديقه فرثاه تاريخ بغداد ٧٣/٩

^١ تاريخ بغداد ٧٤/٩

من الشعراء الذين تحولوا من تيار المجون الي تيار الزهد محمود بن الحسن
الوراق^(١) كان يحيا حياة النخاسين من لهو ومجون وكان يذهب الي الحانة ولا
يعرف عن اخباره شيئ بعد ذلك ثم تنسك وتاب ومن شعره في الحلم و هو ينظر
قوله تعالى واذا خاطبهم الجاهلون قالوا سلاما قوله

رجعت على السفية بفضل حلمي فكان الحلم عنه له لجاما
وظن بي السفاه فلم يجدني اسافهه وقتت له سلاما
فقام يجر رجليه ذليلا وقد كسب المذلة والملاما
وفضل الحلم أبلغ في سفيه واحرى ان تنال به انتقاما
وله ايضا

اتعصي الاله وانت تظهر حبه هذا محال في القياس بديع
لو كان حبك صادق لاطعته ان المحب لمن يحب مطيع

وروى أبو بكر الطالقاني عن أبيه قال كنت جالسا عند محمود الوراق والناس
يعزونه عن جاريته نشو وكان قد أعطى بها آلافا من الدنانير وإذا بعض المعزين
يكرر ذكر فضلها عنده ليحزنه ففطن له فانشأ
يقول ومنتصح يكرر ذكر نشو ليحدث لي بذكرها اكتتابا
أقول وعد ما كانت تساوي سيخلفه الذي خلق الحسابا
عطيته إذا أعطى سرورا وإن أخذ الذي أعطى أثابا
فاي نعمتين أعم فضلا واکرم في عواقبها إيابا
أنعمته التي أهدت سرورا أم الأخرى التي أهدت ثوابا
بل الأخرى وإن نزلت بكره أحق بصبر من صبر احتسابا^(٢)

^١ الشاعر أكثر القول في الزهد والأدب وكان من طلاب الفتك واللهو وكانت ثقافته واسعة واستخدمها في
اشعاره روى عنه أبو بكر بن أبي الدنيا وأبو العباس بن مسروق وغيرهما ويقال أنه كان نخاسا يبيع الرقيق
ومات في خلافة المعتصم في حدود سنة ٢٣٠هـ تاريخ بغداد ٨٧/١٣ ، طبقات الشعراء لابن المعتز ص ٢٧٣

^٢ تاريخ بغداد ٨٧/١٣

ومنهم الشاعر أبو العتاهية وكان غزير البحر لطيف المعاني ، سهل الألفاظ كثير الافتتان قليل التكلف ، إلا أنه كثير الساقط المرذول مع ذلك وأكثر شعره في الزهد و الأمثال^(١) وكان في صباه لا يتخير أصدقائه من خيار الناس ، فلما تقدمت به السن مال الي الرزاقة و الجد ، ولكن ماضيه في صحبة الفارغين ظل يلاحقه طول حياته ، وظل معاصروه يتهمون به بتكلف الزهد ويتقولون عليه الأقاويل.

قال محمد بن أمية قال كنت جالسا بين يدي إبراهيم بن المهدي فدخل إليه أبو العتاهية و قد تنسك ولبس الصوف وترك قول الشعر إلا في الزهد فرفعه إبراهيم وسر به ^(٢)

يرى محمد خلف ان وراء زهد ابي العتاهية وتحوله من تيار المجون الي تيار الايمان وتقوى الله عاملين رئيسيين اولهما احساسه الدفين بضعة اصله ونقصه وهذا الاحساس النفسي حمله الي ان ينادي بان التقوي هي العز والكرم فقال:

ألا إنما التقوى هو العز والكرم وحبك للدنيا هو الفقر و العدم
وليس على عبد تقي نقيصة إذا صحح التقوى وإن حاك أو حجم^(٣)
كما قال :

دعني من ذكر أب وجد ونسب يعليك سور المجد
ما الفخر إلا في التقى والزهد وطاعة تعطي جنان الخلد
لا بد من ورد لأهل الورد إما إلى ضحل و إما عد
والعامل الثاني حبه لعتبة الذي صهر مشاعره وكان بلا امل فصار حرمانا جديدا
اضيف الي تنسكه ويرى ان صدمته ان صدمته في حبه لعتابه^(٤) هي نقطة
التحول الحقيقية في حياته ^(٥)

^١ الاغاني ج ٤ ص ٢

^٢ الأغاني ج: ١٢ ص: ١٧١

^٣ المصدر نفسه ٧/٤

^٤ عتبة او عتابه الذي كان يهواها ابو العتاهية ويشبب بها هي جارية لربطة بنت ابي العباس السفاح وكانت تحت المهدي فلما بلغ المهدي اكثاره من وصفها غضب فامر بحبسه ، ثم شفع له يزيد بن منصور الحميري خال المهدي فاطلقه في الاغاني ١١/١٧

^٥ دراسات في الادب الاسلامي لمحمد لف الله م. لجنة الترجمة والتأليف والنشر القاهرة سنة ١٩٦٦م ص ٨٥

شهد ابو العتاهية حركة التصوف الاسلامي في مهدها فقبله بقليل عاش وفي
ايامه عاش ابراهيم بن ادهم وشقيق البلخي ورابعة العدوية^(١) والفضيل بن
عياض^(٢)

وقد كانت له بالفعل آراء فيها تطرف ، ولم يسلم من التهمة بالزندقة ، وكان من
العسير أن تمر الأزمات العقلية في زمانه ولا تمسه بشئ من السوء وقد استطاع
خصومة أن يهجموا عليه العامة ، وان يدعوا انه زنديق ، وان يتهموه بالتهاون
بالجنة وابتذال ذكرها في شهر اذ يقول :

كان عتابة من حسناتها دمية قس فتنت قسها
يا رب لو انسيته بما في جنة الفردوس لم انسها^٣

ولا تهامه بالزندقة اخبار كثيرة ، وذلك يدل علي أن معاصريه لم يتقبلوا زهده
بأحسن القبول ، فقد كان الحواص من احبائه يذكرون اخبار زهده بالسخرية فقد
حدث مخارق أن ابا العتاهية دعاه لزيارته فلما حضر وجد الشواء ، في قلبي

أحمد قال لي ولم يدر ما بي اتحب الغداة عتابة حقاً

كان شعر أبي العتاهية في الزهد في الأغلب سهلاً ليناً وكانت له في ذلك سياسة
يكشف عنها حديث نقله صاحب الأغاني عن كتاب هارون بن علي قال حدثني
علي بن مهدي عن ابن أبي الأبيض قال :

^١ رابعة العدوية هي أم الخير رابعة بنت إسماعيل العدوية البصرية مولاة آل عتيك الصالحة المشهورة كانت من
أعيان عصرها وأخبارها في الصلاح والعبادة مشهورة توفيت سنة خمس وثلاثين ومائة (وفيات الأعيان لابن
خلكان ج ٥ ص ٢٨٩-٢٩٠ .

^٢ ترجمته ص ٢٢٠

^٣ الاغاني ج ٤ ص ٥١

أتيت ابا العتاهية فقلت له : اني رجل أقول الشعر في الزهد ولي فيه أشعار كثيرة وهو مذهب استحسنه لاني أرجو أن لا اثم فيه وسمعت شعرك في هذا المعني فأحببت أن استزيد منه فأحب أن تتشدي من جيد ما قلت فقال : اعلم أن ما قلته ردئ قلت : وكيف قال : لان الشعر ينبغي أن يكون مثل اشعار الفحول المتقدمين او مثل شعر بشار وابن هرمة فان لم يكن كذلك فالصواب لقائله أن تكون الفاظه مما لا تخفي علي جمهور الناس مثل شعري و لا سيما الاشعار ولا الزهد فان الزهد ليس من مذاهب الملوك ولا من مذاهب رواة الشعر ولا طلاب الغريب وهو مذهب اشغف الناس به الزهاد و اصحاب الحديث والفقهاء واصحاب الرياء و العامة واعجب الاشياء اليهم ما فهموه فقلت صدقت ثمن انشدني قصيدته :

لدوا للموت وابنو للخراب	فكلكم يصبر الي تباب
الا يا موت لم ار منك بدأ	اتيت وما تحيف وما تحابي
كأنك قد هجمت علي مشيبي	كما هجم المشيب علي شبابي ^١

و لابي العتاهية في زهدياته مذاهب ، فتارة يدعو الي اليأس من الناس ، كأن ينفر من الثقة بالاصدقاء فيقول :

ليخب امرؤ دون الثقات بنفسه	فما كل موثوق به ناصح الجيب
وتارة يدعو الي القناعة فيقول :	
متي تنقضي حاجات من ليس واصلا	الي حاجة حتي تكون له أخرى
وان امرأ لغير نهاية	لمنغمس في لجة الفاقة الكبرى

وفي هذين البيتين صورة جيدة للشقاء الذي يتتابع وفقاً لتتابع الرغائب زاد هذا المعني ايضاحا حين قال من كلمة ثانية :

ليس علي المرء في قناعته	أن هي صحت أذى ولا نصب
من لم يكن بالكفاف مقتنعاً	لم تكفه الأرض كلها ذهب

وتارة يسلك مسلك التخويف من عواقب الحياة وله في ذلك معان جيدة كقوله في
نقص الأنفس من حيث تكون الزيادة الفتوة :

ونفس الفتى مسرورة بنمائها وللنقص تنمو كل ذات نماء
وقوله يصف يقظه الموت :

لم يشغل الموت عنا مذ اعد لنا وكلنا عنه بالذات مشغول
وفي قوله في الترهيب من الغرور بما يملك الرجال :

يا رب ذي نسب نكفاه	حب الحياة وغره نشبه
قد صار مما كان يملكه	صفرًا ^١ وصار لغيره سلبه ^٢
يا صاحب الدنيا المحب لها	أنت الذي لا ينقضي تعب
أن استهانتها بمن صرعت	ليقدر ما تسمو به ربه
وان استوت للنمل أجنحة	حتى يطير فقد دنا عطية
أنى بليت الدهر اشطره	فرايته لم يصف لي حبه
حلم الفتى مما يزينه	وتمام حلية فضله أدبه

وقد تغلب عليه الحكمة و الرغبة في النصح كأن يدعو الي صيانة الوجه عن
السؤال فيقول :

ما اغتاظ باذل وجهه بسؤاله عيوضا ولو نال الغني بسؤال

^١ يقال : هو صفر اليدين ليس شئ ، مأخوذ من الصفير وهو الصوت الخالي من الحروف.

^٢ السلب : الغنيمة

أو يدعو الي القناعة بالقليل فيقول :

متي تمسي وتصيح مستريحاً وأنت الدهر لا ترضي بحال
وقد يجري فليل آمال مجري كثير المال في سد الحلال
ذا كان القليل يسد فقري ولم أجد الكثير فلا أبالي

ولا بد من الإشارة إلى أن ارجوزته المزدوجة التي سماها (ذات الأمثال) وهذه
الارجوزة من بدائع أبي العتاهية^١ وقد جري ذكرها بحضرة وانشد المنشد قوله :

يا للشباب المرح التصابي وأنت الدهر لا ترضي بحال
لامر ما تصرمت الليالي و أمر ما توليت النجوم
تموت غداً وانت قرير عين من الغفلات في لجج تعوم
تنام ولم تنم عنك المنايا تنبّه للمنبه يا نؤوم
سل الأيام عن أمم تقضت ستخبرك المعالم و الرسوم
ترووم الخلد في دار المنايا وكم قد رام غيرك ما ترووم

روائح الجنة في الشباب

فقال الجاحظ للمنشد : قف ثم قال انظروا الي قوله :

روائح الجنة في الشباب

فان له معني كمعني الطرب الذي لا يقدر علي معرفته إلا القلوب ، وتعجز عن
ترجمته الألسنة ، إلا بعد التطويل وإدامة التفكير ، وخير المعاني ما كان القلب الي
قبوله أسرع من اللسان الي وصفه^٢ .

^١ توليت بالبناء المفعول ، والله هو الذي تولاه بالظهور و الاقوال ، وقد يكون بالبناء للفاعل ليتراوح مع
(تصرمت) في صدر هذا البيت وعندئذ تثبت لام الفعل متحركة بلا اعلال وهذا كان يستجيزه القدماء ، فقد قال
البحثري في سينيته (أضوا) في مكان اضاء ، و البحثري جاء بعدج ابي العتاهية بزمان.

^٢ الاغاني ح ٤ ص ٣٦

وتلك الأرجوزة تجمع بين الحكمة و الزهد ، فهي دستور أبي العتاهية في الأخلاق
ولنكتف منا بهذه الشذرات :

حسبك مما تتبغيه القوت	ما أكثر القوت لمن يموت
الفقر فيما جاوز الكفاف	من اتقى الله رجا وخافا
هي المقادير فلمني او فذر	أن كنت أخطأت فما اخطا القدر
لكل ما يؤذي وان قل الم	ما اطول الليل علي من لم ينم
ما انتفع المرء بمثل عقله	وخير نخر المرء حسن فعله
أن الفساد ضده الصلاح	ورب جد جره المزاج
من جعل المنام عينا هلكا	مبلغك الشر كياغيه لكا
أن الشباب و الفراغ و الجده	مفسدة للمرء أي مفسدة

وهذه الأرجوزة التي يقال أن له فيها اربعة آلاف مثل^١ لا يمكن أن تصدر إلا عن رجل مشغول بالأخلاق وابتداع الحكم والامثال لا بد له من صفاء و الصفاء ليس من حظ النفوس المقتولة بالشواغل الدنيوية فلا مفر من الاعتراف بأن ابا العتاهية استطاع أن يخلص من دنياه بعض الخلاص ، ليفرغ لنظم اشباه هذه الأمثال .
هذا ولا بد من الإشارة الي أن شعور أبي العتاهية بتفاهة الدنيا تمثل له عند الموت ، في صورة جديدة فقد اعلن يأسه من وفاء الاصدقاء ، وزهده في بكاء الباكيات حين اشتهي أن يغنيه مخترق :

سيعرض عن ذكري وتنسي مودتي	ويحدث بعدي للخييل خليل
إذا ما انقضت عني من الدهر مدتي	فان غناء الباكيات قليل ^٢

وقد نظم ابياتا لتوضع علي قبره ، وكذلك فعل أبو نواس و الكتابة علي القبور سنة قديمة عرفها المصريون و الاشورين ولكنها كانت في الاغلب وصايا يراد بها زجر من يطعمون في انتهاب ما في القبور قمن الذهب و الثياب اما أبو العتاهية وأبو

^١ الاغاني ج ٤ ص ٣٧

^٢ الاغاني ج ٤ ص ١٠٩

نواس فكان شعرهما في التحذير من عواقب العيش ، و المشرف علي الموت يحب
اتن يكون افصح الناس في وصف الدنيا بالغدر وسرعة الزوال ، ومن يعيش حتي
يمد يده لمصافحة الموت يعرف هذا الفرض.

الاتجاه الصوفي في شعر الزهد

ولعل أول شعر وصل إلينا يعبر عن اتجاه الصوفية في القرن الثاني، تلك
المقطوعات الروحية العميقة، التي شددت بها رابعة العدوية في أوائل هذا القرن .
كانت رابعة العدوية أول من انشد المقطوعات في الحب الإلهي، والحبيب الذي
تتغني بحبه وتناجيه، هو الله عز وجل، الذي تقبل عليه، وتخلو إليه، لا تفعل ذلك
خوفاً من ناره، ولا طمعاً في جنته، ولكن ابتغاء وجهه الكريم وحده .

ولعل المظالم التي أحاطت بحياة رابعة العدوية، هي التي قادتني إلى التفكير
بمصيرها، وقادها تفكيرها إلى الزهد في كل ما في الدنيا. كانت رابعة مولاة لعنتيك شهد
مولدها وهي طفلة في عام ٩٥هـ الوانا من الصراع المذهبي والسياسي في البصرة
وتأثرت بهذا لفوارق الاجتماعية فاسرتها كانت فقيرة رقيقة الحال عرفت في حياتها
الأولى الكثير من اللهو والمجون ثم أفافت من سكرتها، فظهرت روحها مما شابها
من الإثم واعتزلت الناس، وعكفت علي نفسها عابدة متهجدة ولكن توبة رابعة لم
يشك فيها أحد من الباحثين، وملاءمتها بين الزهد بوصفه نظرية، ومن حيث هو
سلوك عملي طبقت أركانه علي كل مظاهر حياتها ودخائلها، كان تاماً بعد توبتها،
ثم انطوت علي نفسها علها تجد في وحدتها ما يريح نفسها.. وانفتحت ذاتها علي
عالم سعيد استهوتها فيه القيم الروحية فتعبدت ، وظلت تجاهد ليلها ونهارها.
واشهر من هذه الأبيات قولها :

احبك حبين، حب الهوي
فأما الذي هو حب الهوي
وأما الذي أنت أهل له
فلا الحمد في ذا، ولا ذاك لي
وحباً لآنك أهل لذا
فشغلي عن سواكا
فكشفك للحجب حتى أراكا
ولكن لك الحمد في ذا وذاكيا^١

ولها :

كاسي وخمري والنديم: ثلاثة
كاسي المسرة والنعيم يديرها
فإذا نظرت فلا أرى إلا له
يا عاذلي أني احب جماله
وأنا المشوقة في المحبة رابعة
ساقى المدام علي المدى متتابعة
وإذا حضرت فلا أرى إلا معه
تالله ما أدني لعذلك سامعة^٢

في هذه الأبيات تستخدم رابعة العدوية أسلوب الرمز، شأنها في ذلك شأن الكثيرين من شعراء الصوفية. فالكأس التي تتحدث عنها هي كأس المحبة، والخمر التي تريدها ليست خمر الدنيا المحسوسة ولكنها الخمر التي أعدها الله للمتقين في الجنة، وهي ترمز أيضاً إلى الانعطاف والاتحاد والوجد .

وهناك شاعر عنه مقطوعات في الزهد ، وهو رجل صوفي النزعة ولم يقع له شبابه من النزق و الطيش اشباه لما وقع لابي العتاهية وابي نواس ، وان كان عرف طوائف من الصبوات بالحجاز حنيناً هوغاية الغايات في قوة الروح. ولا يمكن القول بان الشريف من اقطاب هذا الفن ، فشعره في الزهد قليل ، ولكنه علي كل حال من شواهد هذا الباب ولننظر هذه القصيدة وهي تصور سخريته من الرغبة في استيقاء المال :

^١ دائرة المعارف الإسلامية - ص ٢٩٧.

^٢ شهيدة العشق الإلهي ص ١٧٣.

يا آمن الاقدار بادر صرفها
خذ من تراثك ما استطعت فإنما
لم يقض حق المال إلا معشر
تحثو علي عيب الغني يد الغني
واعلم بأن الطالبين حثاث
شركاؤك الأيام و السوراث
وجدوا الزمان يعبث فيه فعاثوا
و الفقر عن عيب الفتى بحاث

و الزهد في هذه القصيدة له معنى غير الزهد المعروف ، فهو هنا دعوة الي انفاق المال في الشهوات ودفع العاديات فالشاعر يحب اتلمال ، ولكنه يري استبقاءه من الحمق وهذا الزهد نزعة صوفية و للتصرف وجوه كثيرة منها هذا الوجه ومن الصوفية من يوسع علي نفسه في يومه ويترك الغد للاقدار ولنقيد أن الشهوات في هذه القصيدة لا يراد بها الحسية وانما المراد بها مطالب العيش المترف الذي يجانب التقش ويقبل علي الطيبات.

وهذه اللحاحات من الزهد لا يخلو منها ديوان شاعر إلا في القليل ومن السهل علي القارئ أن يتعقبها ويدرس ما فيها من مختلف النوازع النفسية.

مرحلة تزهد ابي نواسي :-

كما ابداع الشاعر في كافة اغراض الشعر فانه ابداع في الزهد . فانه صور الانفعالات التي تراود الذين اسرفوا على انفسهم في اللذة ثم عاودهم رجاء المغفرة ، لينجو يوم الحساب ، وبقراءة قصائد الشاعر في هذا الشأن تجده ايضا يتعامل مع نفسه بكل صدق وجرأة حيث يقر بانه كان ماجنا فاسقا .

ارد التوبة من الله جل شأنه ويؤكد بانه تجاهل عز وجل وان اليوم يعترف بذلك ويقول في ذلك :

أيا رب وجه في التراب عتيقويا رب حسن في التراب رقيق
ويا رب حزم في التراب ونجده ويا رب رأى في التراب وثيق
وما الحي الا هالك ، وابن هالك وذو نسب في الهالكين عريق
اذا امتحن الدنيا لبيب تكشف له عن عدو في ثياب صديق

ويؤكد الشاعر ايضا زلته وضعفه فيقول :

من انا فى موقف الحساب اذا نودي بالأنبياء والرسل

ذات يوم يحل عن خطري فما لمثلئى هناك من عمل

هنت على الخالق الجليل فما ينظر فى قصتي ولا عملي

وينظر الشاعر الى حياته فاذا ما فرط من كان شيئاً يحسبه حساب :

لهف نفس على ليال وأيام سلكننا بهن لعبا ولهوا

قد أسأنا كل الإساءة يا رب فصفحنا عنا وعفوا

ولقد مهد الشاعر لنفسه قبل ميته بان اخلص التوبة لله ودعا الناس الي

الصبر والله دره حين يقول :

اصبر لمر حوادث الدهر فلتحمدن مغبة الصبر

وامهد لنفسك قبل ميته وأذخر ليوم تفاضل الذخر

فكأن أهلك قد دعوك فلم تسمع وانت محشرج الصدر

وكانهم قد عطروك بما يتزود الهلكى من العطر

وكانهم قد قلبوك على ظهر السرير ، ظلمة القبر

ولعل الشاعر اراد ان يكفر عن تلك الكبائر والاثام التي اقترفها وها هو يلوم نفسه

علي ما فرطت في حياته فقال

ألم ترني أبحت اللهو نفسي وديني واعتكفت على المعاصي

كأنى لا أعود الى معاد و لا أخشي هنالك من قصاص

كم ليلة قد بت ألهو بها لو دام ذاك اللهو للاهي

حرمها الله ، وحللتها فكيف بالعفو من الله

وقد ذهب الشاعر الي اكثر من ذلك عندما يعظ الذين يتمادون في المعاصي

ويتسوفون في التوبة فقال

أفنييت عمرك ، والذنوب تزيد والكاتب المخصي عليك شهيد
 كم قلت لست بعائد فى سوءة ونذرت فيها ثم صرت تعود
 حتى متى لا ترعوى عن لذة وحسابها يوم الحساب شديد
 وكأني بك قد أتنا منية لا شك ان سبيها مورد

وخلاصة القول ان الشاعر ابو نواس منذ نشأته وحتى مماته لم يكن متصافحا مع نفسه فهو دوما يكون شاذا بجانب تميزه عن الآخرين ، وسيتم تحليل تلك السلوكيات من خلال القصائد الواردة فى ديوانه بحيث انه تكشف توجهاته ونظراته لنفسه وللآخرين من حواليه وتشير الى كل الافكار التى يتمتع بها عند صياغة القصيدة وجمهورها المستهدف .

وكما اسلف فى هذا السياق ان خمرياته هى الاكثر وان زهده هو الاقل يعبر هذا الزهد عن نوبات تانبيب الضمير التى بدأت تراوده فى أواخر عمره ، وما يؤكد ذلك الشح فى قصائد الزهد .

هذا من جانب ومن جانب آخر ان الشاعر وبحكم تقدم سنه فان هناك اشياء يتعذر عليه القيام بها كمطارده للغلمان والارتحال من فريق لآخر أو ضيعة لأخرى أو من مدينة لأخرى ، عنى ان القوى الجسمانية قد ترهلت لديه وبالتالي اصبح عاجزا عن ممارسة اهوائه بالشكل السابق فى ريعان شبابه .

كل تلك الاشياء جعلت منه مناجيا ربه الغفران ، وقصائده فى هذا المجال لها نفس قوة قصائده فى كافة الاغراض . مع ذلك يلاحظ ان الشاعر لم يضع قصائد يحزر فيها الشباب من مغبة ارتكاب افعاله السابقة ولم يشر الى تلك الاحاسيس لتى بدأت تراوده وتدفعه لطلب الغفران والرحمة ، كما انه ايضا لم يفسر لماذا ارتكب هذه الافعال وكيف ساهم المجتمع به فى ذلك ... الخ .

سبب موت ابي نواس :-

كان ذنبور الكاتب يهجو ابا نواس ، وكان ابو نواس يهجو فنظم ذنبور على لسان ابي نواس شعرا يهجو فيه على بن ابي طالب ، وأشاعه في الناس ، وهى :-

لله رافضة بليت بهم يتلاحظون بأعين شزر
يهوون ان ارضى ابا حسن لهم وأبرأ من ابي بكر
فلاجمعن على عداوته ولاشهدن عليه بالكفر
ولاشكرن لراحة ضربت تلك المفارق آخر الدهر

قال فوجد بنو نوبخت علة وحجة فى امره ، فقتلوه واستحلوا دمه وكان ان اجتمعوا معه فى مستنزه لابی سليمان بن ابي سهل ، وكان ذنبور الكاتب حاضراً ، فانشد ذنبور الابيات وقد عمل فيهم النبيذ عمله ، فقاموا الى ابي نواس فتناولوه وداسوا بطنه ، فلم يزل يضع امعاءه حتى مات .

وحدث عنه بعض بنى نوبخت فقال (حضرت ابا نواس عند موته ، وقد احتضر ، وبين يديه لوح مكتوب فيه شعر قاله هجاء فى على بن ابي طالب رضى الله عنه ، فابتدأ وجهه يسود ويريد حتى اسود وجهه كله وما فى يومه .

وقيل سبب وفاته ان اسماعيل بن ابي سهل سم ابا نواس لانه كان قد هجاه وذكر امه ورماء بالبخل والرفض ، فلم يقتله السم الا بعد اربعة اشهر

وكان يخدمه فى علة غلام من الازد ، كان يتعلم منه علم الشعر فدخل عليه يوما ، فقال : كيف تجدك . قال أجدنى فى الحق فأنا لله على ما فرطت ، وواسؤتاه مما قدمت ، واني لاذكر ما فرط مني فابكي عليه ، واتمنى انى كنت فى طاعة الله كما كنت فى معصيته ثم بكى ابو نواس وانشد قائلاً^(١)

دب فى السقام سفلاً وعلوا وأرانى اموت عضواً فعضوا^(٢)
ليس تمضى من ساعة بى الا نقصتنى بمرها بى جزوا
ذهبت جدتى بحاجة نفسى فتطلبت طاعة الله نضوا
لهف نفسى على لياالى وايام تجاوزتهن لهب و لهوا

^١ الاغانى لابی الفرج الاصفهانی ج٢ ص ٣٠٥

^٢ الديوان ص ٥٨٠ حققه وضبطه وشرحه احمد عبد المجيد القران

قد أسأنا كل الاساءة فاللهم صفحاً عنا وغفراً وعفوا

وقد مات الشاعر الزعيم وقد اظهر توبة صادقة فرثاه الازدى فقال :-

مات البديع واودت دولة الظعن واستدرج الموت حراشعر فى كفن
لله ما ظفرت ايدى المنون به وما تضمنت الاكفان من حسن
من لم يزل وارثاً للمجد مرتقياً حيث انتهى العز فى ابن ذى يزن
من ذا يزد نزار عند شرتها ام من يدافع عن بحبوحة اليمن

ولحسين بن الضحاك فيه :-

كنا نريشك للزمان يا حسن فخاف سهمى وقرطس الزمن

ليتك اذ لم تكن بقيت لنا لم تبق روح يحوطها بدن

قال ابو محمّد ..(١)(أكثر الناس فى ابى نواس ومجونه واقدامه ، فصار اليّ يوما

فقال يا ابا محمّد . اسمع منى ما قلت فى ليلتى . قلت هات فأنشدنى :-

يا نفس خافى الله واقتصدى وارعى حفاظك رعى متند

من كان جمع المال همته لم يخل من غم ومن نكد

يا طالب الدنيا ليجمعها جمحت بك الامال فاقتصد

واراك تركب ظهر مطمعة تهوى بها بلدا الى بلد

من لم يكن لله مدهماً لم يمس محتاجاً الى احد

ولرب ساع فات مطلبه لم يوت من حرص ولا جلد

ومشمر فى الرزق خطوته ظفرت يداه بمرتع رغد

وارى صروف الدهر تفتننا لتحول بين الروح و الجسد

واذا المنية اهت احداً لم تنصرف عنه ولم تجد

لو ان دون الموت واقية لفديتها بالمال و الولد

منتك نفسك ان تتوب غداً اوما تخاف الموت دون غد

يا نفس موعدك الصراط غدا فتأهبى من قبل ان تردى

^١ ابو محمّد : توفى سنة ٢٤٥م - ٨٥٩م وهو محمد بن هشام بن عوف التميمي ثم السعدى ، ابو محمّد الشيباني . احفظ أهل زمانه للشعر ووقائع العرب أعرابى ولد فى الاهواز ورحل الى مكة والبصرة والكوفة واقام فى بادية

ما حجتى يوم الحساب اذا شهدت على بما جنيت يدى

لذلك فان الذى يتأمل مثل هذه الابيات يجد صورة حية ناطقة ومعبرة عن امان راسخ وعميق فى نفس هذا الماجن وبالتالى فان شعره هذا يعبر عن ، شخص مؤمن بالله ، ويخشى يوم الحساب الذى لا محالة قادم ...
قال حميد بن سعيد (رأيت ابا نواس قبل موته باسبوع، وقد أظهر زهداً ونسكا، فقلت له يا ابا على ما هذا ، فقال: فكرت فقلت الموت قريب ، قال فما بقى بعدها الا اسبوعا ومات.

قال غانم الوراق (دخلت على ابي نواس ، قبل وفاته بيوم أو يومين ، فقال يا غانم الواحك معك . قلت : نعم . قال : أكتب ، ثم انشدنى :-

شعر حى اتاك من لفظ ميت صار بين الحياة والموت واقفا (١)
قد برت جسمه الحوادث حتى كاد عن اعين الخلائق يخفى (٢)
لو تأملتني لتبصر وجهي لم تبين من كتاب وجهي حرفا (٣)
ولكررت طرف عينك فيمن قد يراه السقام حتى تعفى

ثم حول وجهه عنى ، فاحببت ان يزيدنى ، وصبرت ليرد وجهه ، فلم يفعل ، فقممت ناهفاً ، فلم يلتفت الى ، فدرت اليه ، فاذا جبينه قد عرق وعيناه تدمعان ، فدعوت الله عز وجل له بالعافية ، ثم خرجت فما رأيته حتى مات ..

حدث بعض بنى نوبخت فقال (شنع الناس علينا قتل ابي نواس . لانه هجا آلنا وذلك باطل، ولكن تحدثوا ان ابا نواس مازح على بن ابي هل ولم يكن يجرى فى الحلم مجرى اخويه عبد الله بن سليمان والعباس فمازحه ابو نواس فقال :-

ابو الحُشَيْن كنيته بحقّ فإن صحّفت قلت ابو الحسين (٤)

^١ رواية الديوان ص ٥٨

شعر ميت اتاك من لفظ ميت صار بين الحياة والموت واقفا

^٢ رواية الديوان (انحلت) جسمه الحوادث

^٣ رواية الديوان لو تأملتني (لتبينت)

^٤ الحُش : المخرج

فوثب عليه ، فهرب ابو نواس بين يديه ، فدخل دار هارون بن ابي سهل ،
فلحقه على فصرعه وبرك عليه فاستغاث بهارون . خذني من تحته والا قتلني ،
فخلصه ، ولم يبلغ به ذلك الى ما يتشكاه فضلا عن التلف ..

واعتل بد ذلك بمدة علتة التي مات فيها . فعاده بنو نوبخت وقالوا له اوصنا
. فقال اوصيكم الا تشربوا الخمر على الريق فانها هي التي قتلتني ...

فتوفى بعد ثلاثة ايام بعد علتة ، فبعثوا اليه باكفان كل واحد من ولد ابي
سهل .. وتشاحوا في ذلك ، ثم اتفقوا على ان كفن في جميعها ...

ودفن ابو نواس في التل المعروف بتل اليهود على شاطئ نهر عيسى (١) في
مقبرة الشونيزية (٢) .

قال :- ومات في رواية اخرى في بيت خمارة كن يألها واوصى الى زكريا
القشاري ...

فبينما زكريا ذات يوم ، بعد موت ابي نواس بمدة ، اذا هو بشيخ خاضب
بحميرة ، ومعه عجوز ، فسأل عنه ولم يعرفه . قال فقلت له ، انا هو ، فما تريد ؟
قال بلغني ان ابا نواس اوصى اليك قلت نعم . فمن انت . قال انا راب (٣) ابو
نواس وهذه امه جبان فاخذت بيده وادخلته دار بنى نوبخت ، وصحت : هذا زوج ام
ابي نواس ، وهذه امه فاجتمعوا يسألونه .. وتأسفوا الا يكونوا عرفوا ذلك قبل موته ،
فيعيبوه به ويهجوه بها . و كان ما سلمته لوالدة ابي نواس من تركته ما قيمته اقل من
مائتي درهم ، اضافة الى قطمر (٤) وهو محفظة تصان فيها الكتب فيه فاتر
واصابير ، وجزازات قراطيس فيها نسخ اشعار وغريب الفاظ .. ونرد وشطرنج ،
وعود وطنبور ، ولم اكن مع ذلك احفظ منه لكل شئ يخوض فيه الناس ، ولا اوسع
علما ، مع عدم كتبه ، وما كان يعتمد الاله على ما كان في صدره ...

ويمضي القشاري الذي اوصى له ابو نواس ليقول :

^١ نهر عيسى بن علي بن عبدالله بن العباس ، وهي كوره وقرى كثيرة وعمل واسع في غربى بغداد يعرف بهذا

الاسم راجع معجم البلدان ج ٥ ص ٣٢١

^٢ الشونيزية : مقبرة ببغداد بالجانب الغربى دفن فيها جماعة كثيرة من الصالحين

^٣ الرأب : زوج الام

^٤ اخبار أبي نواس : الاغانى ج ٢٥ ، ص ٣١٠

دخلت على ابي نواس فى علته التى مات فيها . فقال لى : كنت اكرهك وابغضك اذا لقيتك . ولا اعلم السبب فى ذلك فلما اعتللت اوصيت اليك فعلت ان وصيتى هى السبب فى كراحتى لك (١) .

وجاء ان ابا نواس فيما قاله محمد بن منصور الصيرفى (٢) الذى مات ابو نواس فى منزله وهو الذى قال فيه :

وذاك محمد تفديه نفسى وحق له وقل له الفداء

قال نزل على ابو نواس قبل موته بخمسة ايام ، أو ستة فى الغرفة التى مات فيها وبين يدي كانون فيه فحم فامر بزيادة الفحم ، فلما اشتعل وقويت ناره ، اخرج كتباً كانت فى احد كميته ، فوضعها على النار ، فلما احترقت ، اخرج من كميته الاخر كتباً اخرى ، فاحرقها ايضا ، فسألته عن ذلك فقال هذه اشعار كنت اضن بها على ان يسمعها الناس وكرهت ان تبقى بعدى ، فينتحلوها ، احرقتها

قال يعقوب بن اسماعيل بن صبيح(كنا عند اسود بن سالم ، فقال رجل : مات ابو نواس الزنديق الكافر فقال : لا لا تقل هكذا ليس هو القائل :

يا كبير الذنب عفو الله من ذنبك اكبر

قال زكريا القشارى ، عن اواخر ايام وعن وصية ابي نواس الاخيرة (قال قلت : لابي نواس فى علته ويحك ، ما ارى فى يدك مصحفاً . فقال لى : النور والظلمة لا يجتمعان (٣). اما عن صورة الوصية التى اوصى بها ابو نواس فهى (بسم الله الرحمن الرحيم ، هذا ما اوصى به المسرف على نفسه ، المفتر بأمله المعترف بذنوبه ، الحسن بن هانى ، اوصى : وهو يشهد ان لا اله الا الله وحده لا شريك له ولا ند ولا مثل ، وكل معبود سواه فهو باطل ، وان محمد بن عبد الله بن هب المطلب الهاشمى ، عبده ورسوله الى عبادته وخيرته من خلقه ، وان ما جاء به حق كله ، على ذلك حيي وعيه يموت ، وانه لا يرجو الخلاص من عذاب الله الا

^١ اخبار ابي نواس : الاغانى ج ٢٥ ص ٣١٠

^٢ نفس المصدر

^٣ الاغانى ج ٢٥ ص ٣١٠

بشفاعة نبيه محمد (ص) وبالإعتراف بذنبه ، والثقة بعفو ربه واوصى بكذا وكذا
...)

والذى يتأمل هذه العبارات الوجزة يجد ان نفس هذا الشاعر عامرة بالايमान
تؤمن بان الله هو الذى اليه المشتكى وعليه التكلان ، ونلاحظ انه موحد مؤمناً لا
غبار على ايمانه ، فهذه قيمة نبيلة نتوقف عليها فى الباب الثانى. الاغراض الشعرية

قال الجاحظ (١) (لما مات ابو نواس حضرت لاشترى كتابا من كتبه
الينا قماطر ، ما فيها الا لغات العرب ، وما فيها شعر شاعر البتة .

قال محمد بن نافع البصرى : كان بينى وبين ابى نواس مودة فاعتل ، فلما
كان فى الليلة التى توفى فيها رأيت فى منامى كانه توفى ، وكاننى امرت بقراءة
شعر كتب عند وفاته ، وبشرت بانه قد غفر له ، فانتهيت مرعوبا .. وصرت الى
منزله ، فوجدته قد دفن ، فطلبت ما كتب ، فرايت ورقة فى وسادته فاذا فيها :

يا رب ان عظمت ذنوبى كثرة فلقد علمت بان عفوك اعظم

ان كان لا يرجو عفوك الا محسن فيمن يلوذ ويدعو المجرم (٢)

ادعوك رب كما امرت تضرعاً فاذا رددت يدى فمن ذا يرحم

مالى اليك وسيلة الا الرجا وجميل ظنى ثم انى مسلم (٣)

فاخذت الرقعة وعرفت اهله ما رأيت وبشرتهم به ، وبلغ ذلك ابو العتاهية
فاستحسن شعره هذا وزاد فيه ابياتا

قال الكرخى : دخلت على ابى نواس فى علة موته ، فقلت له ، ما اشد ما
بك من الالم ؟ . فقال .الم الذنوب ، فرجوت الله تعالى له عند ذلك ...

قال محمد بن عبد الواحد :

^١ هو ابى عثمان عمرو بن بحر بن محبوب المتوفى سنة ٢٥٥م-٨٦٨هـ الجاحظ صاحب الرسائل البديعة
والتصانيف الممتعة وهو اشهر من ان يذكر نشأ بالبصرة وكان ينتجع بغداد اواخر عصر المامون وفي عهد
المعتصم والواثق وبعض عصر المتوكل وكان مختصا بابن الزيات . ترجمته فى الفهرست لابن النديم ١٦٩

^٢ رواية الديوان ص ٦١٨ ... فيمن يلوذ ويستجير المذنوب

^٣ رواية الديوان .. وجميل عفوك

كان الحسن بن هانئ نازلاً على ، فحضره الموت وكان له خاتمان ، احدهما حديد صيني مربع ، مكتوب عليه الحسن بن هانئ يشهد ان لا اله الا الله مخلصاً ، وعلى الاخر وهو عقيق احمد مربع :

تعاظمني ذنبي فلما قرنته بعفوك ربي كان عفوك اعظما

فقال لي اذا انا مت فاقلع الفض الحديد واغسله مرارا ، فاذا كفنت فصيره في فمي ، واخلني وربي عز وجل قال . وسأل عمي ان يلبس الفص العقيق ليذكره به ففعل ، فلم يزل في يده حتى مات عمي

قال محمد بن عمر :-

رأيت ابا نواس في المنام فقلت له ما فعل الله بك ، فقال : غفر الله لي فادخلني الجنة . قلت بماذا ؟ وقد كنت تشرب الخمر ، وتقول الشعر . قال غفر لي بابيات كنت كثيراً ما اتمثل بها واقولها وهي في وسادتي قال فاتيت منزله ، فاخبرتهم بما رايت في منامي ، فاتوني بوسادته غاستخرجت الرقعة منها ، فاذا فيها مكتوب

اني رضيت ابا حفص و صاحبه كما رضيت عتيقا صاحب الغار

وقد رضيت عليا قدوة علما وما رضيت بقتل الشيخ في الدار

كل الصحابة ساداتي ومعتدي فهل على بهذا القول من عار

ان كنت تعلم اني لا احبهم الا لوجهك فاعتقني من النار

وكذلك قال القصافي

رايت ابا نواس في النوم فقلت : ما فعل الله بك ، قال ابو نواس . غفر لي .

قلت باي شيء قال : بحسن ظني .

وقال الحسين الخليع :

كان بيني وبين ابي نواس صحبة ومودة ، لم تكن بين اثنين قط . فلما مات اشتد جزعي عليه ، فبينما انا لليلة من الليالي مفكر فيه . متحسر عليه . اذ غلبني النوم ، فنمت فرأيت في منامي كاني قد دخلت الى قصر لم ار مثله حسنا ، واذا ايوان في صدره سرير ، وابو نواس فوق ذلك السرير ، وعلى راسه تاج ، فلما رآني مقبلا قال لي : حسين . قلت لبيك ، ثم قلت ، ما بلغ بك هذا المبلغ . قال ان الله عز وجل تجاوز لي عن مجونى بالتوحيد . ثم قال لي : قد علمت ما كان بيني وبين

اسماعيل بن نوبخت من الصحبة و المودة ، و انه قد احتقر الى جانب قبرى بئرا
وضع فيه سقاية . وهو يكثر البكاء ، واحب ان تبلغه هذه الابيات . وانشدنى :

سكبت على دمك بعد موتى فهلا كان ذا اذ كنت حيا
اتبكى بعد قتلك لى عليا ومن قبل الممات تسى اليا
فيامن بزنى عقلى وروحى و عاندنى و ما ابقى عليا
تخاف عن البكاء ولا تزده فانى ما اراك صنعت شيئا

هكذا كف البلبل المغرد شدوه وسقطت قيثاره الشعر عن يده وانبرى الشعراء

فى رثائه :

هذا وقد كان اخر شعر قاله :

ايا رب قد احسنت عودا وبداة الى فلم ينهض لاحسانك الشكر (١)
فمن كان ذا عذر مدلا بعذره فعذرى اقر بان ليس لى عذر (٢)

لما حضر ابا نواس الوفاة .. قيل له : قل لا اله الا الله . فقال آه ، آه ، آه

ثم انشد

لهف نفسى على الزمان وفى اى أوان دهنتى الأزمان
حين ولى الشتاء واستقبل الصيف وطاب الشراب والريحان

ثم اغمى عليه وافاق ، فقيل له : قل لا اله الا الله فقال

يا نواس توقر وتعزى وتصبر
ان يكن ساءك دهر فلما سرك اكثر (٣)
يا كبير الذنب عفو الله من ذنبك اكبر
اكبر الاشياء فى اصغر عفو الله أصغر (٤)
ليس للانسان الا ما قضى الله وقدر
ليس للمخلوق تدبير بل الله المدبر

^١ الديوان (فيارب) ص ٥٧٩

^٢ الديوان فمن كان ذا عذر لديك وحجة.....

^٣ رواية الديوان ساءك الدهر وبما سرك اكثر

^٤ رواية الديوان اكبر الاشياء فى اصغر عفو الله اصغر

وكان عمره حوالي تسعة وخمسين سنة
وكانت وفاته قبل دخول المامون مدينة السلام ^(١) بست سنوات .
مما تقدم يتضح جليا ان ابا نواس كان صادقا في زهده عن الدنيا بعد تلك الحياة
العابثة اللاهية التي كان يعاقر فيها الخمر ويصاحب الغلمان ويتصدر مجالس
المجون شأنه في ذلك شان الكثيرين من الشعراء الذين تابوا بعد حياتهم الماجنة
وحالوا ان يعكسوا حياة صادقة لحياة الزهاد والنساك ، لذلك جاءت اشعاره في هذا
المنحي صادقة تعكس صورة الزهاد في المجتمع العباسي الاول

^١ مدينة السلام : بغداد

الفصل الرابع

الدراسة الفنية في شعر ابي نواس

المبحث الاول

بناء القصيدة والمقطوعة

اختلف النقاد فى عدد الابيات التى تتألف منها القصيدة أو المقطوعة ، بينما اهتم الشعراء والنقاد بهذا الامر كما اهتموا بالمطولات لانها تعنى عندهم مقياس الجودة والموهبة ، ولهذا فقد ذهب ابن رشيق الى ان اشتقاق كلمة القصيدة من :- قصدت الى الشئ ، كأن الشاعر قصد الى عملها على تلك الهيئة (١) .

اما عدد الابيات التى تستحق ان تحمل اسم قصيدة (فقل انها بلغت سبعة فهى قصيدة ، ولهذا كان الابطاء بعد سبعة ابيات غير معيب عند احد من الناس ... ومن الناس من لا يعد القصيدة الا اذا ما بلغ العشرة أو جاوزها ونسبوا بيت واحد (٢) . وللنقاد آراء كثيرة حول اهتمام الجاهلين بعدد الابيات واعتمادهم عليها فى البناء الفني (٣) .

هذا وقد ظلت تلك القوانين معمولاً بها حتى فى العصور التالية للعصر الجاهلى برغم ما ظهرت من محاولات التجديد التى لم يكتب لها ان ترى النور الا فى العصر الحديث .

والماتمل للقصيدة عند ابي نواس فنجده قد نظم فى المطولات والمقطوعات على حد سواء ، لذلك نجده قد نظم بعض القصائد التى لا تتجاوز البيتين أو الثلاث ، هذا النظم يدل دلالة واضحة على موهبته الشعرية واستعداده الفطرى ، ولذلك فان هذا الشاعر هو مطبوع على القول ،

لذلك فقد كان الشاعر ، يقول شعراً جذلاً فى كل ما يقع امامه ، أو قل ما يجول بخاطره ، أو عندما يطلب منه ذلك ، صور ابي نواس الجانب الانسانى ادق تصوير وابرعه ، ومن هنا تعشقت النفوس ، وتعلقت به القلوب ، لماذا ؟ لانها وجدت فيه

^١ العمدة فى محاسن الشعر وآدابه ونقده ، لابی على الحسن بن رشيق القيروانى ج ١ ، ص ١٨٢ ، وما بعده - طبعة دار الجيل بيروت ، لبنان سنة ١٩٨١م

^٢ المصدر السابق ص ١٨٨-١٨٩

^٣ كتاب الحيوان ، لابی عثمان عمرو بن بحر الجاحظ ، ج ٢ ص ٤٣٣ ، وما بعده ، طبعة دار مصعب / بيروت / لبنان سنة ١٩٧٨هـ

ريها وغذاءها ، حتى ان هذه النفوس المشرتبة لسماع شعره اضافت من عندها شيئاً
لابى نواس ، كل هذا لتكتمل صورته التى تتخيلها له فى اعماقها ، ونسجت حوله
الطرائف والملح ، وصنعت له الحوادث والاخبار ، ورسمت له ذلك كله فى اطار
جميل خلاب من اخيلتها ورغائبها ، ولم يحدث ان رزق شاعر قبل الحسن أو بعده
مثل هذه الخطوة عبر القرون والاجيال ، مما جعل اسمه يتردد على السنة العامة
والخاصة فى كل زمان ومكان حتى هذه الايام ، ومن جميل شعره ما قاله فى بحر
البسيط (١) .

العبد عبدك حق وابن عديكا فكيف يعصيك عبد طوع كفيكا
ان قال لبيك لم تقنع بواحدة حتى يضيف الى لبيك سعديك
يا شاغلى بهواه مذ بلت به اسخت عيني ، اقر الله عينيك

ومن ثم فان طبيعة الشاعر ، وطبيعة العصر العباسى الذى انفتحت فيه آفاق
الحضارة والمدنية ، والحياة المادية مهدت للشاعر ان ينغمس بكلياته فى هذه الحياة
، اضافة الى اغراقه فى الملذات جعلته ينظم المقطوعات القصيرة ، واتفق كل ذلك
استجابة لدواعى عصره الذى كان رائدا من رواده القلائل ...

وكان للنقاد اثر كبير فى محاكاة عمود الشعر العربى القديم ، فابن قتيبة مثلاً يدعو
الشاعر (الا يخرج عن مذهب المتقدمين ، فيقف عند منزل أو يبكى عند مشيد
البنيان ، لان المتقدمين وقفوا عند المنزل الدائر والرسم العافى ، أو يرحل على حمار
أو بغل ، لان المتقدمين رحلوا على الناقة والبعير) (٢) .

وقد نال بناء القصيدة العربية اهتماما كبيرا وذلك من خلال حديثهم عن الابتداء
وحسن التخلص والخاتمة ، مراعين فى ذلك بعض الاسس والنظريات الادبية التى
يتبعها الشاعر عند ابتدائه وتخلصة خاتمته ..

^١ ديوان الحسن بن هانى حقه وضبطه وشرحه احمد عبد المجيد الغزالي ، دار الكتاب العربى بيروت / لبنان
ص ٣٨٣

^٢ الشعر والشعراء ، ابو محمد عبد الله بن مسلم (ابن قتيبة) تحقيق احمد محمد شاكر ط/دار النشر بمصر
١٩٦٦م ج ١/٧٦

تقيد ابو نواس بهذه الاسس لذلك فقد نظم فى أغلب الاغراض الشعرية وان انفق أغلب نظمه فى التعبير عن لهوه ومجونه مما جعله يكتفى احيانا بالمقاطع والنسق ، والا لرجع مباشرة الى التكرار لانه يعيش فى حياة تتكرر فيها الاحداث ، والوقائع وذلك لان اغلب اوقاته يقضيها فيما بين الساقية ، وكأس الخمر وذنبا ، كل ذلك جعل تجاربه الفنية متكررة متشابهة .

ونضيف الى ما سبق الوحدة العضوية للقصيدة ، وهم بذلك يحددون الطريقة والسبيل الذى ينبقى ان يتبع فى بناء القصيدة ، لذلك علينا ان نقف امام هذه القضايا وذلك من خلال تقسيمها الى :-

١/ الابتداء أو الاستهلال (مطلع القصيدة) :-

المطلع هو المدخل الى النص ، لذلك لا بد ان يكون هذا المطلع ذا صلة بموضوع القصيدة ، وقد عنى النقاد العرب بمطلع القصيدة عناية بالغة ، يقول ابن رشيق فى كتابه العمدة (حسن الافتتاح داعية الانشراح ، ومطية النجاح ، ولطافة الخروج الى المديح لسببه ارتياح الممدوح ، وخاتمة الكلام ابقى فى السمع ، والصق بالنفس ، لقرب العهد بها) (١) .

ولذلك فان المطلع ركن مهم من اركان البناء الفنى للقصيدة ، وهو الذى يجذب السامعين الى الاستماع والاستمتاع بالنص ، ومن هنا نجد ان الجاهليين قد اهتموا بالابتداء بالغزل وحيانا بالخمير وذلك لاستمالة الاستماع .

كذلك اتفق النقاد على انه (ينبقى للشاعر ان يجتري فى اشعاره ، ومفتتح اقواله حتى لا يكون مما يتطير منه ، ويستجفى من الكلام والمخاطبة والبكاء ، ووصف اقفار الديار ، وتشئت الآلاف ، ونعى الشباب ، وذم الزمان ، لاسيما فى القصائد التى تتضمن المدائح والتنهاني .

وتستعمل هذه المعاني فى المراثي ، ووصف الخطوب الحادثة فى الكلام اذا كان مؤسسا على هذا المثال تطير منه سامعه) (٢) .

^١ العمدة فى محاسن الشعر ونقده / لابی رشيق القيروانى ج ١ ص ٢١٧

^٢ الصنائع : ابو هلال العسكري ، تحقيق على محمد البجاوي ومحمد ابو الفضل ابراهيم . الناشر ، عيسى

ومن المطالع المستحسنة فى الشعر العربي قول امرؤ القيس :-

قفا نبك عن ذكرى حبيب ومنزل بسقط اللوى بين الدخول فحومل (١)

هذا الابتداء هو عندهم أفضل ابتداء ، لانه وقف واستوقف ، وبكى واستبكى ، وذكر الحبيب والمنزل فى مصراع واحد، ومن المطالع القبيحة قول الاعشى (٢) حيث ذكر الموت فى مطلع القصيدة ، وهذا ما نفر منه النقاد :

ما بكاء الكبير بالاطلال وسؤالي فهل ترد سؤالي

وبالنظر الى شعر ابى نواس فى ديوانه نجد انه قدم فى كثير من قصائده ، ومقدماته توزعت بين اللون شتى من غزل وخمر وهذا هو الغالب فى ديوانه وبقية الاغراض هى القليل منه .

(أ) المقدمات الخمرية :-

ليس من شك عندنا وعند غيرنا من ان الخمر هو عالم ابى نواس الحقيقي وكثيرا ما يبتدئ النواسى قصائده بذكر الخمر والصبوح ، ولا غرو فى ذلك ، فابو نواس هو الى دعا الى هجر المقدمات الطللية التى كانت شائعة عند الشعراء منذ العصر الجاهلي ، حيث توجه الى كل شعراء عصره بان يستهلوا قصائدهم بذكرها وذلك لانها هى السمة الاولى للغة الخمرىات ، اضافة الى ولعه الشديد بان يعيش لها ..

يقول ابو نواس فى قصيدته صديقة الروح (٣) التى هى من بحر الكامل اذ يقول :

صفة الطلول بلاغة القدم فاجعل صفاتك لابنة الكرم

تصف الطلول على السماع بها افدوا العيان كانت فى العلم

و اذا وصفت الشئ متبعا لم تخل من خطأ ومن وهم

^١ ديوان امرؤ القيس ص ٧

^٢ ديوان الاعشى ، دار صادر ، بيروت ، بدون تاريخ ص ١٦٣

^٣ ديوان ابى نواس ص ٥٧

ويقول فى ذات السياق فى قصيدة اخرى بعنوان (بنت عشر) (^١) من بحر مجزوء الرمل :-

دع لباكيها الديارا وائق بالخمير الخمارا
واشربنها من كميت تدع الليل نهارا (^٢)

يقول فى هذه القصيدة :

هيا بنا نشرب خمرة مضيئة لصفائها حتى تحول ظلام الليل نهارا مشرقا ، وسميت
الخمرة بالكميت لما فيها من سواد وحمرة .
ونجده يصدق فى قصيدة اخرى متمردا على تلك المقدمات الطللية ليعلن انه زعيم
للتجديد فى عصره قاطبة .

حيث يقول فى قصيدته بعنوان (نشوتان) (^٣) من بحر البسيط :

لا تبك ليلي و لا تطرب الى هند وأشرب على الورد من حمراء كالورد
كأسا اذا انحدرت فى حلق شاربها أجدته حمرتها فى العين الخد (^٤)
فالخمير ياقوتة و الكأس لؤلؤة من كف جارية ممشوقة القد

تسقيك من عينها خمرا ومن يدها خمرا فما لك من سكرين من بد (^٥)

لى نشوتان و للندمان واحدة شئ خصصت به من بينهم وحدي (^٦)

فى هذه القصيدة الجزلة نجده يدعو شعراء التقليد الى التخلّى عن الوقوف على
الاطلال والبكاء على رحيل الاحبة ، يدعوهم مباشرة الى الانصراف الى شرب الخمر
ويتخذ من اسمي ليلي وهند رمزا للمرأة العربية البدوية التى كان الشعراء يذكرونها فى
مطالع قصائدهم ثم يقول : ان تلك الجارية تسكرني بلحظاتها ، وبالخمير التى تقدمها
الى ، فانا فى نشوتين حتميتين متلازمتين ، وهنا نلاحظ ان الشاعر قد ابدع ايما

^١ المصدر نفسه ص ٦٥

^٢ الكميت : الخمر لما فيها من سواد وحمرة

^٣ الديوان ص ٢٧

^٤ أجدته : وفى رواية اخرى أخذته اى اعطته

^٥ طرفها : عينها (تسقيك من يدها خمرا ومن فمها خمرا

^٦ نشوتان : سكرتان ، الندمان ، مفردا النديم المنادم على الشرب

إبداع فى تصويره لهذه المعاني مجتمعة ، وبالتالى فان هذا التصوير يؤكد لنا انه تتقف ثقافة عربية واسعة استمدتها من حياته فى البداية فى باكورة صباه .
 اضافة الى تلك المعاني التى نستمدتها من هذه القصيدة الا انها تعتمد على حيوية الحركة والايقاع اللذين يتفقان معا فى تلازم وتلائم ، والذى نعنى به هذه الاشاعات الضوئية السريعة التى تتلاحق متوهجة ، معبرة عن انفعالات الشاعر وهو فى اعلى درجات نشوته وانسجامه مع تمكنه وسيطرته على عناصر اللغة من صور ، والفاظ ، وقواف .

كذلك فقد جمعت فى هذه القصيدة خصائص وقدرات فنية ، تظهر ربما بشكل ظاهر فى عنصري الصوت والصورة .
 ثم لنلقي اليه نظرة عابرة لنرى كيف فاضل بين البكاء على ليلي وهند وشرب الخمر الحمراء كالورد فى صحية الورد .

هذه هى سمة من اهم سمات البناء الجديد للقصيدة العربية خاصة فى المطلع .
 ثم لنأخذ مثالا آخر لبعض قصائده هى بعنوان (لا تسقني خمر) التى هى من بحر الطويل (١) :-

الا فاسقني خمرًا وقل لى هى الخمر ولا تسقني سرا اذا أمكن الجهر^(٢)
 فما الغبن الا ان تراني صاحيا وما الغنم الا ان يتعتني السكر^(٣)
 فبح باسم من تهوي ودعني من الكني فلا خير فى الذات من دونها ستر^(٤)
 هذه اللغة التى عمد اليها الشاعر وهى لغة الخمرىات عند ابى نواس هى لغة جديدة وجريئة ، جريئة لانها لم تتساهل فى اظهار خصوصيتها ، بل اعلنت عن نفسها فى غير موارد ، لتظهر نفسها عارية بلا خجل ، وهى كذلك تؤكد ان لقاء بين شكل معنى ، شكل ينهض لانه شكل يرمز الى حياة شاعر وشعر فى وقت واحد معا وفى علاقة عضوية وطيدة وحية ، علما بانها لم تكن متحققة قبل ابى نواس بشكلها

^١ ديوان الشاعر ص ٢٨

^٢ يريد من قوله : وقل لى الخمر استمتاع حواسه كلها بلذة الخمر ، فيده تلمس وفمه يذوق ، وعينه ترى ، ولم يبق الا الاذن ، فتريد اسم عليها لذة يطالب بها

^٣ يتعتني : يحركني

^٤ الكني : هنا بمعنى التلميح الى الشئ دون الاعلان عنه والتصریح به

لعضوي الحي على النحو الذى ظهرت به فى خمريات هذا العصر الذى صورته فى حسن الصور لمجتمع عاش حياة مخصوصة بكل معانى هذه الكلمة . وما اظن ان الشاعر سلك هذا المسلك وذهب هذا المذهب ، ولا أراه أراد الا الخلاعة والعبث الذى بنى عليه القصيدة ، ودليل ذلك انه قال فى تمام البيت (ولا تسقني سرا اذا امكن الجهر) .

نعم ذهب الشاعر الى المجاهرة ، وقلة المبالاة بالناس والمدارة فى شرب الخمر بعينها التى لا اختلاف بين المسلمين فيها وذلك لقوله تعالى (١)

(يا أيها الذين آمنوا انما الخمر والميسر والأنصاب والأزلام رجس من عمل الشيطان فاجتنبوه لعلكم تفلحون (٩٠) انما يريد الشيطان ان يوقع بينكم العداوة والبغضاء فى الخمر والميسر ويصدكم عن ذكر الله وعن الصلاة فهل انتم منتهون (٩١)) .

فالشاعر لم يكن يبدأ بالخمر اعتباطا ، فهو الى جانب هذا الحب وقوة الارتباط نجده يتخذ هذه المقدمات مدخلا ليستخلص بعده الى الخوض فى بعض المعاني المرتبطة بالوصف ، والغزل وغيرها من الاغراض الشعرية المختلفة .

ثم نراه فى هذه القصيدة كيف يتخلص بعد تلك المقدمة الجريئة والجيدة الى الحديث عن بعض مغامراته بمن يهوى غير قادر على كبح جماح لذاته حتى بالقياس الى الساقى التى تقدمه صاحبة الحانة اليه ، يقول النواسى فى نفس القصيدة (٢) :

فبح باسم من تهوى ودعني عن الكنى فلا خير فى اللذات من دونها ستر
وخمارة نبهته ا بعد هجعة وقد غابت الجوزاء وارتفع النسر(٣)

فقال من الطارق ؟ قلنا عصابة خفاف الاداوي تبتقي لهم خمر(٤)

ويستطرد فى وصف احداث تلك الليلة الماجنة مع من يهوى ويحب ، حتى نراه يصف ندمان بانهم اصحاب فتك ومجون ، وانهم متألقوا الجبين كالنجوم الساطعة .

^١ سورة المائدة الآيات ٩٠، ٩١

^٢ ديوان الشاعر ص ٢٨

^٣ الجوزاء : نجم بعيد يمتحن الناس بها ابصارهم

^٤ الطارق : الطارقون ليلا ، الاداوي : اوعية الخمر

والجدير بالذكر ان المقدمة الخمرية تستغرق الشاعر ايما استغراق حتى لا يستطيع ان يتخلص منها فينساق في الحديث عن الخمر ، وكيف نجد اللذة في شربها وفي وصفها ، ونعتها مثلما يجدها في شراها وتذوقها ، ومن امثلتها قوله في قصيدته (اكرام الصهباء) وهى من البحر الطويل (١) :-

الا دارها بالماء حتى تلينها فلن تكرم الصهباء حتى تهينها (٢)
أغالى بها حتى اذا ملكتها اهنت لأكرام النديم مصونها (٣)
وصفراء قبل المزج بيضاء بعده كأن شعاع الشمس يلقاك دونها
ترى العين تستعفيك من لمعانها وتجسر حتى ما تقل جفونها
تزوغ بنفس المرء عما يسوءه وزرق سنانير تدير عيونها
وشمطاء حل الدهر عنها بنجوة دلفت اليها فاستللت جنيها

ولم يكن النواسى يبتدأ بالخمر اعتباطا ، فهو الى جانب حبه للخمر ، وقوة ارتباطه به نجده يتخذ هذه المقدمات مدخلا يتخلص بعده الى الخوض فى بعض المعاني المرتبطة بالوصف ، والغزل ، وغيرها من الاغراض المتعلقة باللهو ، والمجون والدعارة والتهتك .

ومن ذلك مقدمته التى يقول (٤) فيها :-

الا فاسقني خمرا وقل لى هى الخمر ولا تسقني سرا اذا امكن الجهر
فما الغبن الا ان تراني صاحيا وما الغنم الا ان يتعتني السكر
ثم تراه يتخلص بعد هذه المقدمة الى الحديث عن بعض مغامراته فيقول (٥) :
فبح باسم من تهوي ودعني من الكنى فلا خير فى اللذات من دونها ستر (٦)
وخمارة نبهتها بعد هجعة وقد غابت الجوزاء وارتفع النسر (٧)

^١ ديوان الشاعر ص ٢٠

^٢ دارها : خاتلها واخذها حتى تلين ، لانها من غير الماء شمس جموح صعبة المذاق

^٣ أغالى بها : اجاوز بها قدرها من المغالاة أو العلو

^٤ ديوان ابى نواس ص ٢٨

^٥ المرجع السابق والصفحة

^٦ المجاهرة بالعصيان يجد فيها ابو نواس لذتان هما لذة شعوره بالحرية ، ولذة رؤية جمال المحبوبة

^٧ الجوزاء : نجم بعيد يمتحن الناس به ابصارهم

فقال من الطارق ؟ قلنا عصابة خفاف الاداوي يبتغي لهم خمر (١)

ويستطرد بعد هذا فى وصف احداث مغامرته الماجنة هذه .

واحيانا نجد المقدمة الخمرية تستغرق الشاعر ، فلا يستطيع التخلص ، فينساق فى الحديث عن الخمر ووصفه ، وهذا يعود بالدرجة الاولى الى تعلق الشاعر بالخمر ، فهو يجد لذة فى وصفها ونعتها مثلما يجدها فى شربها وتذوقها ومن ذلك قوله (٢)

الا دارها بالماء حتى تلينها فلن تكرم الصهباء حتى تهينها (٣)

اغالي بها حتى اذا ما ملكتها اهنت لاکرام الخليل مصونها (٤)

وصفراء قبل المزج بيضاء بعده كان شعاع الشمس يلقاك دونها (٥)

تري العين تستعفيك من لمعانها وتجسر حتى ما تقل جفونها (٦)

تروغ بنفس المرء عما يسوءه وتجده له الا يزال قرينها (٧)

الشاعر هنا اتى بهذه المقدمة الخمرية، ولكنه لم يستطيع فكاكا ، فانساق فى وصف الخمر دون ان يتخلص الى غرض اخر ، مما جعلت القصيدة غير مكتملة البناء . وكثيرا ما كان ابو نواس يفتتح قصائده بطلب الشراب ، والمناداة بطلب الخمر شأن السكير الذى يكون اول همه عندما يفيق من سكرته أو نومه ان يطلب الخمر بالحاح واصرار ، ومن ذلك قوله (٨) :-

اسقتنا ان يومنا يوم رام ولرام فضل على الايام

ومثل قوله (٩) :-

اسقتني يا ابن أدين من شراب الزرجون (١٠)

^١ الطارق : الطارقون ليلا . الاداوي : اوعية الخمر

^٢ ديوان ابى نواس ص ٢٠

^٣ دارها : اخذها

^٤ اغالي بها : اجاوز بها قدرها من المغالاة والغلو

^٥ يقصد بها شدة بياض الخمر بعد مزجها بالماء ، وهى صورة لا تخلو من مبالغة

^٦ تستعفيك : يطلب من العفو

^٧ تروغ : من الروغان : تجذله : تصدعة ، القرين : الملازم

^٨ ديوان ابى نواس ص ٦٩

^٩ المرجع السابق ص ٧٠

^{١٠} الزرجون : كلمة فارسية تعنى الشراب الذهبي ، وهو الخمر

ومثل قوله (١) :-

أدركها علينا قبل ان تتفرقا وهان اسقني منها سلافا مروقاً
فقد هم وجه الصبح ان يضحك الدجى وهم قميص الليل ان يتمزقا

ومثل قوله (٢) :-

أدركها علينا مزة بابلية تخبرها الجاني على عهد قيصر (٣)
عقار ابوها الماء والكرم امها وفي كأسها تحكى الملاء المزعفرا (٤)
فما الطيش الا ان تراني صاحباً وما العيش الا ان ألد فاسكرا (٥)

ابو نواس فى الابيات السابقة يلح فى طلب السقيا والخمر وهو تعبير عن أمنيات حقيقية فى نفس الشاعر ، فنفسه المضطربة لا تسكت غوطة أطيّاره الا أقداح الخمر المشعشة ، بل هو يعتبر عدم الاسراع فى تقديم الخمر له أثماً من الآثام ، فأقرأ معنى قوله (٦) :-

اديرا على الكأس ينقشع الغم ولا تحبسا كأسى ففى حبسها إثم (٧)

ومثل هذه المقدمات تنم على عمق الارتباط بين الشاعر والكأس فهو يجد فيها راحته وسلواه ، كما تدل على تهتك الشاعر ومجاهرته بالفجور والعصيان ضارباً ب (ابا ابتليتم فاستتروا) عرض الحائط .

ولكن من زاوية أخرى فهذه المقدمات تعينه على الابداع والاسترسال فى صناعة النص الشعرى ، فالشاعرية عنده تتفجر وترمى بالزبد عندما يذكر الخمر أو ينادي بالشراب ، فيغيب الشاعر فى نشوة فتتدفق المعاني من كأس عبقريته لتملأ دنان الشعر بالخمريات .

^١ ديوان ابى نواس ص ٩٣

^٢ المرجع السابق ص ١٠١

^٣ مزة : الطعم فيه حموضة . الجاني : الذى يجني الثمار

^٤ عقار : خمر ، الملاء : ثوب المرأة ، المزعفر : المصبوغ بالزعفران

^٥ الطيش : الحماسة وسوء الفعل

^٦ ديوان البارودي ص ١٠٤

^٧ الغم : الحزن الدفين فى النفس

وقد اكثر ابو نواس من المقدمات الخمرية حتى عرف بها ، وحق له ان يعرف بها ، فهو شاعر اللهو والعبث والمجون ، وكان يتعاطي الخمر وله بالخمير ارتباط عظيم ، كما عاش فى عصر انفتح فيه بعض ابواب الانحلال الخلقي والديني مما اسهم فى توجيه هذا ، هذا اضافة الى محاولته فى التجديد فدعا الى الابتداء بالخمير فى افتتاح القصائد ، فكان من نتيجة ذلك كله ان اصبح الابتداء يذكر الخمر ركيزة اساسية فى البناء الشعري عند النواسى ، ذلك الشاعر الذى عشق الخمر والخمار واتى فى ناديه المنكر .

ب/ المقدمات الطللية :-

الوقوف على الاطلال ، وبكاء الديار سمة بارزة ومعروفة فى القصيدة الجاهلية أملت عليها ظروف حياتهم البدوية ، وطبيعة ارضهم الصحراوية حيث يلعب الشوق والحنين دورا رئيسيا فى ادكاء نار الذكريات ، وقد انسحبت هذه السمة الجاهلية على الشعراء فى العصور اللاحقة .

وبما ان ابا نواس نادى بهجر هذه العادة الجاهلية ، ونبذ الوقوف بالاطلال فنحن لا نكاد نفرغ من قراءة قوله (صفة الطلول بلاغة القدم...الخ) حتى يطالعنا بعدد من المقدمات الطللية ومن ذلك قوله (١) :-

أربع على الطلل الذى انتسفت منه المعالم أنجم النحس (٢)

ومن بكائياته على الاطلال قوله (٣) :-

الا لا أرى مثلى امترى اليوم فى رسم تغص به عيني ويلفظه وهمي (٤)

أنت صور الاشياء بينى وبينه فجهلى كلا جهل وعلمي كلا علم

ونلاحظ ان بكاء النواسى على الاطلال ارتبط فى بعض الاحيان بالديار التى كان يشرب فيها خمرا ، او له فيها بعض ذكريات مجونه ، ومن ذلك قوله (٥) :-

^١ ديوان الشاعر ص ٢١٥

^٢ اربع : اقم . انتسفت المعالم : اقتلها أو محاها

^٣ ديوان البارودي ص ٨٧

^٤ امترى : شك . تغص به عيني : جعل تأذى العين من رؤية الطلل كغصه من يغص بالماء فاستعار هذه لتلك . يلفظه : يرميه

^٥ ديوان ابى نواس ص ٦٨

لمن ظلل عاري المحل دفين عفا آية الا خوالد جون (١)
 كما اقترنت عند المبيت حمائم غريبات ممسي ما لهن وكون (٢)
 ديار التى أما جني رشقاتها فيحلوا اما مسها فيلين
 فهذه الديار تبدو خالية مقفرة الا من الأثافي السوداء التى توضع عليها دنان الخمر
 ليغلى ويشوى خمرًا ، وجالت بخاطر الشاعر ذكريات النساء ورمز اليهن بالحمام
 وهن العاهرات اللاتى كن يبتن فى اماكن الدعارة والفسوق .
 ومن امثلة ذلك قوله (٣) :-

ربع البلى اخرس عميت مستلب المنطق سكيت (٤)
 اعاره حيرته عاشقا رأى حبيب فهو مبهوت (٥)
 ولا عجيب ان جفت دمنة عن مستهام نومه قوت (٦)
 وقهوة كالمسك مشمولة منزلها الانبار أو هيت (٧)

فهذه الديار الخالية التى يبكيها الشاعر هى (على ما تبدو) ديار خمار كان ابو
 نواس يرتاده ويختلف اليه .واحيانا يمزج ذكر الاطلال بالخمر مثل قوله (٨) :-
 غنا بالطلول كيف بلينا واسقنا نعطك الثناء التهينا
 من سلاف كانها كل شئ يتمنى مخير ان يكونا (٩)
 وذكر الاطلال عن النواسى يستشير خياله ، ويعود به الى ماضي ايامه فيبكي تلك
 الايام ويحن اليها فيقول (١٠) :-

^١ خوالد : الأثافي . جون : سود

^٢ اقترنت : اجتمعت . وكون : جمع وكوه ، وهو عش الطائر

^٣ ديوان ابى نواس ص ٧٤ .

^٤ عميت : لا يعتدى وجهه . مستلب : مسلوب . سكيت : مبالغة من السكوت .

^٥ المبهوت : المذهول المتحير .

^٦ مستهام : من الهيام والمراد شدة الشوق ، والهيام فى الاصل داء يصيب البعير حين يشرب فلا يرتوى ، فشبه به العاشق المتميم الذى لا ترويه رؤية المحبوب .

^٧ المشمولة : الخمرة الباردة . الانبار وهيت : واديان بالعراق يرزح فيهما الكروم .

^٨ ديوان ابى نواس ص ٣٠ .

^٩ السلاف : الخمر .

^{١٠} ديوان ابى نواس ص ٤٨٨ .

ودار ندامي عطلوها وادلجوا بها اثر منهم جديد ودارس (١)
 مساحب من جر الزقاق على الثرى واضغات ریحان جنی ویابس (٢)
 حبست بها صحبي فجددت عهدهم وانی على امثال تلك لحابس (٣)
 ولم ادر من هم ؟ غير ما شهدت به بشرقي ساباط الديار البساس (٤)

ويضاف إلى الوقوف بالأطلال طلب السقيا للديار ، وهي أيضاً عادةً درج عليها الشعراء الجاهليون، حيث كانوا يطلبون السقيا لديار المحبوبة ، وأبو نواس يفتح بعض قصائده بطلب السقيا للديار ، ولكن هذا قليل جداً في شعره ، ومن ذلك قوله (٥) :-

سقيا لغير العلياء و السند وغير أطلال مي بالجرد (٦)
 ويا حبيب السحاب ان كنت قد جدت اللوى مرة فلا تعد (٧)

ويأتي طلب السقيا مقرونا بالغزل وهي مقدمة يتخلص الشاعر بعده إلى الغزل ووصف الأشياء مثل قوله (٨) :-

سقى الله ظلياً مبدى الغنج في الخطر يميم كغصن البان من دقة الخصر (٩)
 بعينه سحر ظاهر في جفونه وفي نشره طيب كفاحة العطر (١٠)

^١ دارس : من درس الرسم اذا عفا وزال وتغير .

^٢ مساحب : بمعنى دارس . الزقاق : اوعية الخمر . اضغات ریحان : قبضة منه .

^٣ حبست : طلب منهم البقا ، أو ابقاهم على الرغم منهم .

^٤ ساباط : مدينة فارسية قديمة قرب المدائن . البساس : المقفرة الدارسة .

^٥ ديوان أبي نواس ص ٢٦٤ .

^٦ العلياء : العالية . السند : ماقابلك من الجبل فوق السفح . الجرد : الأرض التي لا نبات فيها

^٧ حبيب السحاب : المطر . اللوى : الرمل الناعم .

^٨ ديوان أبي نواس ص ٢٢٢ .

^٩ الغنج : التدلل . الخطر : التبختر في المشي .

^{١٠} النشر : الرائحة الطيبة

وعليه فان ابا نواس قد وقف على الاطلاع ، وبكى الرسوم البوالي ، وطلب السقيا للديار ، وابو نواس عاش فى المدن حيث الحياة الحضرية ، وبالتالى لم تكن الاطلاع التى وقف عليها تشبه اطلاع الجاهليين أو البدويين ، وشاعرنا ليس من اهل الوبر والشيخ والقيصوم فذكره للاطلاع نابع من ارتباطه بديار الخمارين ، ومرتبطة بالايام والذكريات التى قضاها فلم تكن دوافعه غرامية كما هى الحال بالنسبة للجاهليين والبدو ، اما طلب السقيا للديار فهى محاكاة لا محالة ، فالماء لم يعد شيئا نادرا فى المدن كما هى الحال فى الصحراء .

وبكاء ابي نواس على الديار هو بكاء حقيقي ، يجئ متمشيا مع فلسفته العمياء فى الحياة التى ترى ان كل دار خلى من الخمر هو رسم بال يستحق البكاء عليه وطلب السقيا له .

ج/ ذكر الندماء :-

لم يغفل النواسى ذكر اصدقائه وندمانه الذين كانوا يجالسونه ، ويتعاطون معه اقداح الخمر ، ويشركونه بعض مغامراته الآثمة ، وافعاله القبيحة . ومثل هذه المقدمات كانت تهيئ للشاعر المجال الخصب ليرتفع فيها بخياله فيستطرد فى معانيه المرتبطة بذكرياته مع ندمانه ، ويأتى بالصور الفنية البديعة فيجيد ما طوعته الاجادة .

ومن ذلك قوله (١) :-

وفتية كنجوم الليل أوجههم من كل أغيد للغماء فراج (٢)

انضاء كأس اذا ما الليل جنهم ساقتهم نحوها سوقا بازعاج (٣)

وبعد هذه المقدمة انطلق الشاعر فى الوصف والحديث عن الذكريات المرتبطة بهؤلاء الندماء وجلساء الشراب وسامري اللهو .

ومن ذلك ايضا قوله (٤) فى سرد بعض تفاصيل مغامرة قام بها مع بعض ندمائه

^١ ديوان أبي نواس ص ٤٨ .

^٢ الأغيد : الناعم المنتهي . الغماء : الطرب . فراج : مبالغة من الفرج .

^٣ امضاء : جمع نضو وهو الهزيل . جنهم : سترهم . الازعاج : مصدر من ازعجه اذا اقلقه

^٤ ديوان ابي نواس ص ٦١ .

وفتيان صدق قد صرفت مطيهم الى بيت خمار نزلنا بها ظهرا (١)

فلما حكى الزنار ان غير مسلما ظننا به خيرا فظن بنا شرا (٢)

والمقدمات التي تتعلق بذكر الجلساء والندماء تقترن عند النواصي بالمدح والفخر به مما تجعل لشاعر يتدرج في وصفهم ليتخلص بعدها الى وصف مغامرة أو تناول بعض الأحداث التي تثبت ما ادعاه عنهم مثل قوله (٣) :-

وندمان صدق من خزاعة في الذرى اقر كضوء الصبح حلو الشمائل (٤)

يهين رقاب المال في كل لذة وليس بسماع لقول العوازل (٥)

كريم مطير الكف يهتز للندى كما اهتز سيف في اكف الصياقل (٦)

والمقدمات التي ياتي بها الشاعر عن ندمائه وجلسائه تقوده كما اشرنا الى الحديث عن الاحداث والوقائع المرتبطة به وهذا بدوره يعكس لنا طبيعة الحياة داخل الحانات ، وبيوت الخمارين ، وتكشف لنا المستور عن اخلاقيات الناس فيها .
والممارسات المزولة كانت سائدة في عصر الشاعر لكنه كان اكثر الشعراء صدقا في تناوله للمفاسد ، واكثرهم وضوحا في اسقاط ورق التوت عن هذا العصر فبدت سوءاته . ومن هنا فنحن نعتبر هذه المقدمات من الندماء والجلساء من الركائز المهمة في دراسة نصوص هذا الشاعر .

د/مقدمات مجالس الشراب :-

للخمر في عصر الشاعر مجالسه ، وهي مجالس عامرة بالندماء والمغنيات والمغنيين ، والراقصات والراقصين ، والسقا والساقيات وغيرهم من أرباب الدعارة والقابضين على اذيال الباطل . وابو نواس يبتدئ قصائده بذكر هذه المجالس ليتخلص بعدها الى ما فيها من المظاهر والاحداث ، ولكنها في مجملها تعبر عن اللحظات الاثمة

^١ المطية دابة تركب عليها .

^٢ الزنار : ما يشد به على الوسط ، وهو خاص باهل الذمة في الاسلام يتميزون به .

^٣ ديوان ابي نواس ص ١٨١ .

^٤ الندمان : جمع نديم . خزاعة : اسم قبيلة من هزيل لها مع بني هاشم حلف في الجاهلية . الذرى : يقصد بها النسب العالي . أقر : أبيض . الشمائل : الصفات والسجايا .

^٥ العوازل : جمع عازل وهو اللائم أو المعاتب .

^٦ مطير الكف : شبه كفه بالسحاب الممطر لجودها وكثرة بذلها .

التي يقترفونها في انفسهم وفي حقوق المجتمع ، وافتتاح القصيدة بذكر مجالس الشراب تقليد راسخ واصل عند هذا الشاعر . فيقول (١) في بعض ذلك :-

ومجلس خمار الى جنب حانة بقطر بل بين الجنان الحقائق (٢)

تجاه ميادين على جنباتها رياض غدت محفوفة بالشقائق (٣)

فقمنا بها في فتية خضعت لهم رقاب صناديد الكماة البطارق (٤)

ثم يواصل الشاعر بعد هذه المقدمة في وصف ما في المجلس من مظاهر الجمال واللذة والمتعة .

وفي موضع اخر يقول (٥) :-

ياحبذا مجلس قد كان يجمعنا بطيرناباذ في بستان عمار (٦)

وحبذا ام عمار و رؤيتها خمارة اصبحت اما لخمارة (٧)

تعلنا بمدام قد تناولها ريب الزمان وعصر بعد اعصار (٨)

وبعد هذه المقدمة عن مجلس الشراب يتخلص الشاعر الى وصف الخمر والحديث عنه .

والمقدمات عن مجالس الخمر تعبر عن حنين الشاعر لتلك اللحظات مثل قوله في هذه المقدمة (٩) :-

و مجلس ماله شبيهه حل به الحسن والجمال (١٠)

يمطر فيه السرور سخا بديمة ماله انتقال (١)

^١ ديوان ابي نواس ص ١٧١ .

^٢ جنان : جمع جنة .

^٣ الشقائق : ازهار حمر الألوان تضاف الى النعمان .

^٤ الصناديد : الشجعان الأشراف . الكماة : جمع كمي وهو الشجاع اللابس السلاح . البطارق : جمع بطريق وهو الرجل المختال المزهو .

^٥ ديوان ابي نواس ص ١٤٥ .

^٦ طيرناباذ : موضع بين الكوفة والقادسية اشتهرت بصناعة الخمر وكثرة الحانات .

^٧ عمار علم لرجل

^٨ تعلنا : تسقيننا . تناولتها ريب الزمان : يقصد ان الخمر مرت به احداث كثيرة لطول ما مكثت في الدن .

^٩ ديوان ابي نواس ص ١٢٩ .

^{١٠} يقصد بحلول الحسن والجمال : الفتيات الجميلات .

شهادته في شباب صدق ما ان تسامى لهم افعال (٢)
وفي موضع اخر يقول الشاعر (٣) :-

بدير بهرذان لي مجلس وملعب وسط بساتينه (٤)
رحت اليه ومعى فتية نزوره يوم سعانينه (٥)
بكل طلاب الهوى فاتك قد اثر الدنيا على دينه (٦)

وعليه فقد افتتح النواسى بعض اشعاره بوصف مجالس الخمر واللهم ، وهو يتخلص الى وصف اللهم والعبث ، وما يدور فى هذه المجالس من رزائل ومعاص خاض الشاعر فيها مع الخائضين حتى أتاه اليقين .

هـ/المقدمات الغزلية :-

المقدمات الغزلية كثيرة شائعة في الشعر العربي قديمه وحديثه ، ونجدها كذلك عند النواسى ؛ فحياته ارتبطت بمعاقرة النساء والغلمان ؛ فكثرت عنده مثل هذه المقدمات التي كان يتخلص بعدها الى موضوعات ترتبط بالفجور والانحلال والسقوط ، والمقدمات الغزلية عند ابي نواس تشمل المذكر والمؤنث على حد سواء ومن ذلك قوله (٧) :-

وفاتن بالنظر الرطب يضحك عن ذي اشر عذب (٨)
خاليته في مجلس لم يكن ثالثا فيه سوى الرب (٩)
وللنواسى مقدمات بديعة ورائعة الغزل تستهوي النفس بجمالها وروعها مثل قوله (١)
:-

^١ سخا : حبا. الديمة : السحابة الممطرة التي لا ينقط مطرها اياما في سكون بلا رعد ولا برق

^٢ افعال : اسم فعل للحسن والكرم .

^٣ ديوان ابي نواس ص ٨٣ .

^٤ دير بهرذان : احد الأديرة الكثيرة في سواد العراق .

^٥ سعانين : من اعياد النصارى .

^٦ فاتك : يقصد لشديد الحريص في ممارسة الدعارة مع النساء .

^٧ ديوان ابي نواس ص ٣٣٥ .

^٨ الاشر : الاسنان المتفرقة وهي من مظاهر الجمال للمرأة .

^٩ خاليته : اختلوت به واختلى بي.

سجد الجمال لحسن وجهك واستراح الى جمالك
وتشوقت حور الجنان من الخلود الى امثالك

ومثل هذه المقدمات كثيرة جدا فى شعر ابى نواس والنشوة عند ذكر النساء والغلمان ، فتتعلق شاعريته ويلمع سنا عبقريته فيهمى على رياض الجمال نداه لتتبت قصائدا تنفتح فيها ازهار المعاني ويفوح عبيرها المسكر ، فاقراً معى قوله^(٢) :-

وابيض مثل البدر دارة وجهه له كفل راب به يترجح^(٣)
اغن خماسى لما انت طالب من اللهو فيه واللذاة يصلح^(٤)
تقتضى لما بدا لى سانحا كما مر ظبي بالمفازة يسبح^(٥)

وفى مثل هذه المقدمات الغزلية بشقيها المذكر والمؤنث يجد الشاعر التخلص سهلا الى ايراد المعاني التى يريد بها ، وربما كانت المعاني تفرضه أو تتزاحم عليه ، فيقطف ما شاء منها .

^١ ديوان ابى نواس ص ٣٤٥ .

^٢ ديوان ابى نواس ص ٣٥٢

^٣ دارة وجهه :هالة النور التى تحوطه تشبيها له بالبدر . كفل راب : نام كبير . يترجح : يهتز

^٤ الاغن : فى صوته غنة وهى بحه مستحسنة فى الصوت . خماسى : فى طول خمسة اشبار

^٥ تقتضى : صادنى . السانح : الظبي ياتي من الميسرة الى اليمين

المبحث الثاني الالفاظ والاساليب والمعانى

مقدمة

بعد أن انتقل الناس من عهد الفطرة إلى عهد الحضارة، وأخذت مظاهر الحياة تتعدد وتتعدد، لم يكن بد من أن يظهر هذا في الشعر، وإن ينتقل هو أيضاً من طور إلى طور، ونحن نلاحظ في تطور الشعر الاتجاهات الآتية:

أولاً:

بعد أن اخذ الناس يتقدمون في طرق الحضارة، أصبح الشعر فناً مقصوداً متعمداً، وأصبح الذين يمارسونه طائفة من الفنانين ممتازين عن سواهم من الناس، وبالرغم من أنهم كانوا ينطقون بالشعر عن هبة فطرية، وسليقة مغروسة في نفوسهم، فانهم مع هذا كانوا يتعمدون الإتقان والابتكار، وتتافسون في فنهم هذا، ومن الغريب إننا نسمع حتى في العصر الجاهلي شاعراً مثل عنترة ١ فيقول:

هل غادر الشعراء من متردم أم هل عرفت قبل توهم

كأنما الشعراء - حتى في زمن الجاهلية - قد ألموا بكثير من نواحي القرض، وقلبوا الكلام علي وجوهه بقدر ما اتسع له افقهم وبيئتهم.

إن الشعر من حيث هو فن مستقل اخذ يتطور في اتجاهين مختلفين :

الأول في بنيته ، من حيث الأوزان والقوافي ، والمحسنات اللفظية ، والصيغ الشعرية الخاصة . والاتجاه الآخر هو في الموضوعات وتنويعها بحيث تتناول كل ما اتسع له الأفق الشعري الذي يوشك إلا تكون له حدود

(1) هو عنترة بن شداد وقيل ابن عمرو بن شداد مضر وله لقب يقال له عنترة الفحاء وذلك لشقيق شفثيه وأمه أمة حبشية يقال لها زبيبة وكان لها ولد عبيد من غير شداد وكانوا إخوته لأمه وقد كان شداد نفاه مرة ثم اعترف به فألحق بنسبه وكانت العرب تفعل ذلك تستعبد بني الإماء فإن أنجب اعترفت به وإلا بقي عبداً وهو من الشعراء المتقدمين و يضرب به المثل في الشجاعة انظر الاغاني ج ٨ / ٢٤٦

فجوهر الشعر في كل لغة ولدي كل جيل من الناس - هو التأثير الشديد في النفس ، فالشعر لا يلجا إلي المنطق ولا إلي الحجة والدليل - كما يفعل النثر مثلاً - بل يستفزنا بما فيه من قوة ، فهو لا يؤثر في العقل، بل في الروح ، ووجهته القلب يستفزه لا الرأس يحرضه ، وليس الغرض من القلب أو الرأس أعضاء الجسم ، بل المقصود بالقلب العاطفة ، وبالأرأس الفكر والمنطق . أحزننا أو آثارنا ، أو أطربنا ، أو هاجنا ، أو أعجبنا ، لا يحاول في كل هذا أن يلجا إلي حجة ، بل يؤثر في النفس مباشرة بطريقة

ان ما حدث فى مشارق الممالك الاسلامية ومغاربها اثناء العصر العباسى من الانقلابات السياسية والاجتماعية كان له نتيجة ظاهرة فى الحركة الفكرية للمتكلمين بالعربية ظهر ذلك فى عبادتهم واشعارهم بصور مختلفة منها:

١. ازدياد شيوع المعانى الدقيقة والتصويرات الجميلة والاخيلة البديعة.
٢. التعويل على القياس والتعلي فى الاحكام القمرية وذلك بالاكثر من الحجج والبراهين العقلية وانتماء مذاهب الفلاسفة فى الشعر والكتابة والتدريس لاسيما فى عصر الترجمة . واكثر ما كان ذلك بالمشرق وقلما عنى به اهل الغرب .
٣. التهويل والغلو فى التفضيم المقتبس فى المشرق من اللغة الفارسية والساري بعضه بالعدوى الى اهل المغرب والاندلس .

كان تطور الشعر في أيام بني العباس بطريقة تكاد تخالف كل المخالفة طريقة بني امية فنشأت معان جديدة ، وذهب الشعراء إلى مذاهب مختلفة ، في وصف هذه المعاني ، والتعبير عنها ، ونشأ عن هذه المذاهب المختلفة ضروب من التصرف في فنون القول والاختيار بين ألوان الكلام ، ذلك أن الحياة في عصر بني العباس كانت جديدة من كل وجه، فانقطعت الصلة شيئاً فشيئاً ، أو كادت أن تنقطع بين هذه الحضارة البديعة التي كانت تزدهر في بغداد وضواحي بغداد، وبين البداوة القاسية الخشنة التي كانت تبسط سلطاتها على بلاد العرب ، فبينما كانت دمشق على حضارتها أيام الأمويين ملتقى للجدید والقديم، وبينما كان الحضري الخالص

يستطيع أن يعيش فيها عيشة راضية مطمئنة ، وكان البدوي المغرق في البداوة أيضاً يستطيع أن يعيش فيها ، وبينما كان الخلفاء الأمويون على ضخامة ملكهم ، وسلطانهم ، وعلى كثرة ثروتهم ، وغناهم ، وعلى تذوقهم أنواع الترف بادين في لغتهم وسيرتهم الظاهرة ، بينما كانت دمشق على هذه الحال كانت بغداد على حال تخالفهما كل المخالفة ، فهي المدينة التي اختلفت عليها الحضارات ، وأتاحت لها الطبيعة من خصب الأرض وثرائها ، واعتدال الإقليم ، وصفاء الجو ، ما يجعل الحضارة سهلة ميسورة ، مستعدة للرقى ، والنمو في وقت سريع .

كان خلفاء بني العباس لا يحبون البادية ، ولا يحنون إليها ، إنما قطعوا بينهم وبين هذه العيشة كل الصلة ، واتخذوا لأنفسهم من ملوك الفرس مثلاً يحتذونهم في ضروب الحياة ، ولم يحيطوا أنفسهم بالقواد والمشيرين والزعماء العرب ورؤساء القبائل ، كما كان يفعل الخلفاء من بني أمية ، وإنما استوزروا الفرس واستشاروهم ، وقصروا ، أو كادوا يقصرون عليهم قيادة الجيش ، ومناصب الدولة ، فليس غريباً أن تكون في بغداد غير دمشق والعراق غير الشام ، وليس غريباً أن ينشد شعر في بغداد غير الشعر الذي كان ينشد في دمشق .

تطور شعراء هذا العصر بتأثر حياتهم الحضارية والعقلية ، وبون بعيد بين شعر جرير^(١) شاعر العصر الأموي وشعر بشار شاعر العصر العباسي الأول فالشعر عند جرير يحتفظ بموضوعات ، وتقاليده الجاهلية ، وقد تطور في بعض معانيه ، وبعض جوانبه ، ولكن في حدود الإطار القديم .

(١) جرير (٦٤٠-٧٢٨م) شاعر زمانه ابو حرزة جرير بن عطية بن الخطفي التميمي البصري ولد ومات باليمامة مدح يزيد بن معاوية وخلفاء بني امية اتصل بولاة العراق وصار شاعر الحجاج الذي وصله بالخليفة عبد الملك بن مروان هاج باليمامة غسان السليطي فاعنته البعيت المجاشعي فهجا جرير مجاشع رهن الفرزدق فاشتبا في هجاء ونقائض طوال حياتهما ودخل بينهما شعراء كثيرون لم يصمد منهم الا الاخل ويعد الشعراء الثلاثة امراء الشعر الاموي واماز جرير بينهم بالهجاء لما يعمد اليه من سخرية مضحكة وصور فكهة والقاب غريبة واقذاع وبالعزل والرثاء لرقفة الفاظه وحلاوة انغامه وصدق مشاعره فكان اشيعهما شعرا واقربهما الي قلوب الجماهير ديوانه ونقائضه مع الفرزدق ومع الاخل مطبوعة . انظر طبقات بن سلام ٣٧٤/١ الاغاني ٣٨/٨ خزانة

أما عند بشار ، فإنه ينزع منزعين مختلفين ، منزعاً يحتفظ فيه بشار بالتقاليد الموروثة ، مع شيء من التطور ، بتأثير ما حدث من رقي في العقل العربي ، لكثرة ما تزود به من المعارف الأجنبية ، وأيضاً بتأثير ما داخل الحس العربي من تحض ، ومن رقة الشعور ، ورفاهيته ، وهو منزع كان يضطر إليه اضطراراً حين يعنى بمديح الخلفاء ، والوزراء ، والقواد ، والأمراء إذا كان يرضيهم فيضفون عليه نوالهم الغمر .

وكان يقابل هذا المنزع عنده منزع ثان لم يكن يعنى فيه بالمديح ، إنما كان يعنى بتصوير حياته الشخصية ، وأهوائه ، وميولهم ، ولهوه ، وره ، وخمره ، وحبه ، وتبعه الشعراء العباسيون ينزعون في شعرهم نفس المنزعين مضيفين إلى أنغام المنبع الثاني أنغاما كثيرة ، أهملوا فيها أو على الأقل في جمهورها ما عرف به العرب من العفة ، والوقار ، والارتفاع عن الدنات ، وأطلقوا لأنفسهم العنان في اللهو ، والمجون ، وفي تصوير عواطفهم ، وأهوائهم ، دون احتشام .

وأخذ الشعراء في المنزعين جميعاً يعنون عناية شديدة باللغة العربية ، وراح فريق منهم إلى البادية ، كي يتزود من منابعه الأصلية ، يتقدمهم بشار وأبو نواس ، ومنهم من أقام في الحضارة و لزم اللغويين في المساجد الجامعة ، يروي عنهم الشعر القديم ، وما يزال يرويه حتي تسقيم له سليقته العربية ، وحتى يغدو كأنه عربي أصيل ، وقد مضوا يلائمون بين لغة الشعر القديم ، وبين ما عاشوا فيه من حضارة ، ومن رقي عقلي ، مستخدمين كل ما يملكون من مهارة ، وبذل ، قد ثبتوا بدورهم الأسلوب المولد الجديد : وهو أسلوب يمتاز بالكلمة المنتخبة الرشيقة ، وبالمعنى المصيب الدقيق ، أسلوب يمتاز بالصفاء ، والنقاء ، والنعومة ، والعذوبة ، و بالجزالة ، والرصانة .

وقد انبعثوا يحاولون التجديد ، فأدخلوا الشعر التعليمي ، و وزنوا له وزن الرجز مرانة واسعة ، واستحدثوا كثيراً من الأوزان ، كما استحدثوا كثيراً من المعاني ، يرفدهم عقلهم الراقى ، وما ثقفه من الفلسفة ، والفكر الأجنبي ، وهم في ذلك لا ينسون الشعر القديم وألفاظه ، ومعانيه .

من ثم ظل الشعر القديم حيًا في هذا العصر ، بل لعله حيي حينئذ حياة أكثر خصباً من حياته القديمة ، فقد عاد ليبعث بعثاً جديداً ، بعثاً تمثل فيه العصر بطاقاته الحضارية والعقلية ، وكأنما انمحت الفروق بين البوادي وحواضر العراق ، فحياة تلك الحواضر ، وحياة الصحراء تلتقي جميعاً هذا اللقاء الحي المثمر ، الذي كان يتحول فيه كل معنى قديم إلى صورة عباسية جديدة ، وهذا هو السر في أن تيار القديم ظل يجري في الشعر العباسي ، جريان السيل ، وينصب فيه انصباب القطر ، وكلما انتهى جيل من أجيال العصر أسلم تراثه القديم إلى الجيل الذي خلفه ، فاتصل بالتراثين جميعاً ، وعمل بدوره في تثبيت الأسلوب المولد الجديد. فهذا الالتقاء بين الجديد والقديم ، و ما كان من استغلال الجديد للقديم ، هذا الاستغلال الحي الخصب ، دفع إلى نشاط الملاحظات البلاغية نشاطاً واسعاً ، فإن الشعراء وزنوا كثيراً من معانيهم ، ومعاني القدماء ، وحاولوا أن يتبنتوا تفوقهم عليهم ، أو على الأقل أنهم يجارونهم في بعض بدائعهم ، ولا يتخلفون عنهم ، ومن خير ما يصور ذلك قول بشار: ما زلت أروي في بيت امرئ القيس^(١) :

كان قلوب الطير رطباً ويابساً لدي وكرهاً الغناب والحشف البالي

إذ شبه شيئين بشيئين ، حتى صنعت:

كأن مثار النقع فوق رعوسنا وأسيافنا ليل تهاوي كواكبه^(٢)

وهو إنما يريد مجرد تشبيه شيئين إذ المتشابهان مختلفان ، و في ذلك ما يشير إلى أن الشاعر العباسي كان يحاول محاكاة الشاعر القديم في رسائله البلاغية ، من تشبيهه وغير تشبيهه ، مستعينا بفكره الدقيق ، ولطف مسالكة إلى المعاني

١ هو امرؤ القيس بن حجر بن الحارث الكندي من بني اكل المرار شاعر يمني الاصل ولد بنجد او بمخلاف السكاسك باليمن واشتهر بلقبه واختلف النسابون في اسمه وكان ابوه ملك اسد وغطفان وامه اخت المهلهل الشاعر وعنه اخذ الشعر ثم ثار بنو اسد علي ابيه فقتلوه وثار لابييه من بني اسد وقال في ذلك شعرا طلبه الذر ملك العراق بناء علي طلب الفرس فابتعد فاجاره السموئل واراد ان يستعين بالروم فمطلوه ثم ولي امرة فلسطين فوفاه الاجل بانقرة وله المعلقة. قفا نبكي من ذكري ومنزلي بسقط اللوي بين الدخول فحومل

تاريخ دمشق ٤٦/٣ الزركلي الاعلام ٣٥١/١ الاغاني ٧٧/٩

١٩٦/٣ الاغاني

،والأخيلة ، وبحسه الحضري الرقيق ، ومشاعره المرهفة ، ومن خير ما يصور ذلك نجد بشارًا يستمع إلى قول كثير^(١):

ألا إنما ليلى عصا خيزرانة إذا غمزوها بالأكف تلين

فيقول: والله لو جعلها عصا مخ ، أو عصا زيد لما أحسن ، لقد جعلها جافية خشنة . وكان قد أدار المعنى في نفسه ، وسواه تسوية جيدة في بعض غزله فقال ألا قال كما قلت:

ودعجاء المحاجر من معد كان حديثها ثمر الجنان

إذا قامت لمشيئتها تثنت كأن عظامها من خيزران

وبذلك أخلى المعنى من جفوته ، وخشونته^(٢) .

وقد مضي هو ومعاصروه يتبارون في حسن الصياغة ، وجمال الدباجة ، ذات البهاء والرونق ، ويروى أن بشاراً سمع أبا العتاهية ينشد الخليفة المهدي قصيدته التي يقول فيها :

اتته الخلافة منقادة إليه تجرر أذيالها

فلم تك تصلح إلا له ولم يك يصلح إلا لها

ولو رامها أحد غيره لزلزلت الأرض زلزالها

فهاج بشار وقال لصاحبه : "انظر ، ويحك هل طار الخليفة عن فرشه"

ومع هذا لو أراد الإنسان أن يحلل هذه الأبيات تحليلاً منطقياً لوجد فيها شيئاً كثيراً غير مقبول. واستطاع أن يقول: إن الخلافة لم تأت منقادة ، بل ورثها وراثته. ، وليست لها أذيال فتجررها ، وليست هي امرأة ذات أذيال، بل هي أكبر منصب في الدولة. وهكذا يستطيع العقل أن يفيض في تسخيف الشعر، وفي بيان خروجه عن المنطق.

^٣ابو صخر كثير بن عبد الرحمن الخزاعي احد عشاق العرب المشهورين وهو صاحب عزة بنت جميل بن حفص بن اياس بن عبد العزي وله معها حكايات ونوادر واشعار جميلة وكان رافضيا شديد التعصب لال ابي طالب وتوفي كثير عزة في سنة ١٠٥ . مروج الذهب ٤٠١/٣ الشعر والشعراء ٤١٠

كما رويت قصة غضب بشار علي تلميذه سلم الخاسر^(١) ، إذ رآه يعدو على بيته

من راقب الناس لم يظفر بحاجته وفاز بالطيبات الفاتك اللهج

فيصيغه بأسلس منه صياغة ، واخف عبارة ، وأكثر وضوحاً مع الإيجاز والدقة

من راقب الناس مات غمًا وفاز باللذة الجسور

ويقال: إنه حين سمعه تأوه ، وقال : ذهب والله بيتي ، وغاضب سلماً ونحاه

عن مجلسه ، ونافره ، حتى كلمه بعض إخوانه فردّه^(٢) . وفي كتب الأدب أخبار

كثيرة تصور عناية الشعراء باختيار ألفاظهم ، ووقفهم الحسن بهذا الاختيار ، من

ذلك ما روي أن أبا نواس انشد مسلماً قوله في الصبوح :

ذكر الصبوح بسحرة فارتاحا وامله ديك الصباح صياحا

فقال له مسلم قف عند هذا البيت لم امله ديك الصباح وهو يبشره بالصبوح

اتلذي ارتاح له فقال أبو نواس : فأنشدني أنت ، فأنشده مسلم:

عاصي الشباب فراح غير مفند وأقام بين عزيمة وتجلد

فقال أبو نواس : ناقضت ذكرت أنه راح ، والرواح لا يكون إلا بانتقال من

مكان إلى مكان ، ثم قلت : وأقام بين عزيمة وتجلد ، فجعلته متنقلاً مقيماً ،

وتشاغبا في ذلك .

هذا و قد غلب على عبارة اللغة العربية انتقاء الالفاظ الرشيقة واستعمال الفاظ القرآن

الكريم والاقتباس منه والاستشهاد به كقول ابي نواس

وقرأنا معنا ليصدع قلبي والهوى يصدع الفؤاد الكليما

أرأيت الذي يكذب بالدين (م) فذاك الذي يدع اليتيما

كما اكثروا من الالفاظ المجازية والتشبيه والتمثيل والكناية والمحسنات اللفظية

وتأنقوا في صوغ ، واما ما كانوا ينكرونه إنكاراً شديداً هو التبدي في القول،

^٢سلم الخاسر من فحول الشعراء من تلامذة بشار وهو سلم بن عمرو بن حماد مدح المهدي والرشيد وعكف

علي المخازي ثم نسك ثم مرق وباع مصحفه واشتري بثمنه ديوانا فلقب بالخاسر وقد اجازه اغرشيده بمئة الف

قبل انه مات قبل الرشيد طبقات بن المعتز ٩٩ تاريخ بغداد ١٣٦/٩ معجم الادباء ٢٣٦/١١

وحشد الألفاظ الرتيبة وكان ابن مناذر^(١) ممن يسرفون على أنفسهم في ذلك، فقال أبو العتاهية : أنت خارج عن طبقة المحدثين ، فإن كنت تشبهت بالعجاج ورؤية (٢) فما لحقتكما ، ولا أنت في طئيقهما ، وإن كنت تذهب مذهب المحدثين فما صنعت شيئاً أخبرني عن قولك :

ومن عاداك لاقى المرميسا

(الداهية) أخبرني عن المرميس ما هو ؟ فخل ابن مناذر ، وما راجعه حرفاً .
أما أثر الخيال في أشعارهم ، فإن خيالهم استطاع أن يلتقط صورة خاصة مؤثرة ويستبعد منها كل عنصر غير أساسي فيها ، ويبرز لنا النواحي الخفية في الصورة .
ليس الخيال علي اختراع صور لا وجود لها ، بل المهم أن الخيال هو مرآة تتطبع فيها الصورة فيعكسها ، وقد صفاها من كل شائبة و أخرجها إخراجاً جديداً ، وأكبر سبب في تأثيرها أن خيال الشاعر قد استبعد منها كل عنصر غريب ، فأصبحت الصورة جديدة مبتكرة ، ولكن ليس من الضروري أن يؤولي لذلك باستعارات بعيدة .
ومن الأمور التي يلجأ إليها الخيال الشعري تلك الوسيلة التي تسمى التمثيل ، وهي تصوير المعنى المجرد بالشيء المجسم ، وجعله شخصاً ملموساً ، أو كقول بشار^(٣) :

وللبخيل علي أمواله علل زرق العيون عليها أوجه سود

^١ هو محمد بن مناذر مولى لبني يربوع ويكنى ابا زريح ويقال ابا جعفر وكان في اول امره مستورا حتى علق عبد المجيد بن عبد الوهاب الثقفي فانهك ستره ولما مات عبد المجيد خرج من البصرة الى مكة فلم يزل بها مجاورا الي ان مات وكان يجالس سفيان بن عيينة فيسأله عن غريب الحديث ومعانيه . الشعر والشعراء ص ٥٩٩

^٢ هو رؤية بن العجاج واسم العجاج عبد الله بن رؤية بن حنيفة من رجاز الإسلام وفصحاءهم والمذكورين المقدمين منهم بدوي نزل البصرة وهو من مخضرمي الدولتين مدح بني أمية وبني العباس ومات في أيام المنصور وقد أخذ عنه وجوه أهل اللغة وكانوا يقتدون به ويحتجون بشعره ويجعلونه إماما ويكنى أبا الجحاف ، عن محمد بن سلام قال قلت ليونس هل رأيت عربيا قط أفصح من رؤية قال لا ما كان معد بن عدنان أفصح منه قال يونس قال لي رؤية حتى متى أزخرف لك كلام الشيطان أما ترى الشيب قد بلغ في لحيتك وقد روى رؤية بن العجاج الحديث المسند عن رسول الله ، أنشد ابا هريرة فشدهله ج ٢٠ / ٣٥٩

^٣ المختار في شعر بشار ص : ٥٤

إن المعاني الشعرية تنزع دائماً إلى الصيغة الخيالية ، وإذا لم يلجأ الشاعر في تأديتها إلى آية وسائل خاصة، كالتشبيه وغيره، فإنها علي كل حال نتيجة لما صاغه خيال الشاعر الذي انتقي الصورة، واستبعد منها كل عنصر غريب، وركز فيها كل شئ يقويها ويوضحها .

ومن مزايا لغة الشعر أن فيها نوعاً من الموسيقى يوحى إلي الأذهان بمعني فوق المعني الذي تدل عليه الألفاظ .

- ولعل هذه المزية هي أخص مزايا لغة الشعر، ولكنها أشدها خفاء، وبصعب جداً الدلالة عليها . انظر مثلاً إلي بيت بشار المشهور :

لم يطل ليلي ولكن لم انم ونفي عني الكري طيف الم

فتأثير هذا البيت في النفس لا يرجع إلي رقة اللفظ والمعني فحسب ، بل أن هنالك معني آخر توحى به الألفاظ، ليس من السهل وصفه، ولكننا نلاحظ مثلاً تكرار حروف خاصة مثل الميم والنون، مما يحدث انسجاماً موسيقياً خارجاً كل الخروج عن الوزن وعن المعني .

إذن فلألفاظ - من حيث هي أصوات - اثر موسيقي خاص يوحى إلي السمع بتأثيرات مستقلة تمام الاستقلال عن تأثيرات المعني، وعن مجرد كون اللفظ رقيقاً أو غير رقيق .

وقوام لغة النواصي لغتان ، هي العربية وهي لغته التي يتحدث بها الغالبية الساحقة في المجتمع العباسي ، وهي لغة الدين والأدب وكافة المعاملات . واللغة الأخرى هي اللغة الفارسية التي أخذ منها باطراف الأنامل .

وللغة العربية والفارسية أثرهما في ملكته الشعرية ، فقد أعانته على الغوص في أعماق الآداب العربية وبعض النماذج الفارسية فأفاد من ذلك في توسيع معجمه اللغوي والأدبي .

ولغة النواسى متأثرة الى حد كبير بطبيعة شعره ، ووظيفة الشعر عنده فلغته تغلب عليه الالفاظ الفخمة والخشنة والصلبة الغربية التى تستعصي على الفهم خاصة على الانسان المعاصر . واحيانا تجد فى لغته ميلا واضحا الى إيراد الالفاظ الفارسية والرومية وغيرها من الالفاظ المعربة .

ونجد أحيانا فى لغته ألفاظا سهلة سلسلة توحى بالمعنى من اقرب وجوها ، ولكن لغته بصفة عامة تغلب عليها التصوير والإحياء والاستيفاء بالمعاني ، وهذا نابع من اهتمامه بانتقاء الالفاظ التى تسهم بالدرجة الاولى فى نقل الصور والمشاهد وتلهم بالصورة الفنية التى يريدها .

ومع تسليمنا بجزالة النواسى ، وارتياحه المحمود لمنابع اللغة العربية والشعر العربى الا انه له بعض الهنات اللغوية التى تتمثل فى مخالفة بعض القياسات الصرفية ، ولكنها قليلة لا تقدر فى مكانته الأدبية الرائعة .

وعليه فقد اعتمد النواسى فى صياغته على الألفاظ الجزلة الخشنة والأخرى السهلة السلسة التى اختارها بذوقه الفنى المرفه فجاءت قصائده شامخة موطدة كالبناء الباذخ ، فأثر كل ذلك فى موسيقى شعره فجاءت قوية الرنين وتارة هادئة . ولا يخفى علينا ان النواسى تأثر فى فصاحته ومعجمه اللغوي بالعلوم التى تلقاها فى العربية فقد كان من المجسدين ، ثم تأثر بالقران الكريم الذى حفظه ودرس علومه ، وتأثر كذلك بالشعر العربى السابق له والمعاصر ، وتأثر ايضا باللغة الفارسية ، فظهر كل ذلك فى لغته وانعكس بجلاء فى ألفاظه فجاء شعره حافلا بكل ذلك ثم تأثر موسيقاه بكل هذا الزخم من الألفاظ فتتنوع الموسيقى كما أوضحنا .

١/ الألفاظ المستوفية :

الألفاظ التى يوردها النواسى فى شعره تقي بالمعنى ، وتعبر عن الصور التى ينشدها ، فنجد فى شعره انسجاما ، وائتلافا بين اللفظ والمعنى ، وهذا يعود بالدرجة الاولى الى معرفته الواسعة باللغة العربية ، وإحاطته الشاملة بكلام العرب الفصحاء . ومن ذلك قوله (١) :-

^١ ديوان ابى نواس ص ٢٧

يا راكبا أقبل من تهمد كيف تركت الابل و الشاء (١)

لفظ الابل أقل ما يقع عليه ثلاثون ، والشاء واحدتها الشاة تكون من الغنم أو المعز ، ويقال للظباء وحمير الوحش ، وجمع الشاء شياه ويختص بالثلاثة الى العشرة فاذا جاوز ذلك قلت شيات ، واذا كثرت قلت هذه شاء كثيرة . ويتضح من ذلك ان النواصي يبلغ بمفرداته اقصى دلالتها على حياة البادية وحيواناتها .

وابو نواس فى البيت السابق يهجو رجل يتشبه بالبدو ، وهو يريد ان يهزأ به ويسخر به لتقليده البدو ، فحاول ان يلائم بين ألفاظه ومعانيه والحياة البدوية التى قيض هذا الرجل على أذياله .

ويقول فى موضع آخر (٢) :-

بلاد نبتها عشر وطلح وأكثر صيدها ضبع وذيب (٣)

الشاعر يريد ان يذم حياة البادية ويبرز ما فيها من الخشونة والجفاف فاستخدم ألفاظا توحى بذلك وتتبأ بهذه المعاني ، فذكر نوعين من أشجار البادية رمز بهما للقسوة والشدة لما لهما من الارتباط القوي بحياة البدو وله أثر فى طرق عيشهم ورعي مواشيهام وهى العشر والطلح ، كما ذكر بعض الحيوانات مثل الضبع والذئب تعبيراً عن قسوة الحياة وخشونة الناس فى اعتمادهم فى الصيد على مصل هذه الحيوانات المفترسة التى لا تصلح للصيد أصلاً ، ولا تصلح ان تكون طعاماً وكل هذه الالفاظ التى استخدمها الشاعر تقي بالمعنى والافكار التى أراد الشاعر تقريرها فى النفوس . وتقي بالصورة التى أرادها الشاعر ورسمها فى الأذهان .

ومع ميل الشاعر الى استخدام الالفاظ المستوفية بالمعنى والدالة على الفكرة نجده يميل ايضا الى الالفاظ السهلة التى تعين على استقصاء المعنى .

ومن ذلك قوله (٤) :-

^١ تهمد : جبل فى البادية . الابل : جمع لا واحد من لفظه ، المفرد المذكر منه جمل والمؤنث ناقة . الشاء :

يشمل المعز والضأن

^٢ ديوان ابى نواس ص ٨٨

^٣ عشر : شجر له صمغ وفيه حراق كالقطن يفتح به . الطلح : من عائلة الاشجار الشوكية

^٤ ديوان ابى نواس ص ٢٤٧

غزال مثل قرن الشمس حسنا اذا طلعت وقابلها السعود (١)
 قريب الدار مطلبه بعيد ألاحظه فيعلم ما اريد (٢)
 فيرسل طرفه لجواب طرفي بما أهوى وان طال الصدود (٣)
 وما ان دون ذلك من مزار ثانا عن تزاورنا الحسود (٤)
 فصنا أنفسا ظهرت وطابت نماها العز والحسب التلبد (٥)
 هوانا واحد و نعيش شتي فما يبقي على البين الوحيد (٦)
 اذا وقدت له نيران قلبي تطيب له الحرارة والوقود (٧)

فكل الالفاظ الواردة هنا سهلة واضحة تدل على المعنى فى جلاء وبساطة مثل قرن الشمس ، السعود ، ويرسل طرفه لجواب طرفي ، وغيرها من الالفاظ والعبارات الشائعة المعبرة عن الفكرة والمستوفية بالمعنى .

وابو نواس يستخدم اللغة استخدام العارف بدقائق المعنى ووضوح الدلالة ، وهذا يدل على تمكن الشاعر من اللغة ، وانه أخذ بناصيتها ومن ذلك استعماله لكلمة قلب فى البيت التالى (٨) :-

وندمان صدق باكر الراح سحره فأضحى وما منه اللسان ولا القلب (٩)

فكلمة القلب قد تعبر به العرب عن العقل ، وهذا المعنى الاخر هو الذى قصده النواسى ، وقد شرح الفراء قوله تعالى (ان فى ذلك لذكرى لم كان له قلب) (١٠)

^١ قرن الشمس : اول ما يبدو منه . السعود : مفرده السعد وهو اليمن ونقيضه النحس

^٢ اى يدرك رغباتي من خلال نظرتي اليه

^٣ اى يستجيب لى بنظراته

^٤ ثانا : منعنا . التزاور : تبادل الزيارات

^٥ نماها : رفعها الى نسب رفيع . العز : كرم الاصل . الحسب التلبد : الشرف القديم

^٦ نعيش شتي اى متفرقين

^٧ نيران القلب : الاشواق

^٨ ديوان ابى نواس ص ٧٨

^٩ الندمان : المشارك فى شرب الخمر ، ومفردها نديم . باكر الراح : غدا لشربها باكرا . السحرة : آخر الليل قبيل الصبح . الضحوة : طلوع الشمس وارتفاع النهار .

أى له عقل . ومثل هذه المعاني العميقة لا يدركها إلا ذو بصيرة بلغة العرب ،
والناس لا يعرفون للقلب معنى سوى معناه الشائع باعتباره مكان الحب والهوى والحد
والرعب .

والشواهد كثيرة على ميل الشاعر إلى الاهتمام بالمعنى ، فيأتي باللفظ المستوفي ،
والواضح الدلالة والسهل الفهم والإدراك .

٢ / الألفاظ غير العربية والمعربة :-

نجد في شعر النواصي العديد من الألفاظ الفارسية متناثرة في ثنايا ألفاظه ، وهو يعود
إلى الامتزاج الحضاري ، والانصهار الاجتماعي حيث كثر الفرس وغيرهم من العجم
في المجتمع العباسي فصار مجتمعا هجيناً تأثر كثيراً بالثقافات الواردة والمستوردة ،
وكان للفرس اليد الطولي في الحياة العامة ، فقد اعتمد عليهم العباسيون في إسقاط
الدولة الأموية وبناء دولتهم القوية ، وكان من سياسة العباسيين القضاء على مفهوم
السيادة العربية فوجد الفرس سانحتهم فنشروا ثقافتهم ولغتهم وسيطروا على الحياة
العامة .

ومن ذلك قوله (٢) :-

و سهرزاز اللون أو سمنده سائلة غرته بخده (٣)
قد قده الصانع أحلي قده فهو شبيه قبلة ببعدة (٤)
ذو غرة من يره يفده في قرطق خيط ببازيكنده (٥)

فلفظ سهرزاز وهو الحمرة ، والسمنده وهي الصفرة ، والبازيكنده وهو وكر البازي من
جوارح الطيور ، فكل هذه الألفاظ فارسية يوردها الشاعر في هذه الأبيات .

ويقول أيضاً (٦) :-

مشمّر ثيابه عن موزج كأنما عل بصبغ النيلج (١)

^١ الآية ٣٧ سورة ق

^٢ ديوان أبي نواس ٢٩٨

^٣ سهرزاز : بازى احمر اللون . سمنده : اللون الاصفر . خده : بياض جبينه

^٤ يقصد ان البازى كان جميل الشكل

^٥ الغرة : البياض فى الجبين . القرطق : القباء ، وهو ثوب ذو طاق واحد . بازىكنده : عش البازى أو وكره

^٦ ديوان أبي نواس ص ٢٠١

ولفظ موزج فارسي معرب وأصله موزة وجمعه موازجه وموازج .
وايضا قوله (٢) :-

بسهرداز اللون أو سبهرج يوفي على الكف انتصاب الزمج (٣)
لفظ سبهرج فارسية بمعنى الأزرق .
ويقول ايضا (٤) :-

باقي حروف السطر المخرفج أبرش أوتاد الجناح الخرج (٥)
بين خوافيه الى الدهفرج (٦)

فلفظ الدهفرج معناها الريشات العشرة في مقدمة جناح الطائر وهي لفظة فارسية .
ويقول ايضا (٧) :-

من ديزج اللون وغير الديزج من كل محبوبك القرا مدمج (٨)

ولفظ الديزج لفظة فارسية معربة وأصلها ديزه ويطلق على لون يكون بين لونين دون
ان يكون خالص .
ويقول ايضا (٩) :-

واعصوصبت لما رأت من جده أسرة كسري يوم دستبنده (١٠)

و دستبنده كلمة فارسية مركبة من دست بمعنى يد ومن بند بمعنى رباط وتعنى كلها
التماسك أو التشابك بالأيدي .

^١ الموزج : الخف . النيلج : دخان الشحم يؤخذ منه ضرب من الكحل والصبغ

^٢ ديوان ابو نواس ص ٢٠١

^٣ سهرداز : الأحمر اللون . سبهرج : الأزرق اللون . الزمج : طائر مائي يسمى النورس ويجمع على نوارس
وهو طائر بحجم الحمام

^٤ ديوان ابى نواس ص ٢٠٢

^٥ المخرفج : نوع من انواع الخط الموسع المبسوط . الأوتاد : ريشات صغيرة بعد الخوافى . الخرج : مفردها
خارج اى من خارج الجناح

^٦ الدهفرج : عشر ريشات فى الجناح

^٧ ديوان ابى نواس ص ٢٠٣

^٨ الديزج : لون بين لونين . القرا : المتن . المدمج : الموثق

^٩ ديوان ابى نواس ص ٢٩٩

^{١٠} اعصوصبت : اجتمعت فى مكان معا بعد الانفلات . دستبنده : نوع من الرقص الفارسى وهى لعبة المجوس
يدورون وقد امسك بعضهم بيد بعض

ويقول فى موضع آخر (١) :-

ليس زاوئش حين سام امام الحوت والبدر اذ هوى لانصباب

كلمة زاوئش ، رومية وهى تعنى المشتري وهى احدى كواكب المجموعة الشمسية
معربة واصلها بالرومية زيوش أو زوش .

وهذا لا يعنى ان الشاعر قد أهمل لغته العربية بل غاص فى أعماق اللغة فهو من
الضالعين فيها الآخذين بزمامها وهو ن آخر المحدثين الذين يحتج بشعرهم فى النحو
وهذا يدل على عظيم مكانته فى اللغة .

ولكن هل نعيب عليه الجنوح الى استخدام هذه الالفاظ الفارسية والرومية لان اللغة
العربية مليئة بالمفردات التى تفي بالقرض ؟ والإجابة هى اننا لا نعيب عليه ذلك
لان اللغة العربية ستظل تستوعب الالفاظ من اللغات الاخرى وتدخلها فى معجمها
وهذا يدل على ان هذه اللغة قد كتبت لها الخلود والبقاء والانتصار ، كما تدل على
انها لغة عالمية .

والعرب من قديم الزمان يعربون العديد من الالفاظ ويثرون بها لغتهم ولو بحثنا فى
ألفاظ القرآن والحديث النبوي لوجدنا العديد من الالفاظ المعربة من غير العربية .ومن
هنا نعتقد بان شيوع هذه الالفاظ غير العربية فى شعره حركة محمودة لا تطمس
هوية اللغة العربية ولا تلغى شخصيتها بل تزيدها قوة ومرونة وأصالة .وقد استخدم
النواسى ألفاظا غاية فى الفصاحة والأصالة والقوة ، فهو أخذ من معينات متعددة ،
واللغة الفصيحة فى شعر النواسى ظاهرة صحية طبيعية لرجل فى مثل مكانته
اللغوية فنجد أنه يأخذ من ألفاظ وتعبير القرآن مثل قوله (٢) :-

عجب الناس اذا رأوه على صورة ليث يمر مر السحاب (٣)

ففى عبارة يمر مر السحاب أخذ مباشر من القرآن الكريم يقول تعالى (ترى الجبال
تحسبها جامدة وهى تمر مر السحاب) (٤) . ويقول ايضا (٥) :-

^١ ديوان ابى نواس ص ١٠٢

^٢ ديوان ابى نواس ص ٩٧

^٣ الليث : يقصد به الخليفة الامين بن هارون الرشيد العباسى

^٤ الاية ٨٨ سورة النمل

^٥ ديوان ابى نواس ص ١٠٢

منك أمضى لدى الحروب ولا أهول فى العين عن ضرب الرقاب (١)

ففى عبارة ضرب الرقاب مأخوذة من القران الكريم يقول تعالى (فاذا لقيتم الذين كفروا فضرب الرقاب) (٢) .

ويقول ايضا (٣) :-

يا بنى حمالة الحطب حربي من ظبيكم حربي (٤)

فعبارة حمالة الحطب نجدها فى قول الجبار (وامرأته حمالة الحطب) (٥)

٣/ مخالفة القياس الصرفي :-

مع فصاحة النواسى أخذ بناصية اللغة نجد له بعض الالفاظ التى يخالف فيها القياس الصرفي للغة العربية ويكأنه اعتقد بانه بلغ فى الإحاطة باللغة حدا يسوغ له ان يتصرف فيها كيفما شاء واتفق له ، حتى لتحس كأنه يعامل اللغة معاملة الملك المستبد مثل قوله (٦) :-

فلما بدا لى اليأس عديت ناقتي عن الدار واستولى على عزائي (٧)

الى بيت حان لا تهر كلابه على ولا ينكرن طول ثوائي (٨)

فلفظ حان مأخوذ من الحين بمعنى الهلاك لان الحان أو الحانة تهلك المال ، وقد خالف القياس الصرفي فى كلمة حان فقد كان ينبقى ان يقول ببيت حاني وهو

^١ امضى : اشد مضاء ، المضاء هو القطع . أهول : من الهول وهو الخوف الشديد . ضرب الرقاب : قطعها بالسيف

^٢ الاية ٤ سورة محمد

^٣ ديوان ابى نواس ص ١١٢

^٤ حمالة : يقصد أم الغلام الذى يتغزل به . حربي : هلاكي . الظبي : يقصد به الغلام

^٥ الاية ٤ سورة المسد

^٦ ديوان ابى نواس ص ٤٤

^٧ عديت ناقتي عن الدار : تجاوزت الدار بناقتي

^٨ ثوائي : بقائي ومكوئي

صاحب الحان فياء النسب لا يمكن حذفه والاستعاض عنه بشئ آخر كالتنوين الذى وضعه الشاعر عوضا عن ياء النسب .ويقول (١) :-

يا رب غيث آمن السروب ملازمات جلّهتي ملحوب (٢)

فالقطبيات الى الذنوب يرفلن فى برانس قشوب (٣)

ولفظ قشوب يقصد بها جدد على انها جمع قشيب ولكن قشيب يجمع على قشب وليس قشوب مثل سبيل يجمع على سبل أو طريق يجمع على طرق ومثل جديد يجمع على جدد ، ولكن جمع قشيب على قشوب ربما تكون للضرورة التى اقتضتها السياق الشعري ولكنه مخالف للقياس الصرفي المعروف .

ويقول فى موضع آخر (٤) :-

وهاكها قهوة صهباء صافية منسوبة لقري هيت وعانات (٥)

ألزه بحمياها وازجره باللين طورا وبالتشديد تارات (٦)

كلمة قرى جاءت بصيغة الجمع والمقصود بها قريتين وهم هيت وعانات والقياس الصرفي يقتضي ان يقول لقريتي هيت وعانات . وربما يقصد هاتين القريتين والقري المجاورة لها ولكن السياق الظاهر يقتضي التنثية كما أوضحنا . وقال ايضا (٧) :

هى لدفع الهم والأحزان من خير علاج (٨)

حبذا ذاك لقاحا فى أباريق الزجاج (٩)

حسبوها ضوء نار فطفوها بالمزاج (١٠)

^١ ديوان ابى نواس ص ١٣٥

^٢ الغيث:النبات الذى ينمو بماء الغيث. السروب:مفردها سرب وهو القطيع من الطيورأو الضباء

^٣ القطبيات : اسم جبل . الذنوب : موضع أو مكان

^٤ ديوان ابى نواس ص ١٨٨

^٥ هاكها :خذها.صهباء : خمر صفراء . هيت وعانات : بلدتان مشهورتان بالخمير فى العراق

^٦ ألزه : يلزمه . حمياها : نشوتها . ازجره : انهزه

^٧ ديوان ابى نواس ص ١٩٩

^٨ خير علاج : يزعم الخبيث ان الخمر افضل انواع العلاج

^٩ لقاحا يقصد علاجاً

فى اسم الاشارة هى سكن الياء ربما لاجل استقامة الوزن والقياس الصرفي الصحيح
هى بالتحريك وليس بالسكون . وفى طفوها مخالفة للقياس فالأصل طفأوها ولكنه
حذف الهمزة أو خففها .

ويقول (٢) :-

خليلية فى وزنها قطرية نظائرها عند الملوك عتادي (٣)

و ما ضرها الا تكون لجرول ولا المزني كعب ولا لزياد (٤)

ففى كلمة المزني نسب الى قبيلة مزينة المضرية ، والقاعدة الصرفية فى النسب
تقتضى ان تكون الياء مشددة مكسورة ما قبلها فكان عليه ان يقول مزني ولكنه خفف
ياء النسب وهذا ما لا يقبل ولا يكون جائز مطلقا حتى لو كان للضرورة الشعرية .
خالف ابو نواس بعض القياسات الصرفية ، وربما كان ذلك بدافع الضروريات
الشعرية ، ولكنها شاذة وغير مقبولة فهى تضعف اللغة وتخرجها عن اطارها
الصحيح كما ان الضرورة الشعرية تشبه الى حد كبير زعم المشركين الذين كانوا
يعبدون الأصنام من دون الله ثم يقولون ما عبدناها الا لتقربنا الى الله زلفى .

٤/ جهرة الالفاظ :-

وهى تدل على الفصاحة والجزالة ، وابو نواس شاعر فصيح جزل له معرفة عميقة
باللغة العربية وغريبها ، وهذه الفصاحة والجزالة والمعرفة العميقة باللغة دفعته الى
إيراد ألفاظ غاية فى الخشونة والغلظة ، مما جعل شعره مستعصي على الفهم . فقد
عاد بالشعر الى سابق عهده فى الجاهلية حيث الخشونة والجهارة والغلظة .

وفى العصر العباسى ظهر بعض الناس يتشدقون بالكلام ، ويتعمدون الجهارة
والإغراق فى الغريب بهدف انتحال صفة البداوة ، وكان البدو بما فيهم من الجفاء
والغلظة كانت اللغة عندهم خضراء مزدهرة ، ومن هنا ظهرت انتحال صفة البدوي

^١ طفوها : أطفأوها أى خففوا حدثها

^٢ ديوان ابى نواس ص ٢٧٦

^٣ خليلية : نسبه الى الخليل بن احمد الفراهيدي . قطرب : لغوى مشهور من المفسرين . نظائرها : شبيهاتها

^٤ ضرها : ساءها . جرول : لقب الخطيئة . المزني : كعب بن زهير . زياد : النابغة الذبياني

القح فى هذا العصر ، وربما أراد النواسى ان يظهر فضله فى الميدان اللغوي ، فهو يذم الذين يتقمصون صفة البداوة ولكنه يدرك ان البدو مبدلون لمكانتهم فى اللغة فهو يحاول ان لا يكون أقل منهم فصاحة ولسنا .

استمع اليه يقول (١) :

قد اغتدى والليل احوي السد والصبح فى الظلماء ذو تعد (٢)

مثل اهتزاز العضب ذى الفرند بأهرت الشدقين مرمئ (٣)

أزير مضبور القراء علكد طاوى الحشا فى طئ جسم معد (٤)

كره الروا جم غضون الخد دلامز ذى نكف مسود (٥)

وشجر بختي بنحر ورد شرنبث أغلب مصمعد (٦)

فالألفاظ هنا غريبة خاصة للإنسان المعاصر ، وهى تجعل الموسيقى الشعرية صاخبة متنافرة غير سائقة ولكنها تجعلها قوية شديدة الصليل ، وتجعل المعاني مستصعبة على الإفهام .

ويقول (٧) :-

وجمشت بخفي اللحظ فانجمشت وجرى الوعد بين الصدق والكذب (٨)

تمت فلم ير انسان لها شبهافى من بري الله من عجم ومن عرب (٩)

^١ ديوان ابى نواس ص ٢٧٤

^٢ أحوى : اسود . السد : ما سد الأبصار بظلمته . ذو تعد : ذو سير شديد

^٣ العضب : السيف القاطع . الفرند : السيف الموشى والذى له خطوط . أهرت الشدقين : واسع الفم . مرمئ : شديد العدو . ارمذ زاد فى العدو

^٤ الازير : العظيم الزير وهو الصدر ، ويقصد بالازير انه قوى . مضبور : مكتنز كثير اللحم . الفرا : الظهر وهو المتن . علكد : ضخم الخلقة . طاوى الحشا : ضامر البطن . الجسم المعد : الجسم الكبير المعدة اى الشحم .

^٥ كره : كره المنظر . الروا : الارض المروية بالماء . جم : كثير بلا عدد . الغضون : التجمعات . دلامز : قوى ضخم مجتمع الخلق . النكف : اقصى الحلق ، ومفرده النكفة

^٦ وشجر بختي : الشجر هو ما بين اللحيين ، ويريد انه واشع الشدق كالبختي ، والبختي هو الاسد . شرنبث : غليظ الكف ذو مخالب هائلة . الاغلب : الغليظ الرقبة . مصمعد : مندفع فى عدوه

^٧ ديوان ابى نواس ص ١٠٦

^٨ جمشت : غازلت وداعبت . وقيل ان التجميش هو الكلام الخلفي

^٩ بري : خلق

ولفظ جشمت ، هنا تدل على القدم والخشونة ويستعصى على الفهم ولا يمكن ادراك معناه الا بالرجوع الى المعاجم وكتب اللغة ، ولا يخفي ما فيه من غلظة ونبو عن المسامع .

ومثل قوله (١) :-

ألا حى أطلالا بسخان فالعذب الى برع فالبئر بئر ابي زغب (٢)
 تمر بها عفر الظباء كأنها أخاخذ من روم يقسمن فى نهب (٣)
 عليها من الشوحاط ظل كأنه هذاليل غير منصرم النحب (٤)
 تلاعب أبكار الغمام وتنتحي الى كل زحلوف زحالفه صعب (٥)
 وهنا يورد ابو نواس عددا من الالفاظ الصعبة والفصيحة مثلما يفعل الجاهليون فى غابر عهودهم .حيث يقول فى موضع آخر (٦) :-

ألقي زايه و أخلف بزه كانت حياكة صانع متنوق (٧)
 فكأنه متدرع ديباجة عن قالص التبان غير مسوق (٨)
 واذا شهدت به الوقية أقلعت عنه الغيابة وهو حر المصدق (٩)
 فترى الاوز فريث خطم مشيع رثان ينتشط الشواكل سونق (١٠)
 يقاتم جلتها و يقصر شأوها بمونق سلب الشياة مدلق (١١)
 حتى رفضا قدرنا برضامها فاللحم بين موزر و موشق (١٢)

^١ ديوان ابي نواس ص ١١٩

^٢ سخان : مدينة قديمة باليمن . العذب اسم موضع . برع : جبل فى اليمن

^٣ عفر : نوع من الظباء أغبر اللون . أخاخذ : الأسيرة . النهب : الغنائم

^٤ الشوحاط : نوع من الشجر . هذاليل : بقية الليل . منصرم : منقطع . النحب : الاجل

^٥ ابكار الغمام : الغيوم الصباحي . تنتحي : تتجه . زحلوف : موضع للزحقة تلعب فيه الصبية

^٦ ديوان ابي نواس ص ٦٤٧

^٧ زابر : بقايا الثوب . المتنوق : الماهر فى عمله المتقن له

^٨ المتدرع : المرتدي الثوب فى صدره كالدرع . القالص : المنكمش . التبان : سروال . مسوق : قصير

^٩ اقلع : اخرج وانقلع . الغيابة : كل ما يغيب الانسان مثل غبار الحروب وغيرها

^{١٠} فريث : شق . غرثان : جائع . ينتشط : يقشر ويجذب . الشواكل : الخواصر . السونق : صقر

^{١١} يعتام : يختار . جلتها : كبارها . الشأو : المدى . المونق : المحدد . سلب : طويل . المذلق : المسنون

الحاد

^{١٢} الرضام : اللحم المرصوص . موزر : اللحم المقطع الى قطع صغيرة . الموشق : المقطع قددا وشرائح

وهذا النص حافل بالألفاظ الخشنة والجهيرة .

ويقول ايضاً (١) :-

كأنها برائن من ذيب يضبثن في ثري مصوب (٢)
الى وظيف فائق الظنوب وجؤجؤ مثل مداك الطيب (٣)
تحت جناح موجد التنكيب ذى قصاب مستأزر الكعوب (٤)
وحف الظهر عسل الأنوب أنس بين صروح و لوب (٥)
بمقلة قليلة التكذيب طراحة خلف لقي الغيوب (٦)
فانقض مثل الحجر المندوب منكفتا تكفت الجنيب (٧)
في الشطر من حملاقه المقلوب على رفل بالضحي ضغوب (٨)
بذي مواس مرهف الكلوب غادر في جؤشوشه المنقوب (٩)

وهنا نلاحظ ألفاظاً قوية خشنة صعبة الفهم .

وهكذا كان النواسى فى جل شعره ، فقد ضرب فى كل ناحية بسهم نافذ ، حيث يظهر تأثره الكبير باللغة الفارسية التى كانت جزءاً من ثقافة العصر ، وغاص فى بحور العربية حتى بلغ قاعها فطالعنا بألفاظ غاية فى الفصاحة والخشونة والجهارة والقوة ، ونجده يأتى بالألفاظ السهلة والرشيقة والمستوفية بالمعنى ، تلك التى

^١ ديوان ابى نواس ص ١٣٦

^٢ برائن : مخالب . يضبثن : قبض شديد . مصوب : إصابة الغيث

^٣ الوظيف : مشدق الذراع أو الساق من الخيل أو الابل وغيرها . الفائق : الجيد الخالص فى نوعه . الظنوب :

حرف عظم الساق من الامام . الجؤجؤ : الصدر . المداك : حجر أملس

^٤ موجد التنكيب : موثق المنكب قوى العظم . مستأزر : ملتئم . الكعوب : يريد بها عظام الصيد

^٥ وحف : كثير . الظهر : ما ظهر من الريش . عسل : معوج . الأنوب : قصب الريش . أنس : أبصر .

الصروح : الارض المستوية . لوب : الارض ذات الحجارة .

^٦ طراحة : من بعيد الى مكان بعيد . اللقي : ما كان ملقى من وراء الشئ وهو يريد هنا من وراء الغيب

^٧ المندوب : المرسل . منكفتا : منضما ، منقبضا . تكفت : من تكفت الطائر اذا اسرع فى الطيران أو العدو

وتقبض فيه . الخبيب الطائر المنقاد

^٨ فى الشطر : ي ينظر بشق عينه الى الصيد . حملاق : باطن اجفان العين . رفل : عظيم ويريد بها الطريدة

اذ تتبخر وتتمايل فى مشيتها . ضغوب : صوت الذئب

^٩ مواس : آلة حادة للحلاقة . الكلوب : المخلب . جؤشوشه : الصدر . المنقوب : المثقوب

تصور المعني وتمنحك الإحساس بالحيوية والحياة ، ولا نكاد نجد له ألفاظا ضعيفة ،
ولكننا نجد له مخالفات صرفية لا تقدر في شاعريته وإمامه باللغة .

المبحث الثالث

الصورة الفنية في شعر ابي نواس

وظيفة الصورة الشعرية في الأساس تتعلق بإثارة العاطفة واستفزازها ، ومخاطبة الحس وتحريكه ، والشعور بقيمة الأداء الأدبي مرهون بالصورة الشعرية .

والخيال هو الأساس في العمل الفني ، وهو الحبل المتين الذي يصل بين أجزاء القصيدة ، والخيال كذلك هو العامل الرئيسي الذي يحقق للنص وحدته العضوية ووحدته الشعور النفسي ، والخيال الخصب القادر على التحليق في سماوات الإبداع هو لقادر على تلوين المعاني وتجسيدها ، وبالتالي يرفع من قيمة العمل الأدبي .

وأبو نواس شاعر مطبوع ، له موهبة فنية فذة ، ومقدرة عالية على ابتداع الصور الفنية وتوليدها من رحم الخيال ، ولذلك فإن شعره يعتبر نموذجاً يحتذى به في ، إذ أنه رأس المحدثين بعد بشار (١) ، علماً بأن العصر قد اشتهر بنماذج قلائل رصعت العصر العباسي الأول بقلائد توجت بها تلك الفترة ، خاصة وأن شاعر البحث هو ذلك المبدع الذي تفنن في مجالات العربية من نحو ، وصرف ، وأدب ، وعلم الكلام ، إلى جانب المامه بعلوم الفلك وجلوسه في حلقات الدرس .

وكل تلك العوامل مجتمعة أثرت في توجيه خياله وعبقريته التي خرجت لنا بالعديد من الصور الفنية التي لو رأيتها مرسومة أمامك لوقفت تتأملها زمناً ليس بالقصير في إعجاب وإبتهار .

ومن الأهمية بمكان الوقوف على ما ورد من تعريفات مختلفة للصورة الشعرية عند علماء الأدب ونقده ، وذلك لأنها حظيت باهتمام كبير منهم ، علماً بأنها هي التي

^١ سبقت ترجمته ص

تزين الشعر وتحسنه ، فقد ذكر ابن رشيق (١) " فإن لم تقابل الصورة الحسناء بما يشاكلها ويليق بها من اللباس فقد بخست حقها ، وتضاءلت في عين مبصرها... " وكذلك قال الجاحظ معرفا إياها " بأنها صناعة وضرب من النسيج وجنس من التصوير " (٢)، إضافة إلى ما ورد من تعريفات ؛ فإن عبد القادر الجرجاني يقول " بأن الصورة هي تمثيل ، وقياس لما نعلمه بعقولنا على الذي نراه بأبصارنا " (٣).

والذي يربط مباشرة العقل بالحواس ، ويوثق الصلة بينهما أيما توثيق في إبداع الصورة وهو الخيال ، علماً بأنه هو الملكة التي يستطيع بها الأدباء أن يؤلفوا صورهم ، وقد يؤلفون من أحاسات سابقة لا حصر لها ، تختزنها عقولهم ، وتظل كامنة في مخيلتهم حتى تحين الوقت فيؤلفون منها الصورة التي يريدونها ، وبمقدار قوة خيال الشاعر تكون قيمة قصيدته من الناحية التصويرية (٤).

وأحسن مواقع التخيل أن يناط بالمعاني المناسبة للفرض الذي فيه القول ، كتخيل الأمور السارة للتهاني ، والأمور المفجعة في المراثي ، فإن مناسبة المعنى للحال التي فيها القول ، وشدة التباسه بها يعاون التخيل على ما يراد من تأثر النفس لمقتضاها (٥).

ومقياس جودة الصورة الشعرية ان تكون مشخصة تستمد قوتها من سعة الشعور حيناً ، ومن دقة الشعور حيناً آخر (٦) ، والتشخيص الجيد لا يسمح بكلمة ان تأتي عفواً في البيت الشعري فإنه لا بد ان يكون لكل كلمة مكانها من الصورة ، ونصيبها من

^١ العمدة ١٢٧/١ .

^٢ كتاب الحيوان ، للجاحظ ١٣١/٣ وما بعدها ، تحقيق عبد السلام محمد هارون ، طبعة دار الجيل ، بيروت ، سنة ١٩٦٩ م .

^٣ دلائل الاعجاز ، لأبي بكر عبد القاهر بن عبد الرحمن بن محمد الجرجاني النحوي ، ص ٥٠٨ ، شرحه ، وعلق عليه أبو محمود بن محمد شاعر (ط) مكتبة الخانجي ، القاهرة سنة ١٩٨٩ م .

^٤ في النقد الأدبي ، شوقي ضيف ص ١٦٧ ، طبعة دار المعارف ، مصر (ط) سنة ١٩٦٢ م .

^٥ منهاج البلغاء وسراج الأدباء لأبي الحسن حازم القرطاجي ص ٩٠ ، تحقيق محمد الحبيب الخواجة (ط) (٣) ، طبعة دار الغرب الإسلامي سنة ١٩٨٦ م .

^٦ شاعرية العقاد في ميزان النقد الحديث ، لعبد الحي دياب ، ص ١٨٤ ، طبعة دار النهضة الأدبية الحديثة . مصر ، بدون تاريخ .

التلوين ، والتمثيل ، والتبيين لن الشاعر ينظر الى ما حوله فينطبع ما يراه في حسسه (١).

ويرى النقاد ان التجسيم جزء اساسى من الصورة الشعرية ، ولذلك كان لابد من ارتباطه بجوانب محسوسة ، أو مدركة بالعين . إذا فإن الشاعر العبقرى ذو الخيال الواسع والكلمة الرصينة هو الذى يستطيع أن تتسم صورته الشعرية بالإبداع والرمز العنصرى ، وحينئذ تكون صورته الشعرية بعيدة المنال ، لا يستطيع ان يصل اليها إنسان مهما بلغ من فرط تعلقه بالشعر ، وإعجابه به.

ومجمل القول فإن ديوان شاعر الرسالة حافل بالصور الشعرية المتعددة ، ساعده على ذلك قدرته على تركيب الصورة الشعرية ومعرفته بصناعة الشعر ، وتأثره بالقرآن الكريم ، واختار لتشكيل صورته الشعرية البديع والبيان .

وأبو نواس على الرغم من شاعريته الخصبة ، وإمامه بشوارد اللغة ، وثقافته الواسعة ، ومقدرته على القول وإبداع الكلام ، إلا أنه لم يكثر من الصورة الشعرية في شعره ؛ فأكثر قوله يأتي مباشراً في صيغ تقريرية لا تخلو من اللمحات الفنية العابرة التي تجعل لكلامه طلاوة وحلاوة ، وعليه لم تكن أشعاره خالية من التصوير الفنى البديع ، فشعره مزدان بخضرة الصورة الزاهية التي تضيء على شعره روحاً وحياءً ، ولعل من أهم مظاهر الصورة الفنية عنده :

١/ الاهتمام بالصور الالامعة:

عشق ابو نواس الصور الالامعة المشرقة المتألئة مثل ضياء الشمس والقمر والنور والبلور واللؤلؤ ، وغيرها من المظاهر التي تشع في ثناياها لضياء والبريق. وقد يعود هذا الاهتمام بهذه الصور الالامعة الى طبيعة حياة الشاعر القائمة على السهر في الحانات حيث الأنوار المضيئة والشموع وكؤوس الخمر المتألئة ، ومنظر الخمر الصافي الذي عندما ينعكس عليها أشعة الأنوار ترسل بريقاً خاطفاً يكاد سنا برقه يذهب بالأبصار ، وهناك الراقصات والقيان يرتدين الثياب المرصعة بالخرز والجواهر الالامعة التي تتحد مع ضياء الشموس وترسل ايضاً بريقاً ممزوجاً ببريق المقل الآثمة ، فشاعرنا يعيش وسط هذه الاضواء الباهرة فامتزجت بها نفسه ،

^١ المرجع السابق والصفحة.

واهتزت لها روحه ، فنجده لا يذهب بخياله بعيدا عن موارد النور ، ومصادر لمعان البلور فكل شئ عنده لامع براق .

فاستمع اليه يصف لنا وجه الجارية التي حملت اليه خمرا (١)

قامت بابريقها والليل معتكر فلاح من وجهها فى البيت للألاء (٢)

فهذه الجارية حملت الابريق لتدور به على السكاري ، فاشرق وجهها بالضياء فاضاعت دار الخمار ، فهذا الوجه لا محالة جميل ، ولكن هذا الجمال صار عند النواسى نورا يضئ ظلام الليل .

وانظر اليه فى هذا البيت (٣) التالى فحتى الحب والشوق عنده مضئ :

صليت من حبها نارين واحدة بين الضلوع واخرى بين احشائي

النار الاول هو الحب ، والنار الثاني الشوق ولا شك ان الصورتان اللتان عبر الشاعر بهما عما فى نفسه هما صور مضيئة لامعة وايضا ساخنة .

وكل شئ فى نظر ابى نواس يشع منه النور والضياء وكأنه ينظر الى العالم من خلال قارورة خمر ، ومن خلال الكأس القائل فى وصف الخمر (٤) :-

وكأس كمصباح السماء شربتها على قبلة أو موعد بلقاء (٥)

أنت دونها الأيام حتى كأنها تساقط نور من فتوق سماء (٦)

أبرز الشاعر الذي يشرب منه الخمر متوهجا كالشمس نقاء وبياضا كما ان الخمرة التي يشربها كانت معتقة كطول مكثها في الدن حتى صارت نقية صافية كأنها نور تساقط من شقوق أو خروق في السماء.

ما أبدع هذه الصورة الفنية التي ولدها الشاعر ، وظفر بها من شوارد الأخيلة ، و لا يخفى ما في هذه الصورة الفنية من أنوار متألئة من الكأس والخمر الصافي

^١ ديوان ابى نواس لسليم قهوجى ص ٣٢

^٢ معتكر شديد الظلمة . اللألاء : الضوء اللامع .

^٣ ديوان ابى نواس لسليم قهوجى ص ٤٠

^٤ المرجع السابق ص ٤٥

^٥ مصباح السماء : يقصد بها الشمس

^٦ فتوق : خروق أو شقوق .

المتوهج ، ولو تفكرنا في أضواء الشموع التي تزين المكان لعشنا بخيالنا وسط الأنوار الباهرة .

وهذه صورة اخرى لامعة للشاعر يعبر بها عن نقاء الكأس والخمر (١).

فجوزها عني عقارا ترى لها الى الشرف الأعلى شعاعا مطنبا (٢)

اذا عب فيها شارب القوم خلته يقبل في داج من الليل كوكبا (٣)

الساقى صرف الكأس عنه وكانت الخمر تتوهج ، وشعاعها المستتير يملأ الفضاء نورا وسناء ، وكانت هذه الخمرة صافية والكأس أيضا حتى ان الشارب اذا لامس حافة الكأس بشفتيه بدا له الخمر في ظلمة الليل كأنه يقبل كوكبا منيرا لما يصدر عن تلك الخمر من ضياء .

فصورة الخمر الصافية والكاس الشفاف تبدوان لامعان مضيئان وحتى صورة المشيب الابيض يبدو في نظر الشاعر لامعا مضيئا كالكوكب (٤) :-

منازل قد عمرتها يفعا حتى بدأ في عذارى الشهب (٥)

الشيب الذي يظهر على الشعر الاسود هو ابيض لا محالة ولكنه كونه مضيء فلم يخطر الا على خيال هذا الشاعر ، فهو جعل الشيب في سواد لمعته مثل ضياء الشهب في ظلمة الليل الحالك وهذا أبعد في ابراز ابي نواس أقوى لان الظلام يبرز شدة لمعان الشهب والضحظ يظهر حسنه الضد .

وهذه الصورة اللمعة المشرقة التي يرسمها شاعرنا رغم اتحادها وتكرارها الا ان طعمها يختلف ، فقد أتى بها متشابهة ، لكنها تستهويننا دائما بحسن اطارها الفني

^١ ديوان أي نواس لسليم قهوجي ص ٥٨ .

^٢ جوزها عني : صرفها عني . العقار : الخمر . الشرف : المرتفع . المطنب : المشدود ، والأطناب هي الحبال .

^٣ عب : شرب . داج من الليل : ليل حالكة الظلمة .

^٤ ديون ابي نواس لسليم قهوجي ص ٦٨

^٥ عمرتها : اقمته فيها . يفعا : فتيا ، و اليفع الغلام قارب العشرين . العذار : جانب الوجه . الشهب : الكوكب اللامع المضيء بسبب احتراقه في الغلاف الجوي للأرض ويحتمل ان يكون الشهب وفي هذه الحالة تعني الشبهة وهو البياض يخالط السواد

الذى يزيد من احساسنا بالجمال والطرافة والروعة ، فها هو منظر كامل يرسمه الشاعر لمجموعة من النصارى يتلون الإنجيل فيقول والنور يلمع فى ثنايا قوله (١)

يتلون إنجيلهم وفوقهم سماء خمر نجومها الحبيب (٢)

كأنها لؤلؤ تبده ايدى عذارى افضى بها اللعب (٣)

يصف الشاعر هؤلاء القساوسة الذين يقرأون انجيلهم وقد بلغت الخمر الى ما فوق رسومهم فبدت وكأنها سماء تشرق فى جوانبها فقايع الخمر كالنجوم ، وهذه الفقايع التى تعلق الكأس عند مزج الخمر بالماء تبدو كاللآلي المتفرقة فى كل اتجاه ، فقد يعترىها أيدي العذارى وهذه الصورة لا شك جميلة رائعة ، فيها تصوير بديع لا يشق له غبار .

والنواسى عندما يمدح احيانا يبرز جمال الممدوح وبعد منزلته وطهارته فى عدد من الصور اللامعة والاضواء الساطعة حتى انك تحس بانك لن تستطيع ان تديم النظر اليه لو كان فى الواقع ، فهو عندما مدح مثلاً يحيى بن خالد البرمكي قال (٤) :

صورة المشتري لذي بيت نور الليل والشمس انت عند النصاب (٥)

فهذا الممدوح هو كوكب المشتري حين يكون فى برج السرطان ، وهو القمر المضيء فى ظلام الليل ، وهو الشمس يتوسط السماء ، فكل هذه تشبيهات تبرز جمال الممدوح وبهاء ورفعته وهيبته ، ولكنها كلها صوراً لامعة مضيئة ومشرقة تأتي متلاحقة ، فلو تخيلنا صورة هذا الممدوح على ضوء وصف ابي نواس له لرأيناه مدينة من نور لا تكاد تتبين ما فيه من شدة اللألاء . فالسواد فى نظر النواسى يبدو

^١ ديوان ابي نواس ص ٧٣ (سليم قهوجى)

^٢ الحبيب : فقايع تتدور فى اعلى الاقداح

^٣ تبده : تبعثره . افضى بها : صيرها الى الفضاء

^٤ ديوان ابي نواس لسليم قهوجى ص ١٠١

^٥ المشتري : نجم من السيارات يكون متوهجا حين يكون فى برج السرطان . نور الليل : القمر . النصاب : الارتفاع فى السماء

لامعا متوهجا ، وهذه من غرائب الصور فقد قال فى وصف شارب أمرد ابتداءً فى
الإنبات (١) :-

وشارب يتلأأ حين ابتداءً فى النبات (٢)

يقول بان شارب هذا الغلام بدأ يطر وينبت وهو يتلأأ ويتوهج فهذه الصورة تبدو
للوهلة الاولى غير متسقة فالشارب لا يوصف بالتلأأ والتوهج ، ولكن يبدو إحساس
الشاعر بالجمال دفعه لهذا التخيل البعيد ، واعتقد بانه مثل خروج الشارب من منابته
ببزوغ الشمس فى مطلعته ، فهبطت هذه الصورة المضيئة على خياله وجرى على
لسانه ، فاذا الشارب يتلأأ .

واليك هذه الصورة المشرقة التى تكاد تضى جنبات الكون (٣)

و قهوة كالمسك مشمولة	منزلها الانبار أو هيت (٤)
كأنها الشمس اذا صففت	منزلها الكبش أو الحوت (٥)
أو دارة البدر اذا ما استوي	و ثم للعد المواقيت (٦)
كأنها هناك فى حسنه	أو وجه عباس اذا شيت (٧)
بل وجه عباس له حسنه	لانه در و ياقوت (٨)

الخمير هنا بيضاء صافية متوهجة مثل الشمس فى اشد حالات سطوعها ، وهى تشبه
هالة البدر المضيئة يوم التمام اى يوم الرابع عشر من الشهر وهو يوم اكتمال القمر

^١ ديوان ابى نواس ص ١٨٠

^٢ النبات : الظهور ، من انبت الزرع اذا اظهر على وجه الارض

^٣ ديوان ابى نواس ص ١٧٧

^٤ القهوة : الخمير . مشمولة : باردة بسبب ريح الشمال . الانبار مدينة على الفرات غربى بغداد ، اول من عمرها
سابور بن هرمز ، ودخلها المسلمون بقيادة خالد بن الوليد سنة ٦٣٤ م ، ثم جدها ابو العباس السفاح ، اول
خلفاء بني العباس ، وبني بها قصورا ، واقام بها الى ان مات . هيت : مدينة عراقية على شاطئ الفرات ذات
نجل كثير ، وخبرات واسعة ، وعندما كانت القوافل تقطع النهر فى طريقها الى مدينة حلب السورية .

^٥ صففت : تقلب من وعاء الى وهاء لتصفو . الكبش : اراد به الحمل . الحوت : برج ، والحمل والحوت برجان
من منازل الشمس

^٦ دار البدر : عالته . استوي : اكتمل . المواقيت : جمع ميقات ويقصد بها اربعة عشر يوما .

^٧ شيت : اردت

^٨ الياقوت حجر نفيس

، وهذا الخمر المضيء المتوهج يشبه وجه عباس وهو غلام فى الحانة التى يتعاطي فيها الخمر .

ثم يعود ويقول ان وجه عباس مضيئاً كالدر والياقوت فهو افضل بهاء ونورا من القمر .

وهكذا عني النواسى فى شعره بالصور اللامعة المشرقة الذى كان مظهرها من مظاهر حياة الترف واللهو ، فكل شئ حوله مضيئاً لامعاً فانطبعت هذه الصور فى مخيلته . ونحن لا نقول ان الشاعر جعل الصور لامعة ، ولا نقول كذلك بانه وصف كل شئ بالتوهج دون مراعاة للذوق ، أو الواقع ، فصورة صفاء الخمر وجمال لونه ، وصورة الكأس الزجاجي يتفق تماما مع الصورة الفنية التى رسمها ابو نواس ، ولكنه ظل أسير هذه الصور ولم يجد عنها فكاكا فظل يرددتها ويكررها حتى فى الصور غير الخمرية ، وكذلك وصف وجه الممدوح بالبدر والشمس وغيرها من الصور اللامعة كثيرة شائعة فى أشعار العرب قديما وحديثا ، ولكن النواسى أفرط فى ذلك حتى لكأنه أتخذها مذهبا فنيا فى إيراد الصور الأدبية .

٢ / التجسيم والتشخيص :-

التجسيم هو ابراز المعنوي فى ثوب المحسوس (١) ، والتشخيص هو بث الحياة فى الجمادات والمعنويات بحيث نراها شاخصة أمامنا تمتلئ بالحركة والحيوية ، والحياة (٢) .

وهاتان الناحيتان الفيتان متى استخدمهما الأديب ببراعة وحنكة وفى المكان المناسب ارتفعت القيم الفنية للقصيدة ، وهما اللتان تعطيان النص الادبى قدرا كبيرا من الجمال والتذوق والاخضرار .

وابو نواس كشاعر حاذق استطاع ان يأتى بتصاوير بيانية رائعة ضمنها الاستعارة والتجسيم والتشخيص تجلت من خلالها مقدرته الكبيرة وموهبته الادبية فى ابتكار الصور وابتداع الاطر الزاهية التى كان يعبر عن معانيه . ومن ذلك قوله (٣) :-

^١ التصوير الفنى فى القرآن للسيد قطب ص ١١٣

^٢ المرجع السابق نفس الصفحة

^٣ ديوان ابى نواس ص ٦١

ملأت قلبي ندوبا فصرت صبا كئيبا (١)
علمت دمعي سكبا ومقلتي نحيبا (٢)

فالشاعر جسم الندوب وهو معنوي في هيئة أشياء محسوسة تملأ القلب مما يدل على ثقل هذه الأشياء وكثرتها وهي تبرز ما يعاينيه الشاعر من آلام نفسية هائلة لا طاقة له بها .

والبيت الثاني أظهر الدمع وهو حماد في صورة كائن حي يتعلم ويعي ، فقد تعلمت دموعه السكوب وتمرست به ، وهذا تعبير بقوة عن معنى انسكاب الدموع على خديه فهي اعتادت واكتسبت المعرفة . كما جعل المقل وهي العيون تتعلم النحيب والبكاء فأبرزها في صورة انسان تدرب على النحيب والبكاء وهذه ايضا تدلنا على كثرة بكائه التي لا يستطيع ان يلوي لها عنانا .
وفي موضع آخر يقول (٣) :-

في فتية كالسيوف هزهم شرح الشباب وزانهم أدب (٤)

الشاعر بعد ان شبه هؤلاء الفتية بالسيوف مضاءة وقوة ، وظهر الادب وهو معنوي في صورة المحسوس فجعله مثل الزينة اي كالقلائد مثلا أو كالأزهار أو غيرها من الأشياء التي يتزين بها الناس فهؤلاء الفتية يظهر الادب عليهم فيزيدهم جمالا ورفعة ، ولا شك ان هذه الصورة تعبر بقوة عن معنى الادب والتعذيب حتى انها يبدو عليهم كالأساور والإستبرق والثياب السندسية والخلدات .
وفي هذا الموضع يقول (٥) :-

أبليت صبرا لم يبيله احد واقتسمتني مآرب شعب (٦)

فالشاعر هنا جعل الصبر مثل الثوب الذي ارتداه حتى ابلاه فصار خلقا قديما ، وهذا يبرز ان الشاعر اعتصم بالصبر حتى بلى الصبر فجعله ثوبا يبلى ويقدم ، ثم

^١ الندوب : مفرد ما ندبه وهو اثر الجرح ، صبا : معشوقا أو عاشقا

^٢ النحيب : شدة البكا

^٣ ديوان ابى نواس ص ٦٢

^٤ شرح الشباب : اوله وارد الفتوة ، وشرح كل شئ اوله

^٥ ديوان ابى نواس ص ٧٠

^٦ ابليت : جعلته باليا رثا . مآرب : جمع ارب وهي الغاية والهدف . شعب : متشعبة متنوعة

بث الحياة والروح فى المآرب فجعلها مثل الادميين الذى يتهافتون على الغنيمة أو ما ظفروا به فيتقاسموه فى حرص وجشع ، وهنا يظهر لنا كثرة الغايات والمآرب فى نفس الشاعر وكيف انه يعيش طموحا للدهر فى الدهر غايات لا تهدأ ولا يمكن التغاضي عنها .

وقال (١) يمدح الامين :-

فلا زالت الآفات عنك بمعزل ولا زلت تحلو فى القلوب وتعذب (٢)

الشاعر استعار للخليفة (محمد الامين) الحلاوة والعذوبة تشبيها له بالحلوى أو العسل أو السكر ، كما استعار له العذوبة والاستساغة ، وكلها تبرز الخليفة فى هيئة شئ حلو المذاق رائق الطعم .

وهذه الصور الفنية تعكس مكانة الخليفة العباسى ومدى محبة الناس له مثلما يحبون الاشياء الحلوة ويستسيغونها .

ويقول (٣) فى محبوبة جنان :-

خليت والحسن تأخذه تنتقى منه وتنتخب (٤)

فاكتست من طرائفه واستزادت فوق ما يهب (٥)

فى البيت الاول اظهر ابو نواس الحسن والجمال فى هيئة أشياء محسوسة كالياقوت مثلا أو الدر أو الذهب أو الازهار بحيث تختار المحبوبة من بينها ما يروقها .

وفى البيت الثانى أظهر ابو نواس الحسن فى صورة ثياب رائعة ترتديه وتزدان به ، بل جعل الحسن إنسانا تطلب المحبوبة من الزيادة ، وكل هذه صور تزيد المعنى جمالا وبهاء ، فالجمال شئ محسوس تنتقى المحبوبة منه ما تريد ، والحسن ثوب ترتديه هذه المحبوبة ، والحسن كائن يعقل يمتاز بالكرم بحيث تطلب المحبوبة منه ان يزيدها شيئا آجر من الجمال .

ويقول النواسى فى موقع آخر (١) :-

^١ ديوان ابى نواس ص ٧٤

^٢ تعذب : تكون عذبا مستساغا

^٣ ديوان ابى نواس ص ٨٢

^٤ تنتقى : تختار بعناية . تنتخب : ترشح وتفاضل لتحديد الاجود

^٥ طرائفه : احسنه واروعه

وخلطت خوفك للاله بخوفه فعلمت ما تأني وما تتجنب (٢)

جعل ابو نواس الخوف شئ سائل يخلط ويمزج ، وهذه الصورة تعطى انطباعا بان الخوف من الله قد امتزج واتحد مع الخوف من الخليفة اى جمع بين طاعة الله وطاعة الخليفة امثالاً لقوله تعالى (واطيعوا الله والرسول وأولى الامر منكم) الآية والصورة الحسية المجسمة التى عبر عنها الشاعر به عن هذه الطاعة المباركة تقوى معنى هذه الطاعة وتبرزها فى بيان وجلاء ، فى تشير الى قوة وشدة امتثال الممدوح للآية السالفة الذكر .

ويقول النواسى فى الرثاء (٣) :-

لعمرك ما ابقى لنا الموت باقيا تقر به عينا غداة يؤوب (٤)

كأنى وترت الموت بآبن أقاده على حين حانت كبره ومشيب (٥)

فى البيت الاول جسم الشاعر الموت وشخصه فى هيئة كائن حي بطاش جبار لا يستطيع الناس الفكاك منه أو تجنب سطوته ، وهو من الحقد والشراسة بحيث يأخذ كل عزيز ، والناس يتربقون عودته فى خوف وقلق ، وفى البيت الثانى يصور لنا الموت فى هيئة انسان يطلب الثأر فى حالة من الهيجان والغضب ، فهو لا يطل دم قتيله ولا يترك هدرا .

والصور المرعبة للموت تعطينا معانيا قويا لما يريد الشاعر التعبير عنه من حيث ان الموت قوة لا تقهر ، وان الانسان يقع دوما فريسة له ولا يملك القوة لردده .

ويقول النواسى عن الحب (٦) :-

اضرمت نار الحب فى قلبى ثم تبرأت من الذنب (٧)

حتى اذا لججت بحر الهوى واضطرب الموج على قلبى (٨)

^١ ديوان ابى نواس ص ٨٤

^٢ خلط : مزج

^٣ ديوان ابى نواس ص ٨٧

^٤ تقر به عينا : اى لا يترك لنا الموت انسانا عزيزا ليعيش بيننا حتى نسعد ببقائه

^٥ وترت : قتلت له قتيلا. اقاده: القود هو قتل النفس بالنفس . واقدت الرجل بالقتيل اى قتلت به

^٦ ديوان ابى نواس ص ١٣٢

^٧ اضرمت : اشعلت

فى البيت الاول جسم الحب فى هيئة نار تلتهب وتشتعل ، وهى صورة تعبر بجلاء عن شدة الحب وحرارته ، وفى البيت الثانى جسم الهوى فى صورة بحر لحي ، والشاعر يخوض فى لجته ، وهذه الصورة تعبر عن مدى محبة الشاعر لهذا الغلام وكيف انه غرق فى بحر حبه .

هكذا اعتمد النواسى على الاستعارة والتشخيص والتجسيم فى إيراد الصور الفنية القوية التأثير ، التى أجاد فيها وأحسن .

٣/ التشبيه والاستعارة :-

التشبيه فى الصور الفنية يعتبر عاملا مهما فى تقريب المعاني ، ونقل المشاهد ، والتشبيهات كثيرة فى الأديب العربى عموما ، ويعتبر امرؤ القيس بن حجر فى طليعة الشعراء العرب المصورين ، الذين اعتمدوا على التشبيهات فى إيراد الصور الفنية .

وكلما كان التشبيه قويا ، والمشبّه به يمكن تصوّره ادت الصورة الفنية دورها كاملا فى التعبير عن المعنى ، وابو نواس أورد التشبيهات القوية التى تعبر عن معانيه وأفكاره ، ولكن ما نلاحظه هنا انه اكثر من إيراد الظباء والغزلان والرشا والشادن ، وهى كثيرة مألوفة فى أشعار العرب خاصة اهل البادية و الصحراء ، حيث تكثر هذه الحيوانات عندهم ، وابو نواس أفرط فى التشبيه بهذه الحيوانات .

ولعل حب الشاعر للغلمان المرد جعله يشبههم بالظباء والرشا لجمال شكلهم ، وينزلهم منزلة المؤنث ، ومن ذلك قوله (٢) :-

اذ أبصرت عين قلبي لحينه المتقارب (٣)

ظبيا يميل التصابي عليه من كل جانب (٤)

^١ لججت : خضت فى اللجة

^٢ ديوان ابى نواس ص ٨٩

^٣ الحين : الهلاك أو الحرب . المتقارب : المتداني

^٤ التصابي : الصبابة والشوق

أراد الشاعر ان يخبرنا ما بجسد هذا الغلام من فنتة وجمال ، وان الأشواق والإعجاب تتجهان اليه ، فشبهه بالطبي رقة ودلالا . ويقول فى موضع آخر (١)
تمد بها اليك يدا غلام اغن كأنه رشا ربيب (٢)
 أراد النواسى ان يصور لنا جمال الغلام وفتنته ورخامة صوته ، فجسد لنا ذلك فى صورة الرشا الربيب الذى تنشأ فى نعيم ودلال وعناية .
 ويقول فى الهجاء (٣) :-

بات على وأبات صحبه فى سوءة اكثر منها عتبه (٤)
بشادن لا يسأمون قربه قد جمعوا آذانه وعقبه (٥)
 وهنا ايضا شبه الغلام بالشادن اظهار لجماله وفتنته .
 ويقول فى موضع آخر (٦) :-
يا بني حمالة الحطب حربي من ظبيكم حربي (٧)
 وهذا الغلام ايضا يشبهه بالطبي لإظهار حسنه وجماله .
 وفى هذه الشكوى يقول (٨) :-

ولم أزل لك عوناً مخادعا فيك لبي (٩)
انا الفداء لظبي مفتر اللحظ رطب (١٠)

^١ ديوان ابى نواس ص ٩٠

^٢ الاغن : الذى فى صوته غنة . وهو صوت يجري فى اللهاة ، والغنة اقل من الخنة ، وهى خروج الصوت مع انسداد الخيشوم . الرشا ولد الغزال . الربيب : المنعم الذى اعتنى بتربيته وتنشئته .

^٣ ديوان ابى نواس ص ١٥٢

^٤ على : هو على الاسواري الكلابي يهجو ابو نواس فى هذه الابيات . السوءة : الفاحشة

^٥ الشادن : الغزال . العقب : مؤخرة القدم . آذانه : يقصد اذنيه

^٦ ديوان ابى نواس ص ١١٢

^٧ حمالة الحطب : يقصد بها ام هذا الغلام فهو يعيره بان امه تحمل الحطب للناس . حربي : الحرب ، ويريد الهلاك والثبور

^٨ ديوان ابى نواس ص ١٢٦

^٩ اللب : العقل

^{١٠} مفتر اللحظ : منكسر الاجفان

وهذا الغلام يبدو كظبي منكسر الاجفان ، ناعس العينان ، وهى صورة ندرك منها شكل هذا الصبي .

ويقول فى غلام آخر (١) :-

فنما الهوى فيه وشب وصار مألّف كل حبي (٢)
ويلي على الريم الغرير الشادن الاحوي الاقب (٣)

فهذا الغلام يبدو كالريم وكالشادن وكلها تدلنا على مبلغ حسنه بحيث جعل منه امرأة ، فهو الى جانب ذلك ضامر الخصر والحشا ، وفى شفّته حوة ، وكلها أمور يستحسنها الناس فى النساء .

والشبيهات فى شعر النواسى ليست كلها محصورة فى الأطباء والرشا ، وغيرها من انواع الغزلان والريم ، فله تشبيهات اخرى لا تخرج عن نطاق الخيال العربى القديم ، ولكن اهتمامه بإيراد الأطباء والريم فى غزل المذكر نابع من سلوكه المشين الذى كان يملئ عليه ان يبرز المذكر فى صورة الأنثى ، فالعرب كانت تكثر من تشبيه الفتيات الجميلات بالطباء والرشا وهو هنا يسلك الدرب نفسه فيلبس المذكر ثوب الأنثى ، لذا فقد اكثر من إيراد هذه الصور لدرجة انه لم يشبه محبوبته بهذه الأطباء ، بل ركز على الغلمان ، ويهدف من ذلك ريم صورة مشرقة ومثيرة لهم ، وربما كان الخبيث يريد من ذلك إثارة الغرائز ، والترويج لمذهبه فى التعامل مع الغلمان ، وليظهر للناس مدى اللذة والرفاهية التى يحياها فى حماة الرزائل ومستقع المعاصي .

والصورة الشعرية فى هذه الناحية لا جديد فيها فى شعر النواسى ، بل متكررة حتى لتكاد تعتقد بانه لم يستطع بخياله ان يخلق فى آفاق أخرى ليأتينا بصور أخرى متنوعة ، وفى عصره العديد من مشاهد الجمال ، ومظاهر الترف ، وانتشار الثقافات المتنوعة لبعض الامم التى كانت تفوق العرب حضارة وعمرانا .

^١ ديوان ابى نواس ص ١٢٨

^٢ المألّف ما يألّفه الانسان . الحب : الحبيب

^٣ الريم : الظبي الخالص البياض . الغرير : الذى لا خير له . الشادن : الظبي الصغير . الاحوى : من كانت فى شفّته حوة ، وهى سواد مستحسن ويميل الى الحمرة أو حمرة تميل الى السواد . الاقب : الضامر البطن الرقيق

٤/ الصورة المضطربة المتحركة :-

نجد فى شعر ابى نواس العديد من الصور المهتزة المضطربة المتحركة ، و هذه الحركات المرتعشة التى يأتى بها فى شعره تنبئونا عن مدى الاضطراب النفسى الذى يعانى به أمثاله من اهل الزيغ والفساد والسلوك المنحرف ، وهذه الصور المضطربة تتناسب مع الصور التى تتراءى للسكران ، و تتسجم مع حركات السكران الذى لا يقوى على السيطرة على أعصابه ، لكأن الاضطراب النفسى ، ورعشة الجسد ، واهتزاز الصور فى نظره السكران قد انتقلت من نفس الشاعر وجسده ونظره لتؤثر فى خياله الأدبى .

ومن ذلك قوله فى إحدى خمرياته (١) :-

إذا ارتعشت يميناه بالكأس رقصت به ساعة حتى يسكنها الشرب (٢)
فغنى وما دارت له الكأس ثالثاً (تعزى بصبر بعد فاطمة القلب) (٣)

فها هو الشارب يرتجف ويضطرب قبل ان يتجرع الخمر ، ولكنه يهدأ ويسكن بعد ان يرتشف من الكأس .

وهذه الصورة المضطربة عبر الشاعر بها عن معنى الشوق الدفين الى تناول الخمر حتى كان السكران يرتجف ، ولكن الخمر هدأ من ارتجافه وانزل عليه السكينة والهدوء .

ولا ارى فى هذه الصورة الا دعوة صريحة الى اللجوء الى الخمر لاكتساب السكينة والهدوء ، والفرع اليه كلما امت الخطوب ، وادلهمت الامور . كما تدلنا هذه الصورة عن مدى ارتباط اهل الخمر بالخمر ، وشدة تشوقهم اليه . ومثل قوله يصف الخمر ايضا (٤) :-

^١ ديوان ابى نواس ص ٨٠

^٢ ارتعشت : ارتجفت . رقصت : اضطربت وتحركت

^٣ ثالثاً : دوراً ثالثاً

^٤ ديوان ابى نواس ص ٨٩

أقامت حقبة فى قعر دن تفور وما يحس لها لهيب (١)

كأن هديرها فى الدن يحكى قراءة القس قابله الصليب (٢)

هذه الخمرة ليست على الناس بل هى موضوعة فى مكان بعيد عن اللهب ، ومع ذلك فهى تفور وتضطرب ويسمع لها هدير واصوات مبهمه تشبه قراءة القس وهو يصلى امام الصليب .

والشاعر يريد ان يخبرنا بان هذه الخمرة معتقة جيدة ، فجاء بهذه الصورة ذات الحركات السريعة المتتابعة ، فهذا الخمر يهدر هديرًا لا ينقطع وتخرج منه الفقاعات ، بل هى تضطرب كأنها على النار ، وانتقل الشاعر بخياله الى الكنيسة حيث القساوسة يرتلون ترانيمهم امام الصليبان ، ولا يخفى ما فى هذه الصورة من حركة شفاه القس التى تتحرك بسرعة وهو يقرأ الترنيمة ، وهذتا الى جانب الصوت المبهم الذى لا ينقطع .ويقول فى الغزل (٣) :-

لموقع الهجران بين الحشا أنفذ من رشف بنشاب (٤)

ارتي وجودي لفتى مدنف اصبح فى هم وتعذاب (٥)

متشهرًا ينشر اسراره فى كل يوم ألف مغتاب (٦)

أراد الشاعر تصوير الآلام التى يقاسيها بسبب هجران المحبوب فجعل تلك الآلام والوخزات فى هيئة سهام تخترق قلبه ، وتنفذ فى أحشائه ، وهذه حركات سريعة تتبعها اضطراب الجسد من وقع الألم الناتج عن اختراق السهام للجسم ، وفى البيت الثالث نلاحظ حركة نشر الاسرار من قبل المغتاب ، فهو أراد ان يصور حاله مع

^١ حقبة : مدة من الزمن . الدن : الخابية الكبيرة التى تحفظ فيها الخمر

^٢ يحكى : يشبه . قراءة : قراءة

^٣ ديوان ابى نواس ص ٩٩

^٤ الموقع : مصدر ميمي بمعنى الاسم ، أى الواقع وهو نزول الشئ واثره . انفذ : اشد نفاذا واختراقا . رشف :

رمي . نشاب : مفردا نشابة وهو السهم

^٥ ارتي : رقى وتحنن . مدنف : دنا من الموت ، ويقصد المتيم بالحب

^٦ المغتاب : من ذكر الشخص فى غيابه بما يسيئ اليه

اهل الغيبة الذين يفشون اسرارهم ، فاطهر الاسرار فى صورة أشياء تتستر فى الصحف أو الثياب ونحوها ، وهذه الصورة مليئة بالحركة والاضطراب .
وقال فى الهجاء (١) :-

تفاخر ابناء الملوك سفاهة وبلك يجرى فوق ساقك والكعب (٢)

أراد الشاعر ان يهجو هذا الانسان ويبدى وضاعته ، ويظهر مدى انحطاطه حتى ينفر الناس منه فجعله يبول على جسمه فيسيل البول على رجليه حتى يبلغ كعب رجليه ، والصورة المتحركة هى صورة البول الذى لا ينقطع عن الجريان ، وهى صورة تخبرنا بحالة هذا الرجل ، وهى حالة مزرية تنطق بالامتعاض والبشاعة ، وهى ابلغ الصور فى الهجاء ، وقد ابدع النواسى فى الحط على هذا الرجل .
ويقول ايضا فى باب غزل الغلمان (٣) :-

براه الله حين برا هلالا وحققا عند منقطع القضيب (٤)

فيهتز الهلال على قضيب ويهتز القضيب على كتيب (٥)

ابو نواس هنا يتغزل بغلام ، ويصف لنا جمال وجهه ، وجسده ، وخصره ، واردافه الممتلئة ، فاستعان بهذه الصورة المهتزة لبيان تلك الجوانب .
ويقول فى موقع آخر فى الغزل (٦) :-

ويلاه من نار شوق ترقى الى اللهوات (٧)

فأجرت العين دمعا تفيض فيض الفرات (٨)

يقصد الشاعر ان نار الشوق أثارت الدموع ففاضت بغزارة ، وهذا المعنى عبر عنه الشاعر بهذه الصور المضطربة ، وهى صورة النار التى تلتهب وترتفع ، واللهب كما

^١ ديوان ابى نواس ص ١١٩

^٢ تفاخر : فاخره بمعنى غالبه فى الفخر . سفاهة : جهالة

^٣ ديوان النواسى ص ١٤٣

^٤ براه : خلقه . الحقق : ما استطال واعوج من ارمل . منقطع القضيب : منهي الخصر

^٥ الهلال والقضيب : يقصد بهما وجه الغلام . والكتيب : الرمل المجتمع ويقصد به ارداف الغلام

^٦ ديوان ابى نواس ص ١٨٤

^٧ ترقى : تصعد . اللهوات : مفرد لهاة وهى لحمة الحلق

^٨ الفرات : نهر معروف فى بلاد العراق

هو معلوم يضطرب ويتحرك ، كما نلاحظ ايضا صورة دموع العين وهى تترقرق وتهتز وتسيل على الخد مثل هيئة المياه المندفعة عند الفيضان التى تدفع بعضها بعضها .ويقول يهجو احد الناس (١) :-

لا تعبر الحلق الى داخل حتى تحسي فوقها الماء (٢)
أو كنت لونا كنت طفشيلة أو طائر أصبحت مكاء (٣)

يشبه ابو نواس مهجوه بثمره الغبيراء وهى ثمرة خشنة لا تستساغ ، ويغص بها آكلها فلا تعبر الى حلقه الا اذا شرب عليها الماء ، ثم يشبه بطائر المكاء وهو طائر يضطرب فى طيرانه فيعلو ويهبط فى الجو .

والصورة المضطربة التى عبر بها الشاعر هنا هى صورة هذا الطائر الذى من شأنه ان يكون مضطربا سريع الحركات لا يكاد يستقر على حال يكون به .
وشعر ابى نواس مليء بمثل هذه الصور المضطربة والمرتعشة التى تتسجم مع طبيعة أخلاقه ونهجه فى الحياة ، فقد كان خياله صورة لنفسه وما يعتمل فيها .

قوة الصورة الشعرية

طفر الشعر العربى عند ابى نواس بصور فنية غاية فى القوة والروعة تنم عن ذوق شعري دقيق ، وموهبة فطرية عميقة ، فابو نواس رغم ما ابتلى به نفسه من فساد ومعاص تتوء عنها الجبال ، ورغم قباحة مذهبه فى حياته الا انه اخرج للناس من بين فرث ودم خيالا سائقا تدل دلالة واضحة على فحولته ومقدرته البيانية فأقرأ قوله يصف صوت فوران الخمر فى الدن (٤) :-

كأن هديرها فى الدن يحكي قراءة القس قابله الصليب (٥)

^١ ديوان ابى نواس ص ٢٩

^٢ تحسي : تشرب

^٣ طفشيلة : الطفشيل : نوع من الهريسة يضع من اللحم والماء والبانانجان والجزر والبيض والبهارات ويصبغ بالزعفران . المكاء : طائر من القنابره ، ابيض اللون له تصعيد فى الجو وهبوط

^٤ ديوان ابى نواس ص ٨٩

^٥ هديرها : صوتها . يحكي : يشبه . قراءة : قراءة . القس : رتبة دينية عند النصارى

يصف ابو نواس شدة فوران الخمر فى الدن بان له صوتا كالهدير المبهم ، فكأنه قراءة القس وهو يصلى امام الصليب . فما أروع هذه الصورة وما أقواها ، وقوتها نابع من هذه الصورة الدقيقة لهذا القس وهو يتمم امام الصليب الذى يعبد ، فالخمر فى فورانها تصدر نفس الصوت .
ولا تخفى ما فى الصورة السابقة من الغموض والقدسية .
وقال فى الهجاء (١) :-

وكنتم على إست الدهر لا تنكرونه عبيد البهاليل السباط بنى وهب (٢)
يقول لمن يهجو : انتم منذ قديم الدهر عبيد لبنى وهب وانتم تعرفون ذلك ولا تنكرونه . والاسـت هى المؤخرة فى جسم الانسان وتتجلى قوة الصورة الشعرية فى تشبيه الدهر بانسان له إست ، وعندما أراد التعبير عن قدم الزمان قال إست الدهر ليدل على مؤخرتها وهى الأزمنة الغابرة المتأخرة فى عمر الزمن ، ويا لها من صورة بديعة ناطقة بالحقيقة وتشير بقوة الى المعنى الذى أرادـه الشاعر .
وقال يصف الخمر (٣) :-

صفراء لا تنزل الأحزان ساحتها لو مسها حجر مسته سراء (٤)
يعبر الشاعر عن معنى ان الخمر والحزن لا يلتقيان حتى لو حصل التماس بين الخمر والحجر لتملكه الفرح .
والصورة الفنية هى صورة الحجر الأصم الذى اختلط بالخمر فبدأ يتحول الى كائن حي يتحرك ويبتسم عندما سرت فيه نشوة الخمر ، فالخمر هنا يحول الجمادات الى كائنات بشرية تتبض بالحياة وتسـكر وتنشى وتملكها السرور فتملا الدنيا ضجيجا وصخباً .
ويقول فى موقع آخر (٥) :-

^١ ديوان البارودى ص ١٢١

^٢ بهاليل : جمع بهلول وهو السيد الجامع لكل فضيلة

^٣ ديوان ابى نواس ص ٣٢

^٤ صفراء : الخمر . السراء : السرور

^٥ ديوان ابى نواس ص ٣٢

فأرسلت من فم الإبريق صافية كأنما أخذها بالعين إغفاء^(١)

هذه الخمرة لشدة سطوعها لا تستطيع العين التحديق إليها فتطبق جفنيها كأنها مغفية .
وقوة الصورة الشعرية يكمن في هذا التشبيه بين العين الناضرة الى الخمر والعين المغفية ، فهي صورة تتم عن النشوة والرغبة والخشوع ، فالعين تنظر الى الخمر وهي مسبلة الجفون ، يسرى اليها شعاع الخمر كأنما النعاس يدب فيها ، فيمنحك إحساس بالنشوة واللذة والجمال .

وقال في المدح^(٢) :-

يطلبن بالقوم حاجات تضمنها بدر بكل لسان يلبس المدحا^(٣)

كأن فيض يديه قبل تسأله باب السماء اذا ما بالحيا انفتحا^(٤)

يقول ابي نواس ان المطايا تسير بالقوم قاصدين حاجات تكفل بقضائها لهم انسان كالبدر شهرة وبهاء ، له مديح على كل لسان ، وهذا الممدوح كأن عطاءه ، حتى قبل السؤال ، طر ينهمر بغزارة .

وقوة الصورة الفنية في ابراز الممدوح في شهرته الذائعة ، وحسن ثناء الناس عليه في صورة البدر ، فالبدري يعرفه الجميع ويحبونه ويجعلونه رمزا للجمال والبهاء والرفعة ، ومدحه جار على كل لسان ، وهذه الاستعارة التصريحية جعلت الصورة قوية ماثلة فالممدوح لا يشبه البدر فحسب بل هو البدر عينه وهو هنا تناسي التشبيه وادعى ان وجه الشبه في المشبه اقوي من المشبه به .

وفي الصورة الثانية نلمح ان كرم الممدوح قد تجاوز كل حد حتى صار كالمطر المنهمر ، وهو ليس كأى مطر بل المطر النافع (الحيا) الذى يكون مع كثرته أو قلته نافعة الى اقصى حدود النفع ، ومن ثم جعل كرم الممدوح مثل المطر الذى يفتتح به باب الرزق من السماء مما يدل على كثرته وعموم نفعه .

^١ أرسلت : صبت . أخذها بالعين : نظرة العين إليها . إغفاء : النوم الخفيف والمراد بها هنا انحسار العين عن

رؤية الخمر لشدة بريقها ولألاتها

^٢ ديوان ابي نواس ص ٢١٤

^٣ يطلب : الضمير فى يطلبين يعود الى المطايا التى قصدت الممدوح

^٤ الحيا : المطر ، فهي تحي الارض بعد موتها

وقال فى الغزل (١) :-

أسال لامين فى خدين من يقف بماء ورد ومسك شيب وامتزجا (٢)
محكم الطرف يدمى سيف ناظره اذا نحاه لقلب قال : لا حرجا (٣)
ما زال يحمله فى الناس شاهرة حتى يباعد عن أوطانها المهجا (٤)
لا فرج الله عنى ان رفعت يدي اليه اسأله من حبك الفرجا (٥)
طعمت بك السلوان يا أملي وحل حبك فى قلبي وما خرجا (٦)

الشاعر يشبه عيني ممدوحه بالسيف المجرد من غمده ، ويهدف من ذلك الى ابراز اثر نظرات الممدوح فى نفوس الناس ، فمقلتي الممدوح وحدة نظراته تصدع من يراه وينتزع منه الإعجاب مثلما ينتزع السيف الأرواح من المهج ، وقوة الصورة تكمن فى العلاقة بين السيف المرهف البتار الذى يفتك بالناس وبين نظرات الممدوح الفاتكة القوية ، فقد ابرز المعنوي فى ثوب المحسوس مما زاد المعنى قوة وشرفا .

وقال يصف الخمر (٧) :-

كأن تركا صفوفا فى جوانبها تواتر الرمي بالنشاب من كذب (٨)
من كف ساقية ناهيك ساقية فى حسن قد وفى ظرف وفى أدب (٩)

الشاعر يشبه الفقائيع المتلاحقة داخل الكأس باتراك يتراشقون بالنبال فى مواضع متقاربة ، فلو تأملت فى هذه الصورة لادركت قوة وجه الشبه بين هذه الفقائيع المتلاحقة ، وجماعة من الترك وهم يتراشقون بالنبال عن كذب .

وقال فى الوصف (١) :-

^١ ديوان ابى نواس ص ١٩٨

^٢ أسال لامين : دلى خصلتين معقوفتين على شكل حرف اللام . اليقف : شدة البياض . شيب : خلط

^٣ يحكم الطرف : عيناه تتحكم بالقلوب . نحاه : وجهه وصوبه . حرج : اثم

^٤ شاهرة : مجرد من غمده . المهج : النفوس أو القلوب

^٥ الفرج : الانطلاق والسعة

^٦ طعم السلوان : من طعم الطعام اذا ذاقه والفصلان فى عجز البيت للدعاء فهو يتمنى الا يذوق بعده طعم

النسيان ، وان يستقر حبه فى قلبه

^٧ ديوان ابى نواس ص ١٠٥

^٨ تواتر : تتاب ، النشاب : الاقواس . كذب : قرب

^٩ ناهيك : يكفيك . القد : القامة

اما رأيت وجوه الارض قد نضرت وألبستها الزرابى نثرة الاسد (٢)

يقول الشاعر ان أمطار نثرة الاسد ألبست الارض بسطا من الازهار الملونة والصورة الجمالية هي تشبيه الارض بانسان يرتدى حلة زاهية ، وفي تشبيه نباتات الارض وأزهارها بالثوب الزاهي ، وهي صورة بديعة للأرض وهي ترتدي الثوب الأخضر المتعدد الالوان موشاة .

وقال يهجو أحد الناس (٣) :-

كأنني بك فوق الجسر منتصبا على جواد قريب منك فى الحسب (٤)

حتى نراك وقد درعته قمصا من الصديد مكان الليف والكرب (٥)

فى البيت الثانى يقصد الشاعر ان ما يسيل من صديد المهجو يلبسه قميصا منه بدلا عن قميصه الذى عليه وهو الليف وأصول السعف .

والصور الفنية هي صورة الصديد الذى سال وغطي جسد هذا الرجل حتى جعله مثل القميص مما يدل على شمول هذا الصديد على الجسد واشتماله عليه ، ويعطي انطباعا بان هذا الصديد قد غطي الجسد وجمد حتى صار كالثوب . فهذه الصورة قوية مع خباثة المعني .

وهكذا نجد الصورة الفنية عند النواسى قوية رائعة ، فقد استطاع ان يستنزل من سماء الشعر إحياءات فنية غير مسبوقة ، واستطاع ان يطير فى آفاق الأخيلة محلقا فيها باجنحه لا تمل الطيران ، فهو يسكب طاقات موهبته فى استجلاء الصور وتكوينها ، ولكأنما يجد فى السكر عالما من الشياطين يوحون اليه زخرف القول غرورا فتراه يبدع فى صوره الحسية والمعنوية .

^١ ديوان ابى نواس ص ٢٧٩

^٢ الزرابى : مفردا زربى ، وهو نبت ما اصفر أو احمر وفيه خضرة ، و الزرابى هو البسط والنمارق . نثرة الاسد : اسم لكوكبين فيهما بياض كأنه قطعة سحاب يسمى انف الاسد ، ولذلك قيل نثرة الاسد ، وكأن العرب يعززون سقوط الامطار والرياح الى سقوط النجوم فى الغرب ويسمونها الانواء .

^٣ ديوان ابى نواس ص ١١٥

^٤ الجسر : هو جسر فى بغداد كان هارون الرشيد يصلب عليه الناس

^٥ الصديد : القيح المختلط بالدم . الليف : قشر النجل وما شاكله

وكان لطبيعة العصر دورا فى بلورة هذا الخيال النشط ، فكل ما فى عصره جديد متنوع ، فقد اسهمت الحياة المادية الضخمة ، وانتشار العمران والمدنية وتغير مظاهر الحياة وانتشار الثقافات اسهمت كلها فى خلق بيئة تتعدد فيها الصور وتتنوع فيها مظاهر الحياة .

كما ان الشاعر تحول فى عدد من المدن ، وعاش جزءا من حياته فى أعتاب الملوك ونادم الخلفاء وتمرغ فى بعض نعيم الامراء وكلهم عرفوا بالبذخ واللهو والترفيه فقصورهم فخمة بكل ما تحمل هذه الكلمة من معان وقامت حياتهم على الترف والإغراق فى الملذات وصنوف الملاهي والفخامة والأبهة ، فتأثر النواسى بكل هذه المظاهر ، ولكل واحد منها انعكاسه فى نفسه ، وصدى فى خياله ، فجاء خياله قويا ملائما لمظاهر هذه الحياة بل ان خياله لا يخلو من مظاهر الترف المادي .

المؤثرات الخيالية فى شعر النواسى :-

اثر خيال ابى نواس وصوره الفنية مظاهر الحياة المادية بأنواعها الاجتماعية والسياسية والعمرانية ، ولكن يبقى هناك عاملان لهما عظيم الأثر فى تكوين الناحية الخيالية فى شعر النواسى وهما :-

١/ القرآن الكريم :

ظل القرآن الكريم هو النبع العذب الذى يرده الادباء والعلماء يأخذون منه ما يقوم أدبهم ويصلح عملهم ، وكيف لا والقرآن هو المعجزة التى تحدى فصحاء العرب وأذل أعناقهم ، وجعلهم يقفون عاجزين عن مضاهاته فللقرآن أسلوبه الفريد ونظمه الراقى العجيب ، وله ألفاظه الفصيحة الوافية ، وله خياله العذب العميق ، وقد تأثر به الادباء على اختلاف قوالبهم الأدبية ، وابو نواس قد درس القرآن فى بواكير صباه ، وحفظه فأثر ذلك فى خياله ، فنجدته يورد بعض الصور الفنية التى حامت فى أودية التصوير القرآني وأخذت منه بقدر ما .

فقد قال يهجو بعضهم (١) :-

^١ ديوان ابى نواس ص ١٢٣

فان تك منكم شعرة ابنة معد فشعرة من شعر العجان أو الاسب (١)

تظل على رمان تبرم غزلها و تنكته والغزل ليس بذي عتب (٢)

يصف الشاعر هذه المرأة العاهرة الحمقاء فيقول بانها تعمل عملا ثم تفسده وشبهها
بالمرأة التي ذكرها القرآن بانها تفسد ما تغزلها بعد ان تبذل فيه جهدا عظيما . يقول
تعالى (٣) (ولا تكونوا كالتى نقضت غزلها بعد قوة انكاثا) .

ويقول فى موضع آخر فى المديح (٤) :-

ولا ثبوا وثب السقا فتركبوا على حد حامى الظهر غير ركوب (٥)

فان يك فيكم إفك فرعون باقيا فان عصا موسى بكف خصيب (٦)

يحذر ابو نواس المصريين بانهم اذا كانوا من نسل فرعون وفيهم بقية من ظلمه
وعدوانه وتجبره فان فى يد (الخصيب) عصا موسى الذى شق به البحر وأغرق
فرعون وجنوده .

والصورة الفنية هنا ابراز المصريين فى فتنتهم وثورتهم فى شكل فرعون الذى علا
واستكبر ، وشبه الخصيب فى مقدرته على حسم امرهم فى هيئة موسى الذى
استطاع بعصاه ان يهلك فرعون ويذيقه باس المصير . يقول تعالى (فقلنا اضرب
بعصاك البحر فانفلق فكان كل فرق كالطود العظيم) (٧) . ويقول تعالى (وأوحينا
الى موسى ان الق عصاك) (٨) .

^١ ابنة معكد : امرأة من بني اسد عاهرة حمقاء . العجان : الاست . الاسب : شعر القبل أو الدبر فى المرأة أو الرجل

^٢ رمان : اسم موضع . العتب : الفساد التى تداخل الامور

^٣ الاية ٩٢ سورة النحل

^٤ ديوان ابى نواس ص ١٤٨

^٥ السقا : الحبة

^٦ الإفك : الكذب . فرعون : احد ملوك مصر ادعى الالهية وتجبر على الخلق فاغرقه الله تعالى . موسى : هو موسى بن عمران نبي بنى اسرائيل ارسله الله الى فرعون . الخصيب : هو احد ولاة العباسيين على مصر ، وهو الذى قصده ابو نواس بالمدح فى هذه القصيدة

^٧ الشعراء الاية ٦٣

^٨ سورة الاعراف الاية ١٧

وقال فى احدى خمرياته (١) :-

فى فتية كالسيوف هزهم شرح شباب و زانهم أدب (٢)
ثم ارب الزمان فانصدعوا ايدي سبا فى البلاد فانشعبوا (٣)

يقول بانهم كانوا مجموعة من الشباب جمعوا بين نخوة الصبا وفتوة الشباب الى جانب زينة الادب وطيب المعشر والشمائل ، ثم دهمهم صروف الزمان فتفرقوا مثلما تفرق قوم بلقيس بعد ان أغرق الطوفان بلادهم عندما انهار سد مأرب .

والشاعر هنا يشبه تفرقهم وتبدد شملهم بأولئك القوم الذين طمر عليهم السيل العميم فهربوا وتفرقوا لا يلوى احد منهم على شئ يقول المولى عز وجل فى محكم تنزيله حكاية عن قوم سبا (لقد كان لسبا فى مساكنهم آية جنتان عن يمين وشمال كلوا من رزق ربكم واشكروا له بلدة طيبة ورب غفور . فاعرضوا فأرسلنا عليهم سيل العرم وبدلناهم بجنتين ذواتى خبط وأثل وشئ من سدر قليل) (٤) .

وابو نواس رغم بعده عن تعاليم الدين الاسلامي ، وتحرره من الفروض والحياء ، وكان يفعل ما يشاء ، وامتلأ شعره بالمعاني الهابطة والافكار الهدامة الا انه مع ذلك لم يستطع الفكاك من الصور القرآنية التى كانت مخترنة فى ذاكرته ، وهنا تتجلى قوة الصلة التى تربطه بمنابع العلوم واللغة .

فنحن نحكم على شعره على انه متهتك يشيع فيه المنكر والدعارة ولكن نشهد له بقوة الشاعرية ، والفصاحة والسبق فى ميدان الشعر من حيث الفن والموهبة ، ومن هنا فالصور الفنية التى استعان بها النواسى تقف شاهدة على ما رزق من الموهبة الفطرية ، وعلى مقدرته على الاقتباس ، وتوليد الصور .

^١ ديوان ابى نواس ص ٦٩

^٢ شرح الشباب : الفتوة والنخوة ، وشرح كل شئ اوله

^٣ ارب الزمان : صار ذا ريب . والريب كل ما يريب الانسان والمراد به صرف الزمان وخصوبه وفجائعه . فانصدعوا : انشقوا وانفصم عري وحدتهم وتجمعهم ، والصدع هو الشق والتفكك . ايدي سبا : سبا ، وهى ارض باليمن كانت لها حضارة عظيمة حاضرتها مأرب وهى مدينة بلقيس ، وايدي سبا كناية عن تفرقهم فى كل النواحي بعد الفهم واجتماعهم .

^٤ الاية ١٥ ، ١٦ سورة سبا

٢/ الشعر العربى :-

درس ابو نواس علوم العربية فى الكوفة ، وحفظ نماذج عديدة من الشعر العربى القديم ، فأثر ذلك فى شعره من حيث الأساليب والألفاظ والأخيلة .

والشعر العربى سلسلة ممتدة ، والنواصى قريب العهد بعهود قوة الادب وازدهاره ، بل ان طبيعة الحياة فى عصره لا تختلف كثيرا عن حياة العرب فى غابر عهودهم من حيث سلامة اللغة ، وتقدير الادب والشعراء ، ومشاهد البيئة باستثناء بعض التحولات الحضارية ، ولكن ظلت جذوة العصبية العنصرية مستعرة ، والميل الى التشبيهات وإيراد الصور القديمة فى الاشعار شائعة ، فلا غرو ان وجدنا بعض الأخيلة القديمة فى شعره ، فقد تأثر ابو نواس بالشعر العربى فى كل وجوهه .

قال فى الصيد يصف بعض الوحش (١) :-

الى وظيف فائق الظنوب وجؤجؤ مثل مداك الطيب (٢)

تحت جناح موجد التنكب ذى قصب مستأزر الكعوب (٣)

يريد ان يخبرنا ان عظام الطير قوية صلبة فشبهها بانابيب الرماح هى العقد ، ونجد هذه الصورة فى شعر عنتر بن شداد حيث يقول

جادت له كفى بعاجل طعنة بمثقف صدق الكعوب مقوم

ويقول فى موضع آخر (٤) :-

يا رب غيث آمن السروب ملازمات جلتهى ملحوب (٥)

فالقطبيات الى الذنوب يرفلن فى برانس قشوب (١)

^١ ديوان ابى نواس ص ١٣٦-١٣٧

^٢ الوظيف : مشدق الزراع أو الساق من الخيل والبقال والحمير والابل . الفائق : الجيد الخالص فى نوعه . الظنوب : حرف عظم الساعد من الامام . الجؤجؤ : الصدر فى الطائر والسفن . المداك : حجر يسحق على طيب العروس

^٣ موجد التنكب : موثق المنكب قوى عظم الجناح . قصب : كل عظم ذى مخ على التشبيه بالقصب . مستأزر : ملتئم قد آزر بعضه بعضا . القصب هى الفقد التى توضع عليها اسنة الرماح

^٤ ديوان ابى نواس ص ١٣٥

^٥ الغيث : النبات الذى ينمو بماء الغيث . السروب : مفردا السرب وهو القطيع من الظباء أو الطير . وقد وصف ذلك المرعى بانه آمن لبعده عن مقاصد الصيادين . الجلهة : شط الوادى وجانبه . ملحوب : اسم موقع

يصف ابو نواس الأمطار قد كست الارض بالاخضرار والجمال ، حتى ان جبل القطبيات وموضع الذنوب قد لبس حلة زاهية من الخضرة والجمال يشبه البرنس ، وهذه الصورة الفنية نجدها فى قول عبيد بن الابرص حيث يقول (٢) :-

أقفر من أهله ملحوب فالقطبيات فالذنوب (٣)

وقال ابو نواس فى الهجاء (٤) :-

ان كان من طلب الانساب تنقله حتى تحوله نبعا من الغرب (٥)

يقول النواسى ان هذا الرجل دنى النسب لا حظ له فى الحسب وهو مع ذلك يدعى علو النسب فشبهه بشجر الغرب التى لا قوة لها ولا شأن وهى استعارة تصريحيه ، ونجد الصورة البيانية عينها فى قول الاخلل التغلبى اذ يقول :-

فى نبعه سد قريش يعصبون بها ما ان يوازى بأعلى نبتها الشجر

ويقول فى وصف الليل (٦) :-

لما تبدى الصبح من حجابيه كطلعة الاشمط من جلبابه (٧)
وانعدل الليل الى مآبه كالحبشي افتر عن أنيابه (٨)

^١ القطبيات : اسم جبل . الذنوب : اسم موضع . يرفلن : من الرفل وهو جر الثوب كبرا وتبخترا . برانس : مفردا برنس وهو كل ثوب يكون غطاء الرأس جزءا منه متصلا به . قشوب : جمع قشيب وهو الجديد

^٢ هامش ديوان ابى نواس ص ١٣٥

^٣ القطبيات ، ملحوب ، الذنوب : سبقت ترجمتها ، انظر الهامش رقم (٦) فى هذه الصفحة

^٤ ديوان ابى نواس ص ١١٥

^٥ النبع : الشجرة المتينة تتخذ منه السهام والقسي . الغرب : نوع من الشجر ينبت على الانهار ليست له قوة ، والغرب بسكون الراء وتفتح للضرورة الشعرية نوع من الشجر الضخم الشائك تضع منه السهام الصغيرة

^٦ ديوان ابى نواس ص ١٥٨

^٧ تبدى : ظهر . حجابيه : ستاره ويقصد ظلمة الليل . الاشمط : الذى خالط سواد شعره بياض المشيب . جلبابه : قميصه

^٨ انعدل : حاد وتنحي . مآبه : مرجعه . افتر : ابتسم

يقول النواسى ان بياض الصبح الطالع من سواد الليل شبيه برأس الاشمط الخارج من ثوبه الأسود ، وان الليل فى ذهابه عند قدوم الصباح يشبه حبشيا اسود يبتسم عن أسنانه البيض فيبدو بريقها على سواده .

وهذه الصورة الفنية نجدها فى قول ابن الشمر دل (١) :-

لما بدا الاصباح من حجابهِ ينعر الليل اذا حدا به (٢)

ويرفع الطرة من جلبابه كبلق الحصان فى اقرباه (٣)

وهكذا نجد فى شعر النواسى العديد من الصور الشعرية المستمدة من الشعر العربى ، فالخيال عنده لم يخرج من الاخيلة العربية المعروفة فى الشعر العربى عموما من التشبيه بالظباء والأسود والبدر والشمس ، ولكن مع ذلك كانت له إبداعاته الفنية التى تعبر عن شخصيته الأدبية .

وهذا الاقتباس أو المحاكاة للشعراء الأقدمين ليست نابعة عن قصور فى شاعرية ابى نواس ، أو نابع عن عجز وجمود ، فالكل يشهد له بالموهبة الفنية الرائدة ، ولكن المعاني والأخيلة والصور فى الشعر والأدب عموما قد سبق اليه الشعراء القدامى فما غادروا من متردم ، وكل ما يقال بعدهم معاد من ألفاظهم وأخيلتهم مكرورا .

والعقلية العربية عموما لا توصف بالجمود الا فى عصور معينة هى المملوكي والتركي والعثماني وكان ذلك لأسباب سياسية ودينية واجتماعية ، اما ابو نواس فقد عاش فى عصر ازدهار اللغة ، ونضارة الكلمة ، عصر الاهتمام بالأدب والعلوم وبالأدباء والعلماء ومن هنا لا يمكن وصف النواسى بالجمود ، ولكنها طبيعة الادب التى تؤخذ بعضها عن بعض . وكل من حفظ الشعر العربى وامتزج به لا بد ان

^١ هامش ديوان ابى نواس ص ١٥٨

^٢ حجاب الاصباح : هو سواد الليل . حدا : ساق ، من قولهم حدا الابل اذا ساقها

^٣ الجلباب : المراد ظلمة الليل . الاقرباب : الخوامر والجوانب

يؤثر في كلامه ، فتقر منه رغما عنه عباراتهم وأخيلتهم وصورهم وأساليهم ويصير
كلامه من كلامهم.

المبحث الرابع

الموسيقى في شعر أبي نواس

جاءت موسيقى النواسى على أنغام شعره ، فهو قد احتذى الشعر العربى العمودي أو ما يعرف عند النقاد بالشعر التقليدي ، وهذا الضرب من الشعر يقوم على الأوزان العروضية التى تؤثر فى الموسيقى الشعرية .

وقد نظم النواسى فى معظم البحور الشعرية المكتملة منها والمجزوءة ولذا تنوع موسيقاه الشعرية بين القوة والصخب الى الهدوء والرتابة .

والحياة التى عاشها الشاعر كانت تفرض عليه صياغة قصائد مختلفة فهناك الخلفاء وحياة المدائح والعطايا الجزلة التى كان يدفعه الى المدائح فيختار الفخامة والجهرة ليفي بالمعاني فتأتى الموسيقى قوية متناغمة مع طبيعة القصيدة .

وهناك حياة الملاهي والقيان والسكر والدعارة والتهاك وهذا كان يفرض عليه الشعر الرهل الخفيف الوزن فهناك الغزل المؤنث والمذكر والهجاء ووصف الخمر فنجد الموسيقى فيها منتظمة ونجد الأوزان قصيرة أو خفيفة أو مجزوءة .

وكان الشاعر يعيش ايضا جزءا من حياته فى مغامرات الصيد والطرد والتجول فى الصحاري والفيافي وهذا كان يفرض عليه الموسيقى الصاخبة فالصيد وما فيه من حركة مضطربة وما فيه من مشاهد البادية والشظف يدفع الشاعر الى استخدام الالفاظ القوية الداخلية والجافة والخشنة فنجد فى موسيقاه صخبا وقوة هذه القوة تعطينا صورة حية للواقع الذى عاشه الشاعر فى صباه .

وموسيقى الشعر العربى عموما ينبع من الأوزان العروضية ثم تتأثر بالألفاظ والصياغة ، وتعتمد ايضا على الأجراس الداخلية للألفاظ . وإذا نظرنا الى شعر

النواسى لوجدناه خير نموذج للشعر العربى كله ، فقد جمع فى شعره تيارات عدة وأغراض مختلفة ، واختار بحورا متنوعة ، واعتمد على اللفظ السهل ، واللفظ الجزل الخشن ، وكل هذا اثر تأثيرا واضحا فى موسيقى شعره .

١/ الموسيقى المنتظمة :-

وهى شائعة فى شعر النواسى ، وهى أشبه بالنعاس الذى يمش فى مفاصل النائم الوسنان ، فالانتظام فى الإيقاع يمثل شكلا من اشكال الشعر الرصين الذى تميز به ابو نواس ومن ذلك قوله (١) :-

لما غدا الثعلب فى اعتدائه	والأجل المقدور من ورائه (٢)
صب عليه الله من بلائه	سوط عذاب صب من سمائه (٣)
مباركا يكثر من نعمائه	ترى لمولاه على جرائه (٤)
تحذب الشيخ على أبنائه	يكنه بالليل فى غطائه (٥)
يوسعه ضما لري أحشائه	وان غدا جلل فى ردايه (٦)

انتظام الموسيقى نابع من التصريح بين مصراعي كل بيت من بحر الرجز كما نجد ان صوت الهاء فى الضرب والعروض ، فالهاء المكسورة بين الضرب والعروض يجعل الموسيقى أشبه بالضرب على الارض بآلة ضخمة أو الضرب على جسم أصم مما يحيل الانتظام فيه الى الرتابة والنعاس . ولكنه مع ذلك يجعل الموسيقى منتظمة الى حد كبير .ويقول فى الغزل (٧) :-

أتاني عنك سبك لى فسبني	أليس جرى بفيك اسمي فحسبي (٨)
وقولي ما بدا لك ان تقولي	فما ذا كله الا لحبي (٩)

^١ ديوان ابى نواس ص ٤٧

^٢ الاعتداء : العدو . الاجل المقدر : الموت أو القدر المحتوم

^٣ سوط عذاب : يقصد به الكلب

^٤ مباركا : يقصد انه كلب كثير الصيد . النعماء : الفضل . مولاه : صاحبه . الجراء : مفرد جرو

^٥ تحذب : عطف . يكنه يغطيه ويستره

^٦ احشائه : صدره . يجلله : يغطيه ويحنو عليه

^٧ ديوان ابى نواس ص ١١٧

^٨ حسبي : يكفيني

^٩ ما بدا لك : ما أرتأيت وما اخترت ورضيت

قصاراك الرجوع الى وصالى فما ترجين من تعذيب قلبي (١)
تشابهت الظنون عليك عندي وعلم الغيب فيها عند ربي (٢)

تحس بحفيف السينات يتتاغم مع دوي اللامات وينتهي كل ذلك بالباء وباء المتكلم فيحدث إيقاعا منتظما ينخفض فى السينات وينتهي بالباء وباء المتكلم ثم يرتفع قليلا فى تتاغم اللامات ثم ينتهي الى الباء وباء المتكلم ، فيجعل كل ذلك لتلك الابيات إيقاعا منتظما لا تخطئه الأذن .

استمع اليه يقول فى هذه الابيات (٣) :-

يا رب بيت بفضاء سبب بعيد بين السمك والمظنب (٤)
لفتية قد بكروا بأكلب قد أدبوها أحسن التأذب (٥)
من كل ادفى ميسان المنكب يشب فى القود شبوب المقرب (٦)
يلحق إننيه بحد المخلب فماتني وشيقة من أرنب (٧)

والإيقاع الموسيقى المنتظم ناشئ عن تتاغم الباءات المكسورة فى العروض والضرب ، ثم الانسجام بين حركة الباءات الاخرى داخل الحشو التى تجعل للنص حركة كدوى النحل لا تتفك عن الاسترسال أو تشبه صوت عدو الكلب خلف صيد نافر فى ارض سبب حيث يعلو الصوت وينخفض فى إيقاع منتظم .
ومن ذلك قوله (٨) :-

^١ قصاراك : القصار والقصاري ، الجهد والغاية ، ويقال (قصارك أو قصارك أو قصاراك ان تفعل كذا) اى غاية

غاية جهدك وآخر امرك وكل مستطاعك ان تفعل كذا

^٢ اى كل ما اقله مبني على الظن وهو انك سترجعين الى ولكن لا يعلم الغيب الا الله .

^٣ ديوان ابى نواس ص ١٣٣

^٤ الفضاء : المتسع من الارض . السبب : الارض المقفرة . البين : الفرق . السمك : السقف . المظنب : الموضع الذى يشد فيه الطنب وهى حبال الخيمة

^٥ أكلب : جمع قلة من كلب . أدبوها : دربوها

^٦ الادفى : المائل الاذنين الى الخلف . ميسان : ميلان من ماس فى مشيته الى تمايل . المنكب : الكتف .

يشب : يشب . القود : ضد ساقه . المقرب : الكريم من الخيل

^٧ مانتني : ما تزال . الوشيقة : الشريحة من اللحم

^٨ ديوان ابى نواس ص ١٩٦

كان المغنون بهم خزرج فصار داؤد لنا خزرجا (١)
 ان انشد الشعر زوي وجهه وان بقى فى صدره كرجا (٢)
 فنحن لا نستطيع تفسيره أفحمنا داؤد اذا أثلجا (٣)
 مهذب الأعمام من كسكر وماجد الأخوال من توجا (٤)

والإيقاع الموسيقى المنتظم نابع بين انخفاض الحروف فى العروض وارتفاعها فى الضرب ، فتحس بانخفاض يعقبه ارتفاع ثم انخفاض فارتفاع .
 كما نلاحظ ان ألف الإطلاق فى القافية والفتحة قبله يسهمان فى الامتداد الموسيقى المنتظم حتى يجعله أشبه برجع صدى الصوت من مكان بعيد ، ولو كان هناك من ينشد هذه الابيات ثم صمت برهة فى نهاية كل بيت لاحس السامع ببقايا صوت المنشد يتلاشى ببطئ فى الأفق البعيد ، أو أحس كأن هذا الصوت يأتيه من أعماق بئر سحيق .واستمع اليه فى هذه الابيات (٥) :-

بسماء مولاه لاستملاحه السمجا فاخثال عجا لما سماء وابتهاجا (٦)
 ظبي كأن الثريا فوق جبهته والمشتري فى بيوت السعد والسرجا (٧)
 لوي على ضرج من خده سبجا نفسي فدت سبج الأصداغ والضرجا (٨)

الجرس الموسيقى الضيق ناجم عن التناغم الرائع والمزيج العذب بين السينات فى البيت الاول ، والشين والسينات فى البيت الثانى ، وبين الضاد والسين فى البيت الثالث ، ثم تنتهي كلها بالجيم المفتوحة وألف الإطلاق مما ينظم كل هذه الإيقاعات وتجعلها متسقة منتظمة .ومن ذلك ايضا قوله (٩) :-

^١ الخزرج : الريح الباردة ، وقيل هو الذى يسوق المخنثين الى اماكن الدعارة وبيوت المنكر

^٢ زوي وجهه : مال بوجهه . كرج : فسد وتعفن

^٣ أفحمنا : أسكتنا . اثلج : اذا سقط الثلج ، يقصد ان شعره بارد ردي تافه

^٤ كسكر : هى مدينة سهلية

^٥ ديوان ابى نواس ص ١٩٧

^٦ السمج : القبيح . عجا : زهوا وعجا بنفسه

^٧ الثريا : كوكب تسمى بذلك لكثرة كواكبها ، ولكنها تبدو صغيرة ، ولا تزد هذه الكلمة الا مصغرة . هو تصغير

على وجه التكبير . السرج : المصابيح والمراد بها النجوم

^٨ الضرج : اذا صبغ الثوب بالحرمة . السبج : الخرز الاسود يشبه به الشعر الاسود

^٩ ديوان ابى نواس ص ٢٣٣

ونفحة الخمر وأنفاسها والخمر لا تخفى لها رائحة (١)
وغادة هارون فى طرفها والشمس فى قرقرها جانحة (٢)
تستفتح العود بأطرفها ونغمة فى كبدي قاذحة (٣)

لو تدبرنا الابيات لوجدنا الإيقاع النغمي والتمازج الموسيقى ناشئ عن الهاء والألف فى العروض والهاء الساكنة فى الضرب فنحس بانتظام الموسيقى وسيرها على وتيرة واحدة .

والإيقاع الموسيقى المنتظم فى شعر النواسى كثير ، وهذا يدل على النبوغ والرصانة ، وصفاء الموهبة ، كما تدل على مدى تأثره بالغناء واللهو الذى قضى فيها جل حياته فأثر فى موسيقى شعره فجعله منتظما متسقا .

٢ / الموسيقى الهادئة :-

ليست كل حياة السكارى صاحبة داوية ، فهناك لحظات حاملة يسودها الرومانسية ويفها الهدوء ، ويزيدها الليل سكونية وجلالا ، فالسكر والدعارة لها أجوائها النفسية والمكانية حيث الهمس والغزل والحركات البطيئة الآثمة ، والأصوات الحنية الممزوجة بالآهات والانين الى جانب أضواء الشموع أو المصابيح الخافتة كلها توحى لهم بالجمال والنشوة والمتعة ثم يشملهم إبليس بردائه فيغرقون فى مشاعرهم الحاملة وأجوائهم الوداعة .

وتنسكب كل ذلك فى موسيقى ابي نواس فتأتى حيناً هادئة ساكنة كأنه صوت جدول يتفرق فى مجراه فى ليلة صامته ويجرى فى هدوء لا يعكره كنين بعوضة أو رفرفة جناح .ومن ذلك قوله (٤) :-

حتى تأناها الى انتهائها واسوسق القشر على لحائها (٥)

^١ النفحة : الرائحة ، ويقصد بها رائحة الخمر

^٢ غادة : الفتاة اللية . هارون : احد ساحرين والآخر (مارون) . الفرقر : من لباس النساء تشبه به بشرة المرأة لرقته ولطفه . جانحة : مائلة

^٣ تستفتح : تشعل . بأطرفها : اناملها . قاذحة : مشتتة متفردة

^٤ ديوان ابي نواس ص ٥١

^٥ تأناها : امهلها . استوسق : اجتمع وانتظم . اللحاء : قشر العود أو الشجر

وشمست فيبست من مائها فالحسن والجود من أسمائها (١)
ثم ابتدرنا الطير فى اعتلائها بنادقا تعجب لاستوائها (٢)
من طينة لم تدن من غضرائها ولم يخالطها نقا ميثائها (٣)
لا تحوج الرامي الى انتقائها فهى تراقى الطير فى ارتفاعها (٤)
مثل تلظى النار فى التظائها من سود أعجاز من رهائها (٥)

أظنك ستشعر بالتناؤب وانت تقرأ هذه الابيات من فرط الهدوء الموسيقى الناشئ عن الصوت الضعيف الممتد بسبب الهمزة المكسورة والهاء وألف الإطلاق فى العروض والضرب مما يحيل الموسيقى الى اصوات .

٣/ خفة الموسيقى :-

وهذه تنشأ عن سرعة الإيقاع وخفة الأوزان العروضية نفسها ، والعصر الذى عاش الشاعر هو عصر الغناء والخفة والطرب ، وقد كانت حياته مصدر إلهامه ووحى فنه فجاءت معظم أوزانه خفيفة مطربة تتناغم فيها الألفاظ وتتسارع فيها وتيرة الأوزان .
ومن ذلك قوله فى الحنين (٦) :-

ملأت قلبي ندوبا فصرت صبا كئيبا (٧)
علمت دمعي سكباً ومغلتى نحيباً (٨)
لأى شئ لأنى أهوى بعيداً قريباً (٩)

^١ شمست : عرضت لحرارة الشمس حتى تيبس وتصلب

^٢ ابتدرنا الطير : اقبلنا عليها . البنادق : مفردا البندقية وهى ما يرمى به من الحجارة أو الكرات الصغيرة .
لاستوائها : لاتجاهها المستقيم

^٣ الغضراء : الارض المانعة ذات الطين . النقاء : القطعة من الرمل . الميثاء : الارض السهلة . فقد وصف
البنادق بانها ليست من طين سهلة التفتت ولا من ارض خالطها الرمل ، بل أخذت من ارض صلبة متماسكة

^٤ تراقى الطير : ترتقى وترتفع اليه

^٥ تلظى النار : شدة لهبها . التظائها : اشتعالها . الاعجاز : مفردا العجز وهى المؤخرة . الرداء : ما يشبه
الدخان أو القبرة

^٦ ديوان ابى نواس ص ٦١

^٧ الندوب : مفردا ندبة وهو أثر الجرح . صبا : متشوقا ، عاشقا

^٨ النحيب : شدة البكاء

ماسك الطيب الا أهديت للطيب طيبا (٢)
 عدت أحسن ما فى يا ظلوم ذنوبا (٣)
 أقمت دمعي على ما يطوي الضمير رقبيا (٤)

فهنا الشاعر يعانى صبايات الهوى ويبكى بدموع الحب فنحس بالخفة التى تلائم موضوع النص ، كما ان بحر المحتث التى نظم عليها الابيات من البحور الخفيفة الأوزان ولكن رغم ان الموضوع يلفه الحزن وألم الشوق الا نحس بإيقاع النشوة والفرح تتمازج على الأنغام فالحب فى عموميه يولد الفرح رغم ما قد يحيط به من أحزان فهو مولود جديد .ويقول فى موضع آخر (٥) :-

يا قمرا أبرزه مآتم يندب شجوا بين أتراب (٦)
 يبكى فيذر الدر من نرجس ويلطم الورد بعناب (٧)
 لا تبك ميتا حل فى حفرة وابك قتيلا لك بالباب (٨)
 أبرزه المآتم لى كارها برغم دايات وحجاب (٩)

التكالى تأتى من أعماق سحيقة ، أو رنين اصوات أجراس كنائس تأتى من بعيد فى سكون ليلة مظلمة شاتيه فتوحي بالحزن والفجيرة .
 ومن ذلك قوله (١٠) :-

قد اسحب الزق ياباني وأكرهه حتى له فى أديم الأرض أخدود (١)

^١ بعيدا قريبا : أى بعيد المسافة قريبا فى القلب

^٢ يقصد انها اطيب من الطيب

^٣ أحسن ما فى : يقصد حبه لها

^٤ رقيب : شاهد

^٥ ديوان ابى نواس ص ٩٤

^٦ قمرا : يريد المحبوبة . يندب : يبكى بحرقة . شجوا : حزنا . أتراب : صديقات متقاربات فى العمر

^٧ يذري : يلقي . الدر : الدموع . النرجس : العينين . الورد : الخد . العناب : نوع من الثمر يشبه به الأصابع

^٨ قتيلا بالباب : هو الشاعر

^٩ الداية : القابلة أو المريضة

^{١٠} ديوان ابى نواس ص ٢٤٥

ان الملاهي أصناف يشيدها نأي به المزهر الغريد معقود (٢)
 لا أرجل الراح الا يكون أن لها حاد بمنتحل الاشعار غريد (٣)
 لا الأطم دون الخمر تاجرها لأن ظني ان لم يغل موجود (٤)
 فأستنطق العود قد طال السكون به لا ينطق اللهو حتى ينطق العود (٥)
 وهنا نلاحظ ان الالفاظ التى استخدمها الشاعر ألفاظ هادئة غير ساخبة فكلها تدل
 على الجمود والصمت مثل (الزق ، أديم الارض ، الأخدود ، معقود ...) ، وزد
 على ذلك القافية ذات حرفي الروي المضموم مما يشيع لحظات من السكينة والهدوء
 والنعاس .

ومع ذلك فهدوء الموسيقى فى بعض أشعار ابى نواس لا تكون خالصة فأحيانا يعكر
 صفا سكونها جرسا عاليا لا يلبث ان ينتهي ويعود الهدوء والانسياب الرتيب مثل قوله
 (٦) :-

فجوزها عني عقارا ترى لها الى الشرف الأعلى شعاعا مظنبا (٧)
 اذا عب فيها شارب القوم خلته يقبل فى داج من الليل كوكبا (٨)
 ترى حيثما كانت من البيت مشرقا وما لم تكن فيه من البيت مغربا (٩)
 الجرس الموسيقى يرتفع قليلا فى البيتين الاول والثاني مثلما يفعل السكير حين
 يشرب ويشرب حتى يبلغ ذروة النشوة ثم تبدأ أعصابه فى الارتخاء فيهدأ ويسكن

^١ اسحب : أجر . الزق : وعاء من جلد تنقل فيه الخمور . يأباني : يمتنع عنى لثقله . أكرهه : أجره عنوة . أديم
 الارض : وجهها . أخدود حفرة مستطيلة فى الأرض .

^٢ الملاهي : مفرد ملهية ، وهى آلة اللهو . يشيدها : يحكمها . الناي : من آلات النفخ الموسيقية . المزهر :
 العود . معقود : مربوط متصل به .

^٣ ارجل الراح : شربها . الحادي : شائق الابل الذى يغني لها . منتحل الاشعار : المختار منها . غريد : مغني

^٤ الأطم : أحاجج وأخاصم

^٥ استنطق العود : اعزف عليه فيصدر ألقانا

^٦ ديوان ابى نواس ص ٥٨

^٧ جوزها : اصرفها . المعاقرة : الادمان . الشرف : المرتفع . المظناب : المشدود وهى الحبال

^٨ عب : شرب ، جرع . داج : مظلم

^٩ المشرق : موضع الشروق . المغرب : موضع الغروب .

سكون اللحد العميق ، وكذلك فى الابيات السابقة فان الموسيقى الصاخبة تهدأ وتسكن فجأة فى البيت الثالث .

والموسيقى هنا خفيفة بسبب الطرب والاحساس الغامر بالحب والنشوة رغم الالم والشكوى الايقاع يشبه حركات من يغفز طربا وانتشاءً ، والتفعيلات العروضية لبحر السريع تساعد على خفة الموسيقى وسرعة ايقاعها .
ومن ذلك ايضا قوله (١):-

عزوا أخلاي قلبي فقد أصبت بلبي (٢)
الحمد لله ربي ماذا لقيت فحسبي (٣)
ما لى على الحب عتب أنا وقعت بذنبي (٤)
لقد دعني وصحبي فجئت من بين صحبي (٥)
يا حب مللت رقى من لا يسر بقربي (٦)
ومن يعذب روحي بكل نوع و ضرب (٧)
فكم عصيت برأسي و كم عركت بجنبي (٨)

البحر هنا (المحتث) والإيقاع خفيفا جميلا ، فهذه القطعة أشبه بالأرجوزة ، سهلة الغناء ، والشاعر عندما يتغزل فى المذكر يهتز طربا ونشوة فترتفع عنده الحس الموسيقى فتاتي الموسيقى خفيفة عذبة .

ونلاحظ فى شعر النواسى ميلا الى الأوزان الخفيفة والمجزوءة ، فهو مع جزالته وميله الى البحور الطوال حيث تكون التفعيلات طويلة تعطى مساحة للألفاظ الجهييرة

^١ ديوان ابى نواس ص ١٢٥

^٢ أخلاي (أخلائي) : أصدقائي . اللب : العقل

^٣ حسبي : يكفيني

^٤ عتب : العتاب واللوم

^٥ دعاني : اختارني وناداني . صحبي : أصحابي

^٦ الرق : العبودية

^٧ ضرب : نوع

^٨ كم : الخبرة تفيد الكثرة

والقوية ويحدث امتدادا موسيقيا ونغما الا انه مال ميولا ملحوظا نحو الأوزان الخفيفة والمجزوءة فتحقق ذلك لشعره الخفة .

عموما في البيئات الحضرية يكثر الشعر الغنائي ، ويميل الناس الى الأوزان الخفيفة فهي سهلة الحفظ ، جميلة الإيقاع تجنح دوما نحو الوضوح وسهولة الالفاظ ، والعصر العباسي من العصور الغنائية فقد كثر فيه المغنون ، والراقصات ، والمغنيات ، وانتشرت الحانات مما أدى بدوره الى ازدهار الشعر الغنائي الخفيف الأوزان .

ومن نظمه الخفيف المجزوء قوله (١) :-

ألا يا حادثا فيه لمن يتعجب العجب (٢)
 لأسماء يسميهن أشجع حين ينتسب (٣)
 تعلمها وإخوته فكلهم بها ذرب (٤)
 لقد زنوا عجوزهم ولو زنيته غضبوا (٥)
 فيا لك عصابة ان حدثوا عن أصلهم كذبوا (٦)
 وهم ما لم تنقر عن أروم أصولهم عرب (٧)

فهذا النظم في مجزوء الوافر ، وبحر الوافر من البحور التي بالفرح والغبطة ، وتعطي إحساسا بالخفة والسرور ، ومن ثم جاء هنا مجزوءا مما يجعل النص أكثر خفة .ويقول ايضا (٨) :-

^١ ديوان ابي نواس ص ٥٧

^٢ الحادث : هو الحدث المهم أو الملفت

^٣ أشجع : هو ابو الوليد أشجع بن عمرو السلمي من قيس عيلان ، من ولد الشريد بن مطرود تالسمي نشا في البصرة وقال الشعر واجاد وعد في الفحول خرج الي الرقة والرشيدي بها فنزل علي بني سليم فتقبلوه واكرموه ومدح البرامكة وانقطع الي جعفر البرمكي فاوصله الي الرشيد فاثري وحسنت حاله . الاغاني ٣٠/١٧

^٤ ذرب اللسان : مطيع

^٥ زنوا : جعلوها زانية . عجوز : امهم

^٦ عصابة : جماعة

^٧ تنقر : تبحث . أروم : الاصل والحسن

^٨ ديوان ابي نواس ث ١٢٨

عيني ألومك لا ألوم القلب لا ذنب لقلبي (١)
 انت التى قد سمعته ببليّة وضني و كرب (٢)
 وسقيته من دمعك السفاك سكبا بعد سكب (٣)
 فنما الهوى فيه وشب وصار مألّف كل حب (٤)
 ويلى على الريم الغرير الشادن الاحوي الاقب (٥)
 تتري لدى ذنوبه ويجل فى عينيه ذنبي (٦)
 ان زار رحبنا و ان زرنا ولم تحلل برحب (٧)

هذه الأبيات من مجزوء الكامل ، وهى من الأوزان الخفيفة التى يقول ابو نواس فى بعض شعره (٨) :-

يا بنى حمالة الحطب حربي من ظبيكم حربي (٩)
 حربا فى القلب برح بي ألهيته مقلة الهبي (١٠)
 ما أحل الله ما صنعت عينه تلك العشية بي (١١)
 قد رمت ألحافظه كبدي بسهام للردى صيب (١٢)

الموسيقى القوية ناشئة عن دوى الحاءات فى البيت الاول والشرط الاول من البيت الثانى ثم يتلو ذلك انفجار اللامات التى تحدث موسيقى قوية صاخبة .

^١ عيني : منادي يقصد يا عيني

^٢ سمته : كلفته . الضني : الضعف والهزال . الكرب : الغم والحزن

^٣ السفاك : الكثير السفك أو السكب

^٤ المألّف : ما يألفه الانسان . الحب : الحبيب

^٥ الريم : الطبي الخالص البياض . الغرير : الذى لا خبرة له . الاحوي : فى شفّتيه سواد

^٦ تتري : تتابع . يجل : يعظم

^٧ لم تحلل برحب : لم تنزل بمكان رحب ، ويقصد به انه لا يرحب بهم

^٨ ديوان ابى نواس ص ١١٢

^٩ حمالة : يقصد بها أم الغلام . حربي : هلاكي وويلي . الطبي : يقصد به الغلام

^{١٠} حربا : ويلا وهلاكا . برح : اتعب

^{١١} أحل : جعله حلّالا

^{١٢} الردى : الموت . صيب : مفردا صائبة ، ويقصد ان نظرائه تصيب إصابات قاتلة

والموسيقى الداوية القوية نجدها فى البيتين التالين حيث تتناغم الحاءات محدثة
ضحيجا قويا يصك الآذان (١) :-

فلا تزال أبا حل ومرتحل الى الموالى وأحيانا الى العرب (٢)
ان كان من طلب الأنساب تنقله حتى تحول نبعا من الغرب (٣)
ويقول فى موضع آخر (٤) :-

وقد اغتدى قبل الصباح الأبلج وقبل نقناق الدجاج الدمج (٥)
سهر داز اللون أو سيهرج يوفى على الكف انتصاف الزمج (٦)
متسمر ثيابه عن موزج كأنما عل بصبغ النيلج (٧)
كأن وشي ريشه المدرج من قائم منه ومن معوج (٨)
باقى حروف السكر المخرفج أبرش أوتاد الجناح الخرج (٩)
نجدها منتشرة فى ثنايا شعره ، ومن ذلك قوله (١٠) :-

أسقتى و الليل داج قبل أصوات الدجاج (١١)
سقتى صهباء صرفا لم تدنس بمزاج (١٢)
ما ران مذ عصرت نارا سوى ضوء السراج (١٣)
نتجنب من كرم كسرى قبل ابان النتاج (١٤)

^١ ديوان ابى نواس ص ١١٥

^٢ الحل : النزول بالمكان

^٣ النبع : شجرة تتخذ من السهام والقسي

^٤ ديوان ابى نواس ص ٢٠١

^٥ الأبلج : البين الواضح . النقناق : صوت الدجاج . الدمج : وهى ذات الاقبال والادبار

^٦ سهر داز : أحمر اللون . سيهرج : أزرق . الزمج : طائر مائي يسمى النورس وهو بحجم الحمام يأكل السمك .

^٧ الموزج : الخف . عل : سقى مرة بعد مرة . النيلج : دخان الشحم

^٨ الوشي : الزخرفة . المدرج : الذى يعلو بعضه بعضا

^٩ المخرفج : ضرب من الخط . الأوتاد : الريشات الصغيرة . الخرج : الخارجة

^{١٠} ديوان ابى نواس ص ١٩٩

^{١١} داج : مظلم . الدجاج . واحدها دجاجة ، وتطلق على الذكر والمؤنث ، ويقصد بأصوات الدجاج صياح الديوك

^{١٢} صهباء : خمر شقراء . صرفا : غير ممزوج

^{١٣} يقصد بان هذه الخمر لم تطبخ فى النار بل تركت لتتخمّر طبيعيا

هى لدفع الهم والأحزان من خير علاج (٢)
 حبذا ذاك لقاحا فى أباريق الزجاج (٣)
 حسبوها ضوء نار فطفوها بمزاج (٤)

وهذه الابيات من مجزوء الرمل وهى غاية فى الخفة والسرعة ومثل هذه الأوزان كما
 اشرنا كثيرة فى شعر النواسى .

٤/ قوة الموسيقى :-

ابو نواس شاعر جزل نظم فى البحور الطويلة المكتملة التفعيلات مثلما نظم فى
 البحور القصيرة والمجزوءة .

والبحر الطويل يتيح للشاعر ان يستخدم المزيد من الالفاظ الجهيرة والرصينة حيث
 يجد المجال رحبا لصياغة العبارات الفخيمة التى تؤثر بدورها فى تقوية موسيقاه
 الشعرية .

وقوة موسيقى شعر النواسى لا تتبع من الأوزان العروضية وحدها ، فهى تتبع كذلك
 من ذوقه المرفه ، وإحساسه الدقيق بالجمال ، وتأثره بموسيقى الشعر العربى ،
 وبموسيقى القصائد المؤثرة فى الموسيقى الشعرية فضلا عن تأثره بالحركة الفنية
 القوية والصاخبة فى عصره فأثر كل ذلك فى تربية ذوقه الموسيقى فكان مرفها عميق
 الإحساس بالأجراس الخفية للألفاظ ، وكان هذا الذوق الموسيقى المرفه يتحكم فى
 اختيار الالفاظ ذى الجرس الموسيقى .

وهنا نجد ألفاظا خشنة تصطك مع بعضها فى شئ من التنافر والقوة والجفاء كأنها
 تستنكر وجودها الى جانب بعضها فتحدث موسيقى صاخبة نابية مضطربة تشبه
 حركة الكؤوس الزجاجية التى تصطك مع بعضها .

^١ يقصد بان هذه الخمر قديمة عندما ردها الى عصر كسرى

^٢ يدعى بان الخمر افضل انواع العلاج

^٣ لقاحا : يقصد انها علاج العم والاحزان

^٤ طفوها : أصلها طفأها بمعنى انهم مزجو الخمر بالماء فزال حذتها

وعليه فقد تنوعت موسيقى ابي نواس فى شعره ففى بعض المواقع نجد موسيقاه هادئاً مثل سطح نهر هادئ يسبح فوقه نسيم سحسج تتساب فى الآذان انسياب الموسيقى الحاملة من مزهر مرنان ينفث هارون فيه سحرا .

وفى مواضع أخرى نجد موسيقاه رتيب شديد الانتظام ، له ايقاع ثابت يجعلك تغرق فى عوالم بعيدة وتحس ان معانيه تنتقل اليك عبر الاثير لتغزو نفسك وعقلك ويملك عليك لبك كما يفعل الخمر بشاريه .

وفى مواضع أخرى تجد موسيقاه خفيفة سريعة تشبه قفزات السكير أو ركض كلب صيد عنيد خلف وحش ناخر .

وفى مواضع أخرى تجد له موسيقى عالية صاخبة تنشأ عن الالفاظ والجرس الداخلي للكلمات ، فلا تنفك تدوي فى أذنيك دويًا قويا لا ينقطع .

وهكذا نجد فى شعر النواسى كافة أضرب الموسيقى الشعرية ، ولعلها ابرز ما يميز شعره ، والموسيقى الشعرية لديوان ابي نواس يصلح ان يكون دراسة أدبية مستقلة حيث فيها العديد من التيارات الموسيقية التى تستطيع من خلاله ان تضع اسس نقدية لدراسة موسيقى الشعر العربى فى العصور التالية لعصر الخلفاء الراشدين .

الخاتمة

اهم النتائج والتوصيات

الحمد لله في الختام والشكر علي الدوام والصلاة والسلام علي المصطفى الامام
وعلي اله وصحبه الغر الكرام

فهذه اهم النتائج والتوصيات التي توصلت اليها من خلال هذا البحث وقد
توصلت الي نتائج وتوصيات اهمها .:

اولا: اهم النتائج

١/ كان العصر الباسي الاول الذي عاش فيه الشاعر ابو نواس يعتبر ازهي
عصور الاسلام من الناحية السياسية حيث اتسعت رقعة الدولة واستقرت دعائم
الخلافة مما اتاح الاستقرار والامن اللذين هما اساس المدنية الابداع

٢/ المجتمع العباسي كان خليطا بين كافة الشعوب والامم ، فلم تهيمن جهة ولم
يقهر شعب شعبا، الامر الذي ادى الي تلاحق الافكار وتمازج الثقافات وتداخل
اللغات وتبادل العلوم وتبادل الاداب

٣/ يعتبر ابو نواس من الشعراء العظماء وهو راس المحدثين بعد بشار بن برد
الذين اغنوا الساحة الادبية بالروائع الشعرية وظلت كلماته العذبة و اشعاره الرقيقة
الي يومنا هذا موردا عذبا للادباء لما تمثله اشعاره من قيمة ادبية وروائع فنية.

٤/ شملت اشعار ابي نواس كل انواع الشعر وضروبه ومقاصده لما كان يتمتع به
من جودة القريحة وسعة الخيال ورصانه الالفاظ ورقة المعاني ورهافة الحس.

٥/ كان ابو نواس فارسيا الا انه فاق كل الشعراء العرب في زمنه مما يدل علي
عبقريه فائقة وذهنية متقدمة وذكاء خارق

٦/ تظهر من خلال شعر ابي نواس صور واضحة للمجتمع العباسي ذلك المجتمع
المختلط الذي يظهر انه كان علي حالات متبانية من المجون والخمر والغزل والتدين

٧/ كان ابو نواس في بداياته فاسقا ماجنا يتفسق في شعره ويتفسخ برذائله مما جعل

بعض شعره مرغوبا عنه لما اشتمل عليه من الفسق الصريح والمجون القبيح

٨/ كانت الفرق والمذاهب المختلفة والتي ظهرت في العصر العباسي ظاهرة في

شعر ابي نواس لان الشاعر المرهف مرآة لمجتمعه يعبر عنه برقيق لفظه

٩/ كانت نهاية ابي نواس رجوعا الي التدين والزهد حتى يكون له خاتمة السعادة
ويظهر بذلك غلبة الدين علي المجتمع

ثانيا: التوصيات

١/ اوصي الباحثين والدارسين للادب العربي بالوقوف علي الادب العباسي الذي
يعبر اروع ادب مر علي التاريخ

٢/ كما اوصي بالمتابعة اغلادية للشعراء والاطلاع علي ذلك الشعر الجميل ذي
المعنى الجليل لتكون بداية لكل اديب لمشواره الادبي

٣/ اوصي الكتاب العرب بدراسة ثقافات الامم الاخرى لما تحتويه من علوم عظيمة
ومعارف جلية

هذا اخر ما اوصلني اليه هذا البحث الحثيث ولا ادعي اني قد بلغت به مرتبة
الكمال ولا غاية منتهي الجمال ولكن ارجو ان انال شرف المحاولة ومزية السبق
وان يكون هذا البحث نبراسا للدارسين والباحثين

واختتم هذه التوصيات بمقولة قالها الامام المازني رضي الله عنه وارضاه عندما
قرأ كتابه الرسالة للامام الشافعي فقال قرأت كتاب الرسالة للامام الشافعي ثمانين
مرة وما من مرة الا واقف علي خطأ (قال الشافعي هيه أبا الله ان يكون كتابا
كاملا غير كتابه) (١)

وآخر دعوانا ان الحمد لله رب العالمين

^١ كشف الاسرار للبردوني دار الكتاب العربي (بدون تاريخ) ج ١/ ٤

فهرس الاعلام

١٢٣	١. ابن الرومي ابو الحسن علي بن العباس
١٦٤	٢. ابان بن عبد الحميد بن لاحق
٤٦	٣. إبراهيم بن السري بن سهل الزجاج
١٤	٤. إبراهيم بن سيار
٤٩	٥. ابن خلكان
٢١٢	٦. ابو الحسن علي الرضا بن موسى الكاظم
٥٧	٧. ابو الحسن علي بن اسماعيل
١٧٩	٨. أبو الحسن المسعودي
٥٨	٩. ابو العباس المبرد محمد بن يزيد عبد الاكبر
١١١	١٠. ابو العباس المبرد محمد بن يزيد عبد الاكبر
٤١	١١. ابو العباس عبد الله بن الخليفة المعتز بن المتوكل
٢٠	١٢. ابو القاسم ابراهيم بن المهدي
١٩	١٣. ابو الهذيل محمد بن الهذيل العلاف
٣١٦	١٤. ابو الوليد أشجع بن عمرو السلمي
٦٠	١٥. ابو تمام حبيب بن اوس
٥٧	١٦. ابو حذيفة واصل بن عطاء
١٢	١٧. ابو حمزة الخارجي
٥٥	١٨. ابو سعيد عبد الملك بن قريب الاصمعي
٥	١٩. ابو سلمة حفص بن سليمان الخلال
٢٦١	٢٠. ابو صخر كثير بن عبد الرحمن
٢٠٨	٢١. ابو عبيدة سفيان بن سعيد الثوري
٢٠٧	٢٢. ابو عثمان البصري الزاهد
٢١٤	٢٣. أبو عثمان بن سامة بن لؤي
٥٨	٢٤. ابو عمر بن ايوب
١٤٢	٢٥. ابو عمرو حماد بن يحيى بن عمرو عجرد
١٦٥	٢٦. أبو عيينة ابن محمد بن أبي عيينة بن المهلب
٦٨	٢٧. أبو غالب عبد الحميد بن يحيى بن سعد
٣١	٢٨. ابو محمد اسحق بن ابراهيم الموصلي

٥٦	ابو محمد عبد الله بن وهب بن مسلم القرشي	٢٩.
١١٣	ابو يوسف يعقوب بن اسحق بن السكيت	٣٠.
١١١	ابوالحسن الاخفش سعيد بن مسعدة	٣١.
٥٠	ابي بن كعب ابن قيس	٣٢.
٢٣٣	ابي عثمان عمرو بن بحر الجاحظ	٣٣.
١٢٣	احمد بن يوسف بن صبيح	٣٤.
٥٩	الاخطل غياث بن غوث	٣٥.
٢٠٩	اسحق بن ابراهيم بن ادهم	٣٦.
١٢٢	اسحق بن ضرار ابو عمرو الشيباني الكوفي	٣٧.
٤٢	اسماعيل بن جامع بن اسماعيل	٣٨.
٥١	اسماعيل بن عبد الرحمن بن ابي كريمة السدي	٣٩.
١٩٨	اسماعيل بن يسار النسائي	٤٠.
١٠٥	الاعشي ميمون بن قيس	٤١.
٢١٨	أم الخير رابعة بنت إسماعيل العدوية	٤٢.
١٣٤	أمرو القيس بن حجر بن الحارث الكندي	٤٣.
٢٦٠	امروء القيس بن حجر بن الحارث الكندي	٤٤.
٢١٢	بشر بن الحارث	٤٥.
١٩١	بشر بن غياث المريسي	٤٦.
١٨	بشر بن غياث المريسي	٤٧.
٥	بكير بن ماهان	٤٨.
٧٠	ثابت بن قرة الصابي الحارثي	٤٩.
١٣	ثابت بن كعب قطنة	٥٠.
٧٣	جابر بن حيان	٥١.
١٩١	الجهم بن صفوان	٥٢.
١٩	حبيب بن اوس	٥٣.
٧٣	الحجاج بن ارطاة	٥٤.
٧٢	حسان بن ثابت بن المنذر	٥٥.
٤٦	الحسن بن احمد الامام ابو علي الفارسي	٥٦.
٢٠٧	الحسن بن ابي الحسن البصري	٥٧.

١٢٨	الحسن بن سهل الوزير	٥٨.
١١٢	الحسن بن علي بن اسحاق الطوسي نظام الملك	٥٩.
٥٠	حمزة بن حبيب بن عمارة	٦٠.
٧٠	حنين بن اسحق	٦١.
٨٨	خلف بن حيان	٦٢.
٤٨	الخليل بن احمد بن عمرو بن تميم الفراهيدي	٦٣.
١٦٤	دعبل بن علي بن رزين الخزاعي	٦٤.
٨٢	ذو الرمة	٦٥.
٢٦٣	رؤبة بن العجاج	٦٦.
٥٨	زبان بن عمار التميمي المازني	٦٧.
٥١	زهير بن ابي سلمي	٦٨.
٢٦٢	سلم الخاسر	٦٩.
٢٠٨	صالح المري	٧٠.
١٢	الضحاك بن قيس	٧١.
١٣٢	طرفة بن العبد بن سفيان بن سعد	٧٢.
٥٧	ظالم بن عمرو	٧٣.
١٩٤	العباس بن الاحنف	٧٤.
١٩	العباس بن الاحنف	٧٥.
٤٥	عبد الرحمن بن محمد بن محمد بن خلدون	٧٦.
٦	عبد الرحمن بن مسلم الخراساني	٧٧.
١٧٦	عبد الصمد بن عبد الاعلى	٧٨.
١١	عبد الله بن سبأ	٧٩.
٤٨	عبد الله ابن المقفع	٨٠.
٢١٤	عبد الله بن المبارك	٨١.
٥٠	عبد الله بن المقفع	٨٢.
٦	عبد الله بن علي بن عباس عم السفاح	٨٣.
١٧	عبد الله بن محمد الناشئ	٨٤.
٥	عبد الله بن محمد بن الحنفية الإمام أبو هاشم الهاشمي	٨٥.
٦٨	عبد الله بن مسلم بن قتيبة الدينوري	٨٦.

١٨٢	عبد الله بن معاوية	٨٧.
١٣٩	عبد المؤمن بن عبد القدوس	٨٨.
٧٢	عبد الملك بن هشام بن أيوب المعافري	٨٩.
٢١٧	عتبة او عتابة	٩٠.
١٣٢	عدي بن زيد بن حماد	٩١.
٢٠٠	علان الوراق	٩٢.
١٦٥	علي بن الخليل	٩٣.
٥٨	علي بن حمزة الكسائي الاسدي	٩٤.
٤٥	عمرو بن عثمان بن قنبر الحارثي	٩٥.
١٣٢	عمرو بن كلثوم	٩٦.
٢٥٦	عنبرة بن شداد	٩٧.
٢٤	عيسى بن موسى	٩٨.
١٤٠	غالب بن عبد القدوس	٩٩.
٦٠	الفرزدق همام بن غالب	١٠٠.
١١٦	الفضل بن الربيع بن يونس	١٠١.
٧٤	الفضل بن سهل الوزير السرخسي	١٠٢.
١٣	الفضل بن عبد الصمد مولى رقاش	١٠٣.
١٣٠	الفضل بن يحيى	١٠٤.
٢٠٨	الفضيل بن عياض	١٠٥.
٥٦	القاضي ابو يوسف	١٠٦.
١٨	كاتب احمد بن الخصيب	١٠٧.
٥٠	كعب الأحبار	١٠٨.
٢١	كيسان مولى امير المؤمنين علي بن ابي طالب	١٠٩.
٥٦	الليث بن سعد بن عبد الرحمن	١١٠.
٤٠	محمد الجهشياري	١١١.
٤٩	محمد بن ادريس الشافعي	١١٢.
٧٠	محمد بن اسحاق بن محمد النديم الوراق	١١٣.
١٣	محمد بن الكريم بن احمد الشهرستاني	١١٤.
٥٢	محمد بن جرير الطبري الامام	١١٥.

٥٢	محمد بن جرير بن يزيد الطبري	١١٦.
١٤٣	محمد بن عبد الله بن رزين ابو الشيص	١١٧.
٢٠	محمد بن عبد الملك الزيات	١١٨.
٢١٣	محمد بن كناسة	١١٩.
٢٦٣	محمد بن منذر مولى	١٢٠.
٢٢٩	محمد بن هشام بن عوف ابو محمّل الشيباني	١٢١.
١٦	محمد بن يسير	١٢٢.
٢١٦	محمود بن الحسن الوراق	١٢٣.
٤١	مسلم بن الوليد صريع الغواني	١٢٤.
٥٨	معمر بن المثنى ابو عبيدة	١٢٥.
٥٩	المفضل بن محمد بن يعلى بن عامر الضبي	١٢٦.
٥١	مقاتل بن سليمان الأندلي	١٢٧.
٨٢	المهدى محمد بن عبد الله المنصور	١٢٨.
١١٢	النابعة الذبياني زياد بن معاوية بن ضباب الذبياني	١٢٩.
٢٢	نصر بن يسار الامير ابو الليث المروزي	١٣٠.
٨٢	والبه بن الحباب	١٣١.
٢٧	الوليد بن طريف	١٣٢.
٥١	وهب بن منبه	١٣٣.
٢٨	يحيى بن خالد بن برمك	١٣٤.
٥٨	يحيى بن زياد بن عبد الله بن منظور الفراء	١٣٥.
٢١٠	يحيى بن معا ذ الواعظ	١٣٦.

فهرس الابيات الشعرية

م	حرف الهمزة	
١.	بدلت من نفحات الورد بالآء ومن صبوحك در الإبل والشاء	١٥١
٢.	حتى إذا أسندت في البيت واحتضد... رت عند الصبوح ببسامين أكفاء	١٥١
٣.	خلقت علي ما في غير مخير هواي وتبقي احاديث واسماء	١٩٥
٤.	دع عنك لومي فإن اللوم إغراء وداوني بالتى كانت هي الداء	٢٠٠
٥.	دع عنك لومي فان اللوم اغراء وداوني بالتى كانت هي الداء	١٤٨
٦.	دع عنك لومي فان اللوم اغراء وداوني بالتى كانت هي الداء	١٧٢
٧.	سقى الله عبادان غيثا مجللا فان لها فضلا جديدا و أولا	٢٠٨
٨.	صفراء لا تنزل الأحزان ساحتها لو مسها حجر مسته سراء	٢٩٦
٩.	صليت من حبها نارين واحدة بين الضلوع واخرى بين احشائي	٢٨١
١٠.	فأرسلت من خمر الإبريق صافية كأنما أخذها بالعين إغفاء	٢٩٧
١١.	فلما بدا لى اليأس عديت ناقتي عن الدار واستولى على عزائي	٢٧١
١٢.	قامت بابريقها والليل معتكر فلاح من وجهها فى البيت لألاء	٢٨١
١٣.	كل من يدعي في العلم فلسفة حفظت شيئا وغابت عنك أشياء	١٥
١٤.	لا تعبر الحلق الى داخل حتى تحسي فوقها الماء	١٩٥
١٥.	وذاك محمد تقديه نفسى وحق له وقل له الفداء	٢٣٢
١٦.	وكأس كمصباح السماء شربتها على قبلة أو موعد بقاء	٢٨١
١٧.	ونشربها فتركنا ملوكا واسدا ما ينهنا اللقاء	١٠٦
١٨.	ونفس الفتى مسرورة بنمائها وللنقص تنمو كل ذات نماء	٢٢٠
١٩.	يا راكبا أقبل من تهمد كيف تركت الابل و الشاء	٢٦٦
٢٠.	يا عاقد القلب مني هلا تذكرت هلا	٢٠٤
٢١.	يكرر ذكر فضلها عنده ليحزنه ففطن له فانشأ	٢١٦
٢٢.	جهنمية الأوصاف إلا انهم قد لقبوها جوهر الأشياء	١٩
٢٣.	ق درها علينا قبل ان تتفرقا وهان اسقني منها سلاقا مروقا	٢٤٧
	قافية الباء	
٢٤.	أبأذن نزلت بي يا مشيب أي عيش وقد نزلت يطيب	٢١٤
٢٥.	أبليت صبرا لم ييكه احد واقتسمتني مآرب شعب	٢٨٧
٢٦.	إذا أبصرت عين قلبي لحيته المتقارب	٢٩٠
٢٧.	إذا ارتعشت يمانه بالكأس رققت به ساعة حتى يسكنها الشرب	٢٩٢
٢٨.	إذا عب فيها شارب القوم خلته يقبل في داج من الليل كوكبا	١٥٢
٢٩.	إذا ما الماء أمكنني وصفو سلافة العنب	١٥٢

٣٠.	أصدع نجي الهموم بالطرب	وانعم على الدهر بآبنة العنب	١٣٧
٣١.	أضرمت نار الحب في قلبي	ثم تبرأت من الذنب	٢٨٩
٣٢.	أقامت حقبة في قعر دن	تفور وما يحس لها لهيب	٢٩٣
٣٣.	أقفر من أهله ملحوب	فالقطيبيات فالذنوب	٣٠٤
٣٤.	ألا يا حادثا فيه	لمن يتعجب العجب	٣١٦
٣٥.	ألا حي أطلالا بسخان فالعذب	الى برع فالبئر بئر ابي زغب	٢٧٥
٣٦.	الى وظيف فائق الظنوب	وجؤجؤ مثل مداك الطيب	٣٠٣
٣٧.	ان المطية لا يلذ ركوبها	حتي تذلل بالزمام و تركبا	١٧٣
٣٨.	ان كان من طلب الانساب تتقله	حتى تحوله نبعاً من الغرب	٣٠٤
٣٩.	براه الله حين برا هلالا	وحققا عن منقطع القضيب	٢٩٤
٤٠.	بلاد نبتها عشر وطلح	وأكثر صيدها ضبع وذيب	٢٦٦
٤١.	ترقب فينا العاذلين علي الهوي	وما نال عيشا قبلنا من ترقبا	١٦٧
٤٢.	تفاخر ابناء الملوك سفاهة	وبلك يجرى فوق ساقك واللعب	٢٩٤
٤٣.	تمد بها اليك يدا غلام	اغن كأنه رشا ريبب	٢٩٠
٤٤.	خليت والحسن تأخذه	تنتقى منه وتنتخب	٢٨٧
٤٥.	دع الاطلال تسقيها الجنوب	وتبلى عهد جدتها الخطوب	٦٠
٤٦.	رب خال متوج لي و عم	ماجد محتدي كريم النصاب	١٩٨
٤٧.	صورة المشتري لدي بيت نور الليل	والشمس انت عند النصاب	٢٨٣
٤٨.	عجب الناس اذا رأوه على	صورة ليث يمر مر السحاب	٢٧١
٤٩.	فالقطيبيات الى الذنوب	يرفلن في برانس قشوب	٣٠٤
٥٠.	فان تك منكم شعرة ابنة معكد	فشعرة من شعر العجان أو الاسب	٣٠١
٥١.	فبينما نحن به في الغاب	اذا برزت كالحة الانياب	١١٩
٥٢.	فتح الفتوح تعالى ان يحيط به نظم	من الشعر أو نثر من الخطب	٦٧
٥٣.	فجوزها عني عقارا ترى لها	الى الشرف الأعلى شعاعا مطنبا	٣١٤
٥٤.	فلا تزال أخوا حل ومرتحل	الى الموالى وأحيانا الى العرب	٣١٨
٥٥.	فلا زالت الآفات عنك بمعزل	ولا زلت تحلو في القلوب وتعذب	٢٨٧
٥٦.	في فتية كالسيوف هزهم	شرخ الشباب وزانهم أدب	٢٨٦
٥٧.	في فتية كالسيوف هزهم	شرخ شباب و زانهم أدب	٣٠٢
٥٨.	قالوا عشقت صغيرة فاجبتهم	اشهي المطي الي ما لم يكب	١٧٣
٥٩.	قدمي اعتورا رمل الكثيب	وأطرقا الأجمن من ماء القلب	٢١٥
٦٠.	كأن تركا صفوفاً في جوانبها	تواتر الرمي بالنشاب من كئيب	٢٩٨
٦١.	كأن هديرها في الدن يحكي	قراءة القس قابله الصليب	٢٩٦
٦٢.	كأنني بك فوق الجسر منتصبا	على جواد قريب منك في الحسب	٢٩٩
٦٣.	كأنها برائن من ذيب	يضيبنهن في ثري مصوب	٢٧٦

٢١٩	لدوا للموت وابنو للخراب فكلكم يصبر الي ثياب	٦٤.
٢٨٨	لعمرك ما ابقى لنا الموت باقيا تقر به عينا غداة يؤوب	٦٥.
٢٩٣	لموقع الهجران بين الحشا أنفذ من رشف بنشاب	٦٦.
٢١٩	ليخب امرؤ دون الثقات بنفسه فما كل موثق به ناصح الجيب	٦٧.
٢٢٠	ليس علي المرء في قناعته أن هي صحت أذى ولا نصب	٦٨.
٣١٢	ب ملأت قلبي ندوبا فصرت صبا كئيبا	٦٩.
٢٨٦	ملأت قلبي ندوبا فصرت صبا كئيبا	٧٠.
٢٨٢	منازل قد عمرتها يفعلا حتى بدأ في عذارى الشهب	٧١.
١١٥	منحتكم يا اهل مصر نصيحتي الا فخذوا من ناصح بنصيب	٧٢.
٢٧١	منك أمضى لدى الحروب ولا أهول في العين عن ضرب الرقاب	٧٣.
١٣٥	نفرت قلوصي من حجارة حرة بنيت على طلق اليبين وهوب	٧٤.
١٩٩	هل من رسول مخبر عني جميع العرب	٧٥.
٢٧٥	وجمشت بخفي اللحظ فانجمشت وجرت الوعد بين الصدق والكذب	٧٦.
٢٨٨	وخلطت خوفك للإله بخوفه فعلمت ما تأني وما تتجنب	٧٧.
٢٥٤	وفاتن بالنظر الرطب يضحك عن ذي اشر عذب	٧٨.
٢٩٦	وكنتم على إست الدهر لا تتكرونه عبيد البهاليل السباط بني وهب	٧٩.
٣٠١	ولا تتببط وثب السقاة فتركبوا على حد حامي الظهر غير ركوب	٨٠.
٢٦٧	وندمان صدق باكر الراح سحره فأضحى وما منه اللسان ولا القلب	٨١.
٣١٣	يا قمرا أبرزه مأتم يندب شجوا بين أتراب	٨٢.
١١٨	يا بؤس كلبى سيد الكلاب قد كان اغنانى عن العقاب	٨٣.
٢٧١	يا بنى حمالة الحطب حربي من ظبيكم حربي	٨٤.
٦٥	يا خاطب القهوة الصهباء يمهرها بالرطل يأخذ منها ملة ذهب	٨٥.
٣٠٩	يا رب بيت بفضاء سبب بعيد بين السمك والمطنب	٨٦.
٣٠٣	يا رب غيث آمن السروب ملازمات جهتي ملحوب	٨٧.
٢٧٢	يا رب قيس آمن السروب ملازمات جهتي ملحوب	٨٨.
١٦٠	يا قمرا ابرزت في مأتم يندب شجوا بين أتراب	٨٩.
٢٨٣	يتلون إنجيلهم وفوقهم سماء خمر نجومها الحبيب	٩٠.
١٧٨	يذكرني الحساب ولست ادري احقا ما يقول عن الحساب	٩١.
	قافية التاء	
٢٢	حسبك مما تتبغيه القوت ما أكثر القوت لمن يموت	٩٢.
٢٤٩	ربع البلى اخرس عميت مستلب المنطق سكيت	٩٣.
١٦٦	فان اردتم فتاة اتيتكم بفتاة	٩٤.
١٤٨	فبادروه مجونا في وقت كل صلاة	٩٥.

٩٦.	فبادروه مجونا فى وقت كل صلاة	١٥٥
٩٧.	كاسي وخمري والنديم: ثلاثة وأنا المشوقة في المحبة رابعة	٢٢٤
٩٨.	وقهوة كالمسك مشمولة منزلها الانبار أو هيت	٢٨٤
٩٩.	ودار ندامي عطلوها وادلجوا بها اثر منهم جديد ودارس حبست	٢٥٠
١٠٠.	وشارب يتلألاً حين ابتداء فى النبات	٢٨٤
١٠١.	وفتية كمصاييح الدجى غرر شم الانوف من العيد المصاليات	١٠٢
١٠٢.	ونفحة الخمر وأنفاسها والخمر لا تخفى لها رائحة	٣١١
١٠٣.	وهاكها قهوة صهباء صافية منسوبة لقري هيت وعانات	٢٧٢
١٠٤.	ويلاه من نار شوق ترقى الى اللهوات	٢٩٤
	قافية الثاء	
١٠٥.	يا آمن الاقدار بادر صرفها واعلم بأن الطالبين حثاث	٢٢٤
	قافية الجيم	
١٠٦.	أسال لامين فى خدين من يقف بماء ورد ومسك شيب وامتزجا	٢٩٨
١٠٧.	أسقنى و الليل داج قبل أصوات الدجاج	٣١٨
١٠٨.	باقي حروف السطر المخرفج أبرش أوتاد الجناح الخرج	٢٦٩
١٠٩.	بسماء مولاه لاستملاحه السمجا فاختال عجا لما سماه وابتهجا	٣١٠
١١٠.	بسهرزاز اللون أو سبهرج يوفي على الكف انتصاب الزمج	٢٦٩
١١١.	كان المغنون بهم خزرج فصار داود لنا خزرجا	٣٠٩
١١٢.	مشمز ثيابه عن موزج كأنما عل بصبغ النيلج	٢٦٩
١١٣.	من ديزج اللون وغير الديزج من كل محبوبك القرا مدمج	٢٦٩
١١٤.	من راقب الناس لم يظفر بحاجته وفاز بالطيبات الفاتك اللهج	٢٦٢
١١٥.	من راقب الناس لم يظفر بحاجته وفاز بالطيبات الفاتك اللهج	١٦٧
١١٦.	هى لدفع الهم والأحزان من خير علاج	٢٧٢
١١٧.	وفتية كنجوم الليل أوجههم من كل أعيد للغماء فراج	٢٥١
١١٨.	وقد اغتدى قبل الصباح الأبلج وقبل نقناق الدجاج الدمج	٣١٨
	قافية الحاء	
١١٩.	اقسمت بالله لرضخ النوي وشرب الماء الاعين المالحة	٢١٢
١٢٠.	انما انت عطايا أبدا لا تستريح	٩٩
١٢١.	تغير عينيك دليل على انك تشكو سهر البارحة	١٠٢
١٢٢.	ذكر الصبوح بسحرة فارتاحا وامله ديك الصباح صياحا	٢٦٢
١٢٣.	في شباب كمصاييح الدجى ظاهر النعمة فيهم والفرح	١٠٥
١٢٤.	لست بتاركي لذات الندامي للصلاح	١٧٤
١٢٥.	لست ارى لذة ، ولا فرحا ولا نجاحا حتى أرى القدحا	١٣٣

١٢٦.	ما زلت سئل روح الدن فى لطف واستقى دمه من جوف مجروح	٩٩
١٢٧.	وابيض مثل البدر دارة وجهه له كفل راب به يترجح	٢٥٥
١٢٨.	ولها - ولا ذنب لها- حب كأطراف الرياح	٧٨
١٢٩.	يطلبين بالقوم حاجات تضمنها بدر بكل لسان يلبس المدحا	٢٩٧
	قافية الدال	
١٣٠.	أفانيت عمرك ، والذنوب تزيد والكاتب المخصي عليك شهيد	٢٢٧
١٣١.	ألم تر أن الشيء للشيء علة يكون له كالنار تقدح بالزند	١٩٦
١٣٢.	اما رأيت وجوه الارض قد نضرت وألبستها الزرابى نثرة الاسد	٢٩٩
١٣٣.	تسقيك من يدها خمرا ومن فمها خمرا فما لك من سكرين من بد	١٦٠
١٣٤.	تهددني بجبار عنيد نعم انا ذاك جبار عنيد	١٧٨
١٣٥.	دعني من ذكر أب وجد ونسب يعليك سور المجد	٢١٧
١٣٦.	زعمت بأن النار أكرم عنصرها و في الارض تحيا بالحجارة والزند	١٩٣
١٣٧.	سقىا لغير العلباء و السند وغير أطلال مي بالجرد	٢٥٠
١٣٨.	عاج الشقى على دار يسائلها وعجت أسأل عن خمارة البلد	١٢٠
١٣٩.	عاج الشقى على رسم يسائله وعجت أسأل عن خمارة البلد	١٠٨
١٤٠.	عاصي الشباب فراح غير مفند وأقام بين عزيمة وتجلد	٢٦٢
١٤١.	غزال مثل قرن الشمس حسنا اذا طلعت وقابلها السعود	٢٦٧
١٤٢.	فان تبغني في حلقة القوم تلتفتي وان تلتمسيني في الحوانيت تصطد	١٠٤
١٤٣.	قد اسحب الزق ياباني وأكرهه حتى له فى أديم الأرض أخدود	٣١٤
١٤٤.	قد اغتدى والليل احوي السد والصبح فى الظلماء ذو تعد	٢٧٤
١٤٥.	كأنهم في صدور الناس أفئدة تحس ما اخطاوا فيها وما عمدو	١٧١
١٤٦.	لا تبك ليلى و لا تطرب الى هند وأشرب على الورد من حمراء كالورد	٢٤٢
١٤٧.	لا جف دمع الذى يبكى على حجر ولا منع قلب من يصبوا الى وتد	٣٩
١٤٨.	لى صاحب أثقل من احد قرينه ما عاش فى جهد	١٢١
١٤٩.	وللبخيل علي أمواله علل زرق العيون عليها اوجه سود	٢٦٤
١٥٠.	ومن تميم ومن قبيل ولفهما ليس الا عاريب عند الله من احد	٣٩
١٥١.	يا نفس خافى الله واقتصدى وارعى حفاظك رعى متند	٢٢٩
١٥٢.	يا هند فاستمعي لي ان سيرتنا ان عبد الله لم تشرك به احد	١٤١
١٥٣.	يا هند فاستمعي لي ان سيرتنا ن عبد الله لم تشرك به احدا	١٩٧
١٥٤.	يذم أبو بحر أمورا يريد لها ويكرهها للأريحي المسود	١٤٥
١٥٥.	وذاث خد مورد قوهية المتجرد	٢٠٣
	قافية الراء	

١٥٦.	يا من يكذب أخبار الرسول لقد أخطأت في كل ما تأتى وما تذر	١٩٥
١٥٧.	ابليس افضل من ابيكم ادم فتنبهوا يا معشر الفجار	١٩١
١٥٨.	أجارة بيتنا أبوك غيور وميسور ما يرحى لديك عسير	١١٦
١٥٩.	أدرها علينا مزة بابلية تخبرها الجاني على عهد قيصر	٢٤٧
١٦٠.	إذا انشد داؤد فقل أحسن بشار	١٢٠
١٦١.	إذا أردت سلوا كان ناصركم قلبي، وما أنا من قلبي بمنتصر	١٩
١٦٢.	إذا كنت ندماني فخذها وسقني ودع عنك من رآك تكرر في الخمر	١٤٦
١٦٣.	إذا لم تزر أرض الخصيب ركابنا فأني فتى بعد الخصيب نزور	١١٦
١٦٤.	إذا ما نديمي علني ثم علني ثلاث زجاجات لهن هدير	١٠٦
١٦٥.	اصبحت مولي ذي الجلال وبعضهم مولي العريب فخذ بفضلك فافخر	١٩٩
١٦٦.	اصبر لمر حوادث الدهر فلتحمدن مغبة الصبر	٢٢٦
١٦٧.	أعر شعرك الاطلال والمنزل القفرا فقد طالما أزرى به نعتك الخمر	١٠٩
١٦٨.	الا فاسقني خمرًا وقل لي هي الخمر ولا تسقني سرا إذا امكن الجهر	١٢٨
١٦٩.	الا فاسقني خمرًا وقل لي هي الخمر ولا تسقني سرا إذا أمكن الجهر	٢٤٣
١٧٠.	الا فسقني خمرًا وقل لي هي الخمر ولا تسقني سرا إذا امكن الجهر	١٤٩
١٧١.	الا هل فتى عن شربها اليوم صابر ليجزيه عن صبره الغد قادر	١٦٨
١٧٢.	اني رضيت ابا حفص و صاحبه كما رضيت عتيقا صاحب الغار	٢٣٤
١٧٣.	ايا رب قد احسنت عودا وبداة الى فلم ينهض لاحسانك الشكر	٢٣٥
١٧٤.	تعلل بالمني اذ انت حي وبعد الموت من لبن وخمر	١٨٨
١٧٥.	تكل عن أدراك تحصيله عيون أوهام الضمايير	١٨
١٧٦.	دع لباكيتها الديارا وانق بالخمر الخمارا	٢٤٢
١٧٧.	رئمان جاء فحكمانى لا حكم قاض ولا أمير	٢١٠
١٧٨.	سقى الله ظيبيا مبدى الغنج في الخطر يميم كغصن البان من دقة الخصر	٢٥٠
١٧٩.	طوى الموت ما بينى وبين محمد وليس لما تطوى المنية ناشر	١١٧
١٨٠.	فقال من الطراق ؟قلنا عصابة خفاف الاداوى تبتغى لهم خمر	١٦١
١٨١.	في فتية شرطوا نفوسهم للمشرفية و القنا السمر	١٩٦
١٨٢.	فى نبعه سد قريش يعصبون بها ما ان يوازى بأعلى نبتها الشجر	٣٠٤
١٨٣.	قالت: اكنم هواي واكن عن اسمي بالعزيز المهيمن الجبار	١٨
١٨٤.	قبح بمن تهوي ودعني عن الكني فلا خير فى اللذات من دونها ستر	٢٤٤
١٨٥.	قل لزهير اذا اتكأ وشدا اقلل أو اكثر فانت مهذار	١٢٢
١٨٦.	للقمة عيش بجريش الملح اكلها الذ من ثمرة تحشى بزنبور	٢١٤
١٨٧.	لله رافضة بليت بهم يتلاحظون بأعين شزر	٢٢٨

١٨٨.	متي تتقضي حاجات ليس واصلا الي حاجة حتي تكون له أخرى	٢١٩
١٨٩.	متي كان غزال له يا ابن حوشب غلام كعمرو او كعيسى بن حاضر	١٩١
١٩٠.	من راقب الناس مات غمًا وفاز باللذة الجسور	٢٦٢
١٩١.	ر من كف ذى غنج كان جبينه قمر وسائر وجهه دينار	١٦٢
١٩٢.	هذا وليس عليكم اولي ولا وقت عصر	١٦٦
١٩٣.	وظبي خلوب اللفظ حلو كلامه مقبله سهل وجانبه وعر	١٦٢
١٩٤.	وفتيان صدق قد صرفت مطيهم الي بيت خمار نزلنا بها ظهرا	٢٥٢
١٩٥.	ولا أقول اذا ما جئت فاحشة اني علي لذنب محمول ومجبور	١٩٥
١٩٦.	يا نواس توقر وتعزى و تصبر	٢٣٥
١٩٧.	يا كبير الذنب عفو الله من ذنبك اكبر	٢٣٢
١٩٨.	يا للرجال لمظلوم بضاعته بيطن مكة نائي الأهل والنفر	١٣٧
١٩٩.	يا من يكذب أخبار الرسول لقد أخطأت في كل ما تأتى وما تذر	١٩
٢٠٠.	ياحبذا مجلس قد كان يجمعنا بطيرنا باذ في بستان عمار	٢٥٣
٢٠١.	إذا أردت سلوا كان ناصركم قلبي، وما أنا من قلبي بمنتصر	١٩٤
٢٠٢.	قالت: اكنم هواي واكن عن اسمي بالعزيز المهيمن الجبار	١٩٤
٢٠٣.	يا عاذلي في الدين ذا هجر لا قدر صح ولا جبر	١٨٨
٢٠٤.	تري عندنا ما يكره الله كله سوى الشرك بالرحمن رب المشاعر	٢٠٣
٢٠٥.	وثقت بعفو الله عن كل مسلم فلست عن الصهباء ما عشت مقصرا	٢٠٣
	قافية السين	
٢٠٦.	 ومن عاداك لاقى المرميسا	٢٦٣
٢٠٧.	أربع على الطلل الذى انتسفت منه المعالم أنجم النحس	٢٤٨
٢٠٨.	بها صحبي فجددت عهدهم وانى على امثال تلك لحابس	٢٥٠
٢٠٩.	تدار علينا الراح في عسجدية حبتها بأنواع التصاوير فارس	١٥٠
٢١٠.	حتي اذا ما انتشيننا وهزنا ابليس	١٦٦
٢١١.	عليك باليأس من الناس ان الغنى يجيك من اليأس	٩١
٢١٢.	لا بد للأرض ان طابت وان خبتت من ان تحيل اليها كل مغروس	١٩١
٢١٣.	و سبيئة من كرمها حيرية عذراء من لمس الرجال شمس	١٤٤
٢١٤.	وكم في الحب من قلب بداء الحب مغموس	٢٠٢
	قافية الصاد	

٢١٥.	إذا لام علي المرد نصيح زلاني حرصا	١٦٩
٢١٦.	ألم ترني أبحت اللهو نفسي وديني واعتكفت على المعاصي	٢٢٦
٢١٧.	ام ترني ابحت اللهو عرضي وديني وعتكفت على المعاصي	١٨٨
٢١٨.	تؤنّبني أن صنت عرضي عصابة لها بين أطناب اللثام بصيص	٢١٣
	قافية الطاء	
٢١٩.	اترك التقصير في الشرب وخذها بنشاط	١٧٢
	قافية العين	
٢٢٠.	ان اسم حسن لوجهها صفة ولا اري ذا في غير ها اجتماعا	٢٠٤
٢٢١.	اتعصي الاله وانت تظهر حبه هذا محال في القياس بديع	٢١٦
٢٢٢.	أديرا علي الكأس إلي فقدتها كما فقد المفطوم در المراضع	١٤١
٢٢٣.	انى اعيدكم بالله من فتن مثل الجبال تسامى ثم تندفع	٢٢
٢٢٤.	رزئنا أبا عمرو ولا حي مثله فله ريب الحادثات بمن وقع	١٨٤
٢٢٥.	يا سائلي عن مقالة الشيع وعن صنوف الأهواء البدع	١٩١
٢٢٦.	يا سائلي عن مقالة الشيع وعن صنوف الأهواء البدع	١٧
	قافية الفاء	
٢٢٧.	شعر حى اتاك من لفظ ميت صار بين الحياة والموت واقفا	٢٣٠
٢٢٨.	شعر حى أتاك من لفظ ميت صار بين الحياة والموت واقفا	٤٠
٢٢٩.	علم العليم وعقل العاقل اختلفا من الذى فيهما قد احرز الشرفا	٤٩
٢٣٠.	قد برت جسمه الحوادث حتى كاد عن اعين الخلائق يخفى	٢٣٠
٢٣١.	لو تأملتني لتبصر وجهي لم تبين من كتاب وجهي حرفا	٢٣٠
٢٣٢.	وايسر ما ابئك ان قلبي بتصديق القيامة غير صاف	١٨٧
٢٣٣.	ولكررت طرف عينك فيمن قد يراه السقام حتى تعفى	٢٣٠
	قافية القاف	
٢٣٤.	أحمد قال لي ولم يدر ما بي اتحب الغداة عتبة حقا	٢١٨
٢٣٥.	ألا يا ذوات السحق في الغرب والشرق أفقن فإن... أشفى من السحق	١٦٩
٢٣٦.	ألقى زايره و أخلف بزه كانت حياكة صانع متنوق	٢٧٥
٢٣٧.	أيا رب وجه في التراب عتيق ويا رب حسن في التراب رقيق	٢٢٦
٢٣٨.	بغداد دار الاهل المال طيبة وللمفاليس دار الضنك والضيق	١٧٥
٢٣٩.	قطع الليالي مع الايام في خلق والنوم تحت رواق الهم والقلق	٢١٣
٢٤٠.	قل لعبد الكريم يابن أبي العوجاء بعث الإسلام بالكفر موقا	١٨٣
٢٤١.	لو كنت بالعقل تعطي ما تريد به لما ظفرت من الدنيا بمسروق	٢١١

٢٤٢.	وصيف كاس محدثة ملك تيه مغن وظرف زنديق	١٨٨
٢٤٣.	ومجلس خمار الى جنب حانة بقطر بل بين الجنان الحدائق	٢٥٣
	قافية الكاف	
٢٤٤.	سجد الجمال لحسن وجهك واستراح الى جمالك	٢٥٥
٢٤٥.	احبك حبين، حب الهوي وحباً لآنك أهل لذاكا	٢٢٤
٢٤٦.	العبد عندك حق وابن عديكا فكيف يعصيك عبد طوع كفيك	٢٣٩
٢٤٧.	ان اخاك الصدق من كان معك ومن يضر نفسه لينفعك	٦١
٢٤٨.	أنا والله أهواك وأهواك وأهواك وأهوى قبلة منك على برد ثياك	١٦٨
٢٤٩.	تري عندنا ما يسخط الله كله من العمل المردي للفتي ما خلا الشركا	٢٠٣
٢٥٠.	اذا ذكر الشرك في مجلس أنارت وجوه بني برمك	١٨٤
٢٥١.	رأيت الفضل مكتئبا يناغى الخبز والسما	١٢١
٢٥٢.	كأنما نصب كأسه قمر يكرع في بعض أنجم الفلك	١٥٢
٢٥٣.	وشاطري اللسان مختلق التكريه شاب المجون بالنسك	١٥٢
٢٥٤.	يا عتب مال ولك يا ليتني لم ارك	٦١
	قافية اللام	
٢٥٥.	اسقني و اسق خليلي في مدى الليل الطويل	١٤٤
٢٥٦.	خليلي بالله لا تحفرا لى القبر الا بفطريل	١٣٣
٢٥٧.	سليلة كرم لم يفض ختامها ولم يلتذعها فى بطون المراحل	٦٥
٢٥٨.	سيعرض عن ذكري وتنسي مودتي ويحدث بعدي للخييل خليل	٢٢٣
٢٥٩.	صاحباً سوء صحبتها صاحباني يوم أرتحل	١٣٦
٢٦٠.	فبات يريو أصول الفسيل فعاش الفسيل ومات الرجل	٢٠٨
٢٦١.	قد نقر الناس حتى أحدثوا بدعاً في الدين بالرأي لم تبعث بها الرسل	١٧
٢٦٢.	قدر الرقاشى مضروباً به المثل فى كل شئ خلا النيران تبتزل	٩٩
٢٦٣.	قفا نبك عن ذكرى حبيب ومنزل بسقط اللوى بين الدخول فحومل	٢٤٠
٢٦٤.	لا يركك القال والقليل كمل ما بلغت تضليل	٢٠٠
٢٦٥.	لله در عصابة نادمتها يوما بخلق في الزمان الأول	١٣٥
٢٦٦.	لم يشغل الموت عنا مزا اعد لنا وكلنا عنه بالذات مشغول	٢٢٠
٢٦٧.	متي تسمي وتصيح مستريحاً وأنت الدهر لا ترضي بحال	٢٢١
٢٦٨.	و مجلس ماله شبيه حل به الحسن والجمال	٢٥٣
٢٦٩.	ودع هريرة ان الركب مرتحل فهل تطيق و داعا ايها الرجل	١٥٩
٢٧٠.	ونحن أناس يعرف الناس فضلنا بألسنتنا زينت صدور المحافل	١٧

٢٧١.	وندمان صدق من خزاعة في الذرى اقر كضوء الصبح حلو الشمائل	٢٥٢
٢٧٢.	يا للشباب المرح التصابي وأنت الدهر لا ترضي بحال	٢٢١
	قافية الميم	
٢٧٣.	اديرا على الكأس ينقشع الغم ولا تحسبا كأسى ففي حبسها إثم	٢٤٧
٢٧٤.	أرى بين الرماد وميض نار فأحرص ان يكون له ضرام	٢٢
٢٧٥.	أرى تحت الرماد وميض جمر يوشك ان يكون له ضرام	٢٢
٢٧٦.	ألا إنما التقوى هو العز والكرم وحبك للدنيا هو الفقر و العدم	٢١٧
٢٧٧.	الا سقني يا صاح خمرا فأنني بما انزل الرحمن في الخمر عالم	١٣٦
٢٧٨.	الا قل لإسماعيل انك شارب بكأس بنى ماهان ضربة لازم	١٢٠
٢٧٩.	الا لا أرى مثلى امترى اليوم فى رسم تغص به عيني ويلفظه وهمي	٢٤٨
٢٨٠.	تعاضمني ذنبي فلما قرنته بعفوك ربي ، كان عفوك أعظما	١٢٩
٢٨١.	تعاضمني ذنبي فلما قرنته بعفوك ربي كان عفوك اعظما	٢٣٣
٢٨٢.	جادت له كفى بعاجل طعنة بمثقف صدق الكعوب مقوم	٣٠٣
٢٨٣.	راح الشقي على الربوع يهيم والراح فى راحى فرحت اهيم	١٠٨
٢٨٤.	رأيتك ما يكفيك ما دونه الغنى وقد كان يكفي دون ذاك ابن أدهما	٢١٣
٢٨٥.	رجعت على السفية بفضل حلمي فكان الحلم عنه له لجاما	٢١٦
٢٨٦.	صفة الطلول بلاغة القدم فاجعل صفاتك لابنة الكرم	٢٤١
٢٨٧.	علاني بعاتقات الكروم واسقياني بكأس أم حكيم	١٤٠
٢٨٨.	فإذا سكرت فإنني مستهلك ومالي وعرضي وافر لم يكلم	١٣٤
٢٨٩.	في جنان بين أنهار و تعريش كروم	١٤٣
٢٩٠.	فى ندامى سادة نجبت اخذوا اللذات عن امم	١٠٥
٢٩١.	قلت والكاس علي كف تهوى لالنتامي	١٨٧
٢٩٢.	لم يطل ليلى ولكن لم انم ونفي عني الكري طيف الم	٢٦٤
٢٩٣.	نالني بالملام فيها أمام لا أرى لي خلافة مستقيما	٢٠٥
٢٩٤.	نالني بالملام فيها أمام لا أرى لي خلافة مستقيما	١٨
٢٩٥.	هل غادر الشعراء من متردم أم هل عرفت قبل توهم	٢٥٦
٢٩٦.	وذي عدم من قبيح الشيم صريح الدناءة مولي الكرام	١٧٣
٢٩٧.	وقرأ معنا ليصدع قلبي والهوى يصدع الفؤاد الكليما	٢٦٢
٢٩٨.	يا دار ما فعلت بكل الايام ضامتك والايام ليس تضام	١١٥
٢٩٩.	يا رب ان عظمت ذنوبى كثرة فلقد يلوذ ويستجير المجرم	٨٣
٣٠٠.	يا شقيق النفس من حكم نمت عن ليلى ولم تتم	١٥٠
	قافية النون	
٣٠١.	ابو الحُسَيْن كنيته بحق فإن صَحَّفْتُ قلت ابو الحسين	٢٣٠

٣٠٢.	أبو نواس اليماني وامه جلبان	٧٩
٣٠٣.	اسقني واسق غصينا لا تبع بالنقد دينا	١٤٤
٣٠٤.	اسقني يا ابن أذين من شراب الزرجون	٢٤٦
٣٠٥.	ألا إنما ليلى عصا خيزرانة إذا غمزوها بالأكف تلين	٢٦١
٣٠٦.	ألا إنما ليلى عصا خيزرانة إذا لمسوها بالأكف تلين	٦٤
٣٠٧.	الا ترى ما أعطى الامين أعطى ما لم تره العيون	١١٥
٣٠٨.	بغض الحياة وخوف الله أخرجني وبيع نفسي بما ليست له ثمننا	٢١٤
٣٠٩.	بنت العلاء انتتنا وهي حافية في يوم وحل كثر الماء والطين	١٨٧
٣١٠.	تري اللحز الشحيح اذا امررت عليه لماله فيها مهينا	١٣٢
٣١١.	ثبت الناس علي راياتهم وابو الهندي في كوي زيان	١٤٠
٣١٢.	حيي الديار اذ الزمان زمان ولربما جمع الهوى سفوان	١١٤
٣١٣.	دع عنك دنيا واهلا انت تاركهم ما خير دنيا واهل لا يدومونا	١٩٧
٣١٤.	غننا بالطلول كيف بلينا واسقنا نعطك الثناء التهينا	٢٤٩
٣١٥.	فأول ما أفارق غير شك أفارق ما يقول المرجئونا	١٩٧
٣١٦.	فأول ما أفارق غير شك أفارق ما يقول المرجئونا	١٤
٣١٧.	فجوزها عني عقارا ترى لها الى الشرف الأعلى شعاعا مطنبا	٢٨٢
٣١٨.	كنا نريشك للزمان يا حسن فخاف سهمي وقرطس الزمن	٢٢٩
٣١٩.	لمن طلل عاري المحل دفين عفا آية الا خوالد جون	٢٤٩
٣٢٠.	لهف نفسي على الزمان وفي اى أوان دهنتى الأزمان	٢٣٥
٣٢١.	مات البديع واودت دولة الظعن واستدرج الموت حر الشعر فى كفن	٢٢٩
٣٢٢.	نرمقها من كذب حسرة كأننا لفظ بلا معنى	٢١٥
٣٢٣.	هائى الجون ابوه زاده الله هوان	٩١
٣٢٤.	وخمار طرقت بلا دليل سوى ريح العتيق الخسروانى	١٣٣
٣٢٥.	ودعجاء المحاجر من معد كان حديثها ثمر الجنان	٢٦١
٣٢٦.	ودعجاء المحاجر من معد كأن حديثها من ثمر الجنان	٦٤
٣٢٧.	وعزاء لم تقترعها السقا ولا استامها الشرب في بيت حان	١٤٣
٣٢٨.	ولي عهد ما له قرين ولا له شبه ولا خدين	٢٠٥
٣٢٩.	ولي عهد ما له قرين ولا له شبه ولا خدين	١٨
٣٣٠.	غاد المدام وان كانت محرمة فللكبائر عند الله غفران	٢٠٣
قافية الهاء		
٣٣١.	انتته الخلافة منقادة إليه تجرر اذيالها	٢٦١
٣٣٢.	اثن على الخمر بالآثها وسمها بأحسن أسمائها	١٠٧

٣٣٣.	إذا لم يكن للمرء في دولة امرئ نصيب ولا حق تمنى زوالها	٢٣
٣٣٤.	اسقنا ان يومنا يوم رام ولرام فضل على الايام	٢٤٦
٣٣٥.	الا دارها بالماء حتى تلينها فلن تكرم الصهباء حتى تهينها	٢٤٥
٣٣٦.	انا لا استطيع مدح امام كان جبريل خادما لابي	١٨٥
٣٣٧.	إني لأهوى جوهرها ويحب قلبي قلبها وأحب من حبي لها من ودها وأحبها	١٦٨
٣٣٨.	اوصي الرقاشي الي خلانه وصية محمود في إخوانه	١٦٨
٣٣٩.	أيها الغافل المقيم علي اللهو ولا عذر في المقام لساه	٢٠٢
٣٤٠.	أيها الغافل المقيم علي اللهو ولا عذر في المقام لساه	١٥
٣٤١.	بات على وأبات صحبه في سوء أكثر منها عتبه	٢٩٠
٣٤٢.	بدير بهرذان لي مجلس وملعب وسط بساتينه	٢٥٤
٣٤٣.	تدب لها فترة في العظام ويغشي الذؤابة فوارها	١٣٤
٣٤٤.	حتى تأناها الى انتهائها واسوسق القشر على لحائها	٣١١
٣٤٥.	رايت الذنوب تميت القلوب ويخترم العقل ادمانها	٢١٤
٣٤٦.	سل هم النفس عنها بعلنداة علا	١٣٨
٣٤٧.	فاضت دموعك ساكبه جزعا لمصرع والبه	١١٨
٣٤٨.	فماج الناس في الناس وظنوا انها الرجعة الى الله	١٠٢
٣٤٩.	كأن عتابه من حسنتها دمية قس فتنت قسها	٢١٨
٣٥٠.	كأن مثار النقع فوق رعوسنا وأسيافنا ليل تهاوي كواكبه	٢٦٠
٣٥١.	كمن الشنان فيه لنا ككمون النار في حجره	١٩
٣٥٢.	لا تحرصن فالحرص يزري بالفتى ويذهب الونق عن بهجت	٢١٢
٣٥٣.	لما تبدى الصبح من حجاب كطلعة الاشمت من حبابه	٣٠٤
٣٥٤.	لما عدا الثعلب في اعتدائه والأجل المقفور من ورائه	٣٠٨
٣٥٥.	ليس زاوئش حين سام امام الحوت والبدر اذ هوى لانصباب	٢٧٠
٣٥٦.	لم تخل افعالنا اللاتي تدل بها احدي ثلاث خصال في معانيها	١٩٥
٣٥٧.	وسهرزاز اللون أو سمنده سائلة غرته بخده	٢٦٨
٣٥٨.	واعصوصبت لما رأت من جده أسرة كسري يوم دستبنده	٢٦٩
٣٥٩.	وفارة مسك من عذار شممتها يفوح علينا مسكها وعبيرها	١٤٢
٣٦٠.	يا رب ذي نسب نكفه حب الحياة وغره نشبه	٢٢٠
	قافية الواو	
٣٦١.	دارت على فتية دان الزمان لهم فما يصيبهم الا بما شاؤوا	١٠٥
٣٦٢.	دب في السقام سفلاً وعلوا وأراني اموت عضواً فعضوا	٢٢٨
٣٦٣.	وقد تهزت مع الغواة بدولهم واسمعت اللهو حيث أساموا	١١٥

	قافية الياء	
٢٧٣	خليلية فى وزنها قطرية نظائرها عند الملوك عتادي	٣٦٤.
١٦٠	أتانى عنك سبك لى نسبى أليس جرى بفيك أسمى فحسبى	٣٦٥.
٣٠٨	أتانى عنك شك لى فسبى أليس جرى بفيك اسمى فحسبى	٣٦٦.
١٤١	إذا صليت خمسا كل يوم فإن الله يغفر لي فسوقى	٣٦٧.
١٤٩	اسقنيها بسواد قبل تغريد المنادى	٣٦٨.
١٥٥	اسقنيها بسواد قبل تغريد المنادى	٣٦٩.
٣٠	ان الطبيب بطبه ودوائه لا يستطيع دفاع محذور أتى	٣٧٠.
٢٧	انا الوليد بن طريف الشاري قسورة لا يصلى بنارى	٣٧١.
٩٠	تلك لذاتى و كنت فتى لم اقل لذة حسبى	٣٧٢.
١٧٠	تلك لذاتي وكنت فتى لم اقل من لذة حسبى	٣٧٣.
١٤٧	تلك لذاتي و كنت قيتى لم اقل من لذة حسبى	٣٧٤.
١٥٤	تلك لذاتي و كنت قيتى لم اقل من لذة حسبى	٣٧٥.
٢٩	ثمانية تجرى على المرء دائما ولا بد للمرء ان يلقى الثمانيا	٣٧٦.
٢٣٥	سكبت على دمعك بعد موتى فهلا كان ذا اذ كنت حيا	٣٧٧.
١٨٧	عاذلتى بالسفاوة والزجر استمعي ما ابث من امري	٣٧٨.
٣١٥	عزوا أخلاي قلبي فقد أصبت بلبي	٣٧٩.
٣١٧	عيني ألومك لا ألوم القلب لا ذنب لقلبي	٣٨٠.
٢٩١	فنما الهوى فيه وشب وصار مألّف كل حبي	٣٨١.
٢٦٠	كان قلوب الطير رطبًا ويابساً لدي وكرهًا العناب والحشف البالي	٣٨٢.
٢٤١	ما بكاء الكبير بالاطلال وسؤالي فهل ترد سؤالي	٣٨٣.
٢٩١	ولم أزل لك عونا مخادعا فيك لبي	٣٨٤.
١٠٥	وما زال تشرابي الخمر ولذتي ربيعي وانفاقي طريقي ومتلدي	٣٨٥.
٢٩٠	يا بني حمالة الحطب حربي من ظبيكم حربي	٣٨٦.
١٣٣	يا خليلي قد خلقت عذارى ويدا ما اكن من اسرارى	٣٨٧.
٢٠٣	ردا علي الكاس انكما لا تدريان الكاس ما تجدي	٣٨٨.
١٦٩	يعاطينا الزجاجة اريحي رخيّم الدل بورك معاطي	٣٨٩.

المصادر والمراجع

١. القرآن الكريم
٢. كتب الحديث المختلفة
٣. ابو نواس الحسن بن هانئ لعباس محمود العقاد دار الكتاب العربي ط. ١/ بيروت ١٩٦٨م
٤. اخبار ابي نواس لابن منظور المصري م. الاعتماد القاهرة ١٩٢٤
٥. اخبار ابي نواس لابي هفان عبد الله المهزومي م. مصر ١٩٥٣
٦. ادب العرب ، مطبعة الكرم جونية ، بقلم مارون عبود ، دار الثقافة
٧. ادباء العرب في الاعصر العباسية ، بطرس البستاني ، مكتبة صادر بيروت ١٩٥١
٨. ارشاد الاديب لياقوت الحموي،
٩. اساليب الصناعة في شعر الخمر والناقة
١٠. اسس البحث الاجتماعى جمال زكى / السيد يس ، دار الفكر العربى ، القاهرة - ١٩٦٣
١١. الاسس النفسية للابداع الفنى فى الشعر خاصة د. مصطفى سويف ، - ط ٢ - دار المعارف - القاهرة - ١٩٥٩
١٢. اشارة التعيين في تراجم النحاة واللغويين تاليف عبد الباقي بن عبد الحميد اليماني تحقيق دكتور عبد المجيد دياب مركز الملك فيصل الطبعة الاولى ١٩٨٤
١٣. الاعلام لخير الدين الزركلي طبعة اولي سنة ١٣٤٧هـ
١٤. اعلام من الشعر العباسى د. حسين الحاج حسن ،. الطبعة الاولى المؤسسة الجامعية للنشر والتوزيع ١٩٩٣
١٥. الاغانى - ابو الفرج علي بن الحسين الاصفهاني - دار الثقافة بيروت لبنان ط/١ الاولى سنة ١٩٧٥ م
١٦. امالي المرتضى علي بن الحسين بن محمد الموسوي ت. ابو الفضل محمد ابراهيم دار الكتاب العربي بيروت
١٧. انباه الرواة علي انباه النحاة للقفطي طبعة دار الكتب سنة ١٩٥٠م
١٨. البداية والنهاية لابي الفداء الحافظ ابن كثير بيروت دار الفكر ١٩٩٨م
١٩. البدر الطالع بمحاسن القرن السابع ، محمد بن علي الشوكاني دار المعرفة للطباعة والنشر بيروت
٢٠. بغية الوعاة للسيوطي تحقيق محمد ابي الفضل ابراهيم الطبعة الاولى مطبعة الحلبي ١٩٦٤م

٢١. البيان و التبيين - عمرو بن بحر الجاحظ - تحقيق فوزي عطوي - دار صعب بيروت بدون تاريخ
٢٢. التاج فى اخلاق الملوك الجاحظ :تحقيق احمد زكي ط.الاميرية القاهرة ١٩١٤ ع
٢٣. تاريخ الاسلام السياسي والثقافي والاجتماعي ، د . حسن ابراهيم حسن ، دار الجيل بيروت
٢٤. تاريخ الأدب العربي د/ عمر فروخ
٢٥. تاريخ الادب العربى : حنا الفاخورى المطبعة البولسية بيروت ، بدون تاريخ
٢٦. تاريخ الادب العربي في العصر العباسي شوقي ضيف
٢٧. تاريخ الاسلام الجزء الثانى العصر العباسى الاول دار الجيل بيروت تأليف الدكتور حسن ابراهيم حسن مدير جامعة اسيوط
٢٨. تاريخ الامم الاسلامية محمد خضري بك المكتبة التجارية مصر
٢٩. تاريخ الامم والملوك للطبري تحقيق محمد ابي الفضل ابراهيم الطبعة الثالثة القاهرة ١٩٦٨م
٣٠. تاريخ الحكماء للقفطي مكتبة المثنى بغداد مؤسسة الخارجي مصر
٣١. تاريخ الخلفاء جلال الدين السيوطي
٣٢. تاريخ الطبري لمحمد بن جرير الطبري ابو جعفر الطبعة الاولى بيروت دار الكتب العلمية
٣٣. تاريخ العرب حتى اخر القرن الثالث الهجرى .طباعة دار الفكر ، نجيب محمد لبهيش
٣٤. تاريخ الفلسفة فى الاسلام
٣٥. تاريخ بغداد للخطيب البغدادي مطبعة السعادة سنة ١٢٣٤٩هـ
٣٦. التاريخ لخليفة بن خياط ت. اكرم العمري دمشق ١٩٧٧
٣٧. تاريخ مدينة دمشق لابن القاسم علي بن الحسين بن هبة الله (بن عساكر) ت. عمر غرامة دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع ١٩٩٥م
٣٨. تذكرة الحفاظ
٣٩. تذكرة النحاة
٤٠. تهذيب الاسماء واللغات للامام زكريا محي الدين بن شرف النووي عنيت بنشره وتصحيحه والتعليق عليه - شركة العلماء بمساعدة ادارة الطباعة المنبرية دار الكتب العلمية بيروت لبنان
٤١. توضيح المقاصد والمسالك

٤٢. الثقافات الاجنبية في العصر العباسي الثاني ، د/ صالح ادم بيلو طالاولى مكة المكرمة
٤٣. الجرح والتعديل ابو محمد عبد الرحمن بن محمد الرازي حيدر اباد دائرة المعارف العثمانية ١٩٥٢م
٤٤. جمهرة اشعار العرب محمد بن بن ابي الخطاب ط. بولاق ١٣٠٨هـ
٤٥. جمهرة انساب العرب ابن حزم الاندلسي القاهرة دار المعارف
٤٦. جمهرة خطب العرب لاحمد زكي صفوت مطبعة الحلبي الطبعة الثانية ١٣٨١هـ
٤٧. جمهرة رسائل العرب احمد زكي صفوت المكتبة العلمية بيروت
٤٨. جواهر الادب في ادبيات وانشاء لغة العرب لاحمد بن ابراهيم بن مصطفى الهاشمي الازهري دار الكتب العلمية بيروت لبنان
٤٩. جواهر الادب في ادبيات وانشاء لغة العرب - ط/٣٠ تأليف احمد الهاشمي
٥٠. حركات الشيعة المتطرفين واثرتهم في الحياة الادبية لمدن العراق ابان العصر العباسي الاول محمد عبد العال م. السنة المحمدية القاهرة ١٩٥٤م
٥١. الحضارة الاسلامية . متر
٥٢. الحضارة عالم المعرفة حسين مؤنس — المجلس الوطني للثقافة والفنون — الكويت - د ت
٥٣. حلبة الكميت لشمس الدين محمد بن الحسن النواجي م. ادارة الوطن القاهرة ١٢٩٩هـ
٥٤. حلية الاولياء و طبقات الاصفياء ابو نعيم الاصفهاني - دار الكتاب العربي بيروت الطبعة الثالثة ١٩٨٠ م
٥٥. حياة الصحابة محمد يوسف للكائدهلوي دار الفكر بيروت الطبعة الاولى ١٣٩٤هـ
٥٦. خزانة الادب لعبد القادر بن عمر البغدادي بيروت دار صادر
٥٧. دائرة المعارف الاسلامية مادة زنديق
٥٨. دراسات انثروبولوجية د. احمد الخشاب — دار المعارف - القاهرة - ١٩٧٠
٥٩. دراسات في الادب الاسلامي للدكتور سامي العاني بغداد ١٣٩٥هـ
٦٠. دراسات في الأدب الإسلامي لمحمد خلف الله، م. لجنة الترجمة والتأليف والنشر القاهرة ١٩٦٦م
٦١. دلائل الاعجاز ، لأبي بكر عبد القاهر بن عبد الرحمن بن محمد الجرجاني النحوي ، شرحه ، وعلق عليه أبو محمود بن محمد شاكر (ط٢) مكتبة الخانجي ، القاهرة سنة ١٩٨٩ م
٦٢. الديباج المذهب

٦٣. ديوان ابي نواس : الحسن بن هانى - حقه - وضبطه - وشرحه - احمد عبد المجيد الغزالي - الناشر دار الكتاب العربى - بيروت - د ت - ص ت . ع
٦٤. ديوان ابي نواس لسليم قهوجى
٦٥. ديوان الاعشى الكبير شرح وتعليق د. محمد حسين ص ١٧٧ دون تاريخ
٦٦. ديوان البارودي
٦٧. ديوان الحسن بن هانى حقه وضبطه وشرحه احمد عبد المجيد الغزالي ، دار الكتاب العربى بيروت / لبنان
٦٨. ديوان بشار بن برد نشر وشرح محمد الطاهر بن عاشور طباعة لجنة التأليف والترجمة تونس ١٩٥٧م
٦٩. ديوان حسان بن ثابت الانصاري دار بيروت للطباعة و النشر بدون تاريخ
٧٠. ديوان حسان بن ثابت تحقيق دكتور وليد عرفات سلسلة امناء جب التذكارية لندن ١٩٧١م
٧١. ذيل طبقات الحفاظ . علي بن ناصر الحسيني دمشق ١٣٤٧
٧٢. رسائل البلغاء اختيار وتصنيف محمد علي كرد م . لجنة التأليف والترجمة والنشر القاهرة ١٩٤٦م
٧٣. رسائل الجاحظ الثلاث . نشر يوشع فنكل م . السلفية القاهرة ١٣٤٤هـ
٧٤. الرسالة الجامعة: تحقيق مصطفى غالب منشورات دار صادر بيروت
٧٥. الرسول والشعر يوسف العظمة مجلة مركز البحث العلمي العدد الثاني
٧٦. الرياض النضرة
٧٧. زهر الآداب وثمر الالباب ابراهيم بن علي الحصري القيرواني القاهرة ١٩٥٣م
٧٨. زينة المجالس
٧٩. سرقات ابي نواس لمهميل بن يموت بن المزرع بتحقيق محمد مصطفى هدارة نشر دار الفكر العربي القاهرة ١٩٥٧م
٨٠. سنن ابي داوود ابن الاشعث السجستاني تحقيق محمد محي الدين عبد الحميد المكتبة العصرية بيروت
٨١. سير اعلام النبلاء لابي عبد الله الذهبي مؤسسة الرسالة بيروت ١٣١٤ محمد شعيب الارناؤوط
٨٢. السيرة النبوية - ابن هشام لابي عيد الملك بن هشام المعافري تحقيق وتخريج جمال ثابت ، محمد محمود ، سيد ابراهيم ، دار الحديث القاهرة ط. ١٩٨٨م

٨٣. شاعرية العقاد في ميزان النقد الحديث ، لعبد الحي دياب، طبعة دار النهضة الأدبية الحديثة . مصر ، بدون تاريخ .
٨٤. شذرات الذهب في اخبار من ذهب لابن العماد الحنبلي المكتب التجاري بدون تاريخ
٨٥. الشعر والشعراء ، ابو محمد عبد الله بن مسلم (ابن قتيبة) تحقيق احمد محمد شاكر ط/دار النشر بمصر ١٩٦٦م
٨٦. الشعر والشعراء لابن قتيبة طبع دار الثقافة بيروت ١٩٦٤م
٨٧. صبح الاعشي في صناعة الانشا ابو العباس احمد بن علي القلقشندي الاميرية تراثنا ١٣٨٣هـ
٨٨. الصراع بين العرب والموالي لمحمد بديع شريف ، نشر دار الكتاب العربي بمصر ١٩٥٤م
٨٩. صفة الصفوة ، لابن الجوزي ط. الاولى حيدر آباد الدكن ١٣٥٥هـ
٩٠. الصناعتين : ابو هلال العسكري ، تحقيق على محمد البجاوي ومحمد ابو الفضل ابراهيم . الناشر ، عيسى الحلبي طبعه ١٩٥٢م
٩١. طبقات الاطباء لابن ابي اصيبعة
٩٢. طبقات الشافعية الكبرى للسبكي طبعة أولي المطبعة الحسينية بدون تاريخ
٩٣. طبقات الشعراء لابن المعتز طبع دار المعارف ص ٢٠٩ في وصف محمد الأمين.
٩٤. طبقات الصوفية ، لأبي عبد الرحمن السلمي بتحقيق نور الدين شريعة ط. دار الكتاب العربي بمصر ١٩٥٣م
٩٥. طبقات القراء للذهبي
٩٦. طبقات الكبرى لابن سعد دار صادر بيروت ١٩٨٠
٩٧. طبقات فحول الشعراء لابن سلام الجمحي (تحقيق الشيخ محمود محمد شاكرالطبعة الثانية ١٩٧٤م
٩٨. الطبقات لخليفة بن الخياط ت. اكرم العمري دار طيبة الرياض وت . سهيل زكار وزارة الثقافة دمشق ١٩٦٦م
٩٩. ظهر الاسلام - احمد امين - دار الكتاب العربي بيروت الطبعة الثانية بدون تاريخ
١٠٠. عباس محمود العقاد (أبو نواس)
١٠١. العبر في خبر من غبر محمد بن احمد بن عثمان الذهبي ت. د. صلاح الدين المنجد الكويت ١٩٦٠-١٩٦٩م
١٠٢. العبر و ديوان المبتدأ والخبر احمد بن محمد بن خلدون بيروت ١٩٧٨م

١٠٣. العقد الفريد - احمد بن محمد بن عبد ربه الاندلسي ، دار الكتب العلمية بيروت لبنان الطبعة الاولى سنة ١٩٨٢م
١٠٤. العمدة في محاسن الشعر وآدابه ونقده لابن رشيق القيرواني ت. محمد محي الدين عبد الرحمن عبد الحميد بيروت لبنان الطبعة الرابعة ١٩٧٢م
١٠٥. العمدة في محاسن الشعر وآدابه ونقده ، لابی علی الحسن بن رشيق القيرواني وما بعده - طبعة دار الجيل بيروت ، لبنان سنة ١٩٨١م
١٠٦. عوارف المعارف الامام السهروردي دار المعرفة بيروت لبنان دون تاريخ
١٠٧. عيون الاخبار لابي محمد عبد الله بن مسلم الدينوري طبعة القاهرة دار الكتب المصرية ١٣٤٣هـ
١٠٨. عيون الانباء في طبقات الاطباء لابي اصبيعة مكتبة بيروت سنة ١٩٦٢م
١٠٩. عيون التواريخ للابن شاکر الکتبی مخطوطة مصورة الاحمدية حلب برقم ١٢٣٨
١١٠. غاية النهاية لابن الجوزي
١١١. فجر الاسلام احمد امين دار الكتاب العربي بيروت لبنان الطبعة الخامسة
١١٢. الفخري في الاداب السلطانية و الدول الاسلامية ابن طباطبا تحقيق علي الجارم بك و محمد ١٩٣٨
١١٣. الفصل في الملل و الاهواء و النحل ابن حزم الظاهري مكتبة صبيح القاهرة
١١٤. الفلسفة والمجتمع لابراهيم عبدالمجيد اللبان نشر النهضة المصرية القاهرة ١٩٥٠م
١١٥. فهرست ابن النديم بيروت دار المعرفة ١٩٧٨م
١١٦. فوات الوفيات لمحمد بن شاکر الکتبی تحقيق محمده محي الدين مكتبة النهضة المصرية
١١٧. في النقد الاجتماعي ادوارد كارديلي- ترجمة احمد فؤاد بلبع - دار المعارف - القاهرة - ١٩٦٨
١١٨. في النقد الأدبي، شوقي ضيف طبعة دار المعارف ، مصر (ط٢) سنة ١٩٦٢ م
١١٩. في النقد والادب ، ايليا الحاوي الجزء الثالث العصر العباسي بيروت ، ١٩٨٦
١٢٠. القدماء والمحدثون . ابو نواس.. جريدة السياسة القايره بتاريخ ٢٤-١-١٩٢٣م للدكتور طه حسين
١٢١. قصة الادب الفارسي لحامد عبد القادر .نشر مكتبة مصر بالفجالة ، القاهرة ١٩٤٣م
١٢٢. الكامل لابي العباس احمد بن محمد الجرجاني ط. مطبعة السعادة القاهرة ١٩٠٨م للمبرد طبعة ١٣٢٣هـ
١٢٣. الكامل لابن الاثير لابي الحسن بن الاثير الجزري طبعة بيروت سنة ١٩٦٦م

١٢٤. كتاب الحيوان ، للجاحظ ، تحقيق عبد السلام محمد هارون ، طبعة دار الجيل ، بيروت ، سنة ١٩٦٩ م .
١٢٥. كتاب الحيوان ، لابي عثمان عمرو بن بحر الجاحظ ، وما بعده ، طبعة دار مصعب / بيروت / لبنان سنة ١٩٧٨ هـ
١٢٦. كتاب المجروحين
١٢٧. كتاب المعارف عبد الله بن مسلم بين قتيبة ت .د. ثروت عكاشة القاهرة ١٩٦٩ م
١٢٨. كتاب جمهرة الاولياء واعلام التصوف
١٢٩. كتاب جمهرة امثال العرب
١٣٠. كشف الظنون عن اسامي الكتب والفنون حاجي خليفة طبعة سنة ١٩٤٧ م الاستانة
١٣١. كلبلة ودمنة لابن المقفع
١٣٢. اللباب في تهذيب الانساب للامام ابي سعد عبد الكريم بن محمد بن منصور التيمي السمعاني تقديم وتعليق عبد عمر البارودي دار الفكر بيروت
١٣٣. اللزوميات - فيلسوف الشعراء ابو العلاء المعري - دار الكتب العلمية بيروت لبنان طبعة سنة ٢٠٠١ م
١٣٤. لسان العرب محمد بن مكرم بن منظور دار صادر بيروت ، ط ١٤١٤ هـ ١٩٩٤ م
١٣٥. لسان الميزان
١٣٦. المثل السائر
١٣٧. المجموعة الكاملة لجورجيم، الهلال القاهرة ١٩٣٦ زيدان
١٣٨. محاضرات الادباء لابي القاسم حسين بن محمد الراغب الاصفهاني الراغب الاصفهاني المطبعة الشرقية القاهرة ١٣٢٦ هـ
١٣٩. مختار الصحاح لامام محمد بن ابي بكر الرازي ترتيب محمود خاطر الناشر دار الحديث القاهرة
١٤٠. المختار في شعر بشار اختيار الخالدين نشر لجنة التأليف والترجمة والنشر القاهرة ١٩٣٤
١٤١. المذاهب الاسلامية في تفسير القرآن ترجمه د. على حسن عبدالقادر
١٤٢. مذاهب الاسلاميين - د/ عبد الرحمن بدوي - دار العلم للملايين بيروت الطبعة الاولى سنة ١٩٨٣ م
١٤٣. مراتب النحويين لابي الطيب اللغوي مطبعة النهضة مصر سنة ١٣٧٥ هـ
١٤٤. مروج الذهب و معادن الجواهر - ابو الحسن علي بن الحسين المسعودي - دار الادنلس بيروت لبنان الطبعة الخامسة سنة ١٩٨٢ م

١٤٥. المزهر في علوم اللغة وأنواعها"، للسيوطي، ط / دار الجيل، بيروت - لبنان.
١٤٦. المستطرف في كل فن مستظرف ، محمد بن احمد الابشيهي القاهرة ١٢٧٢هـ
١٤٧. معجم الادباء لياقوت الحموي طبعة سنة ١٩٣٨م ١٩٥٧م دار المامون
١٤٨. معجم البلدان - لياقوت الحموي سنة ١٩٥٧م بيروت
١٤٩. مقدمة ابن خلدون تحقيق رضوان ابراهيم طبعة اولي سنة ١٩٦٠ مطبعة الحلبي
١٥٠. مقدمة ديوان زهير بن ابي سلمي المرصفي
١٥١. مقدمة في النقد الأدبي محمد حسن عبد الله — دار البحوث العلمية - الكويت:
١٥٢. الملل والنحل للشهرستاني تحقيق عبد العزيز محمد الوكيل طباعة دار الفكر
١٥٣. منهاج البلغاء وسراج الأدباء لأبي الحسن حازم القرطاجي ، تحقيق محمد الحبيب الخواجة (ط٣) ، طبعة دار الغرب الإسلامي سنة ١٩٨٦م .
١٥٤. موسوعة النظم و الحضارة الاسلامية المجتمع الاسلامي - د/ احمد شلبي - مكتبة النهضة المصرية القاهرة الطبعة السابعة سنة ١٩٨٦م 21
١٥٥. الموشح للمرزباني
١٥٦. النجوم الزاهرة
١٥٧. نزهة الالباء في تراجم الادباء عبد الرحمن بن محمد الانباري ت. ابراهيم السامرائي بغداد ١٩٥٩م
١٥٨. النقد د. شوقي ضيف — دار المعارف - القاهرة - ١٩٦٤
١٥٩. النقد الادبي الحديث محمد غنيمي هلال — دار الثقافة - بيروت - ١٩٧٥
١٦٠. الورقة لابي عبد الله محمد بن داوود تحقيق الدكتور عبد الوهاب وعبد الستار احمد فراج دار المعارف بمصر طبعة ثانية بدون تاريخ
١٦١. الوزراء والكتاب للجيشياري
١٦٢. وفيات الأعيان لابن خلكان طبعة اولي مكتبة النهضة بمصر سنة ١٩٤٨
١٦٣. يتيمة الدهر في محاسن اهل العصر عبد الملك بن محمد للثعالبي دمشق ١٣٠٣هـ
١٦٤. Festinger L.A.A. Theory of cognisive Dissonance —ed Evanstion In ١/. : Row Peterson , Revised : ed, 1965

فهرس الموضوعات

م	الموضوع	ص
١.	الإهداء	ت
٢.	كلمة الشكر	ث
٣.	المقدمة	ح
٤.	التمهيد	١
٥.	الفصل الأول : الحياة السياسية والاجتماعية والعقلية في العصر العباسي الاول	١٠
٦.	المبحث الأول : الحياة السياسية	١١
٧.	المبحث الثاني : الحياة الاجتماعية	٣٤
٨.	المبحث الثالث الحركة العقلية	٤٥
٩.	الفصل الثاني حياة أبي نواس	٧٥
١٠.	المبحث الأول : المولد والنشأة	٧٦
١١.	المبحث الثاني : مراحل التعليم	٨٤
١٢.	المبحث الثالث : الجانب النفسي واثره في انحراف الشاعر	٨٩
١٣.	المبحث الرابع : التحليل النفسي لحياة ابي نواس	٩٤
١٤.	المبحث الخامس: انتاجه الادبي	٩٩
١٥.	المبحث السادس : مكانة ابي نواس الادبية	١١١
١٦.	المبحث السابع : حياة ابي نواس السياسية	١٢٧
١٧.	الفصل الثالث : الصورة المستمدة من الاغراض الشعرية	١٣١
١٨.	المبحث الأول: الصورة المستمدة من خمريات ابي نواس	١٣٢
١٩.	المبحث الثاني: الصورة المستمدة من الغزل والنسيب	١٥٧
٢٠.	المبحث الثالث: الصورة المستمدة من شعر المجون	١٦٤
٢١.	المبحث الرابع: الصورة المستمدة من شعر الزندقة	١٧٥
٢٢.	المبحث الخامس : الصورة المستمدة من الشعر المذهبي	١٩٠
٢٣.	المبحث السادس : الصورة المستمدة من الزهد	٢٠٦
٢٤.	الفصل الرابع : الدراسة الفنية لشعر أبي نواس	٢٣٧
٢٥.	المبحث الأول : بناء القصيدة والمقطوعة	٢٣٨
٢٦.	المبحث الثاني: الألفاظ والاساليب والمعاني	٢٥٦

٢٧٨	المبحث الثالث: الصورة الفنية في شعر ابي نواس	٢٧
٣٠٨	المبحث الرابع: الموسيقى في شعر ابي نواس	٢٨
٣٢٠	خاتمة أهم النتائج و التوصيات	٢٩
٣٢٤	الفهارس العامة.	٣٠
٣٢٥	فهرس الاعلام	٣١
٣٣٠	فهرس الالبيات الشعرية	٣٢
٣٤٣	فهرس المصادر والمراجع	٣٣
٣٥١	فهرس الموضوعات	٣٤